



المجلد الثاني
في مطالع القرن الخامس عشر

المَدَّالِاسْلَامِيّ

فِي مِصْلَاعِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ عَشَرَ

تَأْلِيفُ

الْفَرْجِ الْبُخَارِيِّ

دَارُ الْإِعْصْلَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعة القرن الخامس عشر الهجري

أولا : القبهات والاختفاء القماعة

ثانيا : معالم تاريخ الاسلام المعاصر

ثالثا : المد الاسلامي

رابعا : اعاده النظر في كتابات المصريين

خامسا : القرن الخامس عشر : قضاياه وتحدياته

سادسا : اطار اسلامي للفكر المعاصر

سابعا : مشكلات العصر وقضايا الفكر

ثامنا : نوايغ الاسلام

ثاسعا : الاخطار التي تواجه الامم

عاشرا : الصحوة الاسلامية

حادى عشر : تصحيح المفاهيم

آفاق للبحث

صفحة

٦ المد الاسلامى
١١ مدخل كيف تواجه تحديات الغزو الفكرى
١٩	(١) الصحوة الإسلامية
٢٩	(٢) التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى
٤٣	(٣) من التبعية إلى الأصالة
٤٧ من اليقظة إلى النهضة
٥٠	(٤) من طريق البشرية إلى طريق الله
٥٥	(٥) تهربه القرن الرابع عشر
٦٥	(٦) دور الإسلام فى القرن الحادى عشر
٦٩	(٧) مستقبل الإسلام فى أوربا
٧١	(١) فى مواجهة التراث :
٧٣	(١) التراث الإسلامى المكتوب
٨١	(٢) فى مواجهة تحريف الفكر الإسلامى والتراث
٨٥	(٣) قضية التراث والمعاصرة
٨٩	(٢) فى مواجهة الأدب العربى
٩١	(١) الأدب العربى والمذاهب الغربية
١٠١	(٢) قضايا الأدب فى ضوء الاسلام
١٠٦	(٣) جبران وأطروحة المهجرين فى التغريب
١١٥	(٣) فى مواجهة الاستشراق
١١٧	(١) فى مواجهة الاستشراق والتغريب
١٢٢	(٢) الاستشراق فى طور جديد
١٢٨	(٣) تحديات الاستشراق
١١٩	(٤) فى مواجهة الحضارة الإسلامية
١٤١	(١) حضارتان

صفحة

١٥٤	(٢) في مواجهة الحضارة الغربية
١٥٨	(٣) حضارة الإسلام المتجددة
١٦٣	(٤) نحن وحضارة الغرب
١٦٦	(٥) تحديات مجتمع الاستهلاك
١٧٠	(٦) عجزها عن الاستجابة
١٧٦	(٧) مستقبل الحضارة الإسلامية
١٧٩	(٥) في مواجهة الثقافة الإسلامية
١٨١	(١) في مواجهة الثقافة الوافدة
١٨٥	(٢) الإسلام والثقافة الوثنية
١٨٩	(٦) في مواجهة اللغة العربية
١٩١	(١) تحديات في وجه اللغة العربية
١٩٧	(٧) في مواجهة التبعية والاقتباس من الغرب
١٩٩	(١) سقطت مدرسه التبعية
٢٠٢	(٢) في مواجهة الاقتباس من الغرب
٢٠٦	(٣) في مواجهة منفوذ الاجنبي
٢١٠	(٨) في مواجهة العلوم النفسية والاجتماعية
٢١٢	(١) ماذا بعد فرويد
٢١٧	(٩) في مواجهة تاريخ الإسلام
٢١٩	(١) تلريخ الاسلام في مواجهة التحديات
٢٢٦	(٢) أخطاء في كتابة التاريخ الحديث
٢٣٦	(١٠) في مواجهة الفكر الاسلامي
٢٣٨	(١) في مواجهة الفكر الاسلامي
٢٤٦	(٢) الفكر البشرى القديم
٢٥٤	(١١) الفلسفة الغربية
٢٥٣	(١) الفلسفة اليونانية

صفحة

- (٢) الفلسفة المادية ٢٦٥
(٣) طريق الفلسفة وطريق القرآن ١٧٦
(٤) طريق الفاسفة لا يؤدي ٢٨١
(٥) هل استطاعت الفلسفة ٢٨٥

(١٢) الأصالة

- ٢٩٢
(١) دعوة القرن الخامس هجرى إلى الأصالة ٢٩٣
(٢) الأصالة الإسلامية : صيحة مدوية ٢٩٥

(١٣) الغاية الإسلامية

- ٣٠١
(١) تأصيل ذاتية الأمة الإسلامية ٣٠١
(٢) الإسلام والغرب ٣٠٧
(١٤) الوقوف في وجه التغريب ٣١١
(١) تهربتان لتغريب الإسلام ٣١٣
(٢) محاولة تفريبية جديدة ٣١٨

(١٥) قضايا مثارة

- ٣٢٧
(١) الانقطاع الحضارى ٣٢٩
(٢) وثيقة لويس التاسع عشر ٣٣٥
(٣) تحديات في وجه التعلم والتربية والثقافة ٣٤١
(٤) مراجعات حول مادة إسلام ٣٤٦
(٥) متى يعود الأدب العربى إلى أصالته ٣٥٠
(٦) ما قدمه العلم الإسلامى في مجال الحضارة ٣٩٣

بسم الرحمن الرحيم

المد الإسلامي

والاخطار التي تواجهه

لم تعد ظاهرة « المد الاسلامي » موضع شك من خصوم الاسلام أو المراقبين على السواء ، وهذه الظاهرة التي يهددها القرن الرابع عشر الهجري إلى القرن الخامس عشر أمانة غالية تطلع إليها نفوس المؤمنين ، وتحفها مشاعر الحب والتقدير ، فهي بمثابة الفرس الجديد الذي تتعلق به الآمال في إقامة المجتمع الرباني بعد أن صوجت الأشجار القديمة وتساقط ورقها ، وعجزت عن العطاء .

المد الاسلامي :

هذا المد الاسلامي الذي كان ثمرة العمل الذي تولته بإخلاص وصدق طلائع اليقظة الاسلامية ، فكشفت عن زيف التجربة التي فرضت على الأمة الاسلامية منذ وقعت في براثن النفوذ الاجنبي ، حين خدعها ذلك الجبل الذي خرجته مدارس الارساليات ، ومحافل الماسونية ، وتلاميذ المستشرقين من التغريبيين والشعوبيين ، الذين انبثقوا في المجتمع الاسلامي ليخدعوا المثقفين بأن أسلوب العيش الغربي هو الوسيلة الوحيدة للخروج من أزمة التخلف التي يمرّون بها ، وكان قادة البلاد إذ ذاك متابعين لأهل النفوذ الاجنبي ، ومن ثم فقد أمضوا التجربة ، وحجبوا الفريضة الاسلامية ، وأقاموا القانون الوضعي . ونظام الربا في الاقتصاد ، وأسلوب التعليم العلماني ، فلم تلبث أن كشفت التجربة عن اضطراب شديد أصاب المجتمع بالتحلل والفساد ، وانتهى به الى محاصرة النفوذ الصهيوني ثم النفوذ الماركسي لهذه الأمة ، بالإضافة إلى نفوذ الاستعمار الغربي الرأسمالي الليبرالي . وقد اتصلت التجربة في كل جوانبها :

وانتهت إلى سقوط القدس في أيدي الصهيونية العالمية ، وتكشف لكل صاحب بصيرة أن الحلقات الثلاث التي أصابت الأمة الاسلامية إنما جاءت من مصدر واحد ، هو : التخلى عن منهج الله تبارك وتعالى ، وأسلوب العيش الاسلامي القائم على تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة في مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والربوية .

صحوة عارمة :

ومن هنا كانت تلك الصحوة العارمة التي عبرت عن نفسها بصيحة العودة إلى الله ، هي بمثابة رد فعل لهذه الازمة الضخمة التي وقع العالم الاسلامي فيها خلال قرن من الزمان دون أن يتنبه إلى الخطر الذي حطم معنوياته كلها ، وجعله بمثابة ذيل أو تابع ، أو صورة مكررة المثل الاهل الغريب الذي لا يستطيع أن يعطيه على أى وجه من الوجوه ، القدرة على امتلاك إرادته أو تحقيق ذاته ، أو القيام بدوره الذي فرضه الاسلام في هذا الكوكب ، وهو تبليغ رسالة الله الحق إلى العالمين في مواجهة للوثنية والمادية والاباحية التي طفت باسم حضارة العصر ، ومنهجه العلماني الذي أصبح مصدر الازمات الشديدة المتصلة التي اجتاحت المجتمع الغربي ، حيث تحطمت أيديولوجياته واحدة بعد أخرى دون أن تحقق له ما يطمح إليه ، أو يتطلع عليه من حياة تقوم على أساس جامع بين أشواق الروح ومطامح النفس .

حقيقة واقعة :

ومن هنا فإن هذا المد الاسلامي ، هو حقيقة واقعة وهو نتيجة طبيعية للدوجات الحضارية والاجتماعية التي تصارعت منذ امتلاك الغرب زمام العلم التجريبي الذي صنعه المسلمون أولاً ، ثم سيطر عليه الاوربيون فحولوه إلى غير الطريق الصحيح : طريق الفطرة والحق والرحمة والاخاء البشري .

حقائق كثيرة :

ولقد اعترف الباحثون الغربيون في تحليل هذه الظاهرة بحقائق كثيرة أهمها :
أولاً : أن العالم الاسلامي ذا الاصاله والتاريخ والمنهج القرآني لم يكن لينخدع أكثر ، اخدع بأسلوب العيش الغريب الذي لم يحقق لهم ما تطلعووا إليه بل على العكس هو الذي ساقهم إلى أن تتصارع القوى الغربية ، والشيوعية والصهيونية على الاجهاز عليه ، وأنه استيقظ في الوقت المناسب ،

ثانياً : أن هذه الصحوة هي مقياس لفشل المذاهب العلمانية المتعددة التي حاول دهاء التحديث فرضها .

ثالثاً : أن الغرب لم يكن مخلصاً في نصحه للمسلمين ، ولا صادقة في هدايتهم

إلى عوامل القوة، وإلا فلماذا حجب عنهم العلوم والتكنولوجيا والأسلحة النافذة ،
واكتفى بأن قدم إليهم أدوات الاستهلاك والتحلل والترف الذى يحطم الأمم ؟
رابعا : تلك المحاولات التى استهدفت تغريب عالم الإسلام ، وقد كانت
التجربتان فى تركيا وإيران من أخطر المحاولات لهدم معالم الحضارة الإسلامية
القرآنية ، واحتواء الشعبين فى دائرة المخططات التفريعية .

واليوم تفكك هدف بوضوح أن تلك المدرسة العصرية التقدمية التى ظلت تعمل
سواء فى دائرة النظام الديقراطى الليبرالى ، أو النظام الاشتراكى الماركسى ،
كانت مضللة وفاسدة . وإن كل المحاولات والنماذج والأساليب التى حاولت أن
تقدمها للأمة الإسلامية لم تجد استجابة حقيقية ، ورفضها الحس الإسلامى السليم ،
وشعر أنها ممارسة للفطرة والحقائق الأشياء ، ولم يخدع بها إلا القليل ، وتبين أن
مدرسة اليقظة الإسلامية كانت صادقة فى وجهتها حين دعت إلى التماس المنابع
الإسلامية من القرآن والسنة وإقامة المجتمع الربانى ، والتحرر من النفوذ الوافد
بالتربية وبناء الفرد .

الإسلام منهج حياة :

إن الإسلام دين ونظام مجتمع ومنهج حياة ، وأنه يقوم على أساس الثوابت
والتغيرات . يجمع بين الروح والمادة ، والعلم والدين ، والعنفا والآخرة ، وإن
مفهوم التقدم هو مفهوم جامع بين الوجهتين المادية والمعنوية . ودون أن يضحى
بالمعنويات من أجل الماديات .

ولقد جاء الإسلام خاتما لرسالات السماء ، بعد أن بلغت الانسانية الرشد ،
وأصبحت أهلا لاستقبال رسالة عالمية خالدة مصححا ما انخرفت إليه الأديان
التي سبقتها ، وجاء كتابه كاشفا لهذه الحقائق مهيمنا على الكتب التى جاءت قبله بها
بمفهوم الحضارة الانسانية التى حررت البشرية من عبودية الوثنية ، ومن عبودية
الانسان للانسان ، وقدمت لها منهج الأخاء البشرى والعقل والرحمة والتوحيد
الخالص ، هذا المنهج الذى قامت عليه حضارة الاسلام التى استطاعت فى أقل
من قرن من الزمان أن تصل بين حدود الصين وحدود فرنسا . والذى قدم للبشرية
المنهج التجريبي فى مجال العلم ، وقدم لها سنن الحضارات والأمم والمجتمعات فى
قيامها وسقوطها ، ودفعها إلى عمران الأرض ، واكتشاف ما فى باطنها ، وأعمق

البهار ، وقد حققت البشرية في العصر الحديث من ذلك قدراً كبيراً غير أنها انحرفت عن طريق الله ، وادعت بأن الانسان هو الذى صنع وانشأ ، ووضعت صيغة (الطبيعة) في محاولة للتفكير لقدرة الله تبارك وتعالى الخالق والصانع والذى مدى الانسان إلى اكتشاف تلك القوانين وهذه الكشوف ، ومن هنا فقد عجزت الحضارة الغربية أن تهتدى إلى الطريق الصحيح ، لذلك ففى قد دخلت في أزمة الانسان وأزمة المجتمع وأزمة الصراع النووى بين الكتلتين .

ومن هنا فإن المد الاسلامى الذى يبدو في مطلع القرن الخامس عشر حقيقة واقعة إنما هو الثورة الحقيقية لصيحة العودة إلى الله ، وهو الذى سيجعل هذه الحقيقة إلى العالمين بعد أن يقيم المجتمع الاسلامى القائم على شريعة الله في أرض الاسلام أولاً وهدم ترابط الدين والدولة ، وانتقاص الشريعة الاسلامية ، والتفكيك في التاريخ الاسلامى واللغة العربية . ومحاولة تصوير الاسلام بصورة الأديان الأخرى ، قضاء على ميزته بوصفه الدين الحق الذى مازال منابعه ومصادره صافية خالصة لم يصبها التحريف كما أن هناك محاولات تمزيق الوحدة الاسلامية باللهوعات الاقليمية والقومية والعنصرية .

ولقد بدأت هذه المحاولات منذ أكثر من قرن وقاومتها حركة اليقظة الاسلامية وكشفت زيف هذه القضايا التي أثارها الاستشراق الغربى والشعوبية المحلية ودعاة التغريب ، وحمل لواءها أمثال طه حسين ، وسلامة موسى ، وحسين فوزى ، وزكى نجيب محمود ، وعبد سعيد العشماوى ، ولويس عوض وكثيرون ، وهى لم تعد تتخذ أحداً ، مهما البست أقنواها جديدة ، وعرضت بأسلوب جديد .

وستكون هذه القوة الاسلامية الجديدة فادوة دائماً على دحض هذه الفسبات . والانتقال دائماً من مرحلة المقاومة إلى مرحلة الاصلاة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

مدخل إلى البحث

كيف نواجه تحديات الغزو الفكري والتغريب

والقضايا المثارة في أفق الفكر الإسلامي

إذا كان للمسلمين والعرب على مطالع القرن الخامس عشر الهجري أن يلتفتوا أول الحيط ليحققوا المسيرة الصحيحة نحو الاصاله والحق والإيمان بما يؤملهم لبناء المجتمع الاسلامي الجديد القادر على تأكيد ذاتيتهم القرآنية ومنهجهم الرباني ، فإن عليهم أن يذكروا ذلك المنطلق الواضح الذي انطلقت منه تلك المحاولة الخطيرة لتغريب المجتمع الاسلامي ومواجهة بالغزو الثقافي والفكري لتحويله عن طريقه وأسلوب عيشه ومنطقه ومفهومه الاصيل .

كان ذلك بعد هزيمة الحروب الصليبية في الحملة السابعة على المنصورة والتي قادها لويس التاسع والتي أسرفها في دار ابن لقمان وفيها راجع أبعاد تلك المحاولة التي قامت بها الكنيسة الغربية على الاسلام في ذياره وكتب في مذكراته هذه التروصية الخطيرة التي طالب فيها بان تتوقف الحروب العسكرية على عالم الإسلام لانهم تستطيع أن تحقق شيئاً وأن تبدأ (حرب الكلفة) بتحويل المسلمين عن مفهومهم الاصيل وخاصة بالقضاء على مفهوم الجهاد الذي يعطى المسلمين هذه القوة القادرة حين يرون أن من مات دون أرضه فهو شهيد ، ودعا الكنيسة إلى العمل على تحريف مفهوم الاسلام الصحيح واخراجه من إصالته وتكامله الجامع إلى شبيه بمفهوم المسيحية الغربية القائم على أن الدين هو اللاهوت أو العبادة أو العلاقة بين الله تبارك وتعالى والإنسان .

مع تجاهل علاقة الإنسان بالإنسان وهو الجانب الذى يعطى الاسلام مفهومه الجامع كمنهج حياة ونظام مجتمع إلى جانب أنه علاقة بين الانسان وخالقه .

ومن هنا ظهرت بذور الاستشراق والتبشير تحمل تلك الدعوة المسمومة والعلمانية ، التى استطاعت القوى الغربية عن طريق الاستعمار المسمى والسياسى أن تفرضها على أغلب المجتمعات الاسلامية فتحول بينها بين تطبيق منهج الله ومن هنا كانت مخططات الغزو الفكرى تحمل معها اخطر التحديات :

(أولاً) إخراج المسلمين من الشريعة الاسلامية إلى القانون الوضعى .

(ثانياً) إخراجهم من الاقتصاد الاسلامى القائم على الرحمة والعدل إلى الاقتصاد الرئوى .

(ثالثاً) إخراجهم من مفهوم التربية الاسلامية إلى اسلوب التعليم العربى المنفصل عن الدين والأخلاق .

(رابعاً) إخراجهم من مفهوم الثورى إلى أساليب الليبرالية والمراكسية التى ثبت فشلها وزيفها .

(خامساً) تزييف مفهوم الجهاد ، القائم على المراقبة فى الثغور والإعداد لمواجهة العدو إلى مفهوم الجهاد النفسى على النحو الذى زيفته البهائية والقاديانية .

(سادساً) دخول مفهوم الاشتراكية الماركسية الفاسد فى محاولة لأن يحل محل مفهوم العدل الاجتماعى الاسلامى .

ولقد مضت خطة تنفيذ هذا المخطط فى أسلوب من العمل الماكر الخبيث وجندت له جماعات من المسلمين والعرب الذين احتضنتهم الثقافة الغربية والاستشراق فكانوا أداة الغزو الفكرى فى بلاد المسلمين وهم بمن تخرجوا من مدارس الارشاليات أو سافروا فى بعثات إلى بلاد الغرب (وان كان كثير من هؤلاء قد عصمهم الله تبارك وتعالى من خطر الاحتواء والتبعية)

ولكن القلة استطاعت بفضل النفوذ الاجنبى أن تسيطر وتعود وتسلم أعلى مناصب القيادة والتوجيه فى بلادها فكان خطرهما شديداً .

ولكن الله تبارك وتعالى أراد أن يكشف للمسلمين هذه الصفحة فقدم اليهم هذه الحقائق :

(أولا) وقف الدكتور زويمر في إحدى مؤتمرات التبشير فقال : « ليس المطلوب أن تدخل المسلم في المسيحية ولكن المطلوب هو أن تخرج المسلم من الاسلام »

(ثانياً) وقف رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم البريطاني وهو يحمل المصحف الشريف ويلوح به للأعضاء ويقول إنه مادام هذا الكتاب باقيا في الأرض فلا أمل لنا في السيطرة على المسلمين بل إنه لخطر على وجودنا في بلادنا أيضا .

(ثالثاً) نشر المستشرق الانجليزي الكبير (هاملتون جب) تقريراً خطيراً عام ١٩٣٠ تحت عنوان « وجهة الاسلام » كشف فيه لأول مرة تلك المحاولة الخطيرة التي أطلق عليها مهمة « تغريب الشرق » ودرس مع أربعة من المششرقين خطه التغريب في مصر والشام والمغرب والهند واندونيسيا وعرض للخطوات التي تم اتخاذها وتبادل عن الوسائل المكفيلة بإتمام هذا التغريب .

وكان لابد لحركة اليقظة الاسلامية أن تنبه إلى هذا الخطر كله وأن تعرف مايراد بها فكانت دعوتها إلى (الاصاله الاعلامية) وإلى (تحرير الشخصية الاسلامية) من الاحتواء والتبعية وكان ذلك العمل الضخم الذي قام به أولئك الأبرار في مجال الكشف عن تلك الوبوف وإدحاض تلك الشبهات المثارة التي امتدت الى مجالات كثيرة من الفكر الاسلامي وفيها :

(أولا) الدعوة الى هدم الأديان عن طريق علم الأديان المقارن والقول بأن الأمم بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد بعد ذلك . وهو قول معارض للحقيقة التي جاءت بها الكتب المنزلة والتي تثبتها كل الدلائل التاريخية والكشوف الأثرية . والحقيقة أن البشرية بدأت موحدة ثم أصابتها الوثنية وظلت بين التوحيد

والوثنية على ذلك المدى الطويل وقد كان آدم عليه السلام أبو
البشر نبيا وكان موحدًا .

(ثانياً) الدعوة الى هدم الأخلاق عن طريق مذاهب الوجودية والفرويدية
ومدم الأسرة عن طريق مذاهب دور كايم وليفى بريل .
وتحاول هذه المذاهب أن تهكك في ثبات القيم الأخلاقية وارتباطها
بالإنسان والدعوة الى أخلاق متطورة تختلف باختلاف البيئات
والمصور

(ثالثاً) الدعوة الى التماس مفهوم واحد للتاريخ ، هو التفسير المادى الذى
طرحه انجلز وماركس بالنسبة لتاريخ الغرب وهو مفهوم ناقص
لانه يتجاهل عوامل كثيرة أخرى لما أثرها في توجيه التاريخ .

(رابعاً) الدعوة الى إثارة العصبية والعنصرية واعلاء الاجناس البيضاء
وذلك فى محاولة لفرض النفوذ الاستعماري الغربى على الامم الملونة
والقول بوصاية زائفة للجنس الابيض على العالم والبشرية .

(خامساً) محاولة اخراج اللغة العربية من مفهومها الذى يختلف به عن
اللغات قاطبة بوصفها لغة القرآن الكريم وفرض مناهج من علم
اللغات الغربى للتحكم فيها وتصويرها بأنها لغة قومية فحسب ، أى
لغة امه واذا كان هذا كقانون تخضع له كل لغات العالم فإنه يعجز
عن اقرار ذلك بالنسبة الى اللغة العربية لانها الى جانب انها لغة امة
هى لغة فكر وثقافة وحضارة ودين وأنها تتصل بألف مليون من المسلمين بالإضافة
الى أنها لغة أهلها العرب ولا ريب أن هدف الحملة على اللغة العربية هو خلق عابية
تقضى على لغة القرآن وتمزق الامة والفكر جميعاً .

(سادساً) : الدعوة الى إحياء الحضارات التى سبقت الإسلام وإعادة عرض
الوثنيات والفلسفات والخرافات والأوهام .

وتلك محاولة ماكرة مضللة ولكنها فاسدة ، فقد استطاع الإسلام خلال أربعة

عشر قرناً أن يقيم منها عقلياً وروحياً وأن ينشئ مراجعاً نفسياً وذوقاً خالصاً مرتبطاً بالتوحيد والقرآن ، ومتصلاً بأسباب الإيمان بالله تبارك وتعالى له ضوء الباهر الذي لا يستطيع الظلمات أن تقهره .

(سابعاً) : الدعوة إلى ما يسمى بالأدب العربي المعاصر أو الفن العربي المعاصر أو الثقافة العربية المعاصرة على أن تبدأ هذه الدراسات منذ حملة نابليون وربطها بالارسلالات والنفوذ الأجنبي كأنها هي من معطياته .

وهذه محاولة ما كره إلى اجتثاث الفكر عن أصوله والفصل بين حاضر العرب والمسلمين وبين ماضيهم وخلق ثقافة ، لقيطة ، لاجذور لها وهي محاولة مضللة تهدف إلى الحيلولة دون ربط الأدب أو الفكر أو الثقافة بتاريخها الإسلامي المتصل وماضيها العريق .

ومن الحق أن يقال أن ، القبلة الإسلامية ، المعاصرة في الفكر والأدب والثقافة جميعاً بدأت من دائرة القرآن وأن جميع الحركات الوطنية والقومية إنما استمدت قوتها من مصادر الإسلام وأنه لا سبيل إلى بناء أدب حديث أو فكر أو ثقافة منفصلاً عن اللغة العربية والإسلام .

(ثامناً) : محاولة الادعاء بأن منطقة البحر الأبيض المتوسط شهدت حضارة واحدة هي التي بدأها الفراعنة والفينيقيون ونماها الإغريق والرومان ثم أتمها الأوروبيون المعاصرون وأن دور العرب في هذه الحضارة كان دوراً ثانوياً .

والحقيقة أن هناك حضارتان لكل منهما طابعها المميز هما : حضارة التوحيد وحضارة الوثنية وأن الإسلام هو صانع الحضارة التي اتسمت بهذا المفهوم في مواجهة حضارات بدأت بمفاهيم الوثنية وانتهت بمفاهيم المادية وكانت في مختلف مراحلها معارضة للحق والعدل والرحمة والأخلاق فكانت تضرب واحدة بعد أخرى وتسقط لأنها تعارض سنن الله في الكون .

(تاسعاً) : محاولة القاء بذور الشبهات حول صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق في العصر الحديث والادعاء بأنها شريعة صحراوية موقوتة بعصرها وبيئتها

وكل الدلائل العلمية والتاريخية ، تكذب هذا الادعاء وأقرها مؤتمرات القانون الدولي ١٩٣١ ، ١٩٢٧ ، ١٩٥٢ وكلها أشارت إلى أن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة لها كيائها الخاص وأنها تحمل منهاجاً إنسانياً لم تصل إليه البشرية بعد .

وتجرى المحاولة التي يفرضها النفوذ الأجنبي بالدعوة إلى ما يسمى بتطوير الشريعة ووضعها موضع الاحتواء من القانون الوضعي ولقد كان من أعظم المدهيات التي حققتها الأمة العربية أنها أخذت من التشريع الإسلامي مصدراً أساسياً للقانون ولصت على ذلك في دساتيرها وميثاق الوحدة .

وأنا نخطو الآن خطوات واسعة نحو تطبيق الشريعة وإخضاع كل القوانين لمفهوم الشريعة وروحها .

(عاشرا) : استطاعت القوى الاستعمارية فرض نظام الاقتصاد الغربي على أغلب أجزاء العالم الإسلامي وهو نظام قائم على أساس الربا ومعارض أصلاً لمنهج الشريعة الإسلامية، ولقد قامت في الأمة العربية محاولات طوعية لإقامة المصرف الإسلامي على غير أساس الربا والعمل على وضع نظام أصيل يحرر المسلمين من قيود النظام الاقتصادي الرافد .

(حادي عشر) : كان من أخطر محاولات النفوذ الاستعماري إيجاد تضارب بين العروبة والإسلام ومحاولة إقامة مفهوم العروبة على أساس النظريات الوافدة والقوميات الأوروبية ولقد تنبه المفكرون العرب والمسلمون إلى هذا التحدي الخطير، إلى أن الإسلام هو الذي شكل مفهوم العروبة الحق، وأن العرب قبل الإسلام كانوا يؤمنون بالقبلية وأن الإسلام هو الذي شكلهم كأمة ودفعهم إلى الآفاق وكتب لهم أعظم صفحات تاريخهم والعروبة ليست عصرية وإنما هي قيمة ذاتية في مواجهة الخطر الصهيوني وليكنها مفتوحة بالثقافة والفكر والعقيدة على العالم الإسلامي كله وملتقيه منه .

ثاني عشر : تحريف الحقائق بالمبالغة أو الانتقاص كالادعاء بأن المسلمين

لا يتجاوزون الآن ٥٠٠ مليون بينما تقرر الاحصائيات المتواضعة أنهم يريدون على
الف مليون مسلم وكما نجد في كتب التاريخ من محاولات لتصوير البلاد العربية
بصورة مصغرة أو مهينة أو إثارة الشبهات حول مقدراتها وثرواتها أو الادعاء
بأنها منقسمة إلى مذاهب ونحل تتعارض أو تختلف أو تحول دون قيام وحدة فكر
عامة بينما الحقيقة غير ذلك وأن الخلافات المذهبية الإسلامية هي خلافات في الفروع
أما القيم الأساسية فإنها واحدة بين المسلمين .

ومن هنا فإن علينا أن ننظر في مطالع القرن الخامس عشر الهجري في الشبهات
المطروحة في أفق الفكر الإسلامي وأن نكشف زيفها ونبين وجه الحق .
وهذا ما نود أن نتعرض له في الفصول التالية

(٢)

« الصحوة الإسلامية »

أخذ مصطلح « الصحوة الإسلامية » مكاناً عريضاً في الصحافة الغربية بعد أحداث إيران وأفغانستان وباكستان ، حيث أخذت مختلف مراكز البحث العلمي والتاريخي والصحافي تدرس ما أسسته ظاهرة جديدة في العالم الإسلامي من حيث أن كانت هذه الأحداث مغايرة لكل مقاييس السياسة العالمية ومغايرة لكل الأساليب التي عرفها العالم الإسلامي في التعبير حيث كان القرب قد اطمأن إلى أن التنظيمات الغربية والماركسية من ديمقراطية وليبرالية واشتراكية هي وحدها الوعاء الذي أخذت تتحرك فيه البلاد الإسلامية وأن مفهوم الفكر الإسلامي الجامع في كل مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد قد توارى وزال ولم يعد من المستطاع أن يبرز من جديد على مسرح التنظيمات العالمية والأيديولوجيات التي احتوت مختلف الأنظمة والقطار الإسلامية ، ومن هنا فقد فتحت ثورة إيران ياباً جديداً من المحاذير التي حشها الغرب خلال السنوات الطويلة منذ سيطر النفوذ الأجنبي على البلاد الإسلامية والعربية وأجلى الفكر الإسلامي والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الإسلامية وكان معنى هذا الاحتواء الكامل لتنظيمات العالم الإسلامي ، ومن هنا أطلق على هذا التعبير مصطلح (الصحوة الإسلامية) وكان الباحثون يطلقون مصطلح (اليقظة الإسلامية) على الحركة الإسلامية التي حمل لواءها عشرات من المجاهدين المسلمين في وجه حركات الاحتلال والسيطرة السياسية والعسكرية التي قادتها فرنسا وإنجلترا وهولندا وغيرها على العالم الإسلامي كله ثم جاءت بعد ذلك حركة إحياء المفهوم الإسلامي الأصلي الذي أثبتت الأحداث أنه المنطق الوحيد لتحرير العالم الإسلامي من النفوذ الأجنبي الذي استطاع الاختفاء وراء الطلائع إلى أصدرتها مدارس الارشاليات والتي قبلت التعاون مع المستعمر والمحتل وأقامت تنظيمات حجبت الشريعة الإسلامية وفرضت القانون الوضعي وأنظمة الرأسمالية الاقتصادية وقبلت أساليب الديمقراطية والليبرالية ثم سقطت بعض هذه الدول في التجربة الشيوعية الماركة ، وفي خلال ذلك تبين للمسلمين فساد التجربة الغربية ، بشقها وتوجهت (دعوة اليقظة) إلى الناس منحه القرآن الكريم كأسلوب وحيد لاستعادة

الوجود الحقيقي للأمة الإسلامية والمحافظة على الذاتية الإسلامية التي أصبحت في مهاب الرياح التغريب والغزو الثقافي الذي يهدف إلى إحتواء هذه الأمة وصهر وجودها الحقيقي في أثون الأئمة والعلمانية .

ولقد كانت محارلات البحث في ظاهرة الصحوة الإسلامية قديمة ، وقد تناولها بعض الباحثين منذ وقت طويل ولكنها في العام الاول من القرن الواحد قد أخفت صورة من التركيز الشديد ومنذ بضع سنوات كتب المستشرق موتجمري وات في صحيفة التايز تحت عنوان « الاسلام قوة في انتظار كلمة » يقول : أن الاسلام في حاجة ماسة إلى زعيم مسلم متسلح بتمام الاسلام الخاصة فإذا قدر له أن يظهر فيصبح الاسلام أحد القوى السياسية الكبرى في العالم وهو يؤكد ما ذهب إليه مستشرق آخر هو « هاملتون جب » باحتمال ظهور الاسلام وإعادة بنائه كقوة عالمية .

ويرى كتاب الغرب إن العرب قد هدوا سلطانهم إلى الاندلس وفرنسا وإيطاليا وصقلية وكان باستطاعتهم تعريضها لولا تنفرق كلمة زعمائهم لخاف الغربيون أن يعيد العرب المكركة على تلك البلاد فرسوا خططهم للقضاء على الفكرة العربية والخلاص منها وكانت الحروب الصليبية هي المنطلق لمواجهة هذا الامر ويقول البير شامبرور في كتابه (حمراء غرناطة) : هذا العربي الشجاع استطاع أن يغزو نصف العالم وترك لنا في حمراء غرناطة إثار فخاره ، أن هذا العربي (١) الذي نام نوما عميقا مئات السنين فقط استيقظ وأخذ ينادي العالم : ها أنا لم أمت . ويقول : من يدري قد يعود اليوم .

هكذا كان يفكر المستشرقون منذ سنوات ، أما اليوم فقد تغير الموقف واتسعت الدائرة ولم تعد فكرة اليقظة قاصرة على العرب ولكنها أصبحت تشمل العالم الإسلامي كله ، جاء ذلك بعد أن تعددت مواقف اليقظة في تركيا وباكستان وأفغانستان وإيران ، لقد تحرك العالم الإسلامي بعد أن فشلت تجربة التغريب في هذا العالم الواسع ، فقد جاءت تجربة (أتاتورك) منذ خمسين عاما لتكشف

(١) العرب محاولة للهروب من الحديث عن المسلم .

عن ان السكيان الاسلامى يطرد الجسم الغربى ، وأن محاولة تغريب تركيا ، لم تحقق شيئا ، وجاءت تجربة إيران فى محاولة التغريب لتجسم الامر فى هذه القضية وتكشف الموقف كله فى سفور مريح بأن التجربة الغربية لم تحقق للمسلمين شيئا وان المنطلق الوحيد اليوم وفى مطالع القرن الرابع عشر الهجرى هو : د العودة إلى الاسلام ، فى أصوله الاصيله .

هذا ما نقرأه اليوم فى عشرات الابحاث التى لاتصل إلى الحقيقة فى وضوح ، ولكنها لاتستطيع أن تذكر الواقع ، لان التحليلات التى تقدمها الابحاث لاتنفصل عن واقع العالم العربى نفسه فى النظر إلى العالم الاسلامى ، فهى تصدر عن هوى واضح وتن موقف الاحساس بانهم يار القواعد الظالمة التى طالما بناها الغرب لتكن له من السيطرة على عالم الاسلام . فهو ينزهج أشد الانزعاج حين يرى أن هذه القوائم الباطلة قد سقطت لانها لم تقم على الحق أساسا وحين يرى أن المسلمين قد اكتشفوا د زيف ، المحاولة التى حاول الغرب أن يقنع بها المسلمين وهى أن د أسلوب العيش الغربى ، هو الطريق الوحيد للنهضة قد جاء الوقت فعلا الذى يؤكد أن الناصحين كانوا خادعين وأنهم كانوا يحاولون القضاء على مصادر القوة الاساسية فى هذه الامة لتستكين إلى الظلم وتسقيم إلى التسليم بمقدراتهم وأذلال شخصيتها وقبول الاحتواء والانصار فى حضارة مهبارة ونظام مزعزع .

ولقد كان أخطر ما أطلق الغرب من أساليب لإقامة هذا الفكر التغريبى هو إحلال (القرميات) محل (الوحدة الإسلامية) وإحلال (القانون الوضعى) محل (الشريعة الإسلامية) بل أن النظام الغربى الاقتصادى لم يحقق للعالم الاسلامى الرخاء ، وأن النظام السياسى الذى قام على الأساس العلمانى والديمقراطى قد فشل تماما ، فقد كان عاملا من عوامل هجرة الاموال الوطنية إلى الغرب ، واستقدام أدوات الترف دون أن يحقق للمسلمين استقدام أدوات العلم والتكنولوجيا الحقيقية .

هذاما تشهر اليه صحف ميدل ايست ، والانونكو مست ، النيويورك تايمز ونيوز ويك
وهى صحف تغلب عليها طابع الصهيونية التى تحاول الوقيعة بين العالم الاسلامى
وعالم الغرب وهى تحاول أن تصور الصهيونية الاسلامية ، بأنها محاولة لاتتراجع
المقدرات التى فى أيدي الغرب وهذا غير صحيح ، وإنما تستهدف الصهيونية
الاسلامية فى الأساس امتلاك الارادة والحفاظ على الذاتية الاسلامية وبناء
علاقات جديدة مع الشرق والغرب على اساس الرشد الحقيقى الذى بلغه المسلمون
بعد قرن كامل من علاقات الاحتواء والسيطرة .

لقد كان للغرب (بالاشتراك مع الصهيونية والصيوعية) يهدف من وراء
لمسقاط الخلافة الاسلامية إلى تمزيق وحدة العالم الإسلامى وإقامة تلك
التنظيمات الاقليمية الضعيفة ولكنه غاب عن هؤلاء أن مفهوم الوحدة الاسلامية كان
قائما وراء مفهوم الوطنية والقومية وهما التياران الذى حاول الغرب أن يفرق
فيهما عالم الاسلام ، وتبين للمسلمين بعد قليل من التجربة أن جميع النظريات
الوافدة التى ظهرت فى البلاد الاسلامية هى مجموعة من التناقض حاولت أن
تشكل بالمزج والتركيب نظرية ملفقة واضح منها التمهول والصناعة ولذلك فقد
عجزت أن تبقى طويلا لانها كانت ضد الفطرة والعلم وطبائع الاشياء ، هذه
التشكيلات التى حاولت أن تجمع بين الاسلام والقومية والماركسية أو الوحدة
والحرية والاشتراكية ، وقد تبين أنه ليس هناك أصلح من النظرة الاسلامية
الاصيلة الجامعة وفشلت كلمات الديمقراطية والاشتراكية والقومية والاجتماعية
لقد فشلت هذه المسميات كلها فى أن تعطى شيئا وكانت مسيرة الإسلام أنه صنع
د وحدة الفكر الجامعة ، التى تحول دون قيام ظاهرة الصراع الفكرى
أو النزق النفسى .

لقد كان القضاء على الخلافة الاسلامية هى أفسى ضربات النفوذ الاجنبى
وأكثرها اثارا لقوى البقعة ، ومن هذه النقطة نبعت فكرة احياء المنهج القرآنى
الذى قاد حركة اليقظة الى الطريق الصحيح ، هذا الطريق القرآنى الذى غلب على
احجاب التيار الفلسفى أو الكلامى أو الصوفى وهو الذى أعطى السلفية مفهوم

الاصالة والالتباس من المنايع ولقد كان التجمع العربي ضرورة في غياب الوحدة الإسلامية ومنطلق إليها ، وخطوة حقيقية إلى الوحدة الإسلامية لأنه قام في إطار القرآن والسنة وليس في إطار مفهوم ساطع الحصرى والقوميات الوافد .

واليوم يتقدم العالم الإسلامى نحو تطبيق الشريعة الإسلامية وهناك تجارب عديدة في الباكستان والأردن والكويت ، ومصر وهى علامة من علامة الانطلاق نحو . الاصالة ، الحقيقية بالرغم من خوف أعداء الاسلام من دعوة الاسلام إلى دنيا المسلمين ولقد اضطرت بعض الدراسات إلى الاعتراف بأن الوجد الاسلامى إنما يأتي تعبيراً عن الرفض لقيم العالم الغربى المتفسخة والتي تضم الماركسية والرأسمالية كما تقول تيوزويك التى تشير إلى أن الضجة المتنامية تطالب بالعودة إلى القوافين الإسلامية المعروفة بالشريعة وهى مبنية على القرآن ولما سنه الرسول فى القرن السابع (وتلك الصحف تشير إلى أن المسلمين فى نيجيريا والسودان والكويت يضغطون على حكوماتهم لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وأن رئيس باكستان أعلن قائمة من العقوبات القرآنية فالزناه سيجرمون حتى الموت كما ستقطع أبداً المصوص وسيجلد معاقروا الخمور .

ووصفت تيوزويك هذه العقوبات بأنها وحشية .

ونقول : ان الاسلام لا يعاقب على الجريمة ولكنه يضع الحواجز دون وقوع الجريمة ولذلك فإن أحكامه الرادعة من شأنها أن تشكل مانعاً دون ارتكاب الجريمة

ولا ريب أن الخطوات التى تجرى فى مجال الاقتصاد لالغاء الربا فى مجال المعاملات المالية وفرض الزكاة والمهور لتمويل برامج الرعاية الاجتماعية ، وإعادة النظر فى النظام التعليمى ليكون موافقاً للنهضة الإسلامى ومراجعة كل الكتب الدراسية لتكون متوافقة مع تعاليم الاسلام ، هذه الخطوات تعزز مفهوم الصحوة الإسلامية الأصل حيث تثير هذه الصحف الشبهات حول البنوك اللاربية وموقف المرأة وغيرها وهى محاولات باطلة لأن العالم الإسلامى قد تبين له فساد (أسلوب العيش الغربى) وأن هذه البلاد الإسلامية قد قامت فيها روح جديدة آمنت بصيحة (العودة إلى الله) بعد أن كسفة ١٩٦٧ قد أشارت هذه الكتابات إلى مجموعة من الحقائق منها قولهم :

أولاً : الاعتراف بأن الاسلام ليس ديانة بالمعنى الضيق للكلمة ولكنه طريقة كاملة للحياة وهو يهتد به صوغ الموقف الاجتماعى ونماذج السلوك لمن يتبعونه د طعامهم وملابسهم وزوجاتهم وحياتهم الاسرية ومعاملاتهم الاقتصادية وميولهم السياسية . .

ثانياً : الاعتراف بانتشار الاسلام بالدعوة السلمية في بقاع مختلفة من العالم وأنه استطاع أن يقيم مجتمعات مستقلة في قلب أوروبا الغربية فالمسلمون هناك يرفضون أساليب الغرب ومعايره التي تفرض عليهم ويعملون على إقامة مجتمع إسلامى أصيل .

ولا ريب أن أصدق تصوير لأحوال المسلمين وموقفهم من الغرب في مطالع القرن الخامس عشر وهو ما عبر عنه باحث غربى حين قال :

« أن المسلمين اليوم عندما عادوا إلى تقييم ما حصلوا عليه من الغرب وعندما أخذوا في مراجعة تجربتهم مع إيدولوجياته ، خلال السنوات الصعبة أو المأساة الماضية ، وجدوها فاسدة ومضطربة وفاشلة ، ووجدوا أنها لم تحقق لهم شيئاً إلا الفرقة والتزق والفقر ، والخروج عن ذاتيتهم وعجزهم عن امتلاك أراذلتهم وأن محاولة الغرب في احتوائهم بقوانين الوضعية وأسلوبه في التربية والتعليم قد ينتج عنه اضطراب شديد ولم يحق لهم أى تقدم حقيقى ، وقد تبين لهم اليوم فساد التجربة جملة ، ظهر ذلك في محاولة أتاتورك في تركيا والشاه في إيران في تجربة الدكتاتوريين في أجزاء أخرى من العالم الإسلامى وفي فساد تطبيق الديمقراطية الغربية في بعض الدول وتطبيق الماركسية في بلاد أخرى ولذلك فهم يتطلعون إلى أفق جديد ويرون أن التماسهم لأصالتهم ولنهجتهم الذى نشأوا عليه هو الطريق الصحيح فهو الذى أعطاهم دوام القوة والحيوية والانتعاش في مجال الفسك والقانون ما لا تستطيع أن تعطيه إيدولوجيات ولذلك فليس غريباً أن يتجهوا إلى محاولة التماس أصالتهم وعلى الغرب أن يعرف ذلك وأن يقبل التعامل معهم على أساسه . .

ولاريب أن هذا التحليل هو من أصدق التحاليل التي حاولت تفسير ما يسميه الغرب بالصهوة الإسلامية وما نطلق عليه نحن مرحلة الرشد التكري والانتقال من مرحلة اليقظة الإسلامية إلى مرحلة النهضة بعد أن تنبه العالم الإسلامي كله لمخططات التغريب والغزو الثقافي وأصبح قادراً على معرفة تلك المخادير ، التي فرضها عليه النفوذ الغربي من أجل القضاء على ذاته الخاصة ، وصهره في بوتقة الامة العالمية واستبقائه خاضعاً له .

ولاريب أن من أكبر علامات القرن الوليد : إنطلاق دعوة تصحيح المفاهيم والعودة إلى مقاييس الاصاله والتاس منج الله في بناء المجتمع وبروز الذاتية الإسلامية ومحاولة إخضاع القوانين الوضعية للشريعة الإسلامية باعتبارها المصدر الأول والوحيد للقوانين وبروز فريضة الجهاد ووضوحها وقيامها بدور ضخم في تحرير كثير من الاوطان الإسلامية وهي علامات تحتاج إلى نقله واسعة لتحقيق قياس المجتمع الإسلامي الرباني القادر على تقديم نموذج للعالم كله باعتبار أن المسلمين مكلفون بأن يقدموا (الإسلام) إلى العالمين بوصفه الحل الوحيد لقضايا العالم المضطرب الذي تصدع بنيانه ووقع في أزمة التحلل والتفوق بعد أن جرب مختلف الأيدولوجيات الديمقراطية والاشتراكية والديكتاتورية .

ولاريب أنه في سبيل تحقيق هذه الغاية : غاية أن تدخل حركة اليقظة مرحلة النهضة ، هناك عقبات يجب أن يتخطاها أهل الدعوة الإسلامية .

ولعل المخادير التي يجب أن يتنبه لها الدعاة إلى الله هي ظاهرة استمرار المؤامرة على الإسلام مع تغير الأساليب وبقاء الهدف الاصلى تحت اسم (خداع الصيد باخفاء الشباك) .

إن القوى الثلاث المسيطرة الآن : النفوذ الغربي والشيوعية والصهيونية تكاد تلتقي جميعاً على هدف واحد هو الحيلولة دون تمكين المسلمين من تحقيق إرادتهم ، لانهم يعلمون أن سيطرة النظام الإسلامي في عالم الإسلام من شأنه أن يحول دون تحقيق مطامعهم وسرقاتهم ومؤامرتهم المستمرة على نهب نزوات العالم الإسلامي وهم من أجل إستبقاء نفوذهم يعملون للقضاء على الذاتية الإسلامية الاصيلية ، وصهر المسلمين في بوتقة الامة العالمية حتى يهضغ طابعهم الخالص القائم على

التوحيد ، وهو الطابع الذي حرص الاسلام ورسوله على تأكيده حتى يظل المسلمون قادرون على امتلاك ارادتهم وحتى لا تستطيع قوة من القوى أن تعظم وجودهم أو تفتت في عضدهم وحتى يتمكنون من الاستمرار في اداء الرسالة المنوطة بهم إلى يوم القيامة وهي تبليغ الاسلام للعالمين على أن يكونوا هم بمثابة التجربة التطبيقية ، أو النموذج القائم في عالم الواقع ليهدي الباحثين إلى أن المنهج الرباني هو القادر على تحقيق أشواق الانسان ومطامحه جميعاً ولذلك فلا بد من حضانة من فكر إسلامي أصيل تابع من المصادر الأساسية (القرآن والسنة) يحول دون سيطرة أى فكر وافد كما تحول دون الانبهار بأى فكر يهز شبابنا ببريقه وخداعه .

لقد آن للعقلية الإسلامية للتحرر من استعباد الثقافات الغربية لتصحيح ما دسسته الشعوبية في تاريخ العرب والاسلام من سموم والتحرر من عديد من الدعوات المسمومة الموجهة إلى فكرنا وامتنا وتاريخنا واعتنا .

أن أخطر الدعوات هي الدعوة إلى نبذ الماضي والتاريخ القريب والتراث الاسلامي وإحياء الفلكلور والتراث الوثني القديم الذى قضى عليه الاسلام ، أنهم ينكرون تاريخ الاسلام بوصفه قديماً ويدعون إلى ابتعاد تاريخ الجاهليات قبل الاسلام، يدعون إلى إحياء شخصيات وثنية واسطورية وينكرون الشخصيات الحية البارزة ذات الأثر القوى أمثال خالد وسعد والمثنى وصلاح الدين .

وهناك مهاجمة الشعر العربي والفصاحة العربية والخطابة ومهاجمة القرآن من خلال الدعوة أى إلى إحياء ما يسمى باللغة الوسطى وإحياء العاميات ودراسة اللهجات في مجامع اللغة والجامعات وإحياء الفلكلور .

وهناك المرجح المادية الالحادية التي تنكر الايمان بالله الخالق وتقتصر نظر الناس وتفكيرهم على مسائل الميش المادى وحدها وترفض التفسير الجامع للكون والحياة وتعنتق التفسير المادى للتاريخ وتقتصر الانسان على الحاجات المادية دون التطلع إلى حل مشكلات الفكر والاعتقاد .

وهناك محاذير الترجمة واللغات الأجنبية ، فان علينا أن نتعلم اللغات من داخل لغتنا العربية وأن تكون الترجمات في خدمة الدعوة الاسلامية لا حرباً عليها

كذلك فإن من الخطر أن يتنازل المسلمون عن قيمهم ويميزاتهم الخاصة تحت تأثير
الفزو الحضارى، أو التضحية بأسلوبنا الخاص في المهار والمأكل والملبس دون أى
مبرر .

ولا ريب أن بداية الانطلاق نحو الأصالة والرشد الفكرى والدخول فى
مرحلة النهضة الإسلامية هو تحرير النفس الإسلامية من كل سلبيات الماضى ورفض
كل دعاوى التغريب وتعاليمه المخرفة التى تحاول النيل من هذا الماضى تراثاً ؟
وتاريخاً ولغة وعلينا أن نواجه خطر الاحتواء والذوبان والتجعية وعلينا أن نحصى
وجودنا وذاتيتنا من الانصهار فى بوتقة الأمية العالمية .

(٣)

التحديات التي تواجه

الفكر الإسلامي

لا ريب أن الفكر الإسلامي في حضارة الدعوة الإسلامية وله جذوره العريقة وأصوله الأصلية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية وسيرة الرسول وتاريخ الإسلام والأدب العربي وقد اكتمل مفهوم الإسلام في حياة الرسول ﷺ ، اليوم أكلت لكم دينكم ، وقد كانت قواعد الفكر الإسلامي الأساسية قد بدأت ونمت في حياة الرسول ﷺ مستمدة من القرآن وإن هذه القواعد لم تتغير من بعده ولم تجر أية إضافة إليه فظلت قيمتها الأساسية كما جاء بهما وحى السماء والقرآن وقامت سنن النبي في تفسيرها وتطبيقها . وإنما جرت حركة العمل من داخل الإطار الذي رسمه القرآن . ولقد كان فضال المسلمين بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الإسلام بمفهوم (السنة الجامعة) وهزمت جميع محاولات السيطرة والاحتواء والغزو الفكري كما تسميه بلغة العصر وبقيت الحقائق الأساسية قائمة :

إن الإسلام ليس ديناً كسائر الأديان ولكنه حركة إجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والأخلاق وأن ميزة الإسلام أنه نظرية كلية شاملة وأنه لم يجرى . الحياة بل نظر إليها نظرة كلية كما نظر إلى الإنسان كوحدة نفسية وجسمية لا تفصل .

وفي العصر الحديث وفي أبان الحملة الاستعمارية والصهيونية والماركسية واجه الإسلام تحديات خطيرة أبرزها :

أولاً : إثارة الشبهات حول حقيقة الإسلام والتشكيك في طبيعته الجامعة التي ميزته عن سائر الأديان وهو أنه منهج حياة ونظام مجتمع وإثارة الشبهات حول مفهوم الدين المنزل من السماء والوحى بصفة عامة والدعوة إلى هدم الأديان عن طريق ما يسمى (علم الأديان) المقارن أو القول بأن الأمم بدأت وثنية ثم عرفت

التوحيد بعد ذلك . وهو قول معارض للحقيقة التي جاءت بها الكتب المنزلة والتي تلقتها كل الدلائل التاريخية والكشوف الأثرية . وهي أن البشرية بدأت موحدة ثم اعتراها التغير واستسلمت للفكر البشري الوثني والمادى وأن آدم أبو البشرية كان نبيا وكان موحداً . وهناك تلك الأطروحات الباطلة التي أستمدها خصوم الإسلام من غير المسيحية بالقول بأن الإسلام دين عبادة وإن رسول الله ﷺ كان نبيا روحيا وأنه لم يكن حاكما وما أقام دولة وهو باطل كشفت الأبحاث الصحيحة عن فساده . وهناك الذين قالوا به إننا استمدوه من المسيحية . ومن مفاهيم الاستشراق المعادية للإسلام كذلك فإن مفهوم التوحيد الذي عرفته بعض الأديان السماوية التي انحرفت تفسيرا لها ليس هو مفهوم التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام . وأن هؤلاء القوم يدعون أن لهم لها خاصا بهم ، أما الإسلام فيقرر أن الله تبارك وتعالى هو رب العالمين كذلك فإن ما يدعيه البعض من التوحيد عند أختاتون وغيره لم يكن في الحقيقة هو التوحيد الصحيح الذي جاء به أديان السماء وأن التوحيد كان دعوة أديان السماء المنزلة منذ آدم إلى محمد ﷺ . وام تكن قاصرة على دين واحد هو الدين الذي أنزل على موسى عليه السلام كما تحاول أن تطرح ذلك نظريات فاسدة .

وقد تداولت البشرية التوحيد الذي جاء به الأديان رسولا ونبيا بعد نبي وفي خلال الفترات كانت تعود إلى الوثنية وإلى الفكر البشري ولكنها كانت تعرف التوحيد منذ نشأة الحياة الإنسانية .

وقد تميز الإسلام عما سبقه من مفاهيم حول الله تبارك وتعالى بأنه جمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وأنه غير مفهوم الوثنية ومفهوم التعدد والتثليث والشرك وغيره بأن أقر المسلم بالله تعالى ربا خالقا وبكل ما قدر الله من أمر وهو ما تمثله عبارة القرآن الكريم في فاتحة الكتاب : إياك نعبد وإياك نستعين .

ثانيا : إثارة الشبهات حول مفهوم الاجتماع الاسلامي ، في شأن فئات القيم الأخلاقية وارتباطها بالدين والدعوة إلى هدم الأخلاق عن طريق مذاهب

الوجودية والفرويدية وهدم الاسرة عن طريق مذاهب تدعى أن الاسرة ليست الفطرة وتحاول هذه المذاهب التي عرفت باسم مدرسة العلوم الاجتماعية أن تشكك في ثبات القيم الاخلاقية وارتباطها بالإنسان والدعوة إلى أخلاق متطورة تختلف باختلاف البيئات والعصور .

ویدخل في هذا تلك النظريات التي طرحها فرويد وسارتر ودوركايم .

وأخطر ما يواجه المسلمين من هذه النظريات الوافدة المطروحة في أفق الفكر الاسلامي أن يظن البعض أنها علوم ومفاهيم علمية مقررّة والحقيقة أنها مجموعة من الفروض التي قدمها بعض الفلاسفة والمفكرين وأن كثيراً منها ثبت فسادها وفشلها وأن أبرز ما يدل على اضطرابها هو عجزها عن العطاء أو عن الثبات مع الزمن أو البيئة وعدم صلاحيتها للتطبيق بعد قليل مما جعل أصحابها ودعاتها يغيرونها بالحذف والاضافة ومع ذلك فهي من الفكر البشري الذي لا يثبت أمام المفاهيم الربانية الحقّة التي قدمها الاسلام في مجال النفس والاجتماع والأخلاق .

وأن أغلب هذه النظريات إنما كانت موجهة في الحقيقة ضد الدين الذي عرفته أوروبا والذي لم يحقق لها استجابة صحيحة مع أشواق النفس الانسانية لحال بينها وبين ممارسة الحياة الاجتماعية الطبيعية حين فرض عليها اليهانية ، ومن ثم كانت هذه الموجة العاتية التي يطلقون عليها ثورة الجنس للوصول إلى أقصى الطرف الآخر في الاباحية وتحرير مفاهيمهم من أغلال المفاهيم المسيحية الجامدة . وهذه القضية بحملتها ليست مطروحة في أفق الفكر الاسلامي الذي دعا دينه إلى حق المتاع الدنيوي بالطعام والمرأة في أوضاع صحيحة وضوابط كاملة دون أن يحرم الانسان منها شيئاً .

ولقد كانت نظرية فرويد بالتفسير الجنسي للتصرفات الانسانية موضع نقد وتجريح من علماء النفس أنفسهم فضلاً عن معارضتها للفطرة الانسانية وقد تبين في العصر الأخير أن العامل الجنسي ليس هو المصدر الاوحد للتصرف الانساني واسكنه واحد من عوامل كثيرة منها تأكيد الذات ومركب النقص والايمان بالعقيدة ذلك الدافع الخطير إلى الموت سبيل الحق .

ومن منطلق حرب اليهودية للجويم أو للاميين كانت محاولتهم لهدم كل قيم الاخلاق والاجتماع والاسرة على النحو الذى قام به فرويد ودوركايم الذى كانت نظريته فى علم الاجتماع قائمة على إنكار القواعد الاخلاقية وإنكار ثبات القيم الاجتماعية والاخلاقية والدينية التى قررها الدين الحق وإنكار فطرة الدين والاسرة والواج ودوركايم هو الذى روج للنظرية القائلة بأن الدين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الجماعة نفسها وهو يدعى إلى ما يسمى بالعقل الجمعى الذى ينسكركم مسؤولية الفرد عن عمله والتزامه الاخلاقى الذى هو مصدر الحساب والجزاء الاخرى ، كما أنه ينفى القداسة عن الدين والاخلاق والاسرة ويشكك فيها ويدعو إلى تحطيم الدين لأنه يعوق التطور ، هذه الافكار المسمومة التى روجتها التلمودية ، والفكر الغربى بمد أن سقط أسيراً للتلمودية ، يحاولون الآن طرحها فى أفق الفكر الاسلامى لاخراجها عن فطراته وذاتيته ومفهومه الربانى الجامع القائم على التوحيد والرحمة والاخاء البشرى .

ولعل من أخطر ما يواجهه اليقظة الاسلامية فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى هو هذه التحديات التى تتصل بالمتجمع والاسرة والطفل والمرأة ، المستمدة من هذه النظرة المادية الخاصة التى يقوم على مفهوم علم الاجتماع وعلم النفس كما يدورس لان فى الجامعات حيث تنشئ أجيالا تقوم عقليتها على أساس النظرة المادية الخاصة إلى الانسان وحيث تنظر فى سخرية وامتناع إلى الاخلاق والدين والاسرة . ونرى أن هذا الذى تعلمه ليس الا مجرد نظريات لها مقابل فى الفكر الاسلامى أكثر أصالة وأعمق نظرة بل هو من الحقائق العلمية والمسلمات التى لا مرد لها ، بينما هى لاتعرف وجه الحقيقة بالنسبة لمفهوم الاسلام الحق الذى هو فطرة الله . فطرة الله التى فطر الناس عليها وهو المفهوم الذى يقرر أن الانسان روح وجسد وعقل وقلب وأنه لا يمكن تفسيره عن طريق المذاهب المادية التى تعامله كالحيو ان أو المناهج التجريبية التى تعامله كالمادة العماء . ولاريب أن نظرية دوركايم فى علم الاجتماع حين تلتقى بنظرية فرويد فى علم النفس ونظرية ماركس فى الاقتصاد من شأنها أن تشكل إنساناً مضطرباً مزعزع الوجدان .

ومن عجب أن تبرز هذه المفاهيم فى مختلف مجالات الثقافة والتعليم والصحافة

بينما تحتفي مفاهيم الاسلام في النفس والاخلاق وتضامول ولا تضامول ولا تفرض حتى على أنها وجهة نظر الامة التي تواجه تلك القضايا والتحديات بل لعله في الحقيقة ليس هناك مفهوم أعق وأصدق أصالة من هذا المفهوم الاسلامي وأن مفهوم الغرب كان مصدر الكارثة التي تحل بالبشرية اليوم لانفصاله عن الفطرة والعلم ودعوته إلى الانشطارية بين الروح والمادة والعقل والقلب وهو مصدر التزق والغشيان والغربة التي هي أزمة الحضارة الغربية المعاصرة .

ثالثاً : من أخطر التحديات التي تواجه الفكر الاسلامي ما طرحه الفكر الوافد في أفاقه من تفسيرات غربية وماركسية وصهيونية وهي جميعها تفسيرات مضللة مستمدة من التفسير المادي للتاريخ الذي طرحه انلجز وماركس وهو مفهوم ناقص لأنه يتجاهل عوامل كثيرة لها اثرها في توجيه التاريخ .

أن تفسير التاريخ الاسلامي عن طريق مناهج التفسير الغربي هو بمثابة عجز عن النظرة الصحيحة لحركات ووقائع التاريخ الاسلامي فقد قاس الكتاب الغربيون الوقائع الاسلامية على ظروف لامبراطورية الرومانية وغيرها مع اختلاف الظروف والمقاييس . كذلك فقد كانت نظرة الغربيين إلى تاريخ الاسلام ناقصة وقاصرة لأنها صدرت عن ذلك الاعتبار الخاطي . بان تاريخ الغرب هو تاريخ للبشرية وإن ما عدا ذلك ليس تاريخاً ولا يدخل إلى ساحة المقاييس أو الصورة العامة

وأشد أنواع الخطأ هي فكرة الحتمية ، التاريخية ، والجبرية ، الاجتماعية التي يجرى تطبيقها على التاريخ الاوربي ، وأشد ما عجزت عنه تفسيرات الغربيين للإسلام هي عجزهم عن فهم ذلك الجوانب المعنوي والروحي : الوحي والتبوة والرسالة السماوية وما يتصل بها من بناء القوة القادرة بإيمانها على هزيمة القوة المادية التي هي أكبر منها عدة وعدداً ؟

وتتمثل المعالجة الغربية الظالمة لتاريخ الاسلام في أن علماء الغرب فرضوا التقسيم الغربي للمعصور التاريخية على تاريخ العالم وتعميم مقايستهم فيها ، فالمعصور الوسطى مثلاً هي معصور الظلام في رأيهم ما دامت أوربا كانت في الظلام متجاهلين الحضارة العربية الاسلامية التي كانت متأقفة في تلك المعصور وتاريخ إفريقيا السوداء

يبدأ عندهم حينما دخلها الرحالة الأوروبيون ، أما قبل ذلك فليس لها تاريخ ، وتمتد هذه النظرة إلى الفكر العالمي الذي هو عندهم الفكر الغربي وحده .

وقد تجسدت هذه النظرة في نظريات ولدت في الغرب قسمت شعوب العالم إلى فئات : دماء بعضها نقية زرقاء ، ودماء بعضها الآخر سوداء ، وإلى أجناس عليا وأجناس دنيا .

ومن منطلق التفسير المادى للتاريخ عجز المؤرخون الأوروبيون عن تفسيرات الأحداث الكبرى في تاريخ الإسلام وخاصة تفسير سرعة انتشار الإسلام فزالوا يقيسون ذلك بالمقياس المادى وكذلك انتصار المسلمين بالعدد الأقل على الروم والفرس بالأعداد الضخمة وهم يسقطون من حسابهم القوة المعنوية : قوة الإيمان التي هي في تقدير التفسير الإسلامى للتاريخ عامل موازن أن لم يكن أهم من القوة المادية .

كذلك فقد عجز كتاب الغرب ومؤرخوه عن ضبط النفس في تقدير المواقف المشتركة كحركة بوانيه والحروب الصليبية والاستعمار الحديث فانحرفوا في تفسيرها مع أهوائهم ومع غرورهم واستعلائها وبروح الاحتقار والانتقاص للشعوب الضعيفة والمستعمرة .

وكما حل التفسير المسيحي للتاريخ روح الخصومة ، كذلك حل التفسير الصهيوني التاريخ الإسلامى روح الحقد ، وكان التفسير الماركسى للتاريخ أكثر حقدًا وخصومة ، وقد عملت هذه التفسيرات على إعلاء شأن الحضارات القديمة والأديان الوثنية السابقة للإسلام أو لإلادعاء بأن العرب كانوا تامةضين ومتحضرين ولم يكن ينقصهم إلا قائد ليفرضوا ولسوا أن العرب حاربوا الرسول ثلاثة عشر عاماً ووقفوا بالخصومة إزاء كلمة الإسلام حتى فتح الله لها أفقاً جديداً في يشرب .

رابعاً : الدعوة إلى إثارة العصبية والعنصرية وإعلاء الأجناس البيضاء وذلك في محاولة لفرض النفوذ الاستعماري الغربي على الأمم الملونة والقول بوصاية زائفة للحضارة البيضاء على العالم والبشرية .

كما عدوا إلى أذكاء رياح الدعوة إلى الاقليميات والقوميات الضيقة للقضاء

على روح الوحدة الاسلامية الجامعة بين الدول الاسلامية سواء منها ماكان تابعا للدولة العثمانية (كالعوب والترک) أو بقية البلاد الاسلامية التي كانت تدين بالولاء للخليفة المسلم أمام المسلمين .

ولقد حملت دعوات الاقليمية والقومية رياح العصبية والعنصرية الغربية وكانت محاولة خطيرة لوضع الحواجز التي تجمعها بها رابطة العقيدة والثقافة والترديد .

ولقد استهدفت هذه الدعوة في البلاد العربية إلى إعلاء طابع الاستعلاء الجنسي المتألق في مواجهة الأمم الاسلامية ، وخلق طابع الانعزال والانفصال الكاملين في التاريخ والتراث والمقومات الاسلامية واستهدفت كذلك خلق وجود معاصر منفصل تماماً عن الاسلام وعن العالم الاسلامي متصل بالغرب في تفسيراته وقيمه وطوايعه .

لقد كان هدف هذه الدعوة إعلاء شأن القوميات حتى في الأمم الاسلامية ذاتها فضلاً عن فصل هذه الأمم الاسلامي وفصل العرب عن الامتداد الاسلامي .

خامساً : من أخطر التحديات التي واجهت الفكر الاسلامي لإحياء الماضي السابق للاسلام في البلاد العربية والاسلامية جميعاً ، كالدعوة إلى الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية في البلاد العربية وإحياء تراث كورش في إيران أو الهندوكية في البلاد الهندية الاسلامية وغيرها في باقي أجزاء العالم الاسلامي . كمحاولة لإحياء تاريخ ما قبل الاسلام وحضارته وتراثه الوثني وتجديده . وقد جرت هذه الدعوات شوطاً في محاولة خدمة النفوذ الاجنبي للقضاء على الذاتية الاسلامية واسكن الامر لم يلبث أن تكشف عن عجز كامل في تحقيق عودة المسلمين إلى تاريخ ما قبل الاسلام على أي نحو من الانحاء وتبين أن دعوة الاسلام بالتوحيد الخاص خلال أربعة عشر قرناً قد أنشأت كيانا فكرياً وروحياً واجتماعياً قوياً عميق الجذور لا يمكن هدمه أو النيل منه وأن هناك ما عرفه علماء التاريخ بالانقطاع الحضاري بين ما قبل الاسلام وما بعده في جميع البلاد التي دخلها الاسلام وأنه في مقابل هذا الانقطاع الحضاري ، فإن هناك ما يسمى الاستمرارية الحنيفية الابراهيمية القائمة الآن في البلاد العربية والممتدة منذ دعوة إبراهيم إلى دعوة

محمد صلى الله عليه وسلم والممتدة عبر الديانتين المنزلتين على موسى وعيسى عليهما السلام أن هذه الانعطافية بين الدعوة الحنيفية في تلك المناطق جميعاً قد اشتملت على الفكر والثقافة والعقيدة بالرغم من معالم المدينة الحضارية المادية ، وتؤكد المصادر كلها على وجود الأرضية العربية السابقة للإسلام في مصر والعراق وسوريا وأن الفنيقية والآشورية والفرعونية والبربرية وغيرها هي موجات خرجت من الجزيرة العربية وانداحت في هذه المنطقة شرقاً وغرباً وكانت توسيلاً للموجة الإسلامية العربية الكبرى بعد الإسلام واستكمالها .

وقد تبين لدعاة هذه الحضارات الفارسية والفرعونية والفنيقية وغيرها أنه لا توجد أرضية يمكن البدء منها سواء أكانت هذه الأرضية تراثاً ثقافياً أو لادنياً أو دينياً وأن هذه الجنود القديمة للغات السريانية والقبطية والعبرية وغيرها قد زالت وانتهت ولم يبق منها شيء وقد غلب عليها طابع التوحيد الخالص بمفاهيمه القرآنية الخالصة .

سادساً : جرت المحاولات لأحياء التراث الجاهلي والوثني تحت اسم الفلكلور أو الأدب الشعبي وهي إحدى المحاولات التي استهدفت التأثير في نصاعة الفكر الإسلامي وروحه الربانية القرآنية الخالصة ، بإعلاء تلك الصور الساذجة التافهة من الأزجال والأغاني والمواويل والأمثال العامة والوثنية البائدة التي تتعارض مع سمو التراث الإسلامي العربي القائم على البيان العربي البليغ والمضمون السامي وقد انتشرت هذه الدعوة في السنوات الأخيرة وشملت أنظاراً عربية وإسلامية حديثة وخدعت كثيراً من البسطاء والسذج والاغرار في مجال اللهو والسلب في محاولة لخداع الجماهير بأساليب تحمل طابع الرقص والغناء والاستعراضات المسرحية لأحياء التراث الجاهلي والوثني الذي قضى عليه الإسلام قضاء تاماً واعتبره من سقط المتاع وحطمه تحطيماً لأنه يتعارض مع مفهوم التوحيد الخالص ومن دعوة الإسلام للخروج من طفولته الإنسانية والمفاهيم الجاهلية والبهيمية الحافة والساذجة القائمة على الأساطير والخرافات وحيل العرافين وأكاذيب الدجالين إلى مفهوم أصيل في الإيمان بالله والتعرف إلى آياته في الكون والثقة بأن الغيب لله تبارك وتعالى .

والهدف معروف هو تغليب العامة والاساطير والقصص الشعبي والاغاني الساذجة والامثال العامة على البيان القرآني وبلاغة السنة والادب الصادق والفن الرفيع والفكرة الانسانية ، إرتداداً بالعقول والنفوس التي رفعها التوحيد إلى ذروة الإيمان بالله إلى سذاجة الخرافة وفساد طفولة العشرية وإبتعاداً عن الذوق العربي الاسلامي المتسامي بالقرآن الكريم والحديث النبوي والادب العربي في بلاغته الحسنة الاسلامية في فصاحتها وأرتفاعها عن التذلل والحيوانية والفساد . نعم : إذابة الذوق الاسلامي العالمي في الوان ضعيفه ساذجة وثنية تقال من قدر بيان القرآن وترد الناس إلى مستوى ضعيف يقطع الصلة بمستوى الثقافة الرفيع الذي خلقه القرآن وخلقته السنة ولا ريب أن هذا واحد من أهداف الدعوة إلى العامة كما سيظهر .

سابعاً : العمل على تبني دعوات ضالة كالفاديانية والبهائية والادعاء بأنها من حركات النهضة الاسلامية كذبا وبهتاناً وأستعملها لضرب الاسلام من الداخل .

وتعمل القوى التغريبية جميعاً ممثلة في الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي عن طريق الصحافة والثقافة والمدرسة إلى تبني هذه الحركات الهدامة واحتضانها وخداع البلاد الاسلامية . ومن يراجع هاتين الدعوتين المبتطلتين البهائية والفاديانية يعرف انهما استهدفتا ضرب حركة اليقظة الاسلامية التي كانت قد قطعت مرحلة كبيرة في طريق التماس المنابع الاصلية وجوهر الاسلام بمفهوم التوحيد الخالص وان كلا الحركتين قد نشأ في احضان النفوذ الاجنبي واستهدف ضرب الاسلام في أعظم قيمه الاساسية وهي فريضة الجهاد . وقد كشفت الابحاث التاريخية عن علاقة أكيدة بين الدعوتين وبين الاستعمار والصهيونية والهندوكية .

وأنهما حاولتا بث الفتنة وزعزعة العقائد وإثارة الشبهات واضعاف شوكة المسلمين وتبليط عزائمهم في المكافحة ضد النفوذ الاجنبي والسكيد للاسلام وتضليل المسلمين عن حقيقة عقيدتهم وتفريق وحدتهم . ولم بعد هناك ريب في ان هذه الطوائف الدخيلة تلقي المعونة والتوجيه من المستعمرين والقوى المعادية

للإسلام نحت اسم مايسمونه « حرب الإسلام من الداخل » .

وقد واجه رجال اليقظة الاسلاميه كلتا الدعوتين منذ اليوم الاول وكشفوا عن فسادهما وزيف فكرهما وسمومهما التي خدعت بعض المسلمين ولا ريب أن الدأرسى للبهائية يهدف تقويض الإسلام من الداخل واضحا في مخططاتها وتاريخها كله ، ويجدها واضحة العلاقة بالركام الباطنى القديم مجردة آياه في أسلوب حديث براق . يغرى بعض السذج من أبناء امتنا الذين لم يستكملوا تعليمهم الدينى والخلقى . فضلا عن الارتباط بالصهيونية التلمودية كثمرة من ثمار البروتوكولات ومن هنا كانت دعوتها إلى دين بشرى تنهصر فيه الاديان السماوية .

ثامنا : محاولة أحياء الفكر الباطنى والوثنى والاباحى عن طريق احياء الفلسفات اليونانية والمسرحيات الاغريقية والاساطير البابلية والفكر الغنوصى وكانت بعض هذه الوثنيات قد ترجمت أبان العصر العباسى وادخلت إلى مفهوم الإسلام كثير من الباطلة والاضطراب وقد واجهها المسلمون مواجهة صارمة وكشفوا زيفها وردوها وبينوا أن الفلسفات اليونانية ليست الا علم الاصنام القديم وهاجموا كلا النظريتين (١) اليونانية الهلينية القائمة على الحس وعبادة الجسد والاباحية (٢) الغنوصية الشرقية القائمة على الحدس والاشراق وغيرها وقد تجددت المحاولة في العصر الحديث مرة أخرى في محاولة القوى الاستعمارية والصهيونية والماركسية إلى النيل من الإسلام وإعادة طرح هذه المفاهيم مرة أخرى الفكر الباطنى والتصوف الفلسفى والاعتزال والمجوسية وغيرها لاغراق شباب المسلمين في هذه السموم وحتى يحال بينهم وبين مفهوم التوحيد الخالص بما يؤدى إلى توهين روح الصمود في نفوس المسلمين وتفسير القيم الخلقية الاسلامية باللهوة إلى إذاعة المجون والمجاهرة بالخلاعة والانحراف الجنسى وهو نفس الأسلوب الذى اتخذته حركة احتواء الإسلام ، كان ذلك فى الماضى لحساب المجوسية الفارسية ولتمكين القرامطة والباطنية من السيطرة على الدولة الإسلامية واليوم يجرى نفس المخطط لحساب الصهيونية والاستعمار الشيوعية .

ثاسما : محاولة اخراج اللغة العربية من مفهومها الذى تختلف فيه عن اللغات

بوصفها لغة القرآن ، وفرض مناهج في علم اللغات للتحكم فيها وتصويرها بأنها لغة قومية لحسب ، أى لغة أمة ، وإذا كان هذا مقررًا كنهج علمي لكل لغات العالم فإنه يجوز عن اقرار ذلك بالنسبة إلى اللغة العربية لأنها إلى جانب أنها لغة أمة ، فهي لغة فكر وثقافة وحضارة ودين ، وأنها تتصل بمليار من المسلمين يعبدون الله بها ويقرأون بها القرآن والحديث .

ولا ريب أن هدف الحملة على اللغة العربية هو خلق عامية تقضى على لغة القرآن وتمزق وحدة الفكر الاسلامي :

ومن هنا تسقط كل محاولات الفكر الوافد في إثارة التشبهات حول اللغة العربية ومقارنتها باللغة اللاتينية التي ماتت ودخلت المتحف ، بعد أن تفرعت منها لهجات أقليمية . وليس مثل هذا يمكن أن يحدث للغة العربية التي ما زال القرآن يظهرها ويجعل ما كتبت به منذ أربعة عشر قرناً مقروءاً إلى اليوم بينما لم يحدث ذلك مطلقاً لاية لغة من اللغات الحية التي تتغير كل بضعة قرون . فامرو القيس السابق للإسلام نقرأ نحن الآن ونفهمه بينما لا يفهمه قومه وقد مضى عليه ثلاثمائة عام تقريباً ، وهذه الظاهرة تجعل اللغة العربية أكبر من أن تخضع لعلم اللغات الذي يحاول أن يحكم على كل اللغات بظواهر عامة مشتركة .

وقد كانت اللغة العربية بطبيعتها تركيبها وتميزها بالقدرة على الاشتقاق والتوالي فاملاً هاماً في مكانتها . وقد وصفها (أرنست رينان) بأنها خلافاً لكل اللغات ظهرت فجأة في غاية الكمال غنية أى غنى بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أى تعديل مهم فليس لها طفولة ولا شيخوخة وإنما ظهرت في أول أمرها تامة مستحكمة ومن خلال هذا الفهم علينا أن نواجه التحديات التي يشرحها التغريب من القول بتطوير اللغة أو اعلاء شأن العاميات أو الادعاء بأنها لغة خاصة بأصحابها ونفهم أن هذه كلها محاولات ترمى إلى .

أولاً : عزل المسلمين عن العرب وعزل العرب عن الوحدة الكاملة بينهم .

ثانياً : عزل المسلمين والعرب عن مستوى البيان في القرآن الكريم .

ولاريب أن اللغة العربية جـديرة بأن تبقى دائماً في مستوى بيان القرآن الكريم وأن يرتفع الناس إليها ولاريب أن الدعوة إلى إقامة لغـة وسطى بين الفصحى والعامية هي إحدى محاولات الغزو الفكري وليس لها هدف إلا إزـالـة اللغة العربية درجة عن كيانها الذي يرتبط ببلاغة القرآن وبذلك تنهدم ركيزة من ركائز الاسلام وهي حجب المسلمين عن فهم القرآن واستيعابه وهو أمر خطير هام ويحتاج إلى دوام المحافظة على بلاغة اللغة وروحها ، فاللغة أساساً هي فكر الأمة وللـعربية الفصحى مرتبطة بذانية الإسلام ومواجهه النفس والاجتماعى :

عاشراً : الدعوة إلى أحياء الحضارات التي سبقت الاسلام وإعادة عرض الوثنيات والفلسفات والخرافات والأوهام . تلك محاولة مـاكرة مضللة ولكنها فاسدة فقد استطاع الإسلام خلال أربعة عشر قرناً أن يقم منهجاً عقلياً وروحياً وان ينشئ مزاجاً نفسياً وذوقاً خالصاً مرتبطاً بالوحد والقرآن ومتصلاً بأسباب الإيمان بالله له ضوئه الباهر الذي لا تستطيع الظلمات أن تقهره .

حادى عشر : الدعوة إلى ما يسمى بالادب العربى المعاصر ، والفكر العربى المعاصر ، والثقافة العربية المعاصرة ، على أن تبدأ هذه الدراسات منذ حملة نابليون وربطها بالارساليات والقوذف الاجنبى كما أنها هي من معانياته ، وهي محاولة ماكرة تهدف إلى اجتثاث الفكر والادب والثقافة (العربية الإسلامية) من أصولها والفصل بين حاضر العرب والمسلمين وبين ماضيهم ، وخلق ثقافة رقيقة ، لاجذور لها بل أن هناك محاولة مضللة تهدف إلى الحيلولة دون ربط الادب أو الفكر أو الثقافة بتاريخها القديم وماضيها العريق .

ومن الحق أن اليقظة الاسلامية المعاصرة في الفكر والاذب والثقافة جميعاً بدأت من دائرة القرآن وأن جميع الحركات الوطنية والقومية إنما استمدت قوتها من مصادر الاسلام وأنه لا سبيل إلى بناء أدب حديث أو فكر أو ثقافة منفصلا عن اللغة العربية والاسلام .

ثاني عشر : محاولة الادعاء بأن منطقة البحر الأبيض المتوسط شهدت حضارة واحدة هي التي بدأها الفراعنة والفينيقيون ونماها الاغريق والرومان ، ثم آتتها الاوربيون المغاصرون وأن دور العرب في هذه الحضارة كان دوراً ثانوياً . والحقيقة أن هناك حضارتان لكل منهما طابعه المميز هما : حضارة التوحيد وحضارة الوثنية . وأن الإسلام هو صانع الحضارة التي انسمت بهذا المفهوم في مواجهة حضارات بدأت بمفاهيم الوثنية وانتهت بمفاهيم المادية وكانت في مختلف مراحلها ممارسة للحق والعدل والرحمة والاخلاق فكانت تضرب واحدة بمد أخرى وتسقط لانها تعارض سنن الله في السكون .

ثالث عشر : محاولة طرح بذور الشبهات حول صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق في العصر الحديث والادعاء بأنها شريعة صحراوية موقوتة بمصرها وببئتها . وكل الدلائل العلمية والتاريخية تمكذب هذا الادعاء وأقربها مؤتمرات القانون الدولي ١٩٣١ ، ١٩٤٧ ، ١٩٥٢ وكلها أشارت إلى أن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة لها كياناتها الخاصة وإنها تحمل منهجاً إنسانياً لم تصل اليها البشرية بعد وتجري المحاولة التي يفرضها النفوذ الغربي بالدعوة إلى ما يسمى تطوير الشريعة ووضعها موضع الاحتواء من القانون الوضعي .

ولقد كان من أعظم المعطيات التي حققتها كثير من الافطار الاسلامية أنها اتخذت من التشريع الاسلامي مصدراً أساسياً للقانون ونهت على ذلك في دساتيرها وميثاق الوحدة .

رابع عشر : استطاعت القوى الاستعمارية فرض نظام الاقتصاد الغربي على أغلب أجزاء العالم الاسلامي وهو نظام قائم على أساس الربا ومعارض أصلاً لمنهج الشريعة الاسلامية ولقد قامت حركة اليقظة الاسلامية بدراسات واسعة للكشف عن فساد نظام الربا والاقتصاد الغربي وجرت محاولات متعددة لإقامة المصرف الاسلامي على غير أساس الربا والعمل على وضع نظام تحرير المسلمين من قيود النظام الاقتصادي الوافد والكشف عن عظمته الفكري الاقتصادي الاسلامي .

(٤)

من التبعية إلى الأصالة

من اليقظة الإسلامية وصولاً إلى النهضة الإسلامية في حلقات ثلاث :

(أولاً) من التبعية إلى الأصالة

كشفت حركة اليقظة الإسلامية فساد مفاهيم ومصطلحات كثيرة مطروحة كالمسلّمات في أفق الفكر الإسلامي، كان هذا الكشف هو أعظم ثمرة اقتطفها الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري الذي لم يكده تقتصف حتى كانت شعلة اليقظة قد اندلعت تضيء وتحرق، تضيء أمام المسلمين ذلك المفهوم الذي كان قد أوشك أن ينضوي وهو مفهوم الأصالة والحفاظ على ذاتية الإسلام بعد أن كادت محاولات التخريب والغزو الثقافي أن تفرض مفهوماً مسيحياً أو وثنياً يقصر الإسلام في حدود المساجد والعبادات ويفسح الطريق أمام القانون الوضعي والاقتصاد الربوي والعلمانية في التربية والتعليم أن تنطلق لتخرج جيلاً أطلق عليه من بعد عقلية قانون نابليون، فقد كانت المحاولة كما عرفت عشرات من أعلام الإسلام هي إخضاع ثقافة الإسلام وفكره لمفاهيم الفكر الغربي المحتوى أساساً من اليهودية الطمونية، والذي استسلم بعد الثورة الفرنسية لها فأجل الربا وعزل التربية الدينية عن المدرسة وقد ظل كرومر في مصر ومن أمثاله في المغرب والمشرق يحملون لواء دعوى التخريب وقد امتد ذلك إلى تركيا وفارس (شطرى الوحدة الإسلامية) وذلك رغبة في تمزيق هذه الوحدة الإسلامية الجامعة ولم تلبث تركيا أن سقطت في براثن الاحتواء التخريبي انفكت هذه الوحدة، وسقطت أغلب بلاد العرب في أيدي النفوذ الأجنبي حتى كان قه ذلك اسقاط الخلافة الإسلامية في منتصف القرن الرابع عشر الهجري ثم سقطت فلسطين ثم بيت المقدس في أيدي الصهيونية، فأنكشفت التجربة التي أدخلها النفوذ الأجنبي بواسطة الموازنة واتباعه من فساد القول بأن فكر الغرب أو حضارته تستطيع أن تدفع المسلمين إلى التقدم والنهوض وتبين بحالاً بجمال للتردد في قبوله عن أن الأصالة الإسلامية والاستعداد

من المنابع الاصلية هي وحدها مصدر النهوض ، وإن الاحتفاظ بالذاتية الاسلامية هي أعظم التحديات التي يجب أن يقف أمامها المسلمون مجاهدون بكل ما يمكن من قوة ومضحون في سبيلها بكل مظهر من مظاهر التقدم الحضاري .

ولقد اعطتنا حركه اليقظة الاسلامية منذ منتصف القرن الرابع عشر حقيقته اساسية هي أن النفوذ الاجنبي قد قرر منأمرأ منذ وقت بعيد أن يقضى على هذه الذاتية وأن يصهر المسلمين وفكرهم في بوقعة الامية والعالمية وذلك بافساد مفاهيم الاسلام الاصلية وصبت السموم على حقائق الاسلام المطبقة ، وذلك باثارة الشبهات حول الحقائق الاساسية وخاصة مايتعلق بالجهاد والتوحيد والفتح الاسلامي والشريعة الاسلامية .

وقد طرح الفكر الغربي في هذا المجال قضايا عدة محاولا أن يجعل من الاسلام : دين الحق نماثلا للتفسيرات التي كتبها الاحبار والرهبان ومن ذلك فكرة التطور في الدين والاخلاق ، وفكرة التطور لا تكون إلا بالنسبة للفكر البشري الناقص الذي يحتاج إلى الاضافة والحذف أما الاسلام الذي جاء منهما ربانياً واطاراً مرناً قادراً على مواجهة مختلف الشبهات والعصور فانه لايتخضع للتطور ولايحتاج اليه .

كذلك فقد أثاروا فكره العقل والعقلانية ولم يتبينوا أن العقل خادم للوحي؛ وأن العقل وحده لا يستطيع أن يقدم شيئاً محرراً وكذلك فكرة الضمير فما من في أحد منها إلا متأثر بالبيئة والثقافة والوسط الذي يعيش فيه وليس العقل معصوما وليس الضمير معصوما ، وإذا تخلص العقل من اطار الدين وتخلص الضمير من سيطرة الدين فانه قد يوحى بالفساد ولايرى أن مفهوم الفكر الغربى القائم على تفسيرات المسيحية (الصواب والخطيئة والتثليث) من ناحية والفكر اليونانى اللوثنى من ناحية والقانون الرومانى الذى يقر عبودية العبد ويرى أنه لا يستطيع أن يكون سيده حتى ولو تولى الملك ، هذا الفكر يختلف مع الفكر الاسلامى في أدق دقائقه واعق اعماقه ، هذا الفكر القائم على التوحيد وتحرير العقل البشري من الوثنية وتحرير الانسان من عبوديه الانسان والقائم على الاخاء البشرى والرحمة والغير والحفاظ على العرض

ومن هنا تختلف المقاييس والقوانين ولا تصلح مقاييس الغرب وقوانينه وخاصة مايسمون التفسير المادى للتاريخ فى الحكم على الاسلام وتاريخه وقيمه .

والمشتشرقون والمبشرون الغربيون لم يقبلوا على الفكر الاسلامى بروح التجرد أو الرغبة فى فهم الاسلام لا اعتناقه إلا كان الحق وإنما عمدوا إلى دراسته بعقائد مسبقه وفكره مسبقه ، ومن خلال هوى النفس والتعصب والاستغلاء العنصرى فكانت احكامهم بعيده عن الحق والسلام والعلم وقد صور ذلك فيليب حتى (لقد اقبل الاوربي كقاعدة على دراسة الاسلام أما لتتصير المسلمين أو لخدمه المصالح الاستعماريه وكان لتعصبه الغربيين القومى وحماستهم الدينية وجهلهم المطبق اثره الفعالم أيضاً وكان استمرار تداول الاساطير الغربيه عن النبي وعداء النصارى لديانه توسعية مناقسة وما خلفته الحروب الصليبية من ذكريات مريرة كل ذلك حال دون قيام دراسة موضوعية متحررة للاسلام ،

ولقد احتوت التلودية الصهيونية الفكر الغربى فى مطالع القرن التاسع عشر لمحاولة للسيطرة عليه وتوجيهه وجمتها ، ثم فرض هذا النفوذ على الفكر البشرى كله وعلى الفكر الاسلامى خاصة فكان أن طرح فى افق فكرنا الاسلامى الصافى الناصح نظريات مظلمه فقد حطم داورن حقيقة ان الانسان سيد الكون والحقيقة وحطم ماركس مفهوم المعنويات وصير الانسان هو خاضعاً لمعداته وحطم فرويد مفهوم العفة والأعرض ، وصور الانسان مصورة الحيوان ، أما نيتشه فقد دعا إلى قتل المعاجز أو تركه يموت دون العمل على شفاؤه وإبادة الضعفاء .

واطلقت كتابات هافلوك أليس الجنس والبغاء وكان ابطال (سنوفكى شواذ ومرضى ومرضى فرويد من الشواذ والمجانين ، وروج سلامة موسى وطه حسين وغيرهم لهذه المفاهيم .

وكان من أخطر من ذلك كله نظرية ديوى فى التربية التى تقول افعل ما تشاء والى تطلق حربه الابناء فى التصرف دون توجيه أو رعاية من الاباء وهو

اتجاه فاسد كشف الغرب أخيراً آثاره السوداء وانحرفت به الحضارة ، ودمرت المجتمعات والأسر .

ومع الأسف فإن العالم الاسلامى بعد أن تحرر من احتلال الغرب المسمى والسياسى تبين له إنه سقط تحت سيطرة فكره ومفاهيمه ليأخذ من الغرب أسلوبه ومنهجه ، بينما كان الهدف أن يستكشف جوهر فكره (هذا الانسان الغربى الضال من افلاطون إلى ماركس) ولقد بذل المسلمون جهداً ضخماً في سبيل انهاء السيطرة الغربية والحصول على الحرية السياسية ولكن تبين لهم أن الخطر الحقيقى مازال موجوداً في معاهد التعليم وفي التنظيم الاقتصادى ومفاسد العلمانية وشبهات الوجودية وسموم الماسونية .

ويرى كثير من المصلحين الاجتماعيين المسلمين أن الذى حاول الاستعمار اسقاطه من النفس الاسلامية هو دور الاسلام كمقيدة وتربيته حيث لم يكن أبداً في يوم من الأيام راضياً بالذلك لاعمائه للخضوع ولاعميناه على العبودية . وقد رنى الاسلام معتقيه على الاعزاز بكرامتهم ورباهم على الايمان بانهم خلقوا ليقعدوا مكانهم تحت الشمس فلا يكونوا عبيداً ولا اذلة ، ولذلك فلم يكن الاسلام حليف الطغيان ولا حليف الظلم .

وفي العصر الحديث فإن الاسلام هو الذى استطاع أن يحرر العرب والمسلمين من رق دول الاستعمار ذات العدة والعدد ، رغم أنهم لم يكن لهم سند ولا مورد وإن قوتهم الاساسية التى واجهوا بها الاستعمار هى قوة الروح والفكر والمقيدة

ولقد كان عليهم أن يتبعوا الخطوة الثانية فإن الاسلام الذى حررهم قادر على أن يدفعهم إلى اقامة دولتهم ومجتمعاتهم وأن يكون عامل تقدم بعد أن كان عامل تحرر .

(ثانياً)

من اليقظة إلى النمضه

لقد آن للعقلية الإسلامية في مطالع القرن الخامس عشر الهجرى — بعد أن حققت في القرن الماضي خطوة واسعة نحو الكشف عن محاولة تغريب العالم الإسلامى التحرر من أشياء كثيرة :

أولاً : التحرير من استعباد الثقافات الوافدة (غربية وشرقية) .

ثانياً : تصحيح مادسته الشعوبية في تاريخ العرب والإسلام من عموم .

ثالثاً : تصحيح مفاهيم الاخلاق وخاصة فيما يتعلق بعفاف المرأة والبركة والعرض وقوامه الرجل .

رابعاً : الكشف عن تلك العلاقة الواضحة بين الفلسفة الماسونية والايولوجية الصهيونية النبلودية المنبثقة في مدارس علم النفس والعلوم الاجتماعية والشيوعية الماركسية الاشتراكية التى تتلون بلون الحرياء لتخدع المسلمين وهى كلها شيء واحد مشتق من الفكر القلمودى .

خامساً : ذلك المخطط المفسق بين الغرب المسيحى والشيوعية والصهيونية ضد الاسلام والمسلمون اليوم لا يأخذون نظماً أو مناهج فعندهم خير النظم وأعظم المناهج ولمكنهم يأخذون قنظيمات مستحدثة جربها غيرهم ليضعوا فيها فكرهم وعقيدتهم ويأخذون العلوم التجريبية ليضمروها داخل إطار لغتهم ودينهم .

أما النظم القائمة — بما فيها من مادية ووثنية وإنشطارية فهى قاصرة على المادة دون الروح فلا يقبلها المسلمون لانها أقل مما عندهم في منهجهم الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

والمسلمون يؤمنون بأن الله هو الخالق وهو الصانع وأن كل حركة الانسان يجب أن تكون خالصة لوجهه وفى سبيل بناء المجتمع الربانى الذى دعا إليه الدين الحق .

ويؤمن المسلمون بأن قوانين الله تبارك وتعالى لا يمكن تغييرها فهي ليست ناتجة عن ظروف المناخ الذي تعيش فيه الأمة ولا هي ناتجة عن البيئة الاقتصادية ووسائل الإنتاج وهي لا تختلف من زمن إلى زمن ، ومن مكان إلى مكان وأن هذا الطابع الرباني المصدر الانساني الوجوه للقوانين الحاقية يرجع الى أن طبيعة الانسان التي لا تتغير فالحوافز الانسانية لم تزل نفسها اليوم كما كانت منذ فجر الحضارة الانسانية والغرائز التي هي محور عمل الانسان لم تزل باقية كما هي ، وهذا دليل كما يقول العلماء على تغاير طبيعة الانسان ثابتة لا تتغير .

ويؤمن المسلمون بأن هناك قوانين معينة ترتقي بمقتضاها الامم وتنهار .
(ولن نجد لسنة الله تبديلا ولن نجد لسنة الله تحويلا)

ولم يترك شيء اصدفه وه مشيئة عبياء ، أن الامم التي ترتفع فتبلغ أوج التقدم والرفاه الاقتصادي انما ترتفع بعد أن تنمي في انفسها صفات خاصة ، كما يقول الباحث الذي نقلنا منه هذا النص بينما الاخرى التي رزحت ، عن مجال الوجود المؤثر انما اصاب هذا الحظ لأن فيها مواضع ضاف نخرت بنيان مجتمعاتها وقوى الحياة فيه وان التدهور يحىء نتيجة فساد بطيء وانحطاط لا يشعر بها المرء وهما ينخران في كل جوانب الأمة .

ويؤمن المسلمون بأن لكل أمة عقيدة ، تتحرك في اطار ، يكون بمثابة المثل الأعلى لها وهي التي تقودها الى طريق النهضة ، وتحمل في سبيلها مختلف التحديات ، هذه العقيدة هي القوة المحركة والمفجرة للطاقات التي غيرت دائماً حياة الانسان وحياة الامم ، أن الايمان الذي يلا القلب ازاء هذا المثل الأعلى هو الذي يولد الطاقة القادرة على حمل اواء الدعوة والاستشهاد في سبيلها .

وأن الامم التي من صفاتها الخور والهلع والطيش يصيبها الاندحار والامم التي تتقدم هي التي تواجه الخطوات بحمم وتحرز الانتصارات .

وأن من أبرز أسباب انحلال نظام العالم الجديد هو فقدان العدل والقسط ، ويؤمن المسلم أن العلم مهما وصل الى أكثر مما وصل اليه فإنه لا يدخل في القلب اليقين ولا يملأ النفس بالسكينة ولا يقدم للمجتمع روح الامان ولكن

الدين الحق وحده هو الذى يعصم الطاقات التى سخرها العقل المنطقي بفضمة الله عن أن تستخدم فى التدمير والإرهاب والاستعباد والافساد .

فقد أنشأ العقل المسارح والفنون والتصوير ، واسكن الدين هو الذى يعصم هذه الوسائل من ترويج الرذائل .

أن أهم نكبة أصابت المسلمين فى العصر الحاضر هو شعورهم بالنقص واعتقادهم أن طريق التقدم هو طريق التقليد الاعمى لما أتى به الغربى المسيحى من آراء ونظريات فبعض المكاتب المسلمين حملوا لواء المادية الغربية ودعوا الى اعتناقها بكل حرارة واعتقدوا أن وصفهم بالتقدمية يتطلب منهم حتما أن يقولوا بمفاهيم المادية وفى هذا التناكر لحقيقة الاسلام الذى لا يثبت القدم الا لحاقى الكون وحده والذى يؤكد أن الكون وما فيه أمور محدثة اقتضت ايجادها حكمة صانع عليم وأن هناك تعاليم آلهية لا بد من التقيد بها والخضوع لها والاحتكام اليها .

واقد بارت تجاه هؤلاء وانكفئت قدورهم وتكشفت زيفهم ، وتحطمت مراكبهم ولم تعد هناك الا حقيقة واحدة هى أن الإسلام هو القوة الوحيدة التى تستطيع أن تنشئ هذه الامة مرة أخرى على النهج الذى صنعتها من قبل وأنه هو المصدر الوحيد لإنقاذ هذه الامة أبان الأزمنة ، فيجمع القلوب حين تهددها الفرقة ويعيد اليها الوحدة حين يهددها الزوال .

ولما كان الغربى يصرف هذا فإنه كان حريصاً على أن يفسد جوهر هذا الدين وأن يحرفه ويضيف حقائقه بما ساقه المستشرقون وأتباعهم الغربيون من شبهات أو على حد تعبير أحد المكاتب حين يرى أن النفوذ الاجنبى كان يطمع فى نزع فتيل الدين من أرض الاسلام ليحول الأرض الى قطعة من الحديد الخردة لافعل لها ولا أثر ، وحتى يصبح المسلم أحنبياً فى أرض بلا هوية ولا بطاقة وذلك نصف للوحدة الاسلامية من جذورها وخام للمسلم من نسبه وأتنامه وتاريخه .

ولا ريب أن هذه الصحوه الاسلامية ذات أصالة فقد قامت على أساس صحيح واضح عميق منذ أن بدأت حركة التوحيد التى قادها الامام محمد بن الوهاب ثم توالى معالم اليقظة على أيدي المصلحين الذين ظهروا متوالين سواء عن طريق

الدعوة ذات الطابع الدينى كالتوسعية والمهدية أو عن طريق مقاومة النفوذ الاجنبى كما عرف عن حركة أحمد بن عرفان فى الهند أو عرابى أو الشيخ شامل أو عبد القادر الجزائري أو عبد الكريم الخطابى أو عن طريق الإصلاح الاجتماعى الذى قاده جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعشرات من قادة البقعة فى المغرب والمشرق ، ثم تبلورت الفكرة الاسلامية بعد سقوط الخلافة الاسلامية فى صورة واضحة هى الدعوة إلى عودة الشريعة الاسلامية إلى التطبيق فى "بلاد الاسلامية وأحقاق حقيقة الاسلام كدين ومنهج حياة ونظام مجتمع ، ومن هذا المنطلق أخذت الصحوه الاسلامية تأخذ مجراها فى بناء هذا المد الاسلامى الذى وضع بعد هزيمة فلسطين وسقوط القدس فى أيدي الصهيونية وتبين فساد المنهج الغربى الذى نقله المسلمون وحاولوا تطبيقه فى بلادهم فى ظل موجة عاصفة من التهريب والغزو الفكرى بهدف القضاء على الوجهة الاسلامى للمسلمين وأذابتهم فى بوتقة الفكر العالمى الاممى ، وتراوحت الاهواء بين مناهج الرأسمالية الغربية والماركسية الشيوعية ثم خرج المسلمون من كل ذلك بتقدير واضح هو أنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين وخروجهم من التخلف أو تحررهم من النفوذ الاجنبى سياسياً وفكرياً إلا بالعودة إلى الاسلام ، والتماس مناهجة ، ومقدراته بالتطبيق فى المجتمع الاسلامى .

ولقد كانت هذه الصحوه الاسلامية ضربة شديدة للتهريب والغزو الثقافى غير أن المؤامرة التهريبية لم تتوقف ولكنها حاولت أن تدخل فى نطاق الحركة بالتزييف والادعاء حتى يمكنها أن تفسدها من الداخل وصب سمها فى طرائقها وجرت هذه المحاولة بالدعوة إلى التأويل واستخراج الرخص بهدف الحيلولة دون وصول المجتمع الاسلامى إلى الصورة الحقيقية للاتصاله القائم على الغرائم ونحن نعلم أن أى نهضة لا تقوم على الغرائم وعلى الاتصال وعلى التطبيق الكامل لمفهوم الاسلام فإن ذلك من شأنه أن يفتح ثغرات يمكن أن ينفذ منها التهريب والغزو الثقافى سموه ويحول دون بلوغ هذه الامة مكائنها الحقبة التى تؤهلها لتبليغ كلمة الله تبارك وتعالى إلى العالمين بعد أن تقيم المجتمع الاسلامى الصحيح .

(ثالثاً)

من طريق البشرية إلى طريق الله :

إن كل العلاقات والدلائل توحى بأن دورة جديدة توشك أن تبدأ لتأخذ مدارها تحت الشمس لحضارة اسلامية من المتوقع أن تكون هذه المنطقة هي التي تحمل فيها الامانة مرة أخرى ، لقد استعاد الإسلام من جهة العمق ما فقدته من جهة الامتداد ، قال السيد بن رجال الجزايري في رد على سؤال عن مستقبل الإسلام في أفريقيا الشمالية : كوني على ثقة يا فرنسا بأن الاسلام سينبعث من تحت أفواه (مدافع المسيحية) .

وإذا كان النفوذ الفرنسي والاستعمار قد إستطاع بالحرب العالمية الأولى القضاء على الخلافة الاسلامية وتمزيق وحدة العالم الاسلامي واستطاع بالحرب العالمية الثانية إقامة اسرائيل والقضاء على وحدة البلاد العربية بعد أن أزاح النفوذ الاجنبي قادة اليقظة الاسلامية وقدم رجاله فان الامر اليوم جسد مختلف وأن صيحة العودة الاسلام لم تعد تنكسر مسيرتها ولا بد أن تحقق هدفها وهو هدف كريم سمح لايضاد أحداً ولا يقاوم أحداً ولمكنه يرمى إلى أن يحقق للأمة الاسلامية وجودها القائم على الاخاء الانساني والعدل والرحمة والتوحيد وقد ثبت اليوم أن التجربة الغربية والتجربة الشيوعية مرفوضتان في أفق المجتمع الإسلامي وأن التجريبتين كانتا لمجتمع يختلف عن مجتمعا وأن الماركسية مامى الاجزاء من نظام الغرب الرأسمالي ورد فعل لواقع الرأسمالية الغربية التي عجزت عن إقامة مجتمع سليم ولاريب أن الرأسمالية والماركسية كلاهما من منبع واحد بسيطرة مفهوم الربا على الاقتصاد العالمي ، ويتطبق التفسير الماسدي للتاريخ في كليهما ومن ثم فان المجتمع الاسلامي الذي يقوم على تفسير جامع يربط بين المادة والروح من ناحية ويرفض الربا رفضاً كلياً ، هذا المجتمع لا يستطيع أن يهتدي بهدى الفكر الغربي ولا أن يأخذ بنظام العيش الغربي لأن له منهجه الخاص ولامر آخر هو أن الحضارة الغربية اليوم تمر بمرحلة الأزمة والمزينة والانهيال ونحن نعرف

أن الحضارة الغربية حين وصلت إلى القمة في العطاء المادى قصرت في مجال الوجدان والمعنويات وتضائلت وعجزت عن فهم عطاء الله للبشرية من قدرة في مجال العلم وأنها وجهت كل ما أعطاه الله إلى تدمير الإنسان ، سواء في مجال الاجتماع بالاباحيات والتحلل أو في مجال العلاقات الخارجية بالفترة والقتال الميدروجينييه ولقد شكلت الحضارة الغربية بهذا تحدياً للدين الله وحدوده وضوابطه ، وغروجا على شرعته حين أعطى الانسان الغربى لنفسه حق التشريع ، وتحويل أهوائه ومطامعه إلى شريعة فاسدة وتنكره للوجهه الربانية التى حددها الحق تبارك وتعالى للمجتمعات .

واقصد صدر الغربيون مفاهيمهم الفاسدة إلى العالم كله فكان حقاً على الاسلام أن يقف في وجه هذه الموجه الطاغية . وأن يكشف زيفها فإن سيطرة اليهودية التلمودية بالربا على هذه الحضارة قد صنع مجتمع الاستهلاك الذى يقوم على استهلاك كل المواد الخام التى جمادها الحق تبارك وتعالى على الانسانية في مجال الترف والفساد والازياء . وسبب الخمر والتخدرات والرقص والسينما ، فهم يريدون بيع بضائهم ولما كان الدين الحق والأخلاق تقوم عقبة في سبيل ذلك فهم يعملون على هدم الأخلاق ، ولما كان الربا هو الأساس فلا بد من القضاء على كـل الفضائل حتى تنتقل البشرية كلها إلى الترف بسلاسل من حديد تمزق المجتمعات وتفسد الأسرة وتحطم الوجود الاجتماعى الممكن وذلك باقامة مجتمعات اللهو والضخب والفساد وكلا النظامين الرأسمالى والماركسى يؤمن بهذا ويعمل له .

ونحن نعرف أن تجربة الترف والرفاهية في مجتمعات الغرب قد أدت إلى الانحلال وأن أعلى البلاد في الترف والثراء والنقى هى أغلأها نسبة في الانعزق والانتحار والغربة والادمان ، سواء عن طريق الانسحاب من الحياة بالادمان على المويقات أو الانتحار ، فالمجتمع المتحضر حين يفقد الدين والأخلاق ومفهوم مسئولية الانسان للصحيح والتزامه الأخلاقى فإنه يتجه إلى الغروب والتدمير ليفسح المجال لتجربة أخرى وقد شهدت ذلك حضارات الرومان واليونان وفارس وغيرها هذا المصير المحتوم .

فكيف يفكر المسلمون في أن يأخذوا من هذه الحضارة المدمرة ، وكيف يقترض الرجل الذي يملك كنوز المعرفة والثقافة ، وكيف يفكر المسلمون أن يأخذوا ، تجربة ، لم تنجح في بلادها ولم تحقق الخير لأهلها وهم الذين يملكون أصفي المناهل ، وأكل المصاهج : دين شامل جامع متجاوز لكل الفلسفات الأساسية التي ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده ، ولكل الأديان السابقة التي احتواها الفكر الوثني والمادى وما زال الإسلام بعد أربعة عشر قرناً قوى بمبادئه حقائق كالفجر مشرق كالضياء الباهر ، أصيل بعطائه ، صالح بوجوده ، يحقق النصر والعزة لكل القلوب المؤمنة به وهو الذي يحمل منهج ، الفرج بعد الشدة ، فيكسب أصحابه أيماناً وتفاؤلاً وإشراقاً بينما تعطى المصاهج الوافدة تلك الصورة القائمة من التشاؤم والقلق والجفاف الروحي .

وعلى المسلمين الجذر من الوقوع في يران ما يسمى بالتبليغ للإسلام ، بدعوى الانفتاح وعلى كل ما ينقل أو يترجم أن ينصرف في بوتقة الإسلام واللغة العربية ، وأن يكشف عن وجهة نظر الإسلام فيه ، وأن تقدم دائماً في كل مجال وجهة نظر الإسلام وأنه لمن أخطر الأمور أن نرسل أبنائنا إلى أوروبا وأمريكا دون حصانة قوية من فهم عميق للعقيدة الإسلامية وأخطر من ذلك أن نرسلهم ليتعلموا اللغة العربية والإسلام في السربون وهارفارد وبرستون التي يتمركز فيها المستشرقون والمبشرون اليهود المتخفون وراء الأرواب السوداء .

أن الوفا من الطلبة المسلمين يذهبون كل عام إلى معاهد أوروبا ، ثم لا يعودون إلا خصوصاً للإسلام والبلاد ، ذلك لأننا لم نحذرهم قبل سفرهم من الخطر الذي ينتظرهم أو الاخطار التي تتخطفهم بمجرد وصولهم إلى تلك البلاد ، كذلك لا بد من القضاء على الثنائية في الفكر الإسلامي ، هناك ثنائية اللغة الفصحى والعامية ، وثنائية التشريع الإسلامي والقانون الوصفي وهناك ثنائية التعليم الإسلامي الديني والتعليم الغربي ، كل هذا من شأنه أن يحول دون تحقيق وحدة الفكر التي هي أساس الوحدة الإسلامية الجامعة ، ومن خلال هذه المحاولات تثار الشكوك

حول اللغة العربية وقدرتها على استيعاب مستحدثات العلم والحضارة وثار الشكوك حول مفهوم الاسلام الجامع وثار الشبهات حول الاخلاق الاسلامية ويشوه التاريخ الاسلامي ويזור وينكر فصل الاسلام على الحضارة الحديثة .

والمسلمون جميعاً في أنحاء الارض ليست لهم جامعة إلا د لا إله إلا الله ، فلماذا تستمعون إلى تلك الأصوات المسمومة التي تقول لأهل الشام أنتم فينيقيون وللمصريين أنتم فراعنة ، وللفرس انتم الكاسرة ، وللأراك أنتم طورانيون ، لقد قضى الاسلام على تلك النعرات كلها وإقام ما أسماء علماء التاريخ «انقطاعاً» حضارياً بينه وبين هذا التاريخ الجاهلي القديم وفي خلال أربع عشر قرناً تشكل فكر إسلامي أصيل لاسيما إلى الخروج من دائرته وما تزال اللغة العربية هي لغة الفكر والعقيدة لآلاف مليون مسلم .

ولقد كشفت حركة اليقظة الاسلامية زيف منهج الاقتصاد الغربي وزيف القانون الوضعي وفساد منهج التعليم الوضعي وآن للعالم الاسلامي أن يعود إلى الاصاله . إلى الفطرة ، إلى الإسلام فان كل المسلمات التي حاول الفكر الغربي (بمفهومه) الوثني والمادى خلال أكثر من قرنين والتي نقلها إلى أفق العالم الاسلامي قد تحطمت وأنهارت . يقول علماء الأصول أن الانسان محكوم بان يسلم نفسه لوجه من الجهات فمنهم من يسلم نفسه للعقل ومنهم من يسلم نفسه للطبيعة . ومنهم من يسلم نفسه للمادة أو للبشرية أو لذاته (الوجودية) . وخير ذلك جميعاً من يسلم نفسه لله تبارك وتعالى

ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى

أن محاولة علاج مشكلات العالم الاسلامي بعيداً عن الاسلام فقد غداً أمراً ميثوساًمنة، أن الحقيقة الاسلامية على المستوى الشعبي أصبحت أمراً واقعاً ولم يعد هناك مجال لانيكاره . أن انهيار العالم الاسلامي الذي ظل متواصلاً على صعيد الأوضاع السياسية والاقتصادية الممبيرة عن محاكاة الغرب قد بلغ منتهاه في السقوط في نسكة ١٩٦٧ وأن ساعة انطلاق الحضارة الاسلامية قد حانت وسط عالم منهار . أننا نطلب تأصيل الفنون والآداب والعلم وتاصيل المفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ليبرز الاتجاه الاسلامي واضحاً . وتحرر الشخصية الاسلامية من التبعية بكل صورها والآنها . والله ولي التوفيق

تجربة القرن الرابع عشر الهجري

(تطبيق الشريعة الاسلامية وتبليغ دعوة الله إلى العالمين)

سوف يسجل التاريخ في انصع صفحاته هذا الفجر المبارك لعصر جديد من ازهى عصور الاسلام يتوازى مع العام الخامس عشر من الدعوة الاسلامية ، عام موقعه بدرالكبرى التى فصلت من الحق والباطل وليس هذا القول من قبيل الامانى والاحلام ولكنه سيكون كذلك باذن الله باستقراء الوقائع والاحداث ، فاذا كان القرن الرابع عشر هو قرن الكفاح والنضال والمقاومة لقوى النفوذ الاجنبى التى زحفت على العالم الاسلامى فان القرن الخامس عشر سيكون بعون الله قرن لرساء المجتمع الاسلامى على قواعد الشريعة الاسلامية وتبليغ دعوة الله تعالى إلى العالمين وما بين ايدينا اليوم من ارهاصات وعلامات ونذر كلها توحى بصدق مانهب إليه رانقلب صفحات التاريخ .

افتتح القرن الرابع عشر باحتلال انجلترا لمصر ثم السودان وتونس وعدن والخليج العربى ثم المغرب والعراق وسوريا وكانت الجزائر قد احتلت قبل ذلك وكان الاستعمار يطمع فى استدامة السيطرة على هذه البلاد ولكنه هبمت فى سبيل الدفاع عن كيانها وقاوت بالاجساد المتراصة حين عز عليها السلاح ، ووقع بينها الاستعمار بدعوات الاقليمية والقومية الضيقة ليصرفها عن الوحدة الاسلامية وعن نظامها الاسلامى حين فرض عليها القانون الوضعى والاقتصاد الربوى وأسلوب العيش الغربى والعلمانية فى التعليم والمادية فى الفكر والاباحية فى المجتمع . فإين نحن من ذلك الآن ، لقد زال النفوذ الاستعمارى وان بقى نفوذ التغريب والعزو الثقافى يترنح تحت ضربات الدعاة إلى الله من أصحاب السكبة المضيفة والافلام المؤمنة وقد تكشف لكل ذى لب أن هذه المؤامرة التغريبية

التي تستهدف فرض أسلوب وافد على المجتمع الاسلامي والفكر الاسلامي لن يتحقق لها النجاح ابدأ فقد رفض الجسم الاسلامي العضو الغريب ، رفض كل الايدلوجيات الوافدة واصبح على أبواب القرن الحاسم عشر مؤمنا باصالته وعقيدته وميراثه وتاريخه وافته ومصحها على أن يسلك هذا الطريق الذي يحفظ له ذاتيته من أن تنصهر في بوتقة الانمية أو المذاهب المائية وقد تبين له بعد تجربة هذا القرن، أن الطريق الوحيد هو صراط الله المستقيم ومنهج الله الجامع :

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

وحيشا يولى المسلم وجهه بحمد من علامات توحى بأنه يسير نحو الغاية بخطى ثابتة :

أولا : ففي مجال الفكر نجد أن الساحة قد اتسعت أمام العمل لاثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الاسلام في العلوم الدينية والعربية والعقائمية ، لحققت عشرات من كتب التراث الاسلامي الاصيل التي تمثل مفهوما الاسلام الاصيل .

وظهرت أفلام اسلامية بارعة عرضت الفكر الاسلامي عرضا كريما وفق مفهوم الاسلام الجامع بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع .

كما ظهرت تفاسير جديدة للقرآن الكريم ودراسات لسيرة رسول الله ﷺ واعلام الصحابة وأبطال الاسلام في مختلف مجالات الجهاد والفكر وبناء الامم ولم يكن هذا كله موجودا قبل أول القرن الرابع عشر .

ثانيا : كذلك فقد ظهرت صحف اسلامية عديدة في عواصم البلاد العربية فما تخلو حاضرة عربية من صحيفة وكان آخرها مجلة الأمة التي صدرت في ملكة قطر . وفي المغرب نجد دعوة الحق والإيمان وفي الجزائر نجد الرسالة وفي تونس الهداية وجوه الاسلام وفي المملكة المغربية الرابطة والتضامن وفي الامارات منار الاسلام . وفي الكويت الوعي الاسلامي

وفي مصر: الأهرام ومنبر الإسلام وللتصوف والدعوة والاعتصام
والخيار الاسلامي هذا بالنسبة للبلاد العربية وفي العواصم الاسلامية
صحف أخرى في أندونيسيا وإيران وتركيا وباكستان والهند. (راجع
كتابنا تاريخ الصحافة الإسلامية).

ثالثاً: وهناك ظاهرة بناء بيوت الله وهي ظاهرة ضخمة حافلة بالعبارة، حيث
قام أهل الخير بمجموعهم الذاتي ببناء عديد من المساجد فاق ما تقوم
عليه وزارات الأوقاف بأضفاف كثيرة.

وهذه الظاهرة واضحة الدلالة في كل اجزاء العالم الاسلامي.

رابعاً: وهناك ظاهرة المجاليات المسلمة المباشرة الآن في مختلف اجزاء قارات
أوروبا والأمريكتين وأستراليا وهي واضحة على نحو باهر في ألمانيا
وفرنسا وبلجيكا فقد عاد الاسلام سلماً وبهجة في هذه المناطق التي
طارده من قبل وما من قطر أو دولة إلا وللإسلام فيها مسجد ومأذنة
ورجل ينادي الله أكبر وفي أمريكا يقول الدكتور محمد عبد الرؤف
(أنه لا تطلع الشمس الا على مسلم جديد) وفي الفاتيكان تقوم المأذنة
عالية وفي بروكسل تعترف الحكومة للمسلمين بوجودهم وبمجموعهم
ومدرستهم الخاصة التي تحفظ لائمتهم دينهم وعقيدتهم.

خامساً: ومن الظواهر الواضحة ظاهرة محطات اذاعة القرآن الكريم التي
اصبحت تبث كتاب الله في اجواء العالم، في مصر وفي مكة، وفي باكستان
وغيرهما، ومنها المصارف الاسلامية من غير فوائد التي حققت
نجاحاً باهراً. وهناك لجان الزكاة وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم
ودور نشر الكتاب الاسلامي.

سادساً: وقد عاد الغرب يخيف من غلوائه، وعتوه، واعترف بعد ثلاثمائة سنة
بفضل المسلمين على الحضارة الغربية وكان من قبل ينة - كمر هذا الفضل،
وظهرت مؤلفات تكشف عن هذا الدور الخطير الذي قام به المسلمون في
بناء الحضارة العالمية ونهضة العالم الغربي كله.

فكتب درابر، وجوستاف لوبون، وسارطون، وبرناردشو، وسجريد
هونكه كتبت تحت عنوان رائع حيث قالت (شمس الله تشرق
على الغرب) .

شهد هؤلاء وغيرهم بالدور الذى قام به الاسلام حين قدم للبشرية ،
المنهج العلمى فى البحث ومنهج المعرفة ذى الجناحين (عقل وقلب وروح
ومادة ودين وعلم ودنيا وأخرى) وقدم للبشرية المنهج التجريبي فى
مجال العلم وقدم للبشرية أيضاً سنن الله فى الـكون ولماوس قيام
الحضارات وسقوطها وكيف أنشأ المسلمين علم الاجتماع وعلم التاريخ
وكيف عرف المسلمون منذ وقت باكر القشريح ومارسوه ، وأجرى
أبو القاسم الزهراوى عمليات جراحة المخ وعرف المخدر الذى يسبق
الجراحة وكانوا يسمونه (المرقد) وأوقف الزيف الدموى وسحق
الحصاة فى المثانة . وعرف ابن الهيثم انكسار الضوء فى الجو وهو
أول من قرر أن الرؤية تتم ليس بواسطة شعاع تطلقه العين فى اتجاه
الجسم المنظور بل بواسطة أشعة تطلقها الأجسام المضيئة الى العين التى
تراها بواسطة جسمها الشفاف وعرف القزوينى النقط وأنشأ الخوارزمى
علم الجبر والبىرونى صناع نظرية دوران الارض حول محورها وحول
الشمس وقال عنه (تتجاوز) أنه أعظم عقلية عرفها التاريخ .

سابعاً : وشهد علماء الغرب اليوم بأن ابن خلدون سبق سميث وهيغل فى
وضع علمى الاجتماع والاقتصاد السياسى وأن المعرى سبق دانتى فى
تصوير الجنة والنار وأن ابن مسكويه سبق دارون فى نظريتى أصل
الانواع والتطور وأن الطرطوشى سبق مكافيلى فى الكتابة عن سياسة
الملوك وأخلاق الامراء وأن على بن أحمد الأمدى قد سبق بريل فى
طريقة كتابة الكهوفين .

وان الاسلام هو الذى أهدى أوروبا المنهج التجريبي فى الاندلس بل
وأكثر من ذلك أن الاسلام بشهادة عظماء الغرب هو الذى أخرج

أوروبا من الاديرة والرهمانية ودفنهما إلى بناء الحضارة والعلم بمفاتيح المسلمين التي قدمها المنهج الاسلامي للعالمين ولم ييخل بها أو يحجبها كما يفعل الغرب اليوم بتجارب العلوم والتكنولوجيا وينصرها على أهله .

ثامناً : وظاهرة أخرى من إرماصات القرن الخامس عشر هي تلك الموترات المتعددة التي عقدها علماء القانون في الغرب واعترفوا فيها بفضل الشريعة الإسلامية وعظمتها منذ دوت صبيحة عميد كليه الحقوق في أئينا ١٩٣٥ بأن البشرية لتفخر بانفساب رجل مثل محمد ﷺ إليها فقد استطاع برغم أميته أن يأتي العالم بقشريع سنكون نحن الغربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قته بعد ألفي سنة وفي مؤتمر للقانون الدولي في لاهاي ١٩٢٧ قرر رجال القانون العالميين اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرأ من أهم مصادر التشريع العام وأعلنوا أنها شريعة حية صالحة للتطور وأنها قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها . وفي مؤتمر باريس ١٩٥١ قال نقيب المحامين : لقد ثبت بجملاء أن المقه الإسلامي يقوم على مبادئ ذات قيمة أكيدة لا مربة في نفصها وأن اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة ضخمة ومجموعة من الأصول تفيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة وقد كشفت عشرات الابحاث العالمية عن جوانب كثيرة من الشريعة الإسلامية استطاعت أن تستمد منها القوانين الاجنبية مادة خصبة لقوانينها :

(أولا) تبين من مبدأ حرية التعاقد ومبدأ تقرير قيمة الشهادات وعدم تجزئة الإفراج ونسخ عقود الديون المضرة ومبدأ تغير الاحكام بتغير الزمان والامكنة والاحوال : هذه القوانين الجديدة التي عرفها الغرب في السنوات المائة الاخيرة تبين أنها بما استمد من دراسات الإمام ابن القيم التي كتبها قبل خمسمائة سنة .

(ثانياً) ما كشفه عمر الحافي في دراسته عن حرمة المنازل التي استمدتها من القرآن الكريم : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم) الآية .

وكان الفرنسيون قد استخدموا هذا التشريع الإسلامي قانون حرمة المساكن فقال المسيو قرنان راجين : يكاد يكون الاعتقاد السائد في فرنسا أن احترام

المسكن لا يشغل في تقنين العائى الإسلامى إلا مكافأ قليلا فقد ثبت أن الشريعة الإسلامية تحرم مثل هذا الانتهاك تحريماً مطلقاً فقد ذكر عمر لطفى أن القرآن مفسراً يحرم على كل شخص أن يدخل بيت الآخر بغير رضاه إلا فى أربع حالات (الأولى) إذا كان مرخصاً له بالدخول فيه عادة (الثانية) إذا دعى إليه فإن الدعوة تساوى الإذن بالدخول (الثالثة) إذا دعى فى حالة حريق أو فيضان أو ارتكاب جناية (الرابعة) إذا كان البيت مفتوحاً للأفراد كالحانات والحمام وكل من انتهك حرمة مسكن يستحق التحدير . والتعذير هو عقاب لكل جريمة ليس لها حد ، حده الأول التوبيخ والأقصى القتل حسب جسامة الجريمة وحال المجرم ومع ذلك فإن تحريم دخول المساكن من غير استئذان ليس قاصراً على الأفراد بل يقاوم للسلطة الحاكمة .

(ثالثاً) تبين أن نظرية التعسف فى استعمال الحق التى عرفتها القوانين الحديثة قد أخذت من الإمام الشاطبى الذى أثبت فى تحليل وتفصيل دقيق أنه يجب منع الفعل المأذون به شرعاً إذا لم يقصد منه فاعله إلا الإضرار بالغير وفى هذا الموضوع قدم الدكتور محمد فتحى أطروحة الدكتوراه فى فرنسا عن مذهب الاعتساف فى استعمال الحق وقد حلق العلامة كيهلر القانونى الألمانى على هذه الرسالة فقال : لقد كان العلماء الألمان يتهبون عجباً على غيرهم فى ابتكار نظرية الاعتساف والتشريع لها فى القانون المدنى عام ١٧٨٧ م أما وقد ظهر بحث الدكتور فتحى وأفاض فى شرح هذا المذهب عند رجال التشريع الإسلامى وأبان بأن رجال الفقه الإسلامى تكلموا طويلاً فى هذا ابتداء من القرن الثامن الميلادى فإنه يجدر بالعلم القانونى الألمانى أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ لأهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الألمان بعشرة قرون وأهله هم حملة الشريعة الإسلامية .

واليوم وفى مطالع القرن الخامس عشر تكاد تكون الشريعة الإسلامية وتطبقها هى القضية الأولى ، فقد دخلت إلى مراد الدستور فى عديد من البلاد العربية والإسلامية وعقدت اللجان القانونية فى مصر والسكويت وأبو ظبى وعمان لتقنين الشريعة الإسلامية وما تزال تعمل وقد قطعت أشواطاً طويلاً فى صياغة القوانين الإسلامية للحدود والقانون المدنى والجنائى وستكون بإذن الله موضع

التنفيذ بعد ذلك وبمجيء بعد ذلك مطابقة القوانين الوضعية المختلفة المطبقة في البلاد الإسلامية على أصول الشريعة تحقيقاً للقاعدة التي أقرت بأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع وبذلك يقوم المجتمع الإسلامي الرباني المتحرر من الأخطار والتحديات التي تواجهه الآن وتحول بينه وبين حمل رسالة الإسلام إلى العالمين . وهي الرسالة التي تفرضها عقيدة الإسلام على كل مسلم : رسالة التبليغ إلى المجتمع المعاصر والغربي المدمر المتطلع إلى منح أصيل محرره من سبوم الانحراف والتحلل والفساد التي يمشيها الآن ولن يكون ذلك غير الإسلام وقد نشأت في الغرب نقطة انطلاق تتطلع إلى الشريعة الإسلامية بعد أن عجزت الأيدولوجيات عن تحقيق إقامة المجتمع . الذي يرضى أشواق النفس الإنسانية ويحقق لما التوافق والموازنة بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة وقد نما هذا الرافد على أيدى أعلام منصفين عرفوا عظمة الإسلام وإنسانية ورحمة وعدالته وإيمانه بالآخاء البشري وما يزال ينمو بالرغم من الحرب الشديدة التي توجه إليه من أصحاب الفلسفة المادية والوثنيات ، وقد قطع أهل الغرب الأمل في كل التفسيرات الدينية والأديان البشرية كالبودية والغنوصية كما انكشف لنا فساد البهائية والقاديانية والاحمدية والباطنية ولم يعد أمام الناس إلا أمل واحد هو الإسلام دين التوحيد الخالص الخاصة خاصة بعد أن كُشف البحث العلمي عن بشرية بعض الدعوات والكتب التي ما زالت في أيدي الناس في الغرب .

بل إننا نستطيع ان نقول وبكل ثقة أنه قد انكسرت قبة الفكر المادى التي كانت شائعة ونكست رايات التغريب والغزو الثقافي في كل ميدان يتبين اليوم فساد تلك النظريات التي هزل لها الشعوب والمثغرون احفاد وغلبه الاستشراق الغربي والصهيوني والماركسي، تبين فساد الأصل الذي قامت عليه نظرية دارون ، وتبين انهيار قاعدة النظرية الماركسية وتحطمت قاعدة الفلسفة المادية والتفسير المادى للتاريخ وتبين أن نظرية فرويد مجموعة من الفروض وأن نظرية دروكايم مجموعة من الاضاليل وأن الوجودية فكرة مدمرة ، وقد تبين ذلك ليس بمراجعة هذه النظريات في ضوء الإسلام وقد تبين انهيارها وفسادها ، وإنما بالنماذج التي حقةها في المجتمع الغربي من غربة واضطراب وتمزق وفساد وقلق وانهيار فقد

استطاعت التلمودية اليهودية أن تحتوى المجتمعات الغربية وأن تدمرها وقد تبين من ذلك عدداً من الحقائق أهمها :

(أولاً) أن الفكر البشرى فكر ناقص وقاصر ومحدود النظرة لأنه لا يستطيع استيعاب أكثر من طروف مرحلة قصيرة في بيئة صغيرة ولذلك فإنه سرعان ما تكشف المتغيرات عن فشله ويهـرع أهله في معالجته بالخذف والاضافة ، وهو كالبلد المريض لا يصلح للاستعمال في بيئات أخرى ولذلك فقد تعلمنا أن الأمم ذات الأصالة والمجد الباذخ والمنهج الرومانى الجامع ليست في حاجة إلى أن تنقل أو تقتبس من فئات الأمم ، وعندها الكنز الآخر ، وأنها في كل ما يحتاج أن تنقله فإنما هو بمثابة مواد خام لها أن تصكلها في إطار فكرها ومجتمعها على النحو الذى رضاه والمسلمون لا ينقلون مناهج الأمم فهم ليسوا في حاجة إليها وإنما ينقلون الأساليب والوسائل المستحدثه وحدها ليصوغوا في داخلها فكرهم وثقافتهم وعقيدتهم .

(ثانياً) أن للمسلمين ذاتيتهم الخاصة التى شكلها القرآن والسنة الشريفة خلال أربعة عشر قرناً فقد صنعهم الله على عينه ، وصنعهم بصيغة التوحيد الخالص (صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة) وقد أوصاهم نبيهم أن يحتفظوا بهذه الذاتية فيكونوا كالإشامة فى الناس ، ولا يخضعوا أبداً لمحاولات أذابتهم وصهرهم واستيعابهم فى بوتقة الإيمى والعالمية وذلك حتى يكونوا قادرين دوماً على أداء رسالة الاسلام وتبليغ كلمة الله إلى العالمين ولقد عاش المسلمون حياتهم كلها فى سبيل الدفاع عن هذه الذاتية واليوم تجرى المحاولات من القوى الغازية للقضاء على هذا الكيان الخالص ، والوحد الخالص فعليهم أن يدفعوا عن أنفسهم ما استطاعوا .

(ثالثاً) لقد تبين تماماً من وقائع التاريخ وأحداث الماضى أن نهضة الاسلام تنبثق من داخل المجتمع الاملاى والأمة الاسلامية لا بفعل قوى أجنبية وأن الاسلام قادر على تصحيح مسار المسلمين إذا انحرف بهم الطريق ، وأنهم كلما ضعفت قبضتهم عن تنفيذ شريعة دينهم طرهم الله بالآم والغزو والاذلال حتى يعودوا إلى شريعة الله يطبقونها على أنفسهم وأسرهم ومجتمعاتهم ، عندئذ يرفع الله عنهم هذه الازمة .

(رابعاً) أن الحق نبارك وتعالى أعطى هذه الأمة في مطالع القرن الخامس عشر ثلاث عوامل جديدة للنصر والتقدم والتسكين في الأرض وتحرير أنفسهم ومجتمعاتهم من أخطار الغزو المحيط بهم : تلك هي الثروة والطاقة والنفوق البشرى وجعل هذا حجة عليهم إذا قصرُوا في بناء المجتمع الرباني ودفع الفزاة عن أرضهم (خامساً) أن المسلمين اليوم في حاجة إلى بناء الأجيال الجديدة التي تفتحت على كلمة الإسلام على الإيمان والأخلاق ومعرفة حق الله على العباد ولا ريب أن هذه الثروة الضخمة في حاجة إلى رعاية وحماية وتأصيل ولا يكون ذلك إلا بالحكمة والموعظة الحسنة وبناء العقول بالثقافة وبناء القلوب بالعبادة والارتفاع فوق المسائل الفرعية المفرقة والالتقاء حول القيم الأساسية الكبرى للإسلام ولا بد من ثقافة واسعة في الفقه والمبادئ والأخلاق ولا بد من تعرف واسع على اللغة العربية والتاريخ وأبطال الإسلام وسيرة الرسول ﷺ ، ذلك المثل الكامل القائم أمام الأجيال كلها قدوة وأسوة ونموذجاً تطبيقياً للإسلام ومن حقه علينا وقد هدانا إلى التوحيد الخالص أن نلتزم طريقه ونتميز سنته ونطبقها على أنفسنا وبيوتنا ومجتمعاتنا .

وبعد فليسوف يبلغ هذا العين مبلغ النجم من السماء فيدخل كل بيت حجر ومدر يعز عزيراً ويذل ذليلاً كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

دور الاسلام فى القرن الخامس عشر

يتحدث المفكرون المسلمون اليوم عن رسالة الاسلام السياسية فى القرن الخامس عشر وعن مستقبل الاسلام كقوة سياسية . وبالنظر إلى الاديان الثلاثة نجد — على حد اثير الدكتور حامد ربيع — إن اليهودية ليست معدة لان تودى وظيفة إيجابية . فالدين اليهودى دين قومى وليس ديناً عالمياً ولذلك لا يستطيع أن يزدى وظيفه عالمية ثانياً هو دين جامد أى أنه لا يتطور أما المسيحية ، فقد أتصفت بصفتين أساسيين : الأول أنه لم يكن لها نظام سياسى وليس لها اصالة فيما يتعلق بالتنظيم ، بمعنى أنها كانت فى بدايتها دعوة اخلاقية لانقاليد لها بالنسبة للنظام السياسى أو لإنشاء الدولة ، وذلك بخلاف الاسلام ، وقد لجأت المسيحية إلى النموذج الرومانى ، إلى أى نموذج الدولة الرومانية ومنها بنت نظامها السياسى والقانونى فى البداية ولم تشعر بالتناقض بالرغم من أن النظام الرومانى لادبنى ونظام وثنى ملحد بطبيعتة وترتب على هذا وجود تناقض لم يبرز إلا بعد فترة معينة . اذن باختصار : المسيحية لها اصالة فكرية وليست لها اصالة نظامية ومن ناحية أخرى فقد ارتبطت المسيحية خلال القرنين السابع عشر والتاسع عشر بالمعصب العنصرى ، مما أضاعها وأزالت كذلك حتى القرن التاسع عشر لم تترك أبناءها بل حاولت أن تعيد تطويع نفسها للمجتمع الحديدي أو الحضارة الجديدة وبما ينفق مع اخوة العصر وخرجت إلى المعصنة السياسية وخلقت أدوات مستقلة عنها فقد ظلت الكاثوليكية كنيسة وظاهرة دينية مستقلة ولكنها خلقت الاحزاب الكاثوليكية وإيطاليا وإسبانيا وبلدان أمريكا اللاتينية ، وأقامت نقابات كاثوليكية فى جميع انحاء العالم ، كما أقامت جمعيات كاثوليكية تعليمية واجتماعية وترتبط بها جمعيات التبشير ، كما أقامت الجامعات

الكاثوليكية وفي العالم جامعات كاثوليكية في منتهى الخطورة ، وقد لا نשמع بها .
وفي القاهرة ثلاثة مراكز بحوث تعمل بأوامر الكنيسة الكاثوليكية وهي تختفي
في زى الوهبان وتقوم بدراسة الحضارة الاسلامية لحساب الفاتيكان ، وتوجد
مراكز البحوث الكاثوليكية وأهمها في بروكسل وروما وباريس وأمريكا .

وفي داخل الفاتيكان يوجد جهاز متخصص في توجيه العالم والفاتيكان عنده
قدرة على ذلك وعنده ثروات لا حدود لها ، ولا يستطيع احد ان يتصورها ،
ودون مبالغة أو تطرف ، فقد كان وصول جون كيندى إلى رئاسة أمريكا
ووصول ديچول إلى الحكم كان بناء على قرار من الفاتيكان وبالنسبة لنا هنا في
الشرق الاوسط : تبنية اليهود من دم المسيح .

وهنا يجب أن نلاحظ وقوف الفاتيكان إلى جانب الصهيونية وتساءل لماذا
لم يطالب الفاتيكان بتدويل القدس ، ولاريب أن التنظيم داخل الفاتيكان رهيب
ولذلك فهو قوة دولية .

ومن هنا فان هذه القوى تدرس الآن احتمالات مستقبل الاسلام وكيف
تستعد لمواجهة ، ولاريب أن الاسلام خطر جداً لاسباب عديدة ، منها أن
الاسلام يمتد جغرافياً ليربط المحيط الهادى بالمحيط الاطلسى حيث توجد فيه أخطر
المواقع ليس على الاتحاد السوفيتى فقط بل على الولايات المتحدة ، فإذا انظرت إلى
أقرب بقعة في العالم القديم إلى الأمريكيتين فستجد انها منطقة المغرب وصحراء
موريتانيا ومنها تستطيع الطائرة أن تضرب وسط الأمريكيتين ، وهذه أخطر
موقع للنيل من الأمريكين ففي مواجهتها توجد المكسيك على مسافة لا تزيد عن
أربع ساعات بالطائرة العادية .

فالمنطقة الاسلامية هي حزام يحيط بالحضارة الغربية

ومن الناحية الاستراتيجية هناك جانبان فرعيان ولكنهما في منتهى الخطورة
الاول : أن المنطقة الاسلامية تستطيع أن تقطع الصلة بين الحضارة الغربية وبين
مراكز بالثروة الطبيعية في أفريقيا وغيرها التي تعتبر مناطق الثروات التي لم
تستغل بعد وهي أساساً المنطقة الافريقية في المنطقة العربية .

(م ٥ - المدد الاسلامى)

الثاني : قد يبدو ولاول وهلة أنه عظيم الاهمية ولكنه في منتهى الخطورة : وهي أنه عند حدوث عداء فعنى ذلك قطع كل عمليات الاتصال الجوى والبحرى من الشمال إلى الجنوب ونحن كثيراً ما ننسى أن ١٠ ٪ من دخل فرنسا من العملة الاجنبية فعلا من موارد الطيران الجوى مع العالم وكذلك الامر بالنسبة لبريطانيا وأمريكا والمانيا .

هذا من الناحية الاستراتيجية أما من الناحية الحضارية فانه كما يقول الدكتور حامد ربيع : فهو أن الإسلام أقرب المفاهيم والتصورات إلى العالم الثالث ،

سواء من حيث فهم الحياة أو حيث الفهم الحضارى أو تقديم نموذج للتنمية والعالم الثالث اليوم يبحث عن نفسه حضاريا واقتصادياً وبكل ابعاد وجوده والإسلام أكثر من غيره من الأديان مؤهل لأن يتعامل مع هذه الشعوب وأكثر اقتراباً منها لأنه حضارة شرقية .

الناحية الثالثة : هي أن الإسلام في تايخه الطويل لم يعرف أطلاقاً معاهدات أو اتفاقات صلح مع العالم الخارجى ، وذلك حتى هارون الرشيد تقريباً ، وهذا أمر يضعه الغربيون في أذهانهم باستمرار فهم يخشون عودة الإسلام إلى هذا التصور . يزيد من هذا دور الصهيونية فهي تستغل القضايا استغلالاً معيناً ولكن لا ينفى أن هناك خوفاً وهلماء ، في خلال الشهور الماضية ليست هناك مجلة لم تخصص عدداً أو أكثر عن الاسلام ، وعندما تقرأ وتحلل المضمون تشعر بهذا الرعب وهذا الخوف والقلق الذى يعبر عن مفاهيم القيادات الغربية .

فإن الغرب يخشى الاسلام ويسلم بأنه سيصير قوه . مثلاً من الاسماء الضخمة ذات الوزن العلمى أنولذ جيبي وهو مستشرق معروف له كتاب شهير يرجع إلى ١٩٥٤ أعلن فيه أن الاسلام سوف يدعى الى أداء وظيفة خطيرة ، وهي لن تقل خطورة عن وظيفة الكنيسة وقال مخاطباً الغرب : عليها أن نضع هذا في الاعتبار وقد اصدر جيبي أكثر من كتاب منها (محمد رجل الدولة) ١٩٦٤ ثم الاسلام في العالم المعاصر ومحمد في المدينة ، ومحمد في مكة ، والفكر السياسى في التراث الاسلامى في مقدمه هذا الكتاب الأخير يقول :

• أنه متصور أن العالم سوف تتحكم فيه أربع أيديولوجيات : كونفوشية، مسيحية، لينينية روسية، كاثوليكية أوربية؛ إسلامية شرقية وقد تشككك جيب في الأيديولوجيات الثلاثة الأولى وقال أن الإسلام سرف يؤدي وظيفه خطيره وأن تستطيع أى قوة أن تعرقها ولكن هذه الوظيفة سيكون لها ثلاث صفات :

أولاً : أنها لن تأتى من العالم العربى وإنما ستأتى من العالم الإسلامى غير العربى .

ثانياً : أنها ستكون صفة ثورية ولأول مرة يصف مفكر سياسى غربى الدين بأنه ثورى وأن كانت الثورية ليست جديدة أو طارئة بالنسبة للإسلام .

ثالثاً : سيكون له طابع مختلف عن الطابع التقليدى

والسؤال هو كيف سيواجه الغرب هذه القوة الإسلامية

يقول الدكتور حامد ربيع : لاشك أننا نعيش فى مرحلة ولادة والغرب يعرف ذلك ويسعى جاهداً لمنع الولادة أو على الأقل تشويهها والاسف نحن نقع فى اللعبة التى ينصبونها لنا والحضارة الغربية إن تقبل الإسلام بسهولة ففى تحاول منع هذا أو تأخيرها وتشويهها ولكن لاشك أن ما يبدو حالياً يدعو إلى الافتناع بأن هناك قدراً كبيراً من الصحة فى الحديث عن نهضة الإسلام فى القرن الخامس عشر .

على أن ينحصر فى بوتقة المفهوم الإسلامى الجامع القائم على التوحيد والعدل والرحمة والأخاء الإنسانى وتبين لهم أن الحضارة الغربية تمر بمرحلة الانهيار والتصدع والازمة والفرق فهم ليسوا فى حاجة إليها ولهم من مفهوم الإسلام وأسلوب عيشهم ما يمكن من استئناف الحضارة الإسلامية للعطاء بعد التوقف .

وبكذب (حبيب أمين لو كرتنى) حين يقول أن العرب فى حاجة إلى زعيم دينى جديد يمكن أن يهب العقيدة الإسلامية حيوتها وطاقتها وفدريتها على التجديد مما يحملها أقرب إلى قبول المنطق الذى تفرضه الحياة الحديثة (لم يعد المسلمون يخدعون بهذه الدعوات المسمومة المصاغة فى أسلوب براق ، فإن الإسلام فى مفهومه الصحيح لا يمكن أن يقبل الحياة الحديثة فى انحرافها القائم الآن عن

منهج الله ولا يمكن له أن يبررها ولكنه يدعو إلى أن يلتزم المسلمون والناس
اجمعين حدود الله ومنهجه ليقوموا المجتمع الرباني ويحطمو هذا الوثنيات التي
تقدمها الحضارة الحديثة لأنها هي التي ستدمر هذه الحضارة فلا بد للعالم
أن يفهم أن هذا الطريق الذي تسلكه الحضارة الحديثة والمجتمع الغربي هو
طريق الهزيمة والتدمير والسقوط ولا بد أن تتخذ البشرية طريق الله الحق الذي
هو طريق الإسلام : طريق الفطرة والعلم وأن كل ما قدمته مناهج العلوم الاجتماعية
وما خدع به الناس فرويد وسارتر ودور كايم ومن قبلهم داورن وماركس
كل هذا باطل وقبض الريح وقد جريته البشرية وثبت لها ففعله كما أنها
جريت البوذية والوثنية والغنوصية وتبين لها أن ذلك كله لا يؤدي وأنه ليس
أمام البشرية إلا طريق واحد واختبار واحد وقد صدع بهذا كثير من اعلام
الغرب امثال برناردشو وغيره منذ وقت بعيد :

مستقبل الاسلام في أوروبا :

أن المتابع لحركة الإسلام في أوروبا والغرب عموماً يعلم أن الإسلام مرشح للقيام بدور كبير في الحياة العالمية ، هل هذا القول مجرد طرح عاطفي يقال لارضاء غرور المسلمين وهل هناك مطعيات وشواهد على صدق ما يقال . يقول الدكتور رشدي فكار : من الخطأ القول بأن الغرب لا يعي الإسلام ولا يعي تاريخ الإسلام . ولكن الأسف الإسلام قدم في الغرب عبر الحلفيات وفي إطار مغمض لعبت فيه الظروف التاريخية دوراً هاماً في تقديم صورة مغمضة وصرورة دائماً مقنعة بخلفيات . خرجنا من حلقات كنسية لندخل في حلقات عقلانية لتنتقل بعد ذلك إلى عقدة الذنب وإلى عقبة الدونية أمام حضارة عملاقة اسلامية ثم في النهاية بأن اختتمت هذه المهزلة بأن أصبح الإسلام الآن يرمز بالنسبة للغرب الى قضية مصير هناك اشكالية انطلقت قبل الحروب الصليبية من عقدة الدونية في فترة العلاقة بين هارون الرشيد وشارلمان ، كانت هناك عقدة دينية وهي غرب ينظر إلى الاسلام حاشائه أن يقول كما ننظر نحن الآن إلى الغرب في رأي أننا الآن نهول في تخلفنا ونهول في اعاقتنا . الفوارق هي فوارق غيبة التنظيم وغيبة الوعي بالذات وهي مشا كل خلقت لنا نوعاً من للعقد بالنسبة للغرب ، وفي نفس الوقت تطلع إليه بينما كانت القضية بالنسبة للغرب أوسع بكثير ، غرب مظلم محتقر بفكر محدود المطاء أن لم يكن بمحمد تماماً وطالم اسلامي في كل يوم يحقق انتصارات ليس فقط في الأرض وإنما في العقل ، كانت هناك رغبة في ترجمة ولكن في الاساس من الذي يترجم للاتينية . حتى جاءت فترة الحرب الصليبية ففتحت عيون الغرب على مدى اتساع الهوة بين مخلفات اقطاعية وبين نمط آخر فمدالة الاسلام ، مجتمع التكامل ، نظام المجابية ، قضية تحرر الفكر ليس فقط بالنسبة للمسلم وإنما ايضا بالنسبة لغير المسلم ، كانت مواجهات فكرية بين قوى غير متعادلة ، مجتمع مغمض ، بنسق كنسي متحجر محتمل للمعرفة ، وهي معرفة محدودة للغاية ، والاسلام رغم المعاناة الظرفية ، ولكن بقدر ما يتأزم بقدر ما يشرق ، أن عظم المجتمعات الاسلامية كانت قائمة على البدائل ، عندما يحدث ضعف في نقطة ما تحدث قوة في نقطة أخرى .

علاقة الاسلام بالغرب : هذه العلاقة التي عرفت في فترة ما اسميه مسلسل التحفظ. والنقد والتقييد والاعتراض ، الا وهو المسلسل الغربي في خروجه من التوعك والقطعية . وهناك تهدير القطعية ، الغربي الآن يصدر أن يصدر القطعية الآخرين والقطعية قطعيته هو ، أن هناك خدعة كبرى تتم على مستوى الفكر الآن . أن الغرب عاش همومه والهموم قادت به إلى الاشتراك . الف عام من الظلمات وألف عام من التوعك والتضييق الكنسي والمصلحية للنسق الكنسي والفكر التجريدي الميتافيزيقي والمدرسي ، تحفظ عليها انطلاقاً من العقلانية الاسلامية ، لولا العقلانية الاسلامية ما تحفظ المتحفظ على النسق الكنسي ، بمعنى أن العقلانية الاسلامية افادت من تحفظوا على الكنيسة ، ثم بدأ يستعملونها بتورية فوجد المدرسة الرشدية ساعدت الخصم وخضم الخصم .

لقد وضعت علامة استفهام كبرى على البديهيات والمسلّمات ، لاشئ . مسلم به ساعدت هذا المنهج الصارم للملاحظة والتحرير على الانتقال من التحفظ والنقد إلى التنفيذ وجاء عصر الأنوار والمعرفين يقومون بتكفين جثة العصور الوسطى ويضعونها في متحف التاريخ واهلوا بذلك لطرح البدائل البديهيات ، البديل كان المدارس السكوتية والماركسية والتطورية الداروينية ثم التخصصات في علوم الانسان . بعد مائة عام من الظلمات لديهم ادت إلى القطعية أما نحن فقد كانت لنا ألف عام من الأنوار والاشراق في نفس الفترة . كيف يقوم القطعية .

أن خطأهم هو الحكم على الاسلام لامن خلال الاسلام وانما من خلال حالة المسلمين النفسية الموجودين فيها ، في القرن العشرين ، يقولون اذا اردت ان ترى الاسلام انظر إلى المسلمين ، يعني هذا هو الاسلام .

لقد اقترحت منطلقاً غريباً أنه كى يتعامل مع الاسلام لابد ان نحدد ما هو البشري وما هو المبادئ . هناك مبادئ الاسلام يقيم خالدة مستمرة عبر العصور وبين عصور ضعيفة أو قوية ، متازمة أو منطلقة وبين مسلمين بين التسلط والسيادة أن القرن العشرين والقرون التي تليه لن تجد منهجاً يتماشى مع ما لها من عميقة فكرية وقدرة ترميض مائل إلى الاسلام في البحث عن الله فإلى الأديان التي فرض عليها من البداية أن تكون استمراراً للدين واحد بدأ بإبراهيم وانتهى بحمد إلا أن تقبل حجمها وتدخل كمرحلة من مراحل تطور هذا الدين لأنه هو القادر فعلاً على المواجهة ويمكن لمؤمن ان يحصى عقيدته في هذا الكون .

(١)

في مواجهة التُّراث

(١) التراث الاسلامي المكتوب

(٢) في مواجهة تحريف الفكر الإسلامي والتراث

(٣) قصه التراث والمعاصرة

(١)

التراث الإسلامى المكتوب

إن كلمة التراث الإسلامى ، هى من الكلمات الخطيرة التى تفتح عشرات الأبواب خلال أربعة عشر قرناً للحديث عن مئات من العلماء ومئين من المكتبات وعن ملايين الأطنان من الورق التى حملت كلمات الله من مشرق العالم الإسلامى إلى مغربه ، إلى أوروبا على نحو لا يمكن استيعابه . على هذا النحو اليسير فى كلمات سريعة . وهو ميراث ضخم يزدهى بالفخر أن يملكه المسلمون وأن ينشرونه على الأجيال الجديدة فى العالم كله لتعرف أى أمة هذه : أمة (اقرأ وربك الأكرم) أمة (ن . ، والقلم وما يسطرون) وحتى يمكن تقريب الصورة المذهلة . نقول : أن المختصين يقدرّون عدد المخطوطات العربية الموجودة فى العالم اليوم بأكثر من ثلاثة ملايين مخطوط (هذا غير ما هو مطبوع وهو لا يقل عن ذلك بما هو بين أيدينا) هذه الملايين الثلاثة ما تزال مبعثرة فى مكتبات العالم الإسلامى من ذل المغرب العربى حتى باكستان ومن تركيا حتى الصومال . أما ما يوجد فى مكتبات أوروبا وأمريكا وروسيا فحدث عنه ولا تسأل . ففى مكتبة ليدن وحدها فهرس للمخطوطات الإسلامية يبلغ عشر مجلدات ضخمة هذا بالإضافة إلى مكتبات بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والفانيناك وهولندا وكذلك مكتبات الولايات المتحدة ، أما مكتبة الاسكوريال فقيها وحدها ٦٠٠ ألف مجلد ، هذه الثروة التى عبرت إلى الغرب منذ أيام الاستعمار والتى لم نستطع حتى اليوم استعادتها ، ولم يكن تصوير ونسخ أكثر من ثلاثين ألف كتاب منها هذا بالرغم من جميع المحاولات التى عملت من أجل إبادة هذه الثروة ، فقد ذكر حبيون فى كتابه عن الدولة الرومانية . أنه كان فى طرابلس المشرق وحدها فى عهد الفاطميين مكتبة تحتوى ثلاثة ملايين مجلد أحرقها الفرنجة عام ١١٠٠ م ، أما فى الأندلس فقد كانت هناك ٧٠ مكتبة وكان بمكتبة عرناطة ٦٠٠ ألف مجلد .

وكانت دواوين الشعر فيها تملأ ٨٨٠ صفحة من فهرسها . وقد أحرق

الكردينال كنييس مطران طليطلة في ساحة المدينة ٨٠ ألف مجلد في يوم واحد ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب ، كما أحرق الفرنسيون كل ما وجدوه من مخطوطات ومطبوعات بـ ٤٠٠ كتابات قسطنطينية عندما احتلوا الجزائر عام ١٩٣٠ .

هذه محاولة لرسم صورة جد موجزة لهذا (التراث الاسلامي) الذي هو كنز من كنوز الاسلام الغالية التي هي غائبة عنها الآن (والتي لا يمكن كتابة تاريخ هذه الامة ولا تقدير دورها العلمي والثقافي العالمي إلا بعد وصول آخر مخطوط من هذا الكنز) ذلك لأن المسلمين قدموا في هذا التراث عطاء باذخاً كسبته الحضارة المعاصرة واعتبرته من نتاج أهلها ولم تعترف للمسلمين بالاثار الحقيقي لهم إلا منذ سنوات قليلة ، وما زالت هذه الكنوز في الاغلب محجوبة عنهم (هذه الكنوز لم يتوقف عطاؤها عند العلوم التجريبية وحدها ، بل امتدت إلى علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية جميعاً) .

وليس أدل على صدق ما نقول من عبارة (ول ديورانت) في موسوعة (قصة الحضارة) « ما طبع منها ٢١ مجلداً بالعربية حتى الآن ، حين يقول ، ليس ما نعرفه من تمار الفكر الاسلامي إلا جزءاً صغيراً مما بقي من تراث المسلمين وليس هذا الجزء الباقي إلا قصفاً ضئيلاً بما أثمرته قرائحهم ، وليس ما أمثاته إلا نقطة من تراثهم ، لقد كانت هذه الثروة محفوظة في المساجد في مختلف بلاد المسلمين وقراهم ، وقد تعقبها قناصل الدول الاجنبية واشتروها بأبخس الاثمان ونقلوها إلى بلادهم ، ولم ينج منها إلا القليل الذي حفظه أهل المغرب الذين أقاموا حوائط مسدودة عندما هجم الاستعمار الفرنسي على بلادهم وتركوا هذه الثروات وراءها سنوات وسنوات ففها ما وجد صالحاً بعد ومنها ما ضاع أيضاً .

ولإيكم نموذجاً صغيراً للتعرف على هذا التراث :

يقوم دكتور ديفيد كنج الباحث الفلكي الذي أقدم بأطروحة في الدكتوراه عن الفلكي المصري « ابن يونس » الذي يعد من أشهر الفلكيين في العصور الوسطى - تقدم هذا الباحث بإجراء مسح شامل للمخطوطات التي تتعلق بتاريخ الفلك والعلوم الرياضية .

أتدرون ما عدد ما وصل إليه مما هو موجود في بلادنا (خمسة آلاف مخطوط) في الفلك الإسلامى وحده فكيف العلوم الأخرى: الجغرافيا، الطب، العلوم التجريبية، العلوم الطبيعية الخ. ويقول دكتور ديفيد كنج: أن هناك ثلاثمائة مخطوطة في مكتبات العالم تمثل نوعاً فريداً من الدراسة هو: تاريخ علم الميقات وتتضمن جداول شاملة لمواقيت الصلوات الخمس التي استخدمت في القاهرة والقيروان ودمشق وبغداد وغيرها من العواصم العربية.

ونشرت الصحف أخيراً خبراً مؤداه: أن أربع آلاف مخطوط عربي وجدت في مكتبة دبلن بإيرلندا ومنها نسخ من القرآن الكريم بخط أعظم خطاطي العرب هو « ابن البواب » كتبها في بغداد عام ٣٩١ هـ (الموافق ١٠٠٠ م) يقول الخبر: أن هذه الروائع أحضرها (فلان) أجنبي من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وكان قد وصل إلى مصر عام ١٩١٣؛ وأقام بها يحوس أحياء القاهرة القديمة، ويدخل المساجد المهجورة. وكان أغلب الأوربيين يهتمون بجمع هذه المخطوطات وكان من السهل شراؤها بأبخس الأثمان، وقد كون لنفسه هذا عدة وكلاء من التجار والأرمن واليهود وأصبح أحد مراكز الشرق الأوسط لبيع وشراء المخطوطات الشرقية، ثم انتقل إلى إيرلندا ١٩٤٩ وبني مكتبته الحالية التي تضم ١٢ ألف مخطوط، هذا الخبر نافذة عريضة على قصة طويلة لمؤامرة عالمية ضخمة استهدفت لها عواصم العالم الإسلامى وخاصة دمشق والقاهرة وبغداد واستانبول ونقلت منها إلى الغرب ملايين المخطوطات والكتب والتي شكلت الأثر الخطير الذي استطاع به الاستشراق ضرب الفكر الإسلامى وتسميم آباره بعرض ما تحوم حوله شبهات الباطنية والمجوسية والشعوبية وطمس وإخفاء وحجب كل إضافة حقيقية في مجال العلوم والفكر الإنسانى.

• قدم الغربيون عشرات القوانين التي ثبت أن أصولها من الفقه الإسلامى.

• إلى ما قبل مائة عام كانت كتب الرازى وابن سينا في الطب هي المرجع الاول لجامعات الغرب.

فقد كان لاحتلال الغرب لميراثنا هذا أبعد الأثر في الازمة التي نمر بها الآن

والتي تسمى أزمة التفريب والغزو الثقافي ، إذ أن ما سمح به الغرب وما قام به المستشرقون من أن يذشر - كان حول هذه الفلسفات وما يتصل بالفرق والخلافات التي دارت بين الفكر الفلسفي اليوناني المترجم وبين فكر السنه الصحيحة ، فقد بعث المستشرقون في العصر الحديث من تراثنا كل كتب الفلسفة والاعتزال ووحده الوجود والحلول والاتحاد وفي الشعر كل ما يتصل بأبن نواس ويشار وما يتصل بألف ليلة ورسائل إخوان الصفا وتراث الحلاج وابن عربي والسهروردى) حتى أن مستشرقاً منهم هو (لويس ماسنيون) عاش أربعين سنة يجمع آثار (الحلاج) التي ماتت وانقضت وأشبعها العلماء المسلمون دحناً وتزييفاً ليميدما مرة أخرى ، كما أن مستشرقاً لإنجليزياً جمع عدداً من القصائد الفارسية القديمة التي تتعلق بالخر والاباحيات ونسبها إلى رجل من أعظم رجال الفلك هو د. عمر الحقيام ، وسارت بهذا الشعر الركبان رغبة في تدمير مقومات الخلق الاسلامي في بلادنا .

أما التراث الاصيل الذي قدم لإضافات حقيقية فقد أخفاه الغرب وحال بين المسلمين وبينه ، وقد ذهب كثيرون ليطلبوا كتباً معينة فأجيبوا بالرفض ، ذلك لأن الغرب يعرف أن هذا التراث سوف يكشف حقائق كثيرة ، تحققي الآن ، عن نظريات وإضافات ضخمة قدمها الفكر الاسلامي في مختلف المجالات العلمية بما يدعيه الغرب لنفسه .

ونحن إزاء هذا التراث الضخم اليوم نواجه حالتين :

(الأول) إحياء تراث الزنادقة والقرآطة والباطنية والفتنات الخارجة على الاسلام بدعوى أنها ثورات أو إحياء تراث السهروردي وابن الراوندي والحلاج على اعتبار أنه فكر متقدم .

(الثاني) محاولة إعادة كناية التراث بصورة تفريبية على النحو الذي قام به كثيرون في العصر الحديث بعد إخضاعه لمذهب التفسير المادي للتاريخ أو تصوير الصحابة على أنهم محرقة من السياسيين المحترفين الذين يتصارعون على الحكم ، أو

تقسيم المسلمين إلى يمين ويسار ، أو الادعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان الصلحا اجتماعياً ، أو داعية للحرية ، أو بطل الأبطال ، أو عبقرية ، أو غير ذلك دون الكشف عن حقيقة الاساسية وهو النبي المرسل المؤيد بالوحي .

فنحن بين تحريف التراث في إعادة صياغته ، أو تحريف التراث في نشر المنحرف منه .

ولقد يسأل سائل : لماذا يحجبون التراث الاسلامي الاصيل عن أهله ؟

ونقول حتى لا يعرف المسلمون مصادر علم الغرب التي أخذ منها . وحتى لا ينتفع المسلمون بتراثهم في تجديد حياتهم فلا يظهرهم إلا على الجوانب السلبية وفيها التشابه والمختلط والمضطرب . ويستخلصون من هذا التراث ما يروقهم ويملنون به في نظريات لهم ينتحلونها وبحوث يفخرون بها ويتميون بها على الناس . ثم يعرضون علينا ذلك الجانب السلبي من تراثنا لننظر نحن لإيمه بعين السخطة فنحتمل أنفسنا وماضيها .

ولارب أن المسلمين من غير تراثهم كالحجارة التي فقذب غطاءها الصدق الذي يؤمن لها الحماية الضرورية .

ولقد عقدت منذ سنوات مؤتمرات لتزييف التراث ولإعادة كتابته في صورة مسمومة منها مؤتمر بلممور المشهور وله مقررات معروفة ظهرت على أثره كتابات تصور ثورة الونج وحركة القرامطة على أنها حركات العدل في الاسلام كذلك فإن هناك جانباً من المؤامرة سمي مؤامرة الصمت ، تلك هي الصمت عن ذكر فضل المسلمين في قضايا كثيرة مثارة .

فإذا ذكرت رحلات فاسكو دي جاما فهم ينسبون إليه الفضل فيما وصل إليه من كشف ولكن التراث الاسلامي يصرخ في صرير عال :

ان الفضل الاكبر في نجاح فاسكو دي جاما ورحلانه الاستكشافية ترجع إلى ما أفاده من المراجع الجغرافية العربية التي ترجمت في أسبانيا ومن مدرسة الخرائط التي قامت في جزيرة ميورقة معتمدة على جهود العرب السابقة وفوق ذلك فقد كان

دليله الذى قاده من شرق أفريقيا وأوصله آمنا إلى الهند وهو الملاح العربى المشهور (احمد بن ماجد) الذى يوصف بأنه أسد البحر الهائج والذى ألف فى علوم البحار ومعرفة الطرق فى الليل بواسطة النجوم وله من المؤلفات ما يزال حتى الآن مرجعلا ودليلا .

وعشرت من الاعمال الادبية التى يفاخر بها الغربيون ، تثبت الدلائل أن تراثنا هو الذى هدى إليها : فقد أثبت المستشرق الاسبانى أسين بلاسيوس بأن كتاب الفتوحات المسكية لابن عربى - وقبل الرد على ابن القارح للمعرى - هو الذى أوحى إلى دانتي كتابه (الكوميديا الالهية) المشهورة الذى تحدث فيها عن الجنة والنار . كما أثبتت أبحاث كثيرة أن ابن خلدون سبق آدم سميث وهيجل وأوجسيت كرويت فى نظرياتهم وسبق فلاسفة الغرب فى وضع أسس على الاجتماع والاقتصاد السياسى . بأربعة قرون كاملة .

وان ابن مسكويه سبق دارون فى نظرية أصل الانواع والتطور وأن أبابكر محمد الطرطوشى سبق ميكافيلى فى التأليف فى سياسة الملوك وأخلاق الامراء . وأن كتابته «سراج الملوك» مصدر رئيسى لكتاب الامير وسابق له بنحو سة قرون .

بل إن المسلمين هم الذين سبقوا إلى وضع جذور كتابة المكفوفين والى عرفت بالحروف البارزة وأطلق عليها أخيراً « طريقة بريل » .

وكان على بن احمد على يوسف ابن الخضر المشهور بزين الدين الأمدى هو الرائد لهذا كما سجله صلاح الدين بن ايبك الصفدى فى كتابه « نسكت العميان فى نسكت العميان » ،

يقول : ان زين الدين الأمدى - وهو مكفوف - كان إذا طلب منه كتاب وكان يعلم أنه عنده نصح إلى خزانة كتبه واستخرجه من بينها كأنه قد وضعه لساعته ، وإن كان الكتاب عدة جلدات وطلب منه الاول مثلا أو الثانى أو الثالث أو غير ذلك أخرجه بعينه ، وأتى به ، وكان يمس الكتاب أولا ثم يقول : أن هذا الكتاب يشتمل على كذا وكذا كراسة فيكون الامر كما يقول . وإذا أمر يده على الصفحة قال : عدد أسطر هذه الصفحة كذا وكذا سطرًا وفيها بالقلم الغليظ

كذا وهذا الموضع كتب به في الوجبة كذا وفيها الجفرة كذا من غير إخلال بشيء مما يمتحن به ، ويعرف أثان جميع كتبه التي اقتناها بالشراء وذلك أنه كان إذا اشترى كتابا بشيء معلوم أخذ قطعة ورق خفيفه وقتل منها فتيلة لطيفة وصنعها حرفاً أو أكثر من حروف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجمل ثم يعلق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخل ويعلق فوقه ورقة بقدره لتأيد ، فإذا شذ عن ذهنه كمية ثمن كتاب ما من كتبه من الموضع الذي عليه في ذلك المكافأ بيده فيعرف ثمنه من تثبيت العدد المعلق به .

ولقد عرف عن التراث الاسلامي نزاهته وسماحته يقول هاملتون جب : أن العرب أول من ألف في الأديان والنحل لأنهم كانوا واسعي الصدر تجاه العقائد الأخرى وحاولوا أن يفهموها ويدرسوها بالحجة والبرهان ثم أنهم اعترفوا بما أتى قبل الإسلام من ديانات توحيدية ويحظى « ابن حزم » هنا بالنصيب الأكبر ،

ونحن حين ننظر إلى حركة إحياء التراث الإسلامي التي يقوم بها المسلمون منذ أوائل هذا القرن الميلادي نجد أنها حركة غير ذات هدف محدد ، والعاملون بها متفرقون منهم من يعمل على إحياء التراث ، ومنهم من يعمل على إحياء التراث الأدبي ، ومنهم من يعمل على إحياء تراث الفرق والفلسفات وقليل من يعملون في مجال إحياء التراث الأصلي المستمد من جوهر القرآن والسنة بعيداً عن وجوه الخلاف .

وكذلك فنحن في حاجة شديدة إلى التماس أسلوب الاصاله في تجديد التراث وأن يكون القائمون عليه مؤمنين بأمتهم وعقيدتهم فيجعلوا منه منطلقاً للنهوض والتجديد والبناء والتقدم ولا يكونوا عاملين على إبراز شبهات المشعوبين والباطنيين والملاحدة ، وأخطاء الزنادقة القدامى في إحياء شعر المجنون ، أو ما يتصل بالهال الباطل والضلال .

ونحن مطالبون بأن ننظر في التراث على أنه فيه الجيد والردى ، فعلينا أن نحقق الجيد ونترك الردى الذي كان حصاد معركتنا مع الفلسفة اليونانية وهي معركة امتدت ثلاثة قرون ، فكيف نهىء بكتاب عن المعتزلة اليوم ونعيد نشر

دون أن نضمه في مكانه من معركة عصره وظروف البيئة التي صدر فيها - وأنه
لخير لئلا ننق تراثنا من كل ما شابه من خلافات ومعارك وجدل واستغنى
كل إيجاني فيه فإن امر تلك العرق قد انتهى ولن يعود وعلمنا ان نتحرك داخل
اطار مفهوم السنة الجامعة الى استطاعت ان تقبل عقلانية المعتزلة ، وحببة أهل
البيت ، ووجدانية الصوفية ، وصمرت كل ذلك في اطار مفهوم الإسلام الجامع
بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، يرتبط بين العقل والقلب والروح والمادة ،
والدين والعلم ، والدنيا والآخرة ، وتلك هي احدى قضايا ألف مليون مسلم على
أبواب القرن الخامس عشر ، هذا وبالله التوفيق ،

فى مواجهة تحريف الفكر الاسلامى والترات

إن محاولات الغرب فى تصحيح فكره وبراذه ومحاولات التغريب فى الاعتراز به وإحاطته بشىء غير قليل من المبالغة والقداسة هى إحدى الخطط المسمومة المدمرة التى تواجه شباباً قليل التحصيل ، ينهار لأقل شىء ولأول نظرة ، ولو أنه استطاع أن يعرف دخائل الأشياء ويدرس ما بعد الظواهر ويستكشف الحقائق لوجد فى هذا الفكر الغربى الممروض عديداً من الثغرات والتعارض فهم يرددون عشرات الاسماء أمثال نيتشه ومنزل ودارون وفرويد ودستوفسكى وهيجل على أنها علامات على طريق النهضة والحضارة والعلم ويخدعوننا بهالتنسى بطولاننا وأعلامنا وعظماؤنا الذين انطلقوا من منطق (لا إله إلا الله) وعملوا فى سبيل الله خالصين ، واتسوا الحق فى تقوى من الله وإيمان ، ولو أننا ذهبنا نستعصى هذه الاسماء لوجدنا أنهم يخادعون كاذبون مضللون فى كثير مما يقولون وإن كنا لا نبخس الفكر الغربى ما قدمه من إيجابيات فى مجال العلم ولكن ذلك الإصرار على إعلاء شأن السلبيات فى مجال الدراسات النفسية والإنسانية فذلك هو الخطر الخطير .

لقد كانت دعوة نيتشه دعوة ظالمة ومضللة فى نفس الوقت حين دعا إلى قتل العاجز أو ترك المريض يموت دون العمل على شفائه أو إبادة الضعفاء . وقد لقى نيتشه مصيراً مظلماً غاية الظلم نتيجة دعوته إلى اعتبارها الاستعمار مبرراً لظلمة ، فقد عاش نحو عشرين عاماً وهو فى جنون يكاد يكون مطبقاً إذ كان فى الدور الأخير من السالف ، وهو مرض لم يقم جسمه فقط بل أمات ذهنه ، ولما مات مات مغموراً لم تره جريدة ولم تذكره جامعة حتى بعثه اليهود من بعد وقالوا :

لقد رتبنا نجاحه كما رتبوا نجاح دارون وغيره . أما أبطال دستوفسكى فكانوا من الشواذ والمرضى وجميع أبطال فرويد شواذ ومرضى وكره نيتشه أوروبا لأنها اعتنقت المسيحية وكذبت التجربة قول فرويد بأن كظم الشهوة الجنسية يؤدى

إلى اضطرابات شخصية وتبين فساد استغلال فرويد الأساطير وخاصة ما أطلق عليه مركب أوديت وهو أن الطفل يحب أمه حباً جنسياً ويحسد لذة جنسية في الرضاع . وكانت كتابات هافلوك أليس في الجفس والبغاء وكانت دعوة ولو إلى كتابة التاريخ البشرى العام دعوة صهيونية ولقد روج سلامة موسى لهذه الآراء وعاش حياته كلها ينقل عن فرويد وماركس ما يرضيه لأنه على الأقل ليس لديه منهج يهديه عن طريق تقييده . أما بالنسبة للجهاهير الجامعة فإن الأمر يختلف .

أما د مندل ، فقد ثبت أن قواعده غير في الوراثة غير محكمة . وأن مندل لم يكن على علم بالآفاق الجديدة للطاقة التي أوشكت النشوية أن تستشرقها من بعد وأهمها البترول الذي كان ظهوره ماملاً هاماً في قلب نظرية مندل والإطاحة بها .

لقد كانت الفلسفة الغربية فلسفة باطلة لأنها قامت على أنقاص البشرية بالقضاء على الضعفاء فقد جفت فيها ينابيع السخاء البشرى عندما دعت إلى قتل العاجز أو تركه يموت دون أن تعمل على شفائه وكان أقصى تلك الصيحات القول بالقضاء على الزنوج لحساب شعوب أرقى منهم ، وكان هذا تبريراً كاذباً للاستعمار والاستغلال لأن الأقوياء هم الذين يستعمرون ويقتلون الضعفاء بالوراثة وكان نيتشه في مقدمة الدعاة إلى إبادة الضعفاء كذلك فقد تبين للباحثين أن رأى دارون في تنازع البقاء الذي أخذت به الفلاسفات الاستعمارية هو خطأ محض وأن التعاون في الطبيعة أكبر أثراً من التنازع وأخطر ما يحاول التخريبون تفديسه فسكر هيجل وفلسفة ويمهدون به المادية والماركسية جميعاً ويرى هيجل أن الوجود حركة مستمرة تعتمد على التناقض فالحياة تحمل في طياتها الموت والاستعلاء يحمل أسباب السقوط ، وقد اكتشف هيجل قانون الحركة بعد أن ظل الغرب قروناً يؤمن بقانون الثبات الذي قال به أرسطو فانتقل الغرب من قانون الثبات جملة إلى قانون الحركة جملة ، وكلا النظرتين خطأ وتجاوز أما المفهوم الحقيقي فهو الذى قدمه الإسلام وهو مفهوم جامع بين الثوابت والمتغيرات . ويعنى مفهوم المذهب الجدلى (الديالكتيك) الجدل بمعنى التناقض وبمعنى الحوار ، وأصبح يشير إلى معنى الصراع ، الحركة ، التناقض . أصبح منهج التوتر والانقسام والصيرورة المستمرة بعد أن كانت مناهج القدماء من الفلاسفة قائمة على الثبات أصبح المنهج الجدلى يقوم على التغير والتناقض

وقد ترك المذهب الجدلي منذ عام ١٨٢١ ظله عن الفن والدين والقانون والسياسة
ومحور الارتكاز إنما هو مفهوم الكل والمجموع .

والمنهج الجدلي يستهدف الوتوف على البناء العضوى للوجود باعتبارها كلا
ليس كلا سكونيا بل كلا متحركا ديناميكيا فكل حى يتمتع بالحركة والصيرورة
والتجدد المستمر وان الوجود كل عضوى مترابط متناسق ولاكنه متحرك دائما .

هذا المفهوم تلافقه التلودية لعالمية لأنه يحقق هدفها فى مزيج البشرية واخراجها
من الفكر الربانى الاصيل . وهى ثلاث مفاهيم استقتها من الفلسفة المادية : التطور
من دارون : والتغير من هيجل والنسبية من نيتشه وكلها تستهدف القضاء على
الثوابت والقيم واليقين وتدفع البشرية الى الانفصال عن ماضيها وتراثها ومفهوم
الدين الحق .

هذا هو القصد فى مجال الفكر وهناك تحدى آخر فى مجال التراث ان التحدى
الغربى للاسلام والفكر الاسلامى لا يزال قائما فى مجال التراث يتمثل فى محاولة
حجب التراث الإسلامى الذى تحفل به مكتبات الغرب عن أهله المسلمين ، حتى
لا يعرفوا مصادر علم الغرب التى أخذوها من المسلمين ، وحتى لا يفتقدوا بترائهم
فى تجديد حياتهم وحتى يظهرهم على الجوانب السلبية وفيها التشابه والمخاط
والمضطرب ويستخلصون منه ما يروقهم ويملنوه فى نظريات لهم يفتحلوها وبحوث
يفخرون بها ويتهمون بها على الناس ثم يعرضون علينا تراثنا ناظرين اليه بعين السخط
فيتطفل أبناؤنا على فئات موائدهم ، المسلمون من غير التراث كالحجارة التى فقدت
دطامها الصدى الذى يؤمن لها الحماية الضرورية .

وهم حين يحجبون تراث الاسلام الاصيل عن أهله ويحولون بينهم وبين استعادته
لتجديد فكرهم وتصحيح تاريخهم ، تخدمهم بجدون الفكر الفلسفى والباطنى والصوفى
والاسماعيلى (ابن سينا والسكندى والفارابى واخوان الصفا والحلاج والسهروردى
والبسطامى وفلسفة الاشراق) كلها لا تمت الى العقيدة الاسلامية الصافية بصلة ،
ولقد ثبتت أخيرا أن فلسفة الفارابى فى تفسير النبوة يقوم على أساس تعاليم الباطنية

فقد استقى الفارابي والباطنية النظرية من مصدر واحد هو جمهورية أفلاطون وفلسفة أرسطو، وهناك أشارات كثيرة تجعلنا نحترس من تقبل آراء الكثيرين فأبو البركات البغدادي صاحب كتاب (المعتبر) في الحكمة هو يهودى اعتنق الاسلام (توفى ٥٦٠ هـ) وأفكاره ما زالت باطنية أما ابن مسكويه فقد اتصل بابن العميد ثم بعلاء الدولة الديلمي وفكره في فلسفة الأخلاق لا يمثل الاسلام من قريب أو من بعيد .

ويخضع هذا الفكر الذى يجمده الاستشراق ويعيد نشره في أفق المجتمع الاسلامى الى شبهة القول بأن آيات الله ظاهرة وباطنة وان هذا العلم الباطن لا يعلمه الا أئمة الباطنية المهيمنون على التأويل ، ولا شك أن من أشد الدعوات المطروحة فسادا هو القول بأن القرآن كتاب له ظاهرا وباطن أو انه كتاب مستور ومحجوب عند الجمهور ، او ما يتصل بأن هناك مصاحف عند بعض الفرق تختلف عن المصحف الامام وهناك فكرة العصمة وفكرة الرجعة . ان إعادة طرح هذه الشبهات والقضايا بعد ان اتمت انما يراد به تأخير وحدة الأمة وحلق مقامهم زائفة تعميق دخول المسلمين في عصر النهضة .

إن كل هدف القوى الغربية المعوقة للنهضة الإسلامية إبراز هذه الشبهات المسمومة التى تخطاها الفكر الاسلامى من وقت بعيد وإحياء التصرف القافى القائم على مفاهيم الاتحاد والحلول بهدف التخلي عن الالتزام الخلقى وعدم التأدب مع الله تبارك وتعالى ، كذلك إحياء مفهوم الاعتزال الذى وصل في بعض مراحلته وإخطاره إلى ما يمس مفهومه وجدانية الله وما استهلك الفلاسفة من جهد في وضع فروض فلسفية تزيع الأبصار وتدمر القلوب فقد حملت هذه الكتابات التى أذاعها أمثال ماسيتون وغيره مذاهب بعض المتصوفة في الحلول والاتحاد وتجاوز الألفاظ المذهبية في التعبير عن تجربة الانسان الباطنية هذه الأفكار التى كشف زيفها مفهوم أهل السنة والجماعة والتى كانت في فترة من الفترات تشكل تهديداً للأسس الراسخة التى شيد فوقها النظام الاسلامى والحضارة الاسلامية ، تلك التى اتبعشت عن التوحيد الحقيقى لله تبارك وتعالى والتجديد المعجز الذى لم تشهده الأديان الأخرى لصلوات الانسان بخالقه وصلته بالانسان والمجتمع .

قصه التراث والمعاصرة

من أخطر محاولات التغريب الفصل بين التراث المتقدم للأمم والثقافة المعاصرة بحيل وأساليب خادعة وكلمات براقة كالتطور وروح العصر والتجديد وكلمة ترمى إلى إحصاع التراث للعصر وإعطاء العصر حق القبول منه والرفض بحيث يسقط دوره الحقيقي الذي يجعله منارا هاديا وضوءا كاشفا للأجيال حتى لا تنحرف عن طريقها الأصيل وذاتيتها الحقيقية التي شكلتها منذ قرون طويلة ، وخاصة إذا كان هذا التراث كالتراث الاسلامي الذي يصدر عن عقيدة ربانية ومنهج أصيل .

ومن هنا تصطنع تلك المحاولات لاتقاص التراث ووصفه بأنه قديم وبأنه قديم وبأنه مضطرب وذلك في محاولة للقول بأن المجتمعات تستطيع أن تزيح هذا التراث وتبتكر من الحلول والأوضاع الجديدة المتفقة مع روح العصر وطبيعة التطور ما تشاء دون الخضوع للتراث أو استملاء روح العصر وطبيعة التطور ما تشاء دون الخضوع للتراث أو استملاء روحه ، والواقع أن الذين يرون في التراث ضوءا هاديا ومنارا كاشفا للامم حتى لا تضل طريقها ولا تتفضل عن ذاتيتها وقيمها لا يطلبون الخضوع للصور أو الأوضاع أو الحلول التي عاشها أصحاب التراث من قبل فذلك مما لا يطالب به إلا جاهل !متطور الأزمان والبيئات ، ولكن القصد هو أن لا يختلف عن الطريق ، أو تنحرف عن الجادة الحقيقية .

ولا ريب أن خصوم التراث لا يستطيعون أن يملأوا معارضتهم له في صراحة لأنهم يعلمون أن كلمة التراث أو القديم تحمل في أطوائها ذلك المنهج الأصيل الذي هو من صميم العقيدة ، والذي يرسم الطريق أمام الأمة في حركتها إلى الامام وفي تطورها وفي تقدمها فهو لا يحول بينها وبين التطور والتقدم ولكنه يحكم هذا في توازن وموازنة واعتدال ووسطية عرفت عن منهج الاسلام وإذا كان

هؤلاء الذين يحاربون التراث يهتدون في دعواهم الباطلة بما فعلت أوروبا فانهم يقارنون مع قصة مختلفة ، فليس التراث الغربى الذى وجدته أوروبا فى عصر النهضة الا مجموعة أشقات من تفسيرات رجال الدين ومن وثنية اليونان ومظالم القانون الرومانى فإذا جاء عصر النهضة ليدعو إلى الخروج عن هذا الركam لاقامة دين الانسانية الالحادى أو فلسفة التنوير اليهودية فان الأمر بالنسبة للمسلمين والاسلام جد مختلف فالمسلمون قد عرفوا منهجاً ربانياً أصيلاً ، لم يعتوره الاضطراب أو الانحراف أو الفساد لحظه واحدة وظل نصه القرآنى موثقاً لم يتأثر بتقلبات التاريخ ، ومن ثم فان التراث الاسلامى هو تفسير لهذا المنهج الربانى الثابت الجذور ، الواسع الاطر ، القابل لتغيرات الزمن والبيئة .

إما أن يدعو البعض إلى أن يسير التطور إلى غايته دون النظر إلى الأصول والثوابت فذلك ما يرفضه المنهج الإسلامى ، الذى يحمل من التطور حركة داخل إطار الحدود والضوابط وخاصة الاخلاقية التى لا تسيل إلى تجاوزها ، وإلا كانت حركة التطور عشوائية مندفعه إلى كل فساد واضطراب وخطر .

يقول الاستاذ عبد الله سلامة الجهنى : ان هذه المحاولة تهدف الى أن تجعل الثقافة المعاصرة وحدة متكاملة للانسان المعاصر - كما تدعى ذلك هيته اليونسكو ولذلك فهى ترى أن تراثنا الثقافى الاصيل لا قيمة له بالنسبة للثقافة المعاصرة التى تخطط لها وترسمها وجل هذه الثقافة المرسومة منهصرف الى تمجيد المادة لا الانسان وهنا نلمس الفرق بين خصائص تراثنا الثقافى الاصيل والثقافة المرسومة المعاصرة والفرق أن تراثنا يمجّد الانسان الربانى ، بينما الثقافة المعاصرة تمجّد المادة .

ومن أجل ذلك لا بد من التعرف على المصادر الصحيحة لتراثنا ، هذه المصادر ليست بالقطع ألف ليلة وليلة أو كتاب الحلاج وابن عربى وابن سبعين أو رسائل اخوان الصفا أو أشعار أبى نواس وبشار والضحاك وجماة الجان فهذا هو التراث الذى تبعثه اليوم قوى التغريب والغزو الثقافى لتفسد به عقليات ومفاهيم الاجيال الجديدة ، ومن الجانبات الأخر تلك الكتب التى تبرز عظمة الغربيين سواء فى مفاهيم المادية والوثنية أو فى فلاسفته وأبطاله ، حتى أن الدكتور طه حسين عندما

كتب « قادة الفكر » لم يذكر مفكراً واحداً من عالم الإسلام بل أن المفكرين اللامعين الذين نذكرهم اليوم في مجال الأدب والثقافة لم يكونوا إلا قناطر للفكر الغربي وتابعين له ودعاة لمناهج ومفاهيم سواء في الأدب أو الشعر أو الاجتماع . بل إن هؤلاء اللامعون من كتاب العصر اندفعوا في جراه لإعادة كتابة هذا التراث على نحو مختلف عن طابعه ووجهته وأخضعوه للذاهب المادية الغربية وكانت كتابات طه حسين لهامش السيرة والفتنة الكبرى زائفة ومنحرفة ، وكانت تفسيرات عبد الرحمن الشوقاوى وأحمد رشدى صالح للتاريخ الإسلامى خاضعة لمنهج التفسير المادى لتاريخ الذى لا يعترف بالوحى ولا بالنبوة .

لقد اعترف كثيرون بعظمة مذكورات التراث الإسلامى : اعترف به رجال القانون فى الغرب فيما يتعلق بالشريعة والفقه ، واعترف به رجال التربية فيما يتعلق بمناهج التربية والتعليم واعترف به رجال الاجتماع فيما يقدم من مفاهيم ونظريات فى بناء المجتمع واعترف به رجال الحضارة فيما رسم من منهج لقيام الحضارات وسقوطها واعترف به رجال السياسة فيما قدم من مفاهيم لاقامة نظام الحكم ، واعترف به رجال الاقتصاد فيما ذخر به من نظريات فى عالم الاقتصاد والمال . كما اعترف رجال العلم التجريبي بما حوى تراث الاسلام من معطيات فى مجال الكيمياء والعلوم والطب والبحر والجو والجغرافيا .

ولقد أفاد الغربيون كثيراً من هذا التراث للضخم ، وضموا ثمرات ذلك التراث إلى أعمالهم ، وحجبوا هذه النصوص عن المسلمين ، وما سمحوا بنشر شيء إلا تلك الكتب المضطربة التى كتبها الشعوبيون والمتابعون للفلاسفات اليونانية والفكر الباطنى والحلول والاتحاد ووحدة الوجود وشعر العشاق والمجان وكتب أمثال الأغاني وألف ليلة وغيرها .

وهدفهم من طرح هذه السموم فى أفق الفكر الإسلامى أن تفسر جوهر هذا الفكر الاصيل القائم أساساً على التوحيد والعدل والرحمة والأخاء البشرى .

إن علينا أن نتعامل مع التراث الإسلامى على الأقل كما تعامل معه الغرب فى استخلاص تلك المعطيات للانتفاع بها فى بناء مجتمعاتنا الإسلامى الجديد .

أو على حد القائلين : « الحوار مع التراث من أجل إرساء قواعد تربية خلافة » .

(٢)

في مواجهة الأدب

(١) الأدب العربي والمذاهب الغربية

(٢) فضايا الأدب في ضوء الإسلام

(٣) جبران وأطروحة المهجريين

(١)

الأدب العربي ومقاييس المذاهب الغربية

لا ريب أن الأدب هو واحد من عناصر الفكر، يستمد منه وجوده ويتحرك في دائرته ويختص بالتعبير عن النفس الانسانية في تركيبها القائم على عقيدة الامة التي يمثلها وثقافتها .

وأدب أى أمة هو نتاج عواطفها ومشاعرها وعقولها ، وهو عبارة مزاجها النفسى وطابع روحها ، وهو فى نفس الوقت مرتبط بهذه الامة : أرضها وسماؤها وقبيلها وتقاليدما وأحداثها ومجتمعها . فهو عبارة وجهة نظرها إلى الحياة مستمدة من داخلها ومن هنا كان الاختلاف بين أدب أمة وأدب أمة أخرى ولا ريب أن الأدب هو نتاج الفكر الاسلامى وعناصره التى لا ينفك عنه ، تمثل المزاج النفسى للعرب الذى شكل الاسلام وثقافتهم وعواطفهم ومشاعرهم وعقولهم وكون طابعهم الروحى والنفسى .

والادب العربى : أدب أمة عريقة وأدب لغة عريقة تشكل فى صورة كاملة بعد ظهور الاسلام الذى جمع العرب فى الجزيرة العربية فكان عاملا فى تحويل القبائل العربية إلى أمة تامة ، وبذلك يمكن القول بأن الأدب العربى قد تشكل فى صورته الحقيقية بالاسلام ، ولا يمنع هذا من وجود (ديوان الشعر القديم) وما يتصل به من أسجاع السكبان وهى فى مجموعها لا تشكل صورة الادب بمفهومه الفنى ولا بمعامله الاصلية ، التى وضحت بعد نزل القرآن : الذى كان هو العامل الاساسى فى بناء الادب العربى الاسلامى وظهور فنونه وعلومه ومناهجه .

أساليب النقد :

واللغة العربية سابقة على الاسلام ، وهى عماد وجود الامة العربية ، وهى لغة تطورت ونمت خلال مئات السنين حتى وصلت إلى صورتها التى عرفت بها قبيل الاسلام وإن ظلت لها لهجاتها المتعددة فلما نزل القرآن الكريم انصهرت اللغة

العربية في لهجة واحدة ثم كان أن أعطاها القرآن — كما أعطى الأدب العربى — هذا البيان المعجز الفائق الذى فهمه العرب وأعجبوا به وعجزوا فى نفس الوقت عن الانيان بمثله .

وفى مجال أدب اللغة العربية بمجد الامة العربية كانت مجموعة من القبائل التى لم تجتمع تحت أى لواء سوى الاسلام ولكنها كانت ذات قيم وتقاليدها لها طابعها الذى أورثه لإياها مكانها فى هذه الجزيرة شبه المنعزلة عن حضارتى عمالها : حضارتى الفرس والرومان : هذا الطابع البدوى الخالص الذى أهلها لتلقى رسالة إنسانية كبرى كالاسلام فقد حماها وجودها المنعزل عن أن تذوب فى مقارف الحضارات وانحلالاتها ويمكن لها من تنمية قيمها .

كل هذه العوامل أعطت أدب اللغة العربية ذاتية خاصة وطبعته على نحو خاص يختلف به عن آداب الامم الاخرى فظهرت فنون لم توجد فى الآداب الاخرى واختفت فنون وجدت فى الآداب الاخرى ، وظهور هذه الفنون فيه واختفاء تلك الاخرى منه لا ينقص من قدره ما دام يصدر من أعماق روحه الطبيعية ومقوماته الخاصة .

ومن هنا فإن هذا الأدب لا يدرس على ضوء مناهج وضعت لآداب أخرى ذلك أن أساليب النقد والبحث إنما توضع للأدب بعد ظهور هذه الآداب ، ولذلك فهى مستمدة منها ولا يمكن العكس .

ومن هنا فإن مذاهب الأدب التى يحاول النقاد محاكمة الأدب العربى عليها هى فى جملتها مذاهب غربية وضعت مسمياتها ومناهجها بعد قيام ظواهرها فى الآداب الاوربية وهى فى الحقيقة ليست مذاهب وإنما هى أسماء عصور : كالكلاسيكية والرومانيسكية وغيرها ، وهى اتصلت فى مجموعها بتاريخ الامم التى وضعت هذه المذاهب فلماذا تنقل لتكون قوانين يخضع لها أدبنا الذى يختلف من حيث تكوينه وطابعه وتاريخه ويمتثله ومظاهر حياته عن هذه الآداب ؟ !

اختلاف المقام :

هذا من ناحية النقد ، أما من ناحية أصول الادب نفسه : أصول الشعر والنثر والقصص والتراجم ، فلماذا يخضع الادب العربي لقواعد مستمدة من آداب تختلف عن الادب العربي : مزاجا وشكلا وطابعاً :

وهل يمكن أن يقال أن هناك أصولاً يعضها الاوربيون لتخضع لها الآداب في العالم كله ؟ وإذا قالوا هم ذلك فهل نقبل نحن ذلك ، والادب العربي عريق الجذور وسابق لهذه الآداب كلها في النشأة والتكوين ! هل نقبل أن يخضع أدبنا لقواعد غريبة عنه ، أن يخضع أدبنا لقواعد غريبة عنه، بينما يشكل أدبنا بوجوده أربع عشر قرناً قواعد وقياً مستمدة من جوهره وطوابعه !

إن اختلاف المصادر والمنابع بين الادب العربي والآداب الغربية تجعل من السير خضوع الأدباء لمقاييس واحدة ولقوانين واحدة ، والمعروف أن الآداب الغربية جميعاً تستمد مصادرهما من الادب الهليني والفلسفة اليونانية والحضارة الرومانية ، فقد اتجه الادب الاوربي الحديث منذ اول ظهوره في عصر النهضة إلى هذه المنابع وربط نفسه بها وجعلها أساساً ثابتاً لمختلف وجهات نظره ومفاهيمه وقيمه . واتخذ من النظرات التي قدمها أرسطو في الادب والنقد والشعر وغيره أساساً له ، ولا ريب أن هذه الحصيلة التاريخية الضخمة وهذا التراث الاغريقي الروماني يقوم على أساس يختلف اختلافاً واضحاً عن الاساس الذي يقوم عليه الادب العربي الذي استمد مصدره أساساً من القرآن الكريم والاسلام والقيم العربية الاصلية التي تلاقت مع مفاهيم الاسلام وانصهرت معها ، ومن هنا كان ذلك الخلاف الواضح والتباين الكبير بين المشاعر والمواطن والاحاسيس في كلا الأدبين .

ولا شك أن هذا الاختلاف البعيد المدى في طبيعة البيئة وفي طبيعة النفس الإنسانية وانعكاس هذه البيئة عليها يجعل من المستحيل التقاء أدبي العرب والغرب في جهة واحدة ، أو مشاعر واحدة ومن ثم فإنه من المستحيل أن يخضع كلا الأدبين إلى قوانين واحدة ومناهج في الصياغة والنقد والبيان والمضمون واحدة .

العلماء الخمسة :

هذا هو أهم أوجه الخلاف بين الأدبيين العربى والغربى وهو خلاف عميق اشتد العمق ، متصل بالنفس الإنسانية باعثة الأدب ومنشئته ، ومن ثم فإن خضوع الأدب العربى لقوانين وقواعد ونظم قامت أساساً فى حيلة الأدب الأوروبى وفنونه أمر بالغ الخطار وبعيد الأثر .

هذا هو التحدى الأول ، الذى يواجهه الأدب العربى فى مطالع القرن الخامس عشر من حيث نرى تلك المحاولة الخطيرة لاختضاع الأدب العربى إلى مذاهب سانت ييف وتين وبروتير مع أن هذه المذاهب قد صيغت لتقويم الأدب الغربى واستمدت مفاهيمها من الفلاسفة المادية ونظريات فرويد للتحليل النفسى ونظريات دوركام فى علم الاجتماع .

وقد أشار ستانلى هاين فى كتابه (النقد الأدبى ومدارسه الحديثة) إلى أن النقد الأدبى الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم : دارون وماركس وفريزر وفرويد وديوى . أما دارون فقد جاءت منه الفكرة بأن الانسان جزء من النظام الطبيعى (أى أن دارون قد نظر إلى الانسان على أنه حيوان وطبق عليه عليها كل ما يطبق على الحيوان والحشرات) .

أما ماركس فهو الذى ذهب إلى أن الأدب هو الذى يعكس ولو بطريقة ملتوية أحيانا العلاقات الاجتماعية والانتاجية لهذا العصر أو ذاك . أما (فرويد) فهو الذى يرى أن الأدب تعبير متنع ، وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة قياساً على الأحلام ، وأن هذه المعتقدات تعمل حسب مبادئ معروفة وفكرته أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقع وراء الوعى وأن بين الرقيب والرغبة فى التعبير صراعاً مستمراً .

أما (فريزر) فهو صاحب الأفكار عن السحر البدائى والاسطورة البدائية وأن هذه كلها تكمن فى أساس أعلى النماذج والموارد الادبية .

أما (ديوى) فهو يرى أن قراءة الأدب وكتابته ليست إلا صوراً انفعالية

إنسانية يمكن أن تقاس بأى فمالية أخرى وأنها خاضعة للقوانين نفسها .

هذه المفاهيم التى قامت عليها نظرية نقد الادب تكشف فى وضوح عن الأساس المادى المفرق فى المادة الذى تعتمد عليه والذى يتعارض تعارضا كاملا مع مختلف قيم الادب العربى ومفاهيمه وأساسه حتى حين يتصل هذا الادب بأخطر انحرافات فى مجال الغزو والكشف ، وأخطر ما تحمله هذه المناهج هى إزدراء (أخلاقية) الادب واحتقارها والتخلى عنها .

مراحل وليست مذاهب .

والمنهج الاجتماعى الذى كان أبرز المناهج فى مجال النقد الادبى إنما يقوم على مفاهيم الفيلسوف دركايم اليهودى الأصل والمادى الزعة . وقد استمدت نظريات تين وسانت بيف وبرونتيير التى أغرقت نقد الادب العربى مفاهيمها من الفلسفة المادية الدارونية التى ترى (إن الإنسان بمواهبه ومعنوياته . إن هو إلا أثر من آثار البيئة بمعناها الاجتماعى الواسع ولا يكاد يفرق عن الحيوان والنبات فى انتفاء الحول وانعدام الإرادة) .

فضلا عما أثبتته (تين) : من أن الفضيلة والذيلة ليستا إلى حد كبير الانتاجا لعملية تلقائية مثل الاحماض والقويات وأنهما متتوجات مثل الزواج والسكر هذا بالإضافة إلى أثر نظرية الذشوء والتطور الواضح الاثر فى هذه المذاهب الادبية والتى تنسك الإنسانية الإنسان وإرادته وقيمه الوجدانية والروحية وتشبهه بالحيوان الذى لا حول له ولا قوة والتى تنظر إليه على أنه شىء تافه جدا فى السكون وأنه تحت رحمة القوى المحيطة به ومن ثم فإن الإنسانية - عندها - ليست إلا نتاجا عارضا لوراثة والبيئة .

ويرى أكثر الباحثين أن (تين) قد اشتط فى اتجاهه المادى فى مفهوم النقد الادبى إلى أن أصبح من موارد الحتمية التاريخية أو الجبر التاريخى وهذا هو المذهب الذى قدمته فى الجامعة المصرية القديمة (تليمو وكازنوف) ، ولا ريب أن هذه المذاهب فى النقد الادبى تبدو معارضة لمفاهيم الادب العربى وقيمه معارضة كاملة ولا تصلح لأن تكون منهجا يطبق على الادب العربى القديم أو الحديث ، ومن

ثم فإن كثيراً من الأحكام التي صدرت على هذا الأدب لم تكن صحيحة لأنها اعتمدت في الأصل على مذهب لا يصلح تطبيقه على الأدب العربي .

وكشف كثير من الأدباء عن الخطأ البالغ في التماس مفهوم (الكلاسيكية) أو (الرومانتيكية) أو (الواقعية) كذهاب يحاكم على أساسها الأدب للعربي ، ذلك أن هذه الأسماء ليست في الحقيقة مذاهب بقدر ما هي مراحل تاريخية ظهرت في عصور متوالية وفقدت مكانها واحدة بعد الأخرى ، وأفسحت لمراحل أخرى جاءت بعدها نتيجة للتطور السياسي والاجتماعي في بلادها ، فلماذا نظل نحمل مكان الصدارة في الحكم على أدبنا العربي بينما يمكن للأدب العربي أن يشكل مراجعة أدبية ترتبط بتاريخه وتطوره السياسي والاجتماعي .

الأدب ودائرة الفكر :

ومن القضايا الأساسية التي هي بمثابة التحدي مسألة حرية الأدب واستقلاله أو تقرير مكانة من دائرة الفكر .

ولقد كان من أخطر المفاهيم الوافدة : الدعوة إلى فصل الأدب عن دائرة الفكر ، وإعطائه الحرية المطلقة في التعبير دون الانتفات إلى مسؤولية الأدب في المجتمع والأسرة وعلاقته بالدين والقومية ، فاستطال الأدب واندفع يشق طريقه إلى مختلف قطاعات الفكر دون دليل واضح أو دراسة عميقة ، فقد تطرق الأدباء - وهم غير متخصصون - إلى مجالات التاريخ والفلسفة والمقائد والأخلاق ليصدروا فيها أحكاماً جريئة مستمدة من نظرتهم الأدبية الوجدانية والمتأثرة بمذاهب الغرب في الحرية والكشف والانطلاق .

وقد واجه هذا الاتجاه معارضة وردا في سبيل تحديد دائرة الأدب ودفع خطر التدخل بين دوائر النشاط العقلي المختلفة وكف عدوان بعضها عن بعض وأشار كثير من الباحثين ومنهم فريد وجدي إلى هذه المحاذير التي جاءت نتيجة تدخل الأدباء فيما ليس من اختصاصهم من المباحث الدينية .

الأدب المكشوف :

لا ريب أن أبرز ما يواجه الأدب العربي من تحديات هو مذهب والنزاع

هذا المذهب الوافد الذي حمل لواءه المستشرقون ودعاة التغريب والشعوبية ، وهو يهدف إلى تحرير الادب من طابع الاخلاق ودفعه إلى تصوير الغرائز والاهواء في غير ما قيد وذلك باسم حرية الادب ، ولقد بدأ هذا الانحسار بظواهر ثلاث :

(١) الافاضة في الحديث عن حياة بشار وأبي نواس والضحاك وغيرهم من شعراء الاباحة في العصر العباسي ونشر الجوانب الشاذة من أحاديثهم وأسماءهم

(٢) ترجمة القصة الفرنسية الاباحية والكشف عن جوانب الصراع الحسى في العلاقات الشاذة بين الرجل والمرأه وترجمة أشعار بوداير وغيره من شعراء الادب المكشوف .

(٣) الاذاعة بمذهب حرية الادب والدعوة إليه والدفاع عنه وفق منهج على زائف بدعوة أنه منطلق لإنسانى أصيل .

وقد لقيت نظرية حرية الادب ومعارضة الاخلاق نقداً ودحضا شديدين مصدره تعارضها مع طابع الادب العربى أصلاً . وكشف الباحثون المنصفون عن أن حرية أبى نواس وبشار وغيرهم لم يكن مصدرها الادب العربى أو مفاهيم الاسلام الاجتماعية وإنما كان مصدرها تطلعاتهم الحسية وأهدافهم الشعبوية التي أرادوا لإذاعتها والجهربها لهدم مقومات الادب العربى الاصيله وإعلاء مفاهيم المجوسية والاباحية التي كان الادب العربى قد تحرر منها بعد الاسلام .

وقد استغل بعض المكاتب في العصر الحديث هذه الاطروحات في سبيل توهين القيم الاسلامية والقضاء على الاخلاق والتقاليد والاعراف الاسلامية - حين يرون أنها تعوق الفن وتحول دون ترقى الادب . وقد دحض هذا المفهوم كثير من الباحثين وفي مقدمتهم الدكتور محمد أحمد الغمراوي حين قال : إن الفطرة كلها منشأ واحد ، هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد أجمعا على استحالة التناقض في الفطرة فإذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجب ألا تتخالف أو تناقض دين الفطرة : دين الاسلام في شؤ . فإذا خالفته في أصوله ودعت صراحة وضمناً إلى رذيلة من أمهات الرذائل التي جاء الدين لا يحاربها على

(م - ٧ - المد الاسلامى)

الانسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقي في النفس والروح ، إذا خالفت الفنون الدين في شيء من هذا أو في غير هذا ، فهي بالصورة التي تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانب الحق ، ودأبرت الخير وأخطأت النظرة التي فطر الله الناس عليها والتي تريد الفنون أن تكون منها في الصميم ، فإذا كان من شأن بعض من يعمل أو يكتب باسم الفن والادب أن يتجاوز في تأثيره مما سبق فيحول بين الانسان وبين ربه ويدخل عليه الشك في دينه بأي صورة من الصور ولائى حد من الحدود ، كان ذلك البعض المعمول أو المكتوب باسم الفن . أو باسم الادب زورا وافكا من الفن والادب والفطرة والدين على السواء . فالمسألة في الادب ليست مسألة لفظ ومعنى فقط ، وليكنها في صميمها مسألة روح : فريق يريد أن يجعل روح الادب روحاً شهوانياً بحيثاً يتمتع صاحبه بما حرم الله لاما أحل ، لا يفرق بين معروف ومنكر . ثم يصف ما لقي من ذلك من لذة أو ألم أو غيرها من ألوان الشعور ، ويخرج ذلك للناس على أنه هو الادب . وفريق يريد أن يحيا الحياة الماضية في حدودها الواسعة التي حدها الله وبمظاهرها المختلفة في الفطرة كما طهرها الله لا كما دنسها الانسان ، والمقاييس الذي انتهينا إليه في الفن والادب في الصميم ، أليس روح الفن والادب الجمال . أليس الجمال الفنى : روح الجمال الانسانى .

المصادر الزائفة

ولا يزال من أشد التحديات التي تواجه الادب العربى خطرا مسألة المصادر والرأى في كتب المحاضرات والنوادر وما سجله الرواة والقصاصين من أخبار وهل تصلح كمصادر علمية يمكن الحكم عن طريقها على الامم والمجتمعات حاكماً صادقاً لا شبهة فيه .

ومن اليقين الذي لا شك فيه أن كتب المحاضرات وروايات القصاصين ليست مصادر علمية صحيحة وإنما هي مراجع زائفة اعتمد عليها خصوم الادب العربى والفكر الاسلامى من أجل ترويع آراء كاذبة مضللة . ذلك أن هذه المؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب حسب أصول العلم والبحث وإنما كتبت

حسب أصول العلم والبحث وإنما كتبت للنسلية والترويح وقصدها جمع الفكاهات والنكتات والاحاجي والقصص الصادق والكاذب لإغراق المجتمعات بالارهام والباطيل.

من هذه ما كتب إسحق بن إبراهيم الموصلى وابن خرداذبة والمروزي وابن المرزبان وكذلك ما كتبه أبو بكر الصولى الذى مات مستترا بالنصرة لأنه روى خيراً زائفاً عن على عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لقتله وله من الكتاب الاوراق فى أخبار الخلفاء والشعراء . ومن هذه الكتب ثمار القلوب للثعالبي فالثعالبي مهما علت منزلته فى الادب فليست له منزلة ما فى فن الحديث ونقد رجال الرواية وهو أديب يحب الفكاهة ويروى النكتة . ومن هؤلاء الاصفهاني صاحب الاغانى الذى قال عنه النوبختي أنه أ كذب الناس لأنه يدخل سوق الوراقين فيشتري منها كثيراً من الصحف ثم يحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منها .

وقد ظلت هذه المؤلفات مجهولة ضائعة حتى جاء المستشرقون والمبشرون فى العصور الاخيرة فكشفوا عنها وأعادوا طبعها وإذاعوها فى العالم الإسلامى كله وأخرجوا أغلبها فى طبعات فاخرة وأوعزوا إلى تابعيهم من دعاة التفریب الاشادة بها والنقل عنها واعتمادها مصدراً من مصادر التأليف .

وكان كتاب الاغانى من أخطر هذه الكتب التى حاول بعض الباحثين أن يحملها من المصادر الأساسية للبحث الاذى بالرغم من أن العلماء الصادقين يرون بأن هذه الكتب تقصد إلى الفكاهة والنسلية فكيف تكون ميزاناً يوزن به رجال التاريخ وتؤخذ منه تراجم العظماء .

واعتماداً على كتاب الاغانى أصدر الدكتور طه حسين رأيه الذى قال أن القرن الثانى للهجرة كان عصر شك وبعون اعتماداً على شعر أبى نواس وبشار والضحاك وحامد عجرد بالرغم من أن هذا العصر كان حافلاً بعشرات العلماء والباحثين والفقهاء ولا يمكن أن يحكم على عصر عن طريق قلة من هؤلاء المجان الذين كانوا معزولون عن مجتمعاتهم مكروهون فى مجتمع حافل باليقين والورع والزهدة والاحتشام ، وكيف يمكن أن يكون هؤلاء هم نموذج العصر بينما يعيش فى هذا

انجتمعت : حسن البصرى ومحمد بن إدريس الشافعى ومالك بن أنس وأبو حنيفة
والنعمان ومالك بن دينار وعبد الله بن المبارك وربيعة الرأى ورابعة العدوية
وابن شبرمة ومحمرو بن عبيد والشمعى . . والاعتماد على كتاب الاغانى فى
استخلاص هذا الرأى باطل : ذلك أن صاحب الاغانى يحدثنا فى مقدمته بأنه
قصد فى كتابه إلى الله والتسليم وقبل أن يقصد العلم والتاريخ ، أما شعر الماچنين
وحياتهم فلا ينمضان دليلا على فساد عقيدة عصر وأخلاقه .

o o o

هذا جانب من التحدى الذى يواجه الادب العربى فى دراساته ونقده
ومناهجه .

اما الادب العربى الحديث فان هناك تحديات أخرى تحتاج إلى بحث خاص

قضايا الأدب في ضوء الاسلام :

ما يزال كتاب ألف ليلة وليلة موضع اهتمام الاستشراق ، في محاولات متعددة للإدعاء بأنه يمثل المجتمع الاسلامى وهى دعوى باطلة وزائفة ، فان القصص التى يتضمنها هذا الكتاب هى جماع أساطير وخرافات عرفتها بلاد فارس والهند وغيرها قبل ظهور الاسلام ، وما أضيف إليها من قصص بعد ذلك هى قصص يهودية أو من أحاديث طفولة الشعوب ، وهى فى مجموعها تحاول أن تصور مجموعة من المفاهيم لا تمثل المجتمع الاسلامى بحال . وقد كانت ألف ليلة من أهم الاعمال التى حرصت دوائر النشر والاستشراق على طبعها ونشرها بصورة أو بأخرى ، فى مختلف الهللاذ التى تتكلم العربية ، وكانت جزءا من الخطة التى جمعت شعرا فارسيا قديما يدور حول الخمر والفسق والفجور ونسبته إلى عمر الحيام وقامت الدوائر الغربية بترجمته وإذاعته وجندت له عشرات الادباء العرب لترجمته وإعادة صياغته وبعد أن نشرت ألف ليلة جاء أساتذة النقد الادبى تلاميذ الاستشراق والتغريب ليجعلوها هى وكتاب الاغانى مرجعا علميا أساسيا للبحث فى الادب مع أنها لا تمثل بأى مقياس من المقاييس دور المرجع العلمى ، ثم جاء طه حسين فأخذ يمدد ألف ليلة فى صورة حديثة ، فلما تناولت الحملات على ألف ليلة وفساد أسلوبها وغلبة الأسلوب العامى وطابع الجنس عليها ظهرت محاولات لتنقية ألف ليلة من هذه العبارات الساقطة والتركيز على طبعة جديدة ، أخلاقية ، وهو يضا من أساليب المذكر الشديدة الخطر وجمات الدعوة أخيرا إلى أنه من كنوز التراث والفلكلور .

ولقد بلغ من تركيز الاستشراق على كتاب ألف ليلة أن قال أحدهم أن ألف ليلة وليلة الكتاب الاول فى أوروبا بعد الكتاب المقدس ؛ وذلك بعد أن صدرت منه مئات الطبعات التى تتناسب مع هذه جميع الاذواق والاعمار بل أنه طبع باللغة الفرنسية قبل أن يطبع باللغة العربية بمائة سنة ، عندما نشره المستشرق

الفرنسي غـلان بعد ترجمه إلى الفرنسية ١٧٠٤ بينما لم يصدر بالعربية إلا عام
: ١٨١٨

وتجرى المحاولات الجديدة لتقديم ألف ليلة مرة أخرى محررا من العامية
والافاظ الماخجة في نطاق الدعوة المتجددة إلى طرح سموم جديدة في أفق الادب
العربي والفكر الاسلامي ويحيى ذلك مع إدعاء المستشرقين بأن الكتاب عربي
وان من قصصه من جرت حول صفاق دجلة والفرات والنيل وذلك لمحاولة
تمبيح حقيقة الكتاب الذي هو الحقيقة بمجموعة من القصص الفارسية والهندية الوثنية
قد أعيدت صياغتها على نحو خادع وما كر .

وأبرز معالم أهميتها في نظر التغريب انها تقدم مجموعة ضخمة من الاساطير
وأساليب المحر والاحاديث عن الجن والحرافات وكثير من مظاهر المجوسية
واليهودية والباطنية وهو جماع الركام القديم الذي قضى عليه الاسلام بعد ظهوره
كافضى على الركام الفلسفي الوثني ولا عبرة بما يقال من أن ألف ليلة أشبه بالاباظة
والانباظة فهذه كلها كلمات جوفاء لا قيمة لها .

ولذا كان اليونان والاعريق يفخرون بالاباظة والانيادة أو يفخر الهنود
والفرس بتلك الكتب القديمة فان المسلمون لا يفخرون بشئ من ذلك وفخرهم
الوحيد هو القرآن الكريم: ذلك الكتاب الذي نقل البشرية من طفولتها وأساطيرها
وخرافاتها إلى أسلوب الصدق والحق والتوحيد الخالص فافخر المسلمون
والعرب بشئ غيره .

ونجد اليوم دوائر التغريب تحتفل بهذا العمل الذي يقوم به قدرى قلجى
فتفرد له المجلات العربية صفحات وصفحات ، وإذا كان قدرى قلجى قد حرر
نفسه من المذهب الماركسي فانه مع الاسف قد خر صريحا مع الدعوة الشعبية
التي نعل من شان الاساطير والحرافات تحت اسم الادب الشعبي أو التراث الشعبي
أو الفلكلور .

وم يهدفون من إحياء ألف ليلة وتجديدها إلى عدة أمور : منها إغراق
الشباب المسلم الجديد في هذه الاساطير والوثنيات والحرافات المتداخلة من قصة

إلى قصة ومنها الادعاء بأن ما تحويه ألف ليلة هو صورة المجتمع الإسلامي وهي
فرية منكرة ومنها محاولة الادعاء بأن الادب العربي قام على أصول يونانية وفارسية
مع أن الادب العربي الاصيل رفض هذه الصور وأنكرها كما أنكر الفكر
الإسلامي الفلسفات اليونانية والفارسية .

لقد صفى الاسلام وكتابه القرآن العقلية العربية الاسلامية من جميع موروثات
الوثنية القديمة وحررها منه تماما وفصل بين قيمة الرفعية ومفاهيمه الربانية ،
ومنهجه القائم على التوحيد وبين كل هذا الركام القديم ، غير أن التغريب يحاول
اليوم إعادة طرح كل هذه السموم مرة اخرى في افق الفكر الاسلامي والادب
العربي وذلك عن طريق دعاة يكتبون له دراسات لاهياء هذه الوثنيات القديمة
وبعث الروح فيها وتقديمها بلغة العصر .

نشأ الشعر الحديث نشأة دليقة ، فقد خرج من أحضان الأصالة التي عرفها الشعر العربي المنظوم ، ذلك أن الذين التمسوه أسلوباً للتعبير كانوا في حقيقة أمرهم متغربون ، تابعون لمفهوم وافد من الأدب العربي الذي قام منهجه وطبيعته الشعرية مختلفة عن النظم العربي ، وكافوا من حيث المضمون بتسيطر عليهم فكرة الخروج عن القيم والضوابط والمعامل التي يدور فيها الشعر العربي الأصيل .

وكان أبرز هذه المعالم التي اغرب فيها الشعر الحديث سيطرة الأساطير والخرافات القديمة إليه والدعوة الملحة إلى إحياء هذه الوثنيات وذلك حين أخذ برموز الصلب والخطيئة وهي مفاهيم نصرانية وافدة ليس لها أصل في معين التراث العربي الإسلامي ، فضلاً عن الاحساس بالسخرية الواضح لكل مقومات الدين والأخلاق وتبني نظريات الفن للفن وإعلان الجماليات على الأخلاق وسيطرة مفاهيم الأدب اليوناني والأغريقي التي تركز على الجنس والحسد والالذة والدوران في فلك مفهوم سارتر النفسي وفرويد الفكري والجرى في طريق دوركايم الكاره للفطرة والأسرة والزواج والراغب في الجريمة والاباحية فضلاً عن سيطرة الفكرة الماركسية أساساً بمختلف مفاهيمها الاجتماعية والأدبية على الوجدان الشعري فضلاً عن قصور المفاهيم الإقليمية القومية الضيقة .

نرى هذا واضحاً في أشعار صلاح عبد الصبور وادونيس وخليل حاوي ونزار قباني والبياتي .

ولاريب أن حصيلة الشعر الحديث قد أكدت أن هذا الاتجاه بعيد عن الفطرة التي فطر عليها الأدب العربي وأنه نبت لا جذور له ، وأن التجربة التي احتضنتها قوى معينة ودفعت بها إلى آفاق الصحف قد باءت بالفشل وانحدرت ولم تلبث أن ماتت ، وقد كان ذلك نقيجة أمرين : أن التعبير نفسه هابط ومستواه الشعري ضعيف وأنه ليس شعراً بالمعنى الحقيقي وإنما هو أقرب إلى عبث النشر وأهم من ذلك أن المضمون نفسه مازال تافها ومنحطاً ومتدنياً وساذجاً وطفولياً وإذا كان بعض هؤلاء يدعون أنهم إنما يصورون ، أزمت الإنسان ، فإننا نقول لهم

أن كتاباتهم لا تدل على شيء من التجربة ولا من عمق المعرفة بآفاق النفس ، ولا من التأمل العميق الذى عرفه الشعر العربى الاصيل ، ذلك لان العطاء إنما يأتي من منابعه ، فأين منابع أمثال هؤلاء السذج الاغرار الذين لم يلبث أحدهم أن أمسك بالقلم فكتب شعرا ، وأين آفاق التجربة النفسية عند جماعه الماديين والاباحيين والشعوبيين وليس لهم رصيد من الحكمة أو العلم أو الايمان بالغيب أو معرفة عوالم النفس والروح والمعنويات والقيم التى تهضم الانسان .

وليس من يرب أن وراء الدفع لهذه الموجة المنحرفة قوى تهدف بها إلى تحقيق غايات بعيدة من التأثير فى البنيان العربى الاصيل واللغة العربية الفصحى ، وهدم عامود الشعر الذى هو الشق الثانى للبلاغة العربية ، والمهدف هو إشاعة روح العاميات وتخلخل البناء القوى المتين الذى يقوم على مستوى بيان القرآن وبلاغته وذلك للمحاولة إلى ايجاد/حاجز باستحداث أساليب هامية نازلة تفصل العرب عن إطار القرآن والمثنية .

ولا ريب أن بعض قادة هذه الحركة هم فى تقدير كثير من الباحثين من الشعبوية وقد ساوقت هذه الحركة ارتفاع المد الماركسى فى البلاد العربية غير أنها لم تستطع أن تثبت بعد ان تحطمت الايدى التى كانت ترفعها وتحمىها ولو كانت لها أصالة حقيقة لثبتت واستمرت .

(٣)

جبران وأطروحه المجهريين في الغريب

أعلنت هيئة اليونسكو أن عام ١٩٨١ م هو عام جبران خليل جبران ، وكتب كثيرون في صحف مختلفة عن شخصية هذا الاديب الماروني المجهري ، الذي شكل هو وجماعة من أصحابه في د بوسطن ، جماعة أدبية كان لها دورها في طرح مفاهيم مسمومة وتغريبية عن اللغة الغربية ، ومفاهيم الاخلاق والقيم عن التراث الاسلامي وقد حاولت هذه الجماعة إحداث لغة توراتية بديلة لفصاحة اللغة العربية القرآنية ، حملت لواء أفكار د نيتشه ، التي تحمل فكرة قتل الضمياء وقد حملت في مجموعها روح التشاؤم والنفخ في بوق التمرد والعصيان وإحلال روح الشك محل اليقين ، والتمرد محل السباحة .

وكانت هذه المدرسة قد انطمرت معالمها منذ وقت طويل ، وكشفت حركة اليقظة عن فسادها فامعنى إعادة الدعوة إلى إحياء كتابات جبران وإعادة طبع كتبه في ثوب أنيق واستغلال أدوات الاعلام عاما كاملا ، إلا أن يكون الهدف هو إعادة طرح هذه المفاهيم مرة أخرى في أفق الفكر الاسلامي والادب العربي .

° ° °

والواقع أن مقياس أصالة أى لون من ألوان الادب هو اقترابه من مقومات الامة وقيمها واتصاله بذاتيتها ومزاجها النفسى ، فاهو موقف الادب المجهري وكتابات جبران بالذات من هذه القاعدة ، وهل هو لون أصيل ، يمثل النفس العربية ويصدر عنها ويمبر عن مشاعرها ويلتصم خلفيه أساسية من قيمها وجوهرها ؟

والواقع أن أدباء المهجر الثلاثة السكبار : جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأمين الريحاني هم القادرون على الاجابة عن هذا السؤال :

لقد اعتمد الادب المجهري على عناصر عدة :

أولاً : الحملة العنيفة على اللغة والدين ومقومات المجتمع العربى :

ثانياً : استمد المهجريون أسلوبهم من الشعر المنشور الأمريكى الذى يمثل (ويتان) واستمدوا مفاهيمهم الاجتماعية من « نيشته » ومذهب وحدة الوجود واللاأدرية .

ثالثاً : عرفوا بالثورة على الألوهية والافراط فى الاباحية وإدخالها مرحلة التصوف ومهاجمة القيم الاخلاقية فى الحب والزواج .

رابعاً : حاولوا تغيير قيم الادب العربى بإدخال أسلوب جديد مستغرب يصادم مفاهيم البلاغة ويعلى عليها صيغة التوراة والمجاز الغربى .

خامساً : تغلبت عندهم النظرة العالمية المخرفة فى الامية والتبعية ، على النزعة القومية المناهضة فى سبيل الحرية والقوة .

سادساً : الاسراف فى الجانب الرومانسى الملىء بالظلال والحالم الومزى المفرق فى العاطفة والخيال المضاد لطابع النفس العربية الجادة العقلانية .

ويمكن القول بأن المدرسة المهجرية (الشمالية) كانت ثمرة من ثمار الارساليات التبشيرية التى وردت لبنتان وسيطرت على وجوه التعليم والثقافة فيه ، ثم كان لهذه الثمار اتصالها بالمدارس الغربية وخاصة مدينة بوسطن - التى اتخذها المهجريون مقراً لهم - وهى من قديم مقر الارساليات التبشيرية فى الولايات المتحدة ، فلما صدرت عن أدها الجديد تلقفته أبهى رعاة الغزو الثقافى وعملت على إذاعته والدعوة إليه بوصفه لوناً جديداً من ألوان الادب العربى المتسم بالعنصرية الاقليمية والجرأة وذلك فى مواجهة المدرسة العربية الاصيلية التى كان يقودها المنفلوطى وغيره من الادباء .

والواقع أن الادب المهجرى إنما يمثل صرخة الغريب المهاجر المؤثر لقيم الغرب وفنون أدبه وليس فيه طابع العربى المؤمن بوطنه وقيمه .

كما اتسم الادب المهجرى بطابع الفاق والتعرد والتحرر من قواعد اللغة ومن قيم المجتمع ، والتقليد المفرق للكاداب الاجنبية القائمة على الكتابة والاستعارة والموسيقى والخيال والرواية .

ولعل أصدق ما يمثله الادب المهجري ما كتبه جبران خليل جبران ، نفسه عام ١٩١٩ أى بعد أربعة عشر عاما من بدء كتاباته عام ١٩٠٥ قال فى خطاب إلى أميل زيدان : « أن فتكرى لم يثمر غير الحصرم ، وشبكنتى ما برحت مغمورة بالماء . ومن الحق أن أسلوب جبران قد برز كثيرا من الشباب وسرى سريان النار فى الحشيم فى نوعية معينة منهم ، ولكن سرعان ما انظفاً وفقد أثره ، وذلك لمصادمته للنفس العربية ومعارضته لمنهجها وتضاربه مع مزاجها النفسى والاجتماعى ذلك أن جبران كان إقليميا مغرقا فى الاقليمية ، باحبا مسرفا فى الاباحية ، وقد حاول فى الكثير من نبراته محاكاة زمائره داود ونشيد سليمان وسفر أيوب ومرثى ارميا وتخيلات أشعيا — على حد تعبير ميخائيل نعيمة عنه — حيث كان أسلوب التوراة هو المثال الادبى الاول الذى تأثر به وقد حفلت كتاباته بمجموعة من الصور والتعبيرات التى استقاهها من الاسفار القديمة ، فهو يقدم أشباه الجمل والظروف والاحوال ، ويمزج ذلك بفن دوات ويتان ، الشاعر الأمريكى .

كما أشار كثير من مترجمي سيرته إلى أنه يعد حرمان الكنيسة له وهو فى العشرين من عمره — على أثر قصيدته التى هاجم بها الاديان — اندفع فى طريق إحياء مجد فينيقية وحضارة المكلدانين :

وقد أشار فى خطاب له من بوسطن ١٩٢٠ لصديقه نخلة إلى هذا المعنى فقال : « إن القوم فى سوريا يدعوننى كافرا ، والادباء فى مصر ينتقدوننى قائلين : هذا عدو الشرائع القديمة والروابط القديمة والتقاليد القديمة وهؤلاء الكتاب يأنخله يقولون الحقيقة لأننى بعد استفسار نفسى وجدتها تذكره الشرائع . . . »

بل لقد صور جبران مفاهيمه وانحرافاتة فى مقال مطول استهله على هذا النحو :

« هو متطرف بمبادئه حتى الجنون » .

« هو خيالى يكتب ليقسد أخلاق الناشئة » .

« لو أتبع الرجال والنساء المتزوجون وغير المتزوجين آراء جبران فى الزواج لتفوضت أركان العائلة وانهدمت مباني الجامعة البشرية وأصبح هذا العالم جحима سكانه شياطين » .

« فمراحمها فى أسلوبه الكتابى من الجمال فهو من أعداء الانسانية » .

« هو موضوع كافر واحد، ونحن ننصح لسكان هذا الجبل المبارك بأن يقبضوا تعاليمه ويحرقوا مؤلفاته لئلا يعلق منها شيء في نفوسهم » .

« هذا ما يقوله الناس عن » وهم مصيبون ، فانا متطرف حتى الجنون ، أميل إلى الهدم ميل إلى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدره الناس (وحب لما يأبونه ، ولو كان بإمكان استئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة ، أما قول بعضهم : أن كتاباتي رسم في رسم ، فكلام يبين الحقيقة من وراء نقاب كثيف فالحقيقة العارية هي أنني لا أمزج الرسم بالرسم بل أسكبه صرفاً غير أنني أسكبه في كؤوس نظيفة شفافة .

« أما الذين يعتذرون عنى أمام نفوسهم قائلين : « هو خيالي يسمع مرقفا بين الغيوم فهم الذين يحدقون بلهجان تلك الكؤوس الشفافة منصرفين عما في داخلها من الشراب الذى يدهونه (سما) لأن معدتهم الضعيفة لا تمضغه . قد تدل هذه المواطأة على الوقاحة الحشنة ولكن ليست الوقاحة بخشونتها أفضل من الخيانة بنعومتها ، إن الوقاحة تظلم نفسها بنفسها ، أما الخيانة فترتدى ملابس فصلت غيرها » .

هذه الاعترافات الجبرائية (وحدها) كفيلة بأن تكشف كل شيء وتجيب على السؤال الذى يتكرر : لماذا يتم اليونسكر بجبران هذا الاهتمام ، ويوحى ذلك بأنه « واحد » من هؤلاء الذين وقعوا في شبكة التغريب فكان صيدا سمينا ، حارلوا به تغيير القيم والمفاهيم : أنه صفيحة التغريب والغزو الثقافي ، ومن هنا فهم يودون إعادة الحياة إليه في مواجهة الصحوة الإسلامية . كأن هذه الاعترافات الجبرائية تكشف في وضوح عن طابع غريب عن الأدب العربى وعن القيم الإسلامية والمزاج النفسى الذى عرفه المسلمون والعرب ؛ أنه طابع دخيل مسرف في التحدى والتشويه . وهو ليس في الأغاب طابع النفس المنحرفة التى حملها جبران ، ولكنه طابع الغزو الثقافى الذى يدفع جبران ويرسم من وراء ذلك أهدافاً وغايات .

ومع ذلك فقد سقط أدب جبران ولم يحقق النتائج التى عول عليها دعاة التغريب . فإذا رجعنا إلى حياة جبران نفسه لوجدنا تفسيراً واضحاً لانجذاماته

الأدبية ؛ وقد عرض لهذه الحياة أصدق أصدقائه ، ميخائيل نعيمة ، في كتابه عنه ، كما أفاض في ذلك كل الذين أرخو لحياته ، فقد كان أبوه ميالا إلى حياة اللهو والشراب سكيما مرحا ، وكانت أمه مريضة ، وإخواته كن مرضى بنفس المرض الخبيث وأنه بدأ حياته بقراءات بسيطة لمخط مزامير داود وأم يستطب قواعد اللغة العربية من صرف ونحو ، ثم قصد إلى (برسلن) دفعاً لشقاء العيش وضيق ذات اليد مع أخيه وأختيه (بطرس وماريانا وسلطانة) حيث تعلم اللغة الإنجليزية ولم يكن يعرف من العربية إلا حروف الهجاء ، وأم يابست أن عاد إلى بيروت للزود من اللغة : قال جبران : « فأنا لا أكاد أعرف من لغة أجدادى إلا ألفهار باءها ، ولا أعرف من بلادى إلا مقص رأسى ، ومن الضرورى أن أدخل مدرسة في بيروت لا تعلم لغتى على الأقل .

ثم توجه جبران إلى الاساطير والميثولوجيا ، وكانت التوراة في ترجمتها العربية الركيكة هي المسكون الاول لاسلوبه الالكثاني ، وكانت التوراة قد ترجمت باللهجة العامية فلما التزم بها المهجريون لم يستطيعوا إعطاء الاسلوب العربى حقه من البيان ، ومن أجل قصورهم هذا هاجموا الاسلوب البليغ ومات الام وسلطانة وبطرس بنفس الداء وبقيت ماريانا تعمل لتطعمه .

ولمعرفة شخصية جبران التى صدر عنها أدبه لا بد من أن نعرف موارثه وأحواله فمن درافمه الحقيقية . كذلك فقد كان جبران مريضاً ، تزامت عليه الامراض منذ وقت مبكر وحلت رسائله صراخا عاليا منذ وقت مبكر في حسابه ، بما دامه من الامراض : يقول : القلب يسارع في الوجيب ، تسمم في المعدة داء النقرس ، الانفاس تصيق بها الرئتان .

مثل تلك الشخصية بذلك الورااثيات والتكوين الاجتماعى ، هي شخصية مهزوزة مريضة عقليا واجتماعيا وجسديا ولا تصلح بتكوينها ولا بعقائدها لان تأخذ مكان الصدارة أو التوجيه فيه ، وإنما هو الغرور الذى صرر له عندما كتب كتابه « النبى » أنه هو النبى نفسه ، وقد استنكر ميخائيل نعيمة : أن يصور جبران نفسه نبيا ، ولو تحت نقاب من النمويه الفنى ؛ وليس يسع أحدا إلا

أن يستكر هذا الشطط غير أن حياة جبران تفسره وتجعله غير مستغرب من مثله ، وإن كان في ذاته مما يستهين على حد تعبير المازنى الذى يقول : « إن جبران كان يشعر في سريره بنقص وبتمرد عليه » .

ومن امتزاز شخصية جبران : أنه كان يدعى أنه حاز شهادة الامتياز من كلية الفنون الفرنسية ، وسمى عضوا في جمعية الفنون الفرنسية ، ونال عضوية الشرف في جمعية المصورين الانجليزية ، بينما لم ينل شيئا من كل هذا ويرى ناقدوه أنه يناقض نفسه في الاعلان بهذه الاكاذيب بينما يدعى ، أنه يكره التقاليد التى يحرص عليها الناس . فاذا هو أشد منهم تهاسكا عليها .

ولما فطن بالفياسرف (نيتشه) ظهر هذا الافتتان في كتابه الذى قلد فيه أسلوب نيتشه في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) وقد بلغ أثر نيتشه في نفسه أنه صار يتخجل من أن يكون مسقط رأسه بلدة صغيرة (بشرى) في بلد صغير (لبنان) .

وكان يقول أن مثله يجب أن يكون قد ولد في بلد عظيم كالهند مثلا ، ولذلك فانه عندما طلب إليه (نسيب عريضة) بعض المعلومات عن حياته افشرها في مجلة الفنون قال أنه ولد في بومباي بالهند .

ويجمع الكتاب على أن أثر (نيتشه) في أدبه كان بعيد السوء ، وأن كتاب (نيتشه) : هكذا تكلم زرادشت : قد أعطى جبران تلك المفاهيم المنحرفة التى أذاعها زرادشت مؤسس المجرسية : يقول نعيمه : وما عرف جبران نيتشه حتى كاد ينسى كل من عرفهم قبله من الكتاب والشعراء ، وعلى قدر ما كان يطيب له أن يحتل به ، كان يلد له في البدء أن يحدث غيره عنه وأن يهدى معارفه وأصحابه إليه حتى أنه قال أن كتاب « هكذا تكلم زرادشت » في نظري أعظم ما عرفة كل العصور ، وما استأنس جبران بزرادشت نيتشه حتى أحس بوحدة أفسى من ذى قبل تكثفه أينما سار وبغربة تفصله عن ماضيه إلى حد أنه صار يتخجل أمام نفسه من كل ما كتبه وصوره في ذلك الحين .

وأشار (نعيمه) إلى أنه افتتح عهده الجديد بمقال أطلق عليه اسم

(حفار القبور) جرى فيه على نهج الورداشقية ، وبدأ جبران المتقمص في جسد رجل يحب العزم والقوة ، لقد سكر جبران بزرادشت وسكر أكثر من ذلك بما قاله فازداد به شهرة في العالم العربي :

وأخطر ما دعت إليه النزعة الممجرية الوافدة على الأدب العربي هي محاولة تحويل الجنس ، إلى نوع من القداسة وتحويل (الشهوة) إلى صوفية فقد قام أدب جبران زعيم هذه المدرسة على ثلاث دعائم :

(لذة الجسد - الحب الشهواني - المرأة العارية) .

وقد تأثر في ذلك على حد قول النقاد بمزامير داود والحياة في باريس ، ومن ثم أعلن سخريته بكل القيم المثل ودعا إلى الاستسلام لسلطان الغريزة وال عاطفة الجنسية ، وقد راجع كثير من الأدباء آثار جبران ، وأجمعوا على أنه يتميز بعدم الاكتراث بالأخلاق في بحثه عن لذة الجسد والخروج عن قواعد الدين ، وقال عنه (الأب الوغي) في بحث نشرته المشرق المسيحية : أنه يهدم صرح الديانة المسيحية وينفذ جميع الأديان وأنه كثير الآلية ولكن ليس (الله) بينها ، وأنه يدين بمذهب : عبودية العقل والآراء للشهوة الحيوانية وأنه هادم للسلطة المدنية والسلطة الدينية والأسرة ، وأنه دعا في كل كتاباته إلى الحب المحرم ، والعشق السري ، والفحش ، يقول : أجل : جبران يناهى بحلاوة المرأة العارية ولذة طعمها ، وما هذا سوى الشهوة الجسدية المتجسمة ، ويصرح بأن الجنة قائمة بهذا الحب ، وأنه يدعو إلى إحياء الفرائز وتغليب الحب الجذبي . ويقول الأب الوغي : أن جبران هو مصور الأجسام العارية وكاتب الشهوة المطبقة من كل قيد ، ولا عبرة عنده بالعقل ولا بالواجب حتى يصطدم الهوى بذلك الواجب ، وليس في موسيقى الأدب الجبرائلي سوى طبول تدوى في فراغ أصواتها . وتذيع ضجة البلاغة اللفظية والكلام الطنان الذي يؤثر في الأذن تأميراً قويا ويصل بالإنسان إلى عالم الدوخة والاندهال ، فهو معجب بالزوجة التي تركت زوجها واتبعت قلب حبيبها ، طروب بالانفصال الجنسي ، شفيق بالمرأة المستسلمة إلى خادمها المفتري ، هذا جبران الذي يسكب السم الأخلاقي في

كقوس نظيفة شفافة - على حد تعبيره - أن معظم كتاب الغرب في موضوع الميول القلبية والشهوة الإنسانية وتكرسها لم يبلغوا من الفساد الأخلاقي والإباحة ما بلغه الأدب الجبراني ، فهو قد حول مزامير التوراة من دعاة للفضيلة إلى دعاة الرذيلة وفي كتاب (النبي) يصور جبران نفسه على أنه المصطفى المختار الحبيب وجبران لا يعتقد إلا بالإنسان وجمال جسده العاري وشهوته وأسرازه وجبران دينه والجسد ، الذي بشر به في العالم العصري ، فلاقاه أبناء العالم الجديد وبخانة فينائه وافقت ميولهم حين يقول لهم : ثيابكم تحجب الكثير من جمالكم وليكنها لا تستر غير الجميل ، يالبتكم تستقبلوا الشمس والريح بثياب بشرتكم عوضا عن ثياب مصانعكم (النبي ص ٤٦) ، ولهذا كله اهتم الغرب بأدب جبران ونشره وأحاط شخص جبران بتقدير عجيب وخاصة حين أعلن جبران صراحة أنه يكتب لنفس الناشئة ، وكان لأدب جبران أبعد الأثر فعلا في جيله ، وخدم به للفرز الثقافي خدمات لم يكن في استطاع التغريب تحقيقها لولا كتابات جبران ، فقد حمل في (سبيل تهديم الأخلاق ونسف أركان الدين وتحطيم قيود الشريعة) عملا ضخما بارزا ، ولقد حاول النفوذ الاستعماري المسيطر على الأدب العربي أن يحجب جبران بمدموته وأن يبعث حوله حالة من القداسة لتواصل آثاره طريقها إلى نفوس الأجيال ، وليكنه عجز عن تحقيق هذا الأثر ومبرعان مامات أدب جبران وسقط .

ومن الحق أن الأدب العربي بأصالته وذاتيته الخاصة قد أسقط (جبران) وأحيا (المنفلوطي) منذ اليوم الأول الذي تصارع فيه الادبان فقد كان أدب جبران هو أدب التوراتية والغيبيات والميوعة والظلال وهذه ألوان لا يقبلها الأدب للعربي في بساطة ويسر ، أما أدب المنفلوطي فقد كان مستلهما من مزاج الأمة العربية والنفس العربية الإسلامية قائما على أساس البلاغة القرآنية التي تمثل الاصالته في مسار الأدب العربي وتطوره عبر العصور وحتى العصر الحديث .

أسلوب جبران أسلوب الخيال والإباحة والهلم ومعارضة الأخلاق والعقائد ، فهو معارض لطبيعة النفس العربية والمزاج العربي ، أما أدب المنفلوطي فكان موازيا لهذه النفس حتى قيل : أن قلب جميل كامل من دهمشق إلى فأس قد خفق (م - ٨ المد الإسلامي)

من خفقات قلم المنفلوطى ، غير أن هناك عاملا هاما لا يمكن إغفاله كان بعيد المدى في تزكية الادب المهجرى وإعلائه هو أن الصحف المصرية كانت في أيدي المارونيين اللبنانيين دعاة التغريب (المقطم والاهرام والحلال والفتطف) وكانت جميعا تعمل من شأن المهجرين وتزجى لتأجهم الهابط في مواكب من الاعلان والتعريض .

ولقد كان أسلوب الشاميين في مصر والمهجرين في بوسطن بما لا يرضى الذوق العربى وقد سجل ذلك (هاملتون جب) في تقريره حيث قال : أنهم لم يكن باستطاعتهم أن يفعلوا ذلك ، وعجزوا أن يحلوا المشكلة النفسية لانهم كانوا نصارى كما عجزوا عن أن يحلوا المشا كل الاسلوية ثم قال : أن أصول الاسلوب المروى العربى قد صاغها العرب على غرار النماذج العربية الاسلامية وعلى رأسها جميعا القرآن الكريم والحديث (من كتاب دراسات في حضارة الاسلام لمجب) وهكذا نرى أن إعادة إحياء جبران مرة أخرى لن يحقق شيئا بعد أن اتسعت دائرة الاسالة وعمقت مفاهيم اليقظة الاسلامية وتبينت أهداف التغريب والشموبية والغزو الثقافى ووضحت .

(٣)

في مواجهة الاستشراق

(١) في مواجهة الاستشراق والتغريب

(٢) الاستشراق في طور جديد

(٣) تحديات الاستشراق

في مواجهة الاستشراق والتغريب

إن خطة الاستشراق في احتواء الفكر الإسلامى (ثقافة ولغة وتاريخاً) هى من التحديات الخطيرة التى مازالت تواجه المسلمين على مطلع القرن الخامس عشر، وهى ولا ريب من المقبات التى تواجه حركة اليقظة الاسلامية فى مرحلة النهضة التى دخلت إليها اليوم .

ولعل أخطر المواقف هى ما حاولته حركة الاستشراق من إدخال تفسيرات باطلة على حقائق الاسلام لتزويرها وتزييفها ومن ذلك ما حاوله مرجليوث اليهودى فى أمرين هامين كان لهما أكبر الأثر فى احتواء الفكر الاسلامى المعاصر وهما المؤامرتين اللتين حمل لوائهما على عيد الرازق وطه حسين حين أهد بحثين أحدهما عن الخلافة الاسلامية استأثر به على عبد الرازق وترجم له وقدمه باسمه مع إضافات خفيفة وبحث انتحال الشعر الجاهلى الذى نقله إلى العربية طه حسين وجعله أساس كتابه المعروف بالشعر الجاهلى ثم بالأدب الجاهلى وما حوى هذا الكتاب من أراجيف وسوموم وزيف ما زالت تتردد إلى اليوم كسلمات وهى من الأخطاء الكاذبة التى حاول بها الاستشراق اليهودى إلى تدمير أكبر حقيقتين فى مجال الاسلام وهو تزييف مفهوم الخلافة الاسلامية وإلى فصل الأدب عن الفكر وإعطائه حرية الإطلاق فى مجالات الاباحية ومدم الأخلاقى وإلى إنكار الرابطة الحقيقية بين الشعر العربى الجاهلى والقرآن الكريم والادعاء بأن هذا الشعر وضع بعد الاسلام .

وهناك من عمل الاستشراق دائرة المعارف الاسلامية الموضوععة الآن بين أيدي المفكرين المسلمين وبها عشرات المصطلحات المضطربة والفاصلة التوجيه والتعليق على أن المستشرقين قد وضعوا كتباً لها صفة العلم ، فى مختلف المسائل الاسلامية تدرس فى بعض الجامعات العالمية على أنها صورة صحيحة لما جاء فى الشريعة الاسلامية من أحكام وقواعد جاء بعضها محرفاً وبعضها

لا يفيد حكم الشارع ثم يوقع في تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتمذر معه فهم أحكام الإسلام على وجهها الصحيح .

أما دائرة المعارف الإسلامية فإنها تجمع عشرات الإسرائيليات والتفسيرات الواهية فتضمنها في تفسير النص الإسلامى . وخاصة في انحرائها نحو مفاهيم التوراة التي كتبها أجدار اليهود ومن ذلك أنها تأخذ القصة اليهودية للعهد القديم في خلق آدم فتجعلها مصدراً لقصة آدم في دائرة معارف إسلامية وتعمل وجهة نظر اليهودية في قصة إبراهيم وأبنائه إسماعيل وإسحق فتعليقها على مفهوم القرآن الذي يمثل حقيقة هذه القصة وهذا جزء من محاولة الاستشراق اليهودى في إعطاء فكرة زائفة هي أن فلسطين كانت يهودية قبل الإسلام مع تشويه الفتوح العربى وهناك المحاولات المتعددة لإبراز أسماء الشعوب والممارقين والاضفاء صفة البطولة والعلم عليهم ، أمثال عيلان الدمشقى الذى يقدمه بعض الشعوبيين على أنه من الثوار المسلمين .

وهناك الاهتمام بالملكلور والمواويل الشعبية ومحاولة القول بأنها تحمل مفاهيم اجتماعية حقيقية للمسلمين في مجال الثأر والشرف والفوارق الدينية والطائفية والمستويات والمكانات الاجتماعية مع فساد هذه المقاييس والصحيح أن الشعر الإسلامى والأدب العربى فى صوره البليانية العليا هو أصدق تعبير عن النفس المسلمة وأحق أداء وأخلد على الزمن .

ويصدق فى هذا ما قاله فيليب حتى حين قال : لقد عجز المفكر الغربى (عن طريق الاستشراق أو خارجه) على إصدار أحكام سليمة أو علمية أو بعيدة عن الأهواء عن الإسلام وتاريخه وعقيدته ، فقد أقبل الاوربى كقاعدة على دراسة الإسلام أما لتقصير المسلمين أو لخدمة المصالح الاستعمارية وكان لتعصب الغربيين القوى وحاستهم الدينية وجعلهم المطلق أثره الفعال أيضاً ، وكان استمرار تداول الأساطير الغربية عن النبى وعداء النصارى لداواة توسعية منافسه وما خلفته الحروب الصليبية من ذكريات مريرة إلى جانب ما بعثته قوة الامبراطورية العثمانية المتعاطمة من مخاوف مانعاً حال دون قيام دراسة موضوعية متحررة للإسلام .

وقد وجه كثير من الباحثين النقد الكاشف لمناهج الاستشراق في كل مجال وخاصة في مجال التاريخ فالمصنفات الموجودة من كتب التاريخ إلى كتبها المستشرقون وأتباعهم ارتكبت كتابها أخطاء في سرد وتحليل الأحداث والوقائع التاريخية ، التي وضعها بعض كتاب اليهود في القرنين ١٨ و ١٩ وأوائل العشرين .

وأخطر ما في هذه الكتابات أنهم أخضعوا تاريخ الإسلام لمفهوم المسيحية وتفسيراتها ثم أخضعوه لتفسيرات المادية الغربية ثم التفسيرات الماركسية تعرف الآن من كل كانت محلقة .

كذلك حاول دعاة القومية تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً يصور الإسلام على أنه حركة قومية : أو حركة ديمقراطية أو حركة اشتراكية وكل ما ترتب على ذلك من دراسات فهو منحرف وخاطئ . كذلك فقد أخطأ الذين أخضعوا مفهوم الإسلام للفلسفة وعلم الكلام .

لقد كان أبرز أعمال الاستشراق هي إثارة الشكوك حول خمس قيم أساسية :

الدين الحق (الإسلام) : وقدرته على تحقيق الأمن والسلام والرحمة والعدل والآخاء البشري .

اللغة العربية : وقدرتها على التعبير وأداء دورها في عصر الحضارة الغربية .

الحضارة الإسلامية : والقول بأنها مجتمعات من الاقتباسات عن الحضارات السابقة لها .

القيم والأخلاق : والقول بأنها عادات وتقاليد وليست أصولاً ثابتة .

التاريخ الإسلامي : تشويهه وتزويره :

وقد خرجت أوروبا من حركة الاستشراق بنتيجة هامة (على حد يعبر عنه الدكتور إبراهيم العدوي) وهي أن العالم الإسلامي أمة عريقة في حضارتها وأن السيطرة عليها لا تكفي لتحقيقها الغزو العسكري فحسب ، ولكن يجب أن يصير إلى جوار ذلك غزو فكري يستهدف روح الأمة وجذورها . لقد أدركت أن العالم الإسلامي سوف يقاوم الغزو العسكري وأن أسلحة المقاومة لديه سهلة

ميسورة من حيث الفداء والاستشهاد ولذلك كان لابد من دعم الغزو العسكرى للقضاء على العوامل النفسية التى توجب المقاومة وهدف الغزو الفكرى هو مسح شخصية الامة ومنع الأصالة والابداع فيها حتى تتوقف عن النمو ولذلك عمدت إلى تحريف المقومات الفلمية والحضارية للبلاد العربية إذ ركز نفر منهم جهودهم لإعادة كتابة التاريخ والحضارة محاولين توجيه البحوث توجيهها استعمارياً فأنتكروا على علماء العرب القدماى الأصالة الفكرية بهدف إسقاط مرحلة هامة من مراحل التطور الحضارى الانسانى وذلك بإغفال شأن الحضارة الاسلامية صاحبة الفضل على نهضة أوربا فى مطالع المصور الحديثة ، كما تسلموا للبحث عن العاميات بهدف أن يحقنر المواطنون لغتهم العربية والاشدق بلغة المستعمر كما لشروا (التفتيت) وهو أخطر سلاح يشهده أعداء العرب والمسلمين وإثارة النزعات القديمة (الفرعونية ، الفينيقية ، البابلية) وخلق الوطنية الضيقة .

ولا ريب أن من أخطر التحديات التى تواجه النهضة فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى هى تلك البعثات التى ترسل بها أبنائنا إلى الغرب ، فان وراءها مخاير خطيرة يجب أن نواجهها قبل أن تقرر هذه البعثات . ذلك أن ابنائنا أولئك يجب أن يكونوا على قدر كبير من الفهم لدينهم وقيمهم وتاريخهم ولغتهم وترآثمهم وأن تكونوا عالمين بتلك المحاولة الخطيرة التى تستهدف احتوائهم وصهرهم فى بوتقة الامة العالمية ليحذروها ، ذلك أنهم لما يواجهون أقراما من عتاة المستشرقين وأغلبهم يهود وإن لم يكونوا فهم تلموديون صهيونيون فكراً ، وعلى كراهية وحقد شديدين للإسلام .

ولعل من أخطر التحديات التى تواجهنا فى هذه المرحلة أن ترسل أبنائنا ليتعلموا اللغة العربية والإسلام فى السريون وهارفارد وبرنستون وكلها مغاقل للاستشراق اليهودى فكأننا لما ترسل أبنائنا لفصلهم إلى مصير خطير وهو أن يهودوا إلينا وأماهم للغرب والفكر المادى والتمودى أشد وأكبر من أمانتهم لفكرنا الاسلامى وما قيمة أن يحصل أبنائنا على أطروحة الدكتوراه فى الشريعة الاسلامية واللغة العربية وقد قبلوا غير مفهوم الاسلام الصحيح وإذا بهم يعطوا أبنائنا مفهوم أعداء الاسلام .

ولعل من أخطر المحاولات التى جرت أخيراً لاحكام قبضة الاستشراق

على فكرنا وتراثنا تلك الدعوة إلى وجهت إلى طلاب الاستشراق أن يتعلموا
اللغات العامية للمسلمين ويعرفوا اصطلاحاتها نظرياً وعلمياً وأن يدوسوا القرآن
ليقفوا على ما يحتويه وأن يخاطبوا العوام من المسلمين على قدر عقولهم ومستوى
علمهم فسيشككهم في حقائق الإسلام ويدخلوا عليهم الزيف ولا ريب أن الهدف
من هذا واضح وهو محاولة فرض مفهوم زائف للإسلام يخرجهم عن مفهومه
الحقيقي بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع وصيرورته قريباً من مفهوم المسيحية
ودين لاهوتي وعبادات وطقوس ، وهذا هو العمل الذي ابتدأه الدكتور طه حسين
وحاول أن يكون من حوله مجموعة تعمل له ، وقد ساهم كثيرون في تنمية هذا
الاتجاه من أمثال توفيق الحكيم ولويس عوض وحسين فوزي وزكي نجيب محمود .

بل إن هذه اللقاءات المشبوهة التي تجرى تحت اسم الحوار والتقارب إنما
يستهدف التركيز على هذا المعنى ، معنى التشابه بين الإسلام والمسيحية والقول
بالباطل بأن الخلاف بينهما ليس إلا خلافاً في الفروع وذلك لانتقاض ميزة
الإسلام الخاصة في نظر المثقف الغربي وتزييف مفهوم الإسلام من حيث أنه وحده
الذي يمثل التوحيد الخالص .

الإستشراق فى طور جديد

كانت محاولات الإستشراق تهدف إلى طمس الحقائق الإسلامية الأساسية الأساسية وإثارة الشبهات حولها وخلق مفاهيم موهمة مضطربة لتعمل على المفاهيم الأصلية . نجد هذا واضحا فى أغلب أعمال الإستشراق التى قدمها إلى المسلمين بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك إذ وكل إلى بعض من أقصا من شباب الجامعات دراسة هذه الشبهات على أنها قضايا حقيقية ، فبعد أن كانت سطورا لها صفة الاحتمال فى المجلدات القديمة ، عمد إلى استخراج هذه الشبهات وتأليفها لتسكون بمثابة عمل و ظاهرة ، وتعجب حين رأى المستشرقين وأتباعهم لا يبحثون فى الأصول العامة أو العناصر الرئيسية لقضايا الفكر الإسلامى أو التاريخ الإسلامى ولكنهم يبحثون عن تلك النقاط المختلف فيها ، أو موضع الاشتباه ، وإثارتها والتركيز عليها ولا يدرسون مفاهيم أهل السنة ولكن يركزون على اختلافات الفرق ويعلمون من شأن تلك الفرق التى احتضنت الفلسفة اليونانية أو الفكر الوثنى وهم مولعون بالمعتزلة لأنهم أخرجوا الإسلام من مفهومه الجامع إلى مفهوم غربى عقلانى كما يركزون على مفاهيم النصوص الفلسفى ورجائه وخاصة دعاة الحلول والانحداد ووحدة الوجود ويطرحون هذه المفاهيم مرة أخرى فى أفق الفكر الإسلامى إيماناً منهم بأن ذلك يزيغ قلوب المسلمين عن عقيدة التوحيد الخالص .

ولم يترك المستشرقون باباً من أبواب الفكر الإسلامى دون أن يثيروا فيه الشبهات ويقدهوا فيه الأبحاث التى يجعلونها أساساً ومرجماً لأولئك الذين تقذف بهم الظروف للذهاب إلى أوروبا والتلمذة عليهم ، فى الشريعة والعقيدة والتاريخ وتفسير القرآن والسنة مؤلفات وأبحاث قائمة على الشبهات لها صورة العلم وضعت المستشرقون فى مختلف المسائل الإسلامية تدرس فى بعض الجامعات (هنا وهناك) على أنها صورة صحيحة لما جاء فى الشريعة الإسلامية من أحكام وقواعد جاء بعضها محرراً وبعضها لا يتقيد بحكمة الشارع ، ويبالغ فى تحريف مدلولاتها على نحو يتعذر معرفتهم أحكام الإسلام على وجهها الصحيح .

وتحفل المصنفات التي كتبها المستشرقون وأتباعهم تحت إسم التاريخ بأخطاء في سرد الأحداث أحياناً متعددة وأخرى نقيجة الجمل وعدم الاستيعاب وذلك بالإضافة إلى الصور المشوهة في الكتب التاريخية التي وصفها بعض كتاب اليهود في القرنين ١٨ و ١٩ في محاولة لإعطاء فكرة زائفة عن أن فلسطين كانت يهودية قبل الإسلام وتشويه الفتح الإسلامي وإعطاء الصهيونية حقاً زائفاً في العودة إلى فلسطين .

كذلك فهناك المراجعات الفاسدة التي يقرؤها الاستشراق الصهيوني والماركسي والغربي للتراث والتاريخ الإسلامي .

فهناك ثلاث محاولات لتفسير التراث والتاريخ الإسلامي ، ماركسيا وليبراليا وصهيونيا ويقول الباحثون الذين اتصلوا بدوائر الاستشراق واستطاعوا النجاة من الاحتواء أمثال مجاهد الصواف ومحمد المبارك ومحمد مصطفى الأعظمي الذي هاجم شاحت وقال إن أسلوبه بعيد عن العلمية وضياع الدين الرئيس الذي رفض الموضوع لمناهجهم في كتابه رسالته ، يقول هؤلاء الباحثين إن المستشرقين في الأغلب صهيونيون ومبشرون ورجال استخبارات وقليل منهم طلاب حقيقة ؛ وعدم إن رجال الاستشراق والحركات التبشيرية يهدفون إلى جر المسلمين إلى نقاش للدفاع عن الاسلام فيضيع الوقت على المثقف المسلم في الدفاع مع أن الاسلام قائم وراسخ وهو عزيز قوى .

وبرى مجاهد الصواف إن الهجمة الفكرية للاستشراق في العصر الحديث هي امتداد للحروب الصهيونية — الصليبية وبمراجعة مؤتمرات الاستشراق الأخيرة (المؤتمر الثلاثون ١٩٧٣) .

وقد مر قرن على أول مؤتمر للاستشراق وما زال يعالج الاسلام كما كان يعالج في زمن الحروب الصليبية وان باستطاعة المفكر المسلم أن يقول ان غارة صهيونية صليبية جديدة بدأت على العالم الاسلامي ليست بالسلاح فقط وانما بالفكر كذلك واية ذلك أنهم في مؤتمر ايران ١٩٨٠ مارالوا يعالجون الأساطير المصرية والبابلية بالمقارنة الى الكتب المقدسة كالتوراة والانجيل والقرآن وكتب البوذية

والهندوسية وهذا يؤكد على مدى اصرارهم على بث سمومهم بالرغم من أن البحث العلمي في الغرب نفسه بالنسبة لليهودية والمسيحية والاسلام قد تجاوز هذه الدراسات الضالة وأن رجل من أمثال بوكاي قد كشف بالطريق العلمي فساد نسبة التوراة والانجيل الى السكتب المنزلة وكذلك كثير من الباحثين اللاهوتيين المتخصصين في مقارنات الأديان .

وما تزال مؤسسات التبشير والاستشراق تتلقف الشباب المسلم القادم من اليمن وبا كستان والشام والمغرب لاحتوائه ، وتلك مسئولية البلاد الاسلامية التي يجب أن تحسن أبنائها قبل ارسالهم الى الغرب .

ويواجه العالم الاسلامي اليوم نفوذ ماركسي جديد في بلاد اسلامية أساسيا بالإضافة الى النفوذ الغربي (أفغانستان واليمن الجنوبية وسوريا) ونفوذ تبشيري جديد في أندونيسيا ، فضلا عن نفوذ الثقافة الغربية الأوروبية والأمريكية في مختلف أجزاء العالم الاسلامي بالإضافة الى سموم الفكر التلمودي الصهيوني المبعوث في الجامعات تحت أسماء العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق .

ومن هنا فإن الانفتاح أمام الثقافات الغربية واللغات الأوروبية أمر يجب أن يحاط بأ كبر قدر من الحصانة من ناحية فهم العقيدة الاسلامية والايان بالقيم والترات وأصالة الذاتية الاسلامية ، وفي هذا يقول الدكتور عمر فروخ :

ان الانفتاح يجب أن يكون موقع قوة باعتبار أن عندي العلم الاول ولكن حينما أرسل شخصا عمره ثمانية عشر سنة الى أوروبا أو الغرب بلا أساس ، فإن أول ما يأخذ هناك ، أنه يأخذ بمظاهر الأشياء لذلك أنا أفقد الفائدة من هذا الانفتاح بالعكس يعود الانفتاح بالضرر ، والدولة الضعيفة يجب أن تكون أحرص ما تكون على أبنائها .

التبشير بغير جلد

حاولت حركة التغريب والغزو الثقافي أن تحتضن حركة التبشير الغربى (التنصير) والحديث عثه فى كثير من أجزاء العالم الاسلامى بعد أن اختفت المؤسسات الظاهرة التى كانت تقوم فى القديم بتنصير الشباب عن طريق المستشفيات وبعض المعاهد والجامعات ، ولكن هذا الاخفاك والتعميم المتعمد لا يعنى أن حركة التبشير قد تلاشت أو خفت صوته وإنما يوحى بحقيقة أشد خطورة وهى أن التبشير بغير جلد واستعمل أسلحة جديدة كما فعل الاستشراق حين أعلن أن مهمته قد انتهت وأن جماعاته أصبحت تدرس العلوم الاجتماعية ، وتلك ظاهرة واضحة فى تاريخ تلك المؤسسات أنها تغير جلدتها وأساليبها بين آن وآن عندما تنكشف خططها ويتعرف الناس على مظاهرها ولكنها لا تياس ولا تموت وإنما تتخفى فى أبواب جديدة وأساليب جديدة وأبلغ المظاهر التى تتخفى فيها حركة التغريب بمؤسساتها التبشيرية والاستشرافية اليوم ، هى العلوم الاجتماعية والثقافية والمسرح والفنون فهى عن طريق هذه الفنون تبت مفاهيمها على أنها علوم جامعية ومناهج علمية لا يتطرق إليها الشك ، ومع الأسف فإن جامعاتنا فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى تدرس الماركسية والوجودية والفرويدية ونظريات العلوم الاجتماعية على أنها علوم وتتحدث عنها أسماء لامعة بمن يتسمون بأسمائنا .

ولقد كانت معاهد الارشاليات محاذية تماماً للدعافل الماسونية فى حل لواء هذه السموم وخاصة ما يتعلق منها بتدمير القيم الاخلاقية والاجتماعية وهدم الاسرة ، وقد تحولت الآن إلى أندية مختلفة منها الليونز والروتارى وغيرهما .

وقد دخلت على المسلمين دعوات أمثال القاديانية والاحمدية والبهائية فخدعوا ببريقها وكلها تعمل فى حقل التغريب والغزو الثقافى لازاحه مفهوم الاسلام الجامع المانع وإحلال مفاهيم ضالة مضللة علمانية وثنية .

ولقد كانت البلاد الاسلامية فى سنوات الاحتلال العسكرى الاجنبى تقاوم هذه الدعوات وهذه المؤامرات بقوة ولكنها فى ظل المرحلة التالية وهى مرحلة الاستقلال والحرية فانها تنظر إليهم فى استهانة ولا تقدر خطورها الذى يستمرى فى أوقات الأمن الخادع .

ويصدق الأستاذ طه خليل الخيالى حين يقول أن الاستشراق قد خضع للتبشير وأن بعض المستشرقين باعوا ضمائرهم للشيطان التبشيرى بما قاموا به من تزوير وتخريب للتاريخ والفكر الاسلامى وفى ابتداعهم الأساليب المبطننة بالعلمية

والمهنية تارة وبالواقعية والتجريبية تارة أخرى حتى أمست باباً واسعاً يلج منه كل امرئ ودهقان ومخرب يريد أن يقضى على عقيدة الأمة .

وقد قدم الكتائب تقريراً لعدد الكتب التي وضعها الأوروبيون عن العالم الإسلامي والبلاد العربية بين ١٨٠٠ و ١٩٥٠ بما يناهز ٦٠ ألفاً من الكتب يضاف إليها ما كان قد وضع قبل عام ١٨٠٠ وما وضع بعد عام ١٩٥٠ وهما في الحالتين يتقدران بالآلاف .

ولا ريب أن هذه الدراسات التي توضع بين أيدي شبابنا الذاهبين إلى الغرب في البعثات العلمية لتتكون بمثابة مصادر ومراجع لا يتخطوها في أعداد دراساتهم تحت إشراف أساتذتهم المستشرقين ظاهراً والمبشرين حقيقة، أو تترجم إلى العربية تحتوى على أفكار مسمومة مصوغة صياغة دقيقة وفق مخططات مسبقة لكل دراسة (عن دراسة ادوار سعيد تحت عنوان الاستشراق بالانجليزية) .

والهدف هو تخريب قواعد الاسلام والاخلاق الاسلامية وإشاعة الافكار والعادات المنكرة بين أبناء البلاد بأساليب جهنمية تتسم بطابع الوحشية تارة والحنسة والقذارة والتفريز والترغيب تارة أخرى .

وقد بدأت حركة التبشير والاستشراق من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة بعد هزيمة الحروب الصليبية كما وجههم لويس التاسع ، والعمل على ترجمة القرآن والسنة وعلوم المسلمين للبحث عن الثغرات التي يدخلوا منها الى اثاره الشبهات تحت اسم (لعل القلم ينجح فيما فضل فيه السيف) وقد أعلنوا في كتاباتهم حراجه ابن الاسلام هو عدوهم الأول وأن أكبر غاية لهم هو ضرب وهضم قواعده في الصميم . ،

وقد بلغ عدد الاديان اليسوعيين حسب احصاءات مصادر رسمية في دولة الفاتيكان (٤٠ ألف) مبشر يعملون خارج العالم المسيحي .

ومن عجب أن تبلغ أساليب التبشير حداً بالغ القوة حين يقوم الابرار هوجان الأكبر بتصوير فنيات من أفريقيا الوسطى (بانكي) المسلمات الفقيرات في أوضاع جنسه مخجلة، وقد طردته السلطة الحاكمة (عن وسالة عن الاسلام في أفريقيا

لوسطى لابرهم النعمة) والقصد هو إشاعة الاباحية ، وهذا عمل يتجاوز بكثير ما يظن أنه يقوم به رجال التبشير مهما بلغت محاولاتهم في التصور ومرجع هذا إلى الحقد والتعصب الطائفي البغيض ولارضاء بعض ذوى الاهواء . كذلك فهم يعملون في بعض البلاد الافريقية على دفع الناس نحو الفاحشة والخمر والاباحية حتى أن بلدا مثل بانكي يمكن أن يكون بها (وهى مدينة صغيرة) أكثر من ألف حانة من جانات الخمر ، فهو يغمسون سكان هذه المناطق فى الربا والمسكرات ، والجرائم والموبقات (الاسلام وأفريقيا الوسطى : ابرهم النعمة) وتعطى هذه الوقائع دلالات جديدة على أن التبشير يعمل بأساليب مختلفة ، فى كل منطقة من المناطق له أساليبه ووسائله ، وأنهم كما يقول الاستاذ خليل الحياى يعملون على الاستفادة من كل الثغرات التى يحدونها فى العالم الاسلامى ، من تمزيق وحدة الأمة وخلق الروح الطائفية البغيضة ، التى تعرض ملة على ملة أخرى ، ولعل ما يجرى فى كيبوديا وبورما والتبت من تقتيل المسلمين وتهجيرهم بالقوة من أراضيهم باتفاق جميع الفرقاء (عدا المسلمين) تعطى دلالات واضحة وأكيدة على أن المؤامرة عالمية بكل أبعادها وارتباطاتها للقضاء على الاسلام والمسلمين وأن حوادث التنصير الجماعية فى أندونيسيا والفلبين بمئات الألوف لتثبت أنها لا تحدث بالافتناع وإنما تتم بالسيف والحرق كالتجوير والتجهيل المتعمد واصطناع أسباب التخلف للبيئة للسكان المسلمين فى تلك البلاد .

تحديات الاستشراق

لقد نبين من الدراسات الواعية المتعددة ، مدى خطر الاستشراق على الفكر الإسلامى ، ولم يبق إلا دعوى « الدور الذى قاموا به فى تحقيق للتراث الإسلامى » ومنها تبريب بعض كتب الحنة وغيرها ، ولا ريب أن الاستشراق ، عمل على إيجاد حصيلة واسعة من مفاهيم الإسلام بدأما بترجمة القرآن والحديث النبوى وبعض الكتب المعروفة ، والهدف هو أحكام الرد على ما فى هذه المصادر من قضايا معارضة للنصرانية المحرفة من ناحية ، أو معارضة للنفوذ الأجنبى من ناحية أخرى ، أو البحث عن روايات ضعيفة تحمل الشكوك والشبهات .

والحقيقة أن هذه الأعمال لم تكن خالصة لوجه الدلم ، وهى بالرغم من ضالتها بالنسبة لعمل الاستشراق الواسع فى أبحاث كتب التراث المنهضة بالفلسفة والتصوف الفلسفى ، والفرق المتصارعة والباطنية وغيرها ، فإنها عمل مشكور لهم ، ولا يمكنه لا يشكل ظاهرة يمكن أن تحول دون الغرض الحقيقى للاستشراق ، بما يندفع به دعاة التغريب ذوى النيات الحسنة من قوهنا .

وهذه بمجموعه من الحقائق :

أولا : المستشرقون يدرسون قضايا الإسلام (وتاريخه وشريعته وتراثه) بروح غير علمية ، تقوم إما على سوء الفهم أو سوء النية ، وهم لا يتصورون أى شئ إلا فى حدود مفاهيم النصرانية اليونانية بعقليتهم الغربية التى تعودت على ربط الظواهر الإنسانية بالجذس واللغة والقومية والبيئة ، فى حدود المفهوم المادى القائم على المحسوس ، ومن هنا كان الانسان عندهم ظاهرة قومية نشأت عن ظروف اقتصادية ، ومن شأن هذا التصور أن يجعل كل أحكامهم على تاريخ الاسلام وشريعته وقيمته خاطئة ومنحرفة ، لأن الاسلام يقوم على تصور جامع بين الروح والمادة والعقل والقلب .

ثانياً : قدم المستشرقون كتابات ودراسات أعطوها صبغة العلم في مختلف المسائل الاسلامية ، تدرس في بعض الجامعات على أنها صورة صحيحة لما جاء في الشريعة الاسلامية من أحكام وقواعد ، جاء بعضها محرفاً وبعضها لا يقيد حكمه الشارع ، ثم بولغ في تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتعذر معه فهم أحكام الاسلام على وجهها الصحيح .

ثالثاً : أخضع المستشرقون تاريخ الاسلام لمفهوم النصرانية وتفسيراتها ، ثم أخضعوه لتفسيرات المادية الغربية ثم التفسيرات الماركسية .

رابعاً : دخل المستشرقون إلى مجامع اللغة ، وحولوا أهدافهم بها إلى مناهج برافقة ، سواء في أحياء العاميات أو الدعوة إلى تعديل النحو ، أو اللغة الوسطى أو الكتابة العربية الميسرة أو المعاصرة وكلها محاولات ترمى إلى إيجاد فجوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة .

ومن قبل ذلك تسللوا للبحث عن العاميات ، ولبسوا ملابس التجار والدبلوماسيين ، وصاروا يعملون بشق الوسائل لجمع الأمثال العامية والمواويل ، بهدف مسموم هو القول بأن العامية لغة لها تراث وجعلوا لذلك عنواناً براقاً هو والتراث الشعبي ، الفولكلور ، وقد أولوا اهتمامهم الشديد لدراسة اللهجات في البلاد العربية ، وعقدوا مؤتمراً خاصاً لذلك في مدينة ميونيخ بألمانيا ١٩٥٧ ، وكتب المستشرقون في ذلك كتباً منها : كتفب في لغة الفجر في البلاد العربية ، ودراسات في اللهجات الامهرية . الشحرية والسقطرية وغيرها من اللهجات المستعملة في جنوب الجزيرة العربية وعلى أطرافها .

الفلسفة الضالة

والهدف من التركيز على اللهجات العامية واضح ، فهم الذين قدموا تلك الفلسفة الضالة التي تقول أن العامية أقدر على تصوير المشاعر ، مع أن هذه المشاعر التي تصورها العامية ، هي المشاعر الساذجة (مشاعر طفولة البشرية) .

أين منها ذلك الشعر الرصين والبيان المرثي الذي يحمل صور المجتمع الاسلامي

(م ٩ المد الإسلامي)

والنفس الاسلامية في مراحل الرشد الفكري والهدف من كل ذلك هو اضعاف
لغة القرآن وتمييزها بالتحريض على استعمال اللهجات وتحطيم قواعد اللغة
باسم التيسير .

خامساً : آثار الاستشراق في دعوات مسمومة للتشكيك في الاسلام والطمع في
مبادئه وتشويه الحضارة الاسلامية .

ومن ذلك دعوتهم إلى رفع لواء الانسلاخ من الماضي والتراث وإحياء النزعات
القديمة : كالفرعونية والفينيقية والاشورية وأمثالها ، والغرض من شأن الشعوب
الملونة في العالم الاسلامي ، ووصفهم بأنهم أقل قدرة من الجنس الابيض (الاوربي)
في مجال السياسة ، والمدنية والعلم والفن . والعمل على فصل الدين عن الدولة ،
وابطال فريضة الجهاد وإثارة الشبهات حول القرآن بطرح السموم على أيدي
مسلمين ، توحى ببشرية القرآن ، للتشكيك في أنه من عند الله تبارك وتعالى ،
والقول بتأثر الثقافة الاسلامية بالمقلية الاغريقية والفارسية ، وهم في سبيل ذلك
يعملون على انتزاع نصوص معينة من سياق المصادر لتأييد وجهة نظرهم ، ويعملون
على إثارة التناقضات بين النصوص والمصادر .

سادساً : المبالغة في تمجيد الحضارات الشرقية القديمة السابقة للإسلام ،
والادعاء بأن الاسلام أخذ منها ، والبحت عن الاثر الغربي والاوربي في الفكر
الاسلامي ، والمبالغة في تجديده وإكباره وجعله شيئاً أساسياً ، بالرغم من أنه
أقل من ذلك ، ومحاولة إرجاع العلوم العربية إلى أصول يونانية .

سابعاً : دراسة الحركات المضادة للإسلام قديماً وحديثاً والتوسع فيها كالفتن
الاهلية والخلاقات المذهبية ، ومظاهر التفسخ والانقسام ، والادعاء بأنها أبرز
ظواهر تاريخ الاسلام ، مع أن تاريخ الاسلام حافل بالايجابيات ومراحل القوة
والتمكن ، وأن هذه الصور قابلة جداً وموجودة في تاريخ جميع الامم
والحضارات :

ثامناً : يدرس الاستشراق خصائص الفكر الاسلامي بروح الخصومة وبفكرة
مسبقة قائمة على أحكام وآراءها سوء النية وعجز عن الانصاف . ويهجر الاستشراق

عن أن يتخلص من العواطف الخاصة وهو يدرس مجتمعاً ومنهجاً متبايناً مع
فكرة ومنهج .

تاسعا : عمله على توسيع شقة الخلافات المذهبية بين المسلمين ، بينما لم تصل هذه
الخلافات إلى ما وصلت إليه بين فرق الأديان الأخرى وخاصة النصرانية ، لا في
طبيعتها ولا في مداها .

فلا يوجد خلاف بين المسلمين على المبادئ الأساسية للإسلام مثل وحدانية
الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والاعتقاد في أن القرآن هو كلام الله ، والايان
باليوم الآخر .

وإنما وجد الخلاف في الأمور التفصيلية فيما يعد أمراً طبيعياً في مجتمع إنساني
يضم أناساً من مختلف المناطق والأجناس والثقافات ، وأنه لمن الخطأ أن تسمى
هذه الخلافات اختلافات مذهبية لأنها ليست إلا اختلافات فقهية محصورة في إطار
دني وقانوني عريض .

عاشراً : حاول الاستشراق النض من عظمة الدعوة الإسلامية ، بإثارة شبهات
متعددة منها : محاولة الادعاء بوجود صلة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني
(وقد كشفت الأبحاث عكس دعوى الاستشراق فإن القانون الفرنسي الحديث
ماخوذ من مذهب مالك نقله نابليون معه إلى أوروبا) كذلك التشكيك في عالمية
الرسالة الإسلامية ، بالقول بأن الآيات التي تدل على العالمية جاءت بعد استقرار
الرسالة كلها ممكنة .

كذلك أثار الاستشراق الشكوك حول السكتب التي بعث بها النبي ﷺ إلى
الملوك ، وزعموا أنها وضعت في صورتها الأولى بعد قرن من حياة النبي ﷺ
وقد كذبتهم الأبحاث العلمية الحديثة التي أثبتت صحة هذه الرسائل .

حادى عشر : يذهب المستشرقون إلى أبعد حدود المغالطة حين يواجهون
تاريخ الإسلام بأهوائهم . فهم معجبون ببني أمية لأن أحدهم (أباسفيان) كان
عدو الرسول ﷺ (ما كتبه هنري لامانس عن معاوية ويزيد) أما عهد العباسيين
فالهدولة الإسلامية خرجت من يد العرب .

أما المغرب فيسمونها بلاد البربر . وهذه التسمية دليسة تافهة لأن أهل المغرب عرب وبربر واسكنهم مسلمون أولا .

وهم لا يتحدثون عن الملوك الذين وطدوا الدولة بل عن الخارجيين (بنى رستم الخارجيين أيام عبد الرحمن الداخل ، وبنى مدرار أصحاب سلجاسة) ويقولون عن المائون أن دولته فارسية ونهضة غير عربية ، ولا يتحدثون عن عهد الرشيد إلا عن نكبة البرامكة ، وينقلون رسالة مكذوبة عن أبي يوسف إلى ابن المقفع في معاملة أهل الذمة . لكي يؤكدوا ما يدعيه المستعرقون من سوء حالهم في ظل الاسلام ، ويهتمون بمدرسة حران الفلسفية ، ويقفون ظويلا عند المعتزلة وينقلون عنهم رأى المسعودي دون غيره ، ويتحدثون عن المعتصم والأتراك ، ويتخيرون فقرات من رسالة الجاحظ في فضاهم ، ولا يوردون فقرة واحدة عن فضل العرب

أما القرامطة فهم عندم طلاب عدل وإصلاح ، ويروون قصه مصرع الخليفة المتوكل برواية الطبري ، وتفصيل فتنة الزنج في جنوب العراق برواية التويري وقصة القرامطة برواية الطبري ، ويأتون بخطاب أحمد القرمطي إلى الخليفة المقتدر وهو خطاب يصورهم في صورة طلاب عدالة وإصلاح .

وعندما يتحدثون عن الدول المشتقة التي انتهت بالقضاء على وحدة الدولة العباسية : الصفاريين والسامانيين والظاهرين والبويهيين . يطيلون الوقوف عندما لأنها دول فارسية .

وفي كتابة تاريخ المغرب حاولوا الوقيعة بين البربر والعرب . وفي المشرق حاولوا الايقاع بين العرب والفرس .

ويجبون بالفاطميين لأن مذهبهم لم يلق قبولا من جماعه المسلمين .

وعندما يتحدثون عن الصليبيين يفخرون بأنهم قتلوا عندما دخلوا القدس ٦٥ (ألفا) من المسلمين

ثاني عشر : وضعوا أساس الشبهات ثم نسبوها إلى كتاب عرب مسلمين فالشعر الجاهلي والادب الجاهلي أساسهما بحث عن انتحال الشعر لمرجليوث ، وكتاب الاسلام وأصول الحكم لملي عبد الرازق أساسه كتاب عن الخلافة

الاسلامية لمرجليوث : ومع المتنبى لطفه حسين أساسه بحث لبلشير ، وعلى هامش السيرة كتاب مسيحي يسمى على هامش الكتب القديمة . ورحم الله شيخ الازهر الاسبق الشيخ الخضر حسين الذى كشف هذه الحقائق على صفحات مجلة الهداية فى الثلاثينات من هذا القرن .

ثالث عشر : غلبة التفسير المسيحي على التحليل والعرض ، فدر منجم يقول أن تعاليم أهل الكتاب إلهى التى افقت نظر سيدنا محمد ﷺ إلى الكمال الروحى والمثل الاعلى ، وجماعته يتحنن فى الغاز ، وهذا كذب صراح ، كما يحاولون تصوير أن القرآن جاء من الكتب السابقة . وأن الهجرة كانت إلى الحبشة لانها نصرانية والحقيقة أن الدافع الحقيقى ليس لان للنجاشى كان نصرانيا بل لانه كان عادلا كما قال النبى ﷺ : لأن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق (ولذلك فليس للعاطفة الدينية أثر فى تصرفاته .

افـ تراى عجيب

وحاول در منجم أن يستدل بأن الله رضى للناس الإسلام ديناً مع بقاء سائر الاديان التى سبقت كوحدة مندمجة ؟ وهذا غير صحيح ، لأن الإسلام جاء خاتماً للرسالات ومهيئاً عليها وداعياً أهل الكتاب للدخول فيه ، لانه دين الحق فضلاً عن أن النبى ﷺ لم يكن متصلاً بأهل الكتاب .

ويدعى مرجليوث أن النبى ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة ويتخذ لذلك دليلاً من آية (اقرأ) مع أن اقرأ لا تعنى قراءة المكتوب وإنما تعنى قراءة ما يوحى إليه ، فضلاً عن أن مرجليوث لم ينتبه إلى جواب الرسول ﷺ للملك : ما أنا بقارى .

ومن أخطائهم ادعائهم أن العرب كانوا قبل الإسلام على استعداد للملك والنهضة ، وأن دور النبى ﷺ لم يكن أكثر من قيادة جماعة مهتمة ، وذلك باطل صراح ، فإن العرب فى مكة أمضوا ثلاثة عشر عاماً فى محاربة الدعوة الإسلامية

والاصرار على عبادة الاصنام ، حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مجتمع آخر هو الذي تقبل دعوته .

ولقد كانت دراستهم لاحوال العرب قبل الاسلام تستهدف هذه المحاولة المضللة ، مع أن الاسلام هو الذى شكل للعرب وجودهم الحقيقى ، وأن دعوة الاسلام إلى التوحيد كانت شيئاً جديداً بالمناسبة للوثنية العربية .

وهذه محاولة مضللة في الاهتمام بالفسانة والمناذرة وإعلاء الجاهلية واعتبار الاسلام اقتباساً منها .

ومن ذلك إنكار الوحى للوصول إلى القول بأن القرآن من عمل محمد صلى الله عليه وسلم .

وكل محاولات الاستشراق ترى إلى القول بأن الافكار الاساسية للاسلام مستقاة من الكتاب المقدس ، أو أن طابع الانجيل موجود في القرآن ، أو أن هناك أصل يهودى للاسلام (بروكلان - فون كرامر - مونتجمرى وات) وكل هذا باطل .

ذلك لان مصدر الاديان السماوية واحد ، ولذلك فلا بد أن تكون هناك علامات مشتركة لان الدين كله من عند الله وهو التوحيد ولكن رؤساء الاديان حرفوها ، أما الاسلام فقد حفظه الله تبارك وتعالى .

وقد عجز المستشرقون مع الاسف - كما يقول محمد أسد (ليوبولد فابن) - عن استيعاب خصائص التصور الاسلامى ومقوماته الاساسية ، ومن ثم فإنهم لا يستطيعون أن ينفذوا إلى أعماق الحياة الاسلامية ، ويستحيل على المستشرق أن يفهم الوحى ، أو الهجرة ، أو ينفذ إلى أعماقها لانه بعيد بحكم تكوينه النفسى وتفكيره عن هذا النظام .

ولهذا اعتبر (توينبى) الهجرة مبدأ التدهور في تاريخ الرسالة المحمدية ؟؟
ويزعم مونتجمرى وات حين يتحدث عن المعاهدة التى عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المسلمين واليهود بعد الهجرة : أن كلتى اسلام ومسلم لم تكن مستعملة في الفترة المبكرة من العهد المدنى ، ويرجع هذا إلى أن - أى وات - تجاوز في الترجمة وحرف .

ومن الشبهات التي يثيرها المستشرق فون كيرمر الادعاء بأن الامامين الاوزاعي والشافعي - وقد ولدا في سوريا - كانا على علم بكثير من قواعد القانون الروماني البيزنطي ، وقد ثبت أن هذا القول مجرد أسطورة . فمن الثابت أن مدرسة بيروت لم تكن موجودة عند الفتح الاسلامي للشام ، وان الشافعي والاوزاعي لم يعرفا القانون البيزنطي وقد ولدا بعد زوال ما يسمى بمدرسة بيروت بأكثر من قرن من الزمان ، كما أن دراستها لم تكن في بيروت ، وإنما في منابع العلم الاسلامي في الحجاز .

رابع عشر : أن القول بأن مصادر النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن هي التوراة والانجيل ، من المسائل التي يكاد الاستشراق يجمع عليها ويردها سواء في ذلك مستشرق في اليهود أو النصارى :

والواقع أن هذا الاتهام باطل بدليل واحد هو أن مفهوم القرآن للتوحيد يختلف عن مفهوم التوراة المكتوبة بأيدي الاحبار أو الاناجيل الموجودة في ايدي الناس الآن .

فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم ، وحمل القرآن لواء الدعوة إلى التوحيد الخالص ، المطلق ، كما يقول الدكتور عبد الجليل شلبي : إله العالم كله واحد . إله مجرد من المادة وعن التركيب .

بينما كان الإله عند اليهود (يهوه) هو إلههم وحدهم ، وقد ظلوا على ذلك ردة من الزمن حتى جاء النبي (الشمس) أول من جهر بأنه إله العالم كله ، وظهر بشيء غريب أيضاً على اليهود هو أن حكم الله يجري على الملوك كما يجري على أبناء الشعب .

ولهذا لم تكن الديانة اليهودية موحدة بالمعنى الحقيقي ، وإنما كانت ديانة توحيد بالنسبة لجيرانها ، فقد كان لدى الآخرين آلهة متعددة للزرع والمطر والخصوبة والنجوم . كل له إله خاص ، وإذن فالنموذج الاسلامي نوع فريد في كل ما أعلن من صفات الله خالق الكون سبحانه .

المسألة الثانية

إن القرآن لم يقتصر على ذكر قصص الاسرائيليين بل ذكر قصص داود وصالح والخضر وشعيب وسبا ، وكثير من الامم والقرون الاولى ، أما الكتاب المقدس - بصورته الحالية - فقد اقتصر على ذكر الشعب المختار وتاريخه وهو - ككتاب شامل - لم يتم بوضعه الحالى إلا بعد القرن الثانى الميلادى .

ولأنهم ينكرون الوحى السماوى فاهم يبحثون عن مصدر معلومات القرآن ولا يزالون محتلفين . قال مؤتمجرى وات : أن محمداً نال معلومات عترجه من اليهودية والمسيحية معا ، وبذل جهداً واسعا فى سبيل الاستدلال على ذلك .

كذلك فعل (درمنجم) ، ولكن الوقائع فى المقارنة بين القرآن من ناحية وبين التوراة والانجيل تكذبهم فى هذا الادعاء العريض ، وتثبت تفرد القرآن حتى فيما يتعلق باليهود والنصارى وأنبيائهم .

خامس عشر : فى محاولة لتأييد النفوذ الاجنبى الذى فرض القانون الوضعى ، كانت حملة الاستشراق على الشريعة الاسلامية ، جولة زهر وشاخت وغيرهم الذين كانوا ينشرون دعايتهم الرامية الى القول بأن الفقه الاسلامى جامد ولم يتطور . وسيبقى جامداً الى الابد لأنه لا يحتوى على قواعد عامه كلية . وإنما يتناول التوازل الخاصة .

وذهب بعضهم الى القول بأنه لا يوجد فكر سياسى اسلامى . وإنما الذى عرفه المسلمون هو الفكر الفارسى واليونانى . وقد كذبت الحقائق الناصعة دعاوى الاستشراق . وكتب كثيرون كاشفين عن عظمة الشريعة الاسلامية وقدرتها على الاستجابة للمصور والبيئات . وكيف أن للمسلمين فكرهم السياسى الخاص . ومن أبرز هذه الدراسات كتابات الدكتور ضياء الدين الرئيس .

كذلك فان مؤتمرات دولية من رجال القانون . عقدت خلال القرن الرابع عشر الهجرى : شهدت بأصالة واستقلال وعظمة الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى واكدت أن شريعة قائمة بنفسها ليست مأخوذة من غيرها . وأنها خلافا لما قال

خصوصها حمية وقابلة لمسيرة الحياة الاجتماعية في إطار الفوائد الثابتة والمتغيرة على السواء ، وأن مبادئها لها قيمة حقوقية تشريعية لا مراة فيها .

سادس عشر : كذبت الحقائق دعاوى الاستشراق في أن التصوف الاسلامي أخذ من افلاطونية الحديثة أو مذاهب النصرانية ، أو أن البلاغة العربية أخذت من كتاب الخطابة لارسطو ؛ أو أن الفقه الاسلامي أخذ من مدونة جوستنيان .

كذلك كذبت الوقائع دعاوى الاستشراق وأتباعهم عن اسقاط الرواية الاسلامية لشعر عصر البعث النبوية وما كان منه طعنا على الاسلام ، وهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه : فان الاسلام لم يصادر هذا الادب والهلل مارواه ابن اسحق في السيرة النبوية من قصائد المشركين واليهود . وهي لا تقل في الاحصاء عن قصائد الشعراء مع النبي ﷺ وخاصة في موقعي بدر وأحد .

سابع عشر : ليس أدل على سوء نية الاستشراق في البحث من أصرار لويس ماسينيون على متابعة آثار الحلاج خلال أربعين سنة كاملة حتى نشر ذلك المجلد الضخم في ١٤٠٠ صفحة ، ثم أخذ يتبع متروكاته فطبع ما ورد عنه في الفقرات النثرية ، ثم نشر ديوانه الشعري وقد جمعها قطعاً متفرقة ، من نحو مائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع ، وقد ركز اهتمامه على المقاطع التي يوضح بها الحلاج اتحاده بالله بل معادله له به (جل شأن الله عن ذلك وعلا) .

كذلك ما حرص الاستشراق وأتباعه من إبراز الشخصيات المعادية للسنة وللإسلام ، مثل أبحاثهم عن مسيلة الكذاب . وعن غيلان الدهمشقي والإشادة بهما ، أو كذاب البين الأسود العنسي ، ووصف كل منهم بالبطولة ، مع أنهم جميعاً خارجون عن مفهوم الإسلام الصحيح .

ثامن عشر : لقد تجمعت في تحرير دائرة المعارف الإسلامية أخبث وأخطر رجال الاستشراق من (يهود) وغيرهم ، ممن يكونون الكراهية للإسلام . ولذلك فقد حرصوا على صنع مواد الدائرة بمفاهيم كنسية ويهودية ، ويكفي أن تأخذ دائرة المعارف الاسلامية القصة اليهودية للهدد القديم في خلق آدم عليه السلام فتجعلها مصادر لقصة آدم في دائرة معارف إسلامية :

كذلك فهم يأخذون بوجهة نظر اليهود في إبراهيم وإسماعيل واسحق، ويريفون مفهوم فلسطين وعروبها .

ويحاول الاستشراق اليهودي إعطاء فكرة للعالم أن فلسطين كانت يهودية قبل الإسلام ، ويعمل رندسون في كتابه عن الرأسمالية والإسلام . على تشويه التاريخ الإسلامي ورفع العنصر اليهودي على حساب العرب .

تاسع عشر : حرص الاستشراق على تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور وخاصة في العصر الأول . على أنه مجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله . وهم في كل محاولاتهم المسمومة للانتقاص من الإسلام ولقته وتاريخه وتراثه . يخضعون النصوص للفكرة التي يفرضونها مع تحريف هذه النصوص تحريفاً مقصوداً . وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف . وتحكمهم في المصادر التي ينقلون منها . فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث . ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه . ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيمون (وهو ليس ذا قيمة علمية صحيحة) . ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ . كل ذلك انسياقاً مع الهوى وانحرافاً عن الحق .

وهم يستخدمون كتب التراث استخداماً خبيثاً . فيبرزون كل ما يفرق . ويخفون كل ما يجمع . ويغلب عليهم سوء الظن وسوء الفهم والهوى .

العشرون : يحاول كل من الاستشراق النصراني خطة والاستشراق الشيوعي خطة مختلفة والاستشراق الصهيوني خطة ثالثة . كل منها يهدف إلى تحقيق غرض خاص وإسكانها جميعاً تلتقى عند الإسلام بالعداوة والخصومة والحقد الدفين .

(٤)

في مواجهة الحضارة

- (١) حضارتان :
- (٢) في مواجهة الحضارة الغربية :
- (٣) حضارة الاسلام المتجددة .
- (٤) نحن وحضارة الغرب .
- (٥) إعادة بناء الحضارة الاسلامية .
- (٦) وسقطت مدرسة التبعية .

حضارتان : واحدة على طريق الأفول والأخرى تشرق شمسها مرة أخرى

لقد ظل المسلمون أزاء الحضارة الغربية مخدوعون يغرمهم بريق المظاهر المادية بينما تنخر العوس في هذه الحضارة لأنها أساسا لم تقم على شرعة الله ولم تلتمس السنن الحقيقية للحضارات والأمم . ولقد تنبه أعلام من مفكرى الغرب إلى فساد هذه الحضارة واضطرابها منذ وقت بعيد ، بل أن منهم من كتب عن علامات انهيارها منذ الحرب العالمية الأولى واليوم يتجدد الحديث ويتوالى من الغربيين أنفسهم ليدفع خدعة التفرغين من قومنا الذين يريدون أن يصوروا لنا هذا الطريق المحفوف بالاشواك وكأنه هو الطريق الوحيد لنمضتنا وتقدمنا . في نفس الوقت الذى نعوى فيه الحضارة الغربية كأنها السكب المدوخ الذى يتلوى من الآلام . فما أحرانا أن نتأمل رأى أهل الحضارة فيها لنعلم أننا مخدوعون بالإعجاب بها أو التماس أسلوب عيشها وهى تمر بأقصى مراحل انحلالها . ان دراسة منصفة للحضارة الغربية المعاصرة تدل على أن فيضان النهضة المادية قد وصل إلى آخر مداه وأنها غير قادرة على إعطاء السكينة لقلب الانسان وأن موجة من انعدام الثقة والطمانينة النفسية تغزو كل العالم .

ان داء القلق وانعدام الثقة قد غزا الجيل الجديد في العالم كله وأن حركات الشباب القوضوية هى نتاج لانعدام الطمانينة وأن العالم كله يتطلع الى نداء السماء . ولو نهض المسلمون يدعون البشرية الى دين الله بعد أن يطبقوه على أنفسهم لاستسلم العالم كله لهم .

أن أبرز ما فى حضارة الغرب هو العطاء المادى وليكنه لا يجد توازنا من عطاء النفس والروح ومن هنا نشأت الأزمة الخطيرة . أزمة مجافاة الاخلاق والدين والالتزام والمسئولية التى بنيت عليها أمانة الإنسان فى الارض كذلك فان المنهج الغربى يقوم على الهوى والاستعلاء ، ويستمد مفهومه من الفلسفة المادية

ولا يصلح المنهج العلمي إلا أن يقوم على ضبط النفس والأخاء البشرى وقد واجهت المناهج والأيديولوجيات الغربية هزائم متوالية في التطبيق لأنها عارضت الفكرة ولأنها جرت وراء الشهوات ولأنها لبشريتها لم تتمكن من منابع تحولات الزمن والبيئات . ومن مقاتل الحضارة الغربية : العلمانية والفصل بين القيم والانشطارية .

تقول السيدة مريم حميلة الأمريكية المسلمة : ان العلمانية في أوروبا اتخذت من العلم الحديث انفذ وأحدث سلاح للغرب لغزو البلاد وقهر الأذهان وتسخير القلوب ، وقد استخدمت أوروبا هذا السلاح على الكنيسة الكاثوليكية ثم أبطلت بها سائر الأديان والمعتقدات بوصفها خرافات وأوهاماً فصارت المادية ديناً جديداً ينسخ سائر الأديان السابقة ونالت نظريات هذا الدين الجديد قدسية بحيث أنها تقبل دون نقد أو أعمال رأى أو معالجة فسكر ، كما كانت العقائد الدينية القديمة تقبل في الماضي وتمسكت المادية من الاستيلاء الكامل والقول الفصل في كل أمور الحياة إلى أن فسدت الكنيسة الرومانية نفسها فساداً كاملاً شاملاً .

وكانت الدولة العلمانية للقوية التي حطمت صواب الدولة المسيحية ثم ألحقت الثورة الفرنسية بالكنيسة الرومانية ضربة قاضية وتمخضت الفلسفات المادية الخاصة التي دفعت إلى الثورة الفرنسية عن ثورة صناعية ومن الثورة الصناعية تبعث الشيوعية . لقد تغيرت نظرة الإنسان إلى الطبيعة فأصبحت نظرة الاستقلال في اندفاع دون تحفظ ودون قيد فتعمل على استقلال الطبيعة إلى حد تدمير البيئة الطبيعية التي نستمع منها حياتنا ونعتمد عليها في معيشتنا فذشأت أخطار جديدة كالتلوث وتدفق السكان والكثافة في البيئة وتدنسها :

وبتجة العالم إلى تدمير الجنس البشرى إذا نهضت الحياة على صفحة الحياة . لقد كان تلوث الأرض نتيجة حتمية لتلوث الروح الذي كان نتيجة عاجلة للتصور المادى للملحد ولدراسة العلم بدون الرجوع إلى الخالق فيجرب استنفاد المصادر واستنزافها على الأرض لأن العلماء لا يشعرون بواجبهم ومسئولياتهم التي تعود إليهم .

والواجب علينا أن نحرر أنفسنا ونحرر العلم من فلسفة المادية ونقاوم تأثيرها غير الانساني وتوجد تصوراً موحداً للعلم في سبيل إيجاد علم اسلامي جديد بمجهود

نفسنا وتفكيرنا الخالص . ويجب التخلي عن التصور الخاطئ . للتقدم المادى والرافعية المادية كهدف للحياة الانسانية . ان المجتمعات التى حاولت سد متطلباتها الخارجية لم تنجح الا فى ايجاد فقر وروحى داخلى يحل محل الثراء الخارجى لها فتعانى المجتمعات الغنية نتيجة لذلك من الفقر الروحى معاناة سافرة لا تساويها معاناة . هذه المرحلة المفزعة للتطور كانت مسئولة عن تحويل الغرب الى عبودية الآلات والمكينات فأمرىكا تستعيد العالم كله بطريق حياتها ، تستعيد الآلات والمكينات ، عبيد نمط خارجى للحياة ، للتقدم المادى ، تأسرهما المصانع والمختبرات . ولقد ذابت شخصية الإنسان فى بوتقة الحياة الآلية والتكنولوجيا بحيث أن أفكاره وعواطفه ومشاعره قد صهرت فيها وصارت ميكانيكية ، فلا يحمل فى صدره قلبا انسانيا وانما يحمل صفات الصنخر والفولاذ فاصبح ضيق الفكر ومقرضا شحيحا باردا لا تثور فيه العاطفة ولا تتحرك المشاعر وقد قلبه الحرارة وعيونه الندى .

هذا تصوير الحضارة العربية نقيم واحدة من أهمها تكشف للمسلمين مدى بشاعة الصرورة التى يحاولون الردى فيها فإذا أضفنا إلى هذا ثلاثة ملايين إصابة كل عام بالامراض الزهرية وأن هذه الامراض تنتشر بين أوساط الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٤ سنة ، وبما يبعث القلق أن نسبة الفتيات اللواتى لم يصل سنهن العشرين قد تضاعفت ثلاث مرات إصابتهن .

ويقول الدكتور فولتر أن سبب انتشار الامراض الزهرية يكمن فى التدهور الاخلاقى والانحلال الذى تشهده المجتمعات الغربية .

وبصور والترشوبارت الروح الغربية فيقول أن الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق وهى شديدة الاثرة نزاعة إلى الفردية محبة للتنافس وأن الغرب قد جمل الإنسانية ذات تراث واسع يتفوقه فى الصناعة ولكنه جرد الانسان من الروح ، وسيفقد الغرب زعامته ويصبح لا يمثل الطراز الإنسانى الغالب وكثر من ذوى العقول الراجحة يتوقون الى أن يرونهاية الثقافة الغربية البالية وهم يشعرون لفقرها وافلاسها ويتطلعون الى ثقافة فى تخلفها . ان الفرد من خلال هذا النموذج الثقافى لا يعبأ بخلاص روحه وانما يهجمه فرض سلطانة

وتوسيع دائرة نفوذه : وقد جمع الفرد في تغيير وجه الارض ولكن هذه الثقافة أخذت تملأ سماءها السحب وتومض حولها البروق وتعصف بها الاعاصير وأوروبا تنزلق الى الهاوية وتقترب الى النهاية ولا شيء يستطيع دفع هذا المصير المحتوم .

هذه هي مشاعر الغربيين أنفسهم أراء حضارتهم المتداعية التي تمر بمرحلة الازمة والتصدع .

اقد أنشأ الغربيون هذه الحضارة استمداداً من المنهج العلمى التجريبي ولكنهم حجبوا أنفسهم عن نور العدل والحق والرحم والآخاء الإنساني واستطاعت اليهودية التلمودية احتوائهم وتمزيق روحهم الديني وإحلال مفهوم التفسير المادى لتاريخ الى مفاهيمهم والسيطرة عليهم أخلاقياً وتدمير مقوماتهم الروحية والمعنوية وإثارة روح الفاحشة والإثم والفساد بينهم الى الدرجة التي دمرت قيمهم وأصبحت مجتمعاتهم لقمة سائغة في يد التلمودية الصهيونية وسوف تسقط الحضارة الغربية ويتطلع العالم الى مثل أعلى وحضارة جامع للروح والمادة والعلم والدين والدنيا والآخرة ، وأن الحضارة الإسلامية مرجوة لتحقيق هذا الأمل .

وبعد فان ما قدمته الحضارة الإسلامية الى الغرب هو فتاح الإسلام ولذلك فمن الغبن أن بوصف بأنه أثر العرب في الحضارة الاوربية كما يصوره البعض أو كما يعبر عنه أمثال جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) فان الاسلام في الحقيقة هو الذى قدم ذلك الأصل الاصيل الذى قام على أساسه ذلك المجتمع الاسلامى ، أو كما صورته الدكتور سجرهد هنوك تحت عنوانها الرامع : شمس الله تسطع على الغرب ، .

أن عبارة إن المسلمين تلقوا تراث من سبق ولكنهم رادوا عليه ليس تعبيراً دقيقاً عما فعل المسلمون . إن المسلمين بدأوا من منطلق « لا إله الا الله » ليعيدوا النظر في كل التراث البشرى الذى كان موجوداً في عصرهم من مخلفات اليونان والرومان والفرس والهنود وبابل ومن منطلق التوحيد نظر المسلمون - ولا تقول العرب - لأن الذين نظروا هم كل من أظلمهم الاسلام وكانت لغتهم في البحث هي العربية ، رفضوا الصنم والاقنوم والتعدد ، وحاكروا هذا التراث كله على هذا

القانون . ومن ثم كان لهم موقفهم الواضح القوي من الفلسفة الاغريق ومن أرسطو بالذات فهم لم يقبلوا منطق أرسطو لانه يقوم على منطق غير منطق التوحيد ولم يقبلوا منطق أرسطو لانه يقوم على خلق عبودية العبيد (وما يقال عن أنهم قبلوا منطق أرسطو ليس من العلم الدقيق) فان علماء المسلمين وقفوا وقفة رجل واحد ازاء فلسفة أرسطو السياسية التي تقدر عبودية العبيد وازاء منطقة القائم على علم الاصنام وكذلك رفضوا مفهوم الدراما الاغريق وتراجيديات سوفوكليس واسخيلوس واريستوفان وإضرابه لانها كانت تحمل مفهوما لا يقره التوحيد فهي حافلة بألهة تتصارع وأرباب تلهو وتلمب وقد مرت بص الناس . وعلى الاجيال الجديدة من المسلمين في مطالع القرن العشرين ان تميد النظر في الترجمات الغربية المعاصرة على هذا الضوء فهي امتداد لدراما الاغريق في مفهومها ووثنياتها وهي تعارض تمام المعارضة مفهوم التوحيد الخالص .

وقد كشف عديد من علماء أوربا عن دور المسلمين في العطاء : ذلك العطاء الذي نمته الحضارة المعاصرة وإن كانت قد غيرت وجهته ، ولديورات وجوهرات لوبرن سجيريد هونكه . وشهدوا إن جامعات قرطبة وطليطلة وصقلية كانت تخرج بحركة رائدة ومد متدفق من البحث العلمي ، ومنه أخذ علماء الغرب أصول نهج العلم التجريبي .

وقال ابن أبياس في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) أنه كان ما بين القرن الحادى عشر والرابع عشر الميلادى كان الشخص الذى يسمه المجنون فى أوربا يساق إلى مجرقة النار ليحرقوه حيا وعلى رؤس الاستهزاء اعتقاداً بان الشيطان قد فارق روح المجنون بالحريق ، فى ذلك الوقت كان المسلمون يعالجون المجنون انه حالة مرضية وخال عقل ونفس .

ويتحدث العلماء المؤرخون كيف أن كتاب الحاوى فى الطب والعلاج لابن سينا كان من أكل دوائر المعارف الطبية فى التاريخ الانسانى وان فرنسو الاول ملك فرنسا أراد مرة أن يطالع عليه فارسى إلى أمين مكتبته العامة يطلب نسخة فرد عليه أمين المكتبة بان على الملك أن يودع لدى المكتبة أنفس جواهر التاريخ الفرنسى رهنا لا هارة المكتبة وضمانا لمودته إلى حوزة الجامعة .

يتشكل في هذه الآونة موقف جديد للغرب من الإسلام في محاولة جادة بدأت منذ وقت ثم لم تستع حتى أخذت ترسم بؤرة مضيقه وسط ذلك الأفق المضيق من خلال ذلك الركام المادى شديد الخطر والقنامة وقد ظهرت محاولات الفهم للإسلام والاقتراب منه في أعمال كثيرة وكتابات متصلة منها كتابات أمثال درابر وجوستاف لوبون وبرناردشو وكارليل واليوم تتسع الحلقة فنشمل العلماء التجريبيون وبعض المستشرقين ومن هؤلاء ريجيه جارودى الذى أصدر كتابه (حوار مع المدينيات) مارس ١٩٧٧ يتحدث فيه عن بدأ اتصاله بالإسلام منذ عام ١٩٤٥ حيث التقى بعدد من المفكرين والعلماء والروساء المسلمين ، وفى رأيه أن أزمة الفكر الماركسى لا يمكن أن تجدها حلالا بالاتصال بعدد من المدينيات وفى مقدمتها الحضارة الإسلامية ويلتساءل جارودى : هل الاتحاد ضرورى ويجيب بان الاتحاد كان بالنسبة لماركس موجة عابرة ثم يتحدث عن مفهوم جديد للتنمية بنظم علاقة الانسان بالطبيعة من ناحية وعلاقة الانسان بالجانب الالهى أو العنصر الربانى ومن هنا يفتح الماركسية على الايمان ولعل هذا الاتجاه قد سبقه قول هورلى دمان فى كتابه الاشتراكية البناء أن ماركس اندفع نحو الهدالة لسبب أخلاقى ولكنه حذف الأخلاقية من مذهبه ولذلك فإن هذا المبدأ سينتهى إلى الانتهازية فماركس يدفع الطبقة العاملة البروليتاريا إلى الساعية من أجل مصالحها فقط ومن هنا لا يكون هناك فرق بينه وبين الفكر الرأسمالى فى إلغاء الجانب الأخلاقى سيدمر مذهبه بالانتهازية وانتهى دوفان إلى أنه لا بد من إضافة القيم الأخلاقية إلى هذا المذهب وهنا لا بد من الايمان بوجود الله لأن هذا هو مصدر الأخلاق ،

هذا هو الموقف فى مجال الفكر الماركسى ، محاولات جديده لادخال الايمان بدلا من الاتحاد ويقول جارودى : نحن نريد إيمانا يتدخل فى السياسة والاقتصاد لا يستغنى بل ليصلحها .

أما بالنسبة لفكر الديمقراطى الغربى فقد أخذ يفتح على الاسلام فاصحاب الديمقراطية الليبرالية فى الغرب وغم أن خذورهم مسيحية وهم فى معظمهم يؤمنون

بفصل الدين عن الدولة . وتتطلع الديمقراطية إلى الاسلام - يقول جاك أوستروى لا تظنوا أن هناك نظامين فقط في العالم أحدهما اشتراكي والثاني رأسمالي فهناك نظام ثالث متميز ومستقل هو الاسلام وهو نظام كما يقول قابل للحياة والتطبيق إذا عني أصحابه بأمره . لقد اكتشف هذا الكتاب أن في الاسلام نظاماً اقتصادياً متميزاً يعالج المسألة الاقتصادية والاجتماعية من موقف مختلف عن موقف المذهبين السائدين في عالم اليوم .

وهن ناحية ثالثة ظاهرة ونقد المسيحية، وإعادة النظر في مسلماتها في الغرب يقول الدكتور محمد المبارك : أن التيار المسيحي في أوروبا وأمريكا في حالة تفاعل مع المفاهيم العلمانية والاحادية ، إلا أن هناك الاتجاه الذي بدأ باتخاذ مواقف جديدة باتجاه تفهم حقائق الاسلام ، وقد كشف البحث للعلماء حقائق جديدة منها كتاب أصدره سبعة رهبان اقرروا فيه بأن المسيح بشر أرسله الله وليس الها .

وقد أحدث هذا الكتاب هزة كبيرة في الأوساط الكنسية وقد توصل هؤلاء الى هذه النتيجة التي أعلنها الاسلام منذ قرون عديدة نتيجة بحثهم الخالص والصارم في اطار المسيحية .

وكتب أستاذ فرنسي في اللاهوت رسالة الى الدكتور محمد المبارك يعلمه فيها أنه قرر أن ينشئ مجلة اسمها القناع ليكتب فيها عن حقائق الاسلام للجمهور الأوروبي الناطق بالفرنسية وقال أنه درس الاسلام فوصل الى اقتناع بان الوحي امتد من ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال : الى متى سيبقى الغرب أعمى عن حقائق الاسلام . وهناك جراح فرنسي شهير ، هو الدكتور موريس بوكاي أصدر كتاباً ترجم إلى العربية هو (التوراه والانجيل والقرآن : والعلم) وقد نسا المؤلف نشاء كاثوليكية معادية لكل ما هو اسلامي ، الا أن هذا الطبيب الجراح تصادف أن أتى الى السعودية لعلاج الملك فيصل فسمع منه كلمات قليلة عن الاسلام وعاد الى بلاده لينكب على قراءة القرآن بالفرنسية ودراسة المؤلفات الأخرى بالفرنسية عن الاسلام لينتهي الى أن هذا الكتاب (القرآن) لا يمكن أن يكون إلا من عند الله تبارك وتعالى ويتحدث في كتابه الذي يقارن فيه من الكتب الثلاثة عن أن في الانجيل والتوراه ما لا يمكن قبوله علمياً ، وهذا دليل كما يقول علي أن محمداً

لم يأخذ من التوراة والإنجيل كما يذهب إلى ذلك بعض أعداء الإسلام ، وفي الكتاب تحقيق عن فرعون الذي غرق في البحر في عهد النبي موسى عليه السلام وقد جاء في القرآن الكريم (فالיום ننجيك ببطنك لتكون لمن خلفك آية) وحول هذه الآية يقول الكاتب : من أدري محمدا بهذه الواقعة التي تفصله عنها آلاف من السنين . ويقول الدكتور موريس أن المعجزة في القرآن ليس ما ذكره فقط ولا يمكن الإلباح إعجازاً هو ما لم يذكره فقد تنزه القرآن عن ذكر الافكار الخاطئة التي كانت سائدة في قرون مضت .

والإحفظ بوكاي أن المنسرين القدامى لم يكن في استطاعتهم تفسير القرآن بشكل كامل فالكشافات العلم الحديث مكنتنا من إدراك ما لم يكن بإمكانهم إدراكه فسأله توكوين الجنين في الرحم ومراحل هذا التكوين كانت تنتظر الكشف العلمي الحديث ، حتى نفهم ممانيتها : العلاقة ، الامشاج ، النطفة ، كما يشير أيضاً إلى أن هذا الكتاب لم يتعرض لما تعرضت له الكتب الأخرى من حروف وإضافات وتحريف .

(١) هذا ومن ناحية أخرى نرى أن الغرب يردد الآن صيحات عالية بالمطالبة بإيجاد نظام عالمي جديد ، سواء في مجال الاقتصاد بعد أن اضطربت الرأسمالية والماركسية على السواء ولم نستطيع أن نحقق شيئاً .

وفي هذا المجال تقدم الإسلام ، كذلك فإن هناك من يدعو إلى إيجاد نظام عالمي جديد في مجال الحضارة بالتحار مع حضارة الإسلام ، وفي هذا يقول الدكتور محمد المبارك : أننا لا نعمل على هدم الحضارات الحديثة في أوروبا والغرب عموماً ، ولكنها نكملها باعتبار أن رسالة محمد هي الحلقة الأخيرة من سلسلة الدين للواحد فليس هناك أديان وإنما الدين واحد ورب الدين واحد لإبتداء من أبينا إبراهيم ورسالتنا أن نجتمع الناس على منهج واحد هو النهج الرباني : إن الدين عند الله الإسلام .

وإذا كنا نجد أن الانفتاح الماركسي على الحضارة الإسلامية ونجد الانفتاح الليبرالي على الحضارة الإسلامية ونجد الانفتاح العقائدي على مفهوم التوحيد

الاسلامى ، ونجد فى الغرب ذلك التطلع الواضح الى أن الاسلام قادر على المطاء
فى مجال الاقتصاد والاجتماع والسياسة بعد أن عجزت الايدلوجيات ، هذه الآفاق
تحتاج الى رعاية وتوجيه لتقديم الاسلام غرضاً طرياً :

وهى تعطينا الحصانة الكاملة أزاء نقل حضارة الغرب المنهارة ، وتعطينا
الثقة بأن ما نملكه هو أصدق منهج وأعظم أسلوب ، وهو المنطلق الحقيقى
لخروج البشرية من أزمتها الى إقامة المجتمع الربانى .

(٢)

(٣) الحضارة الغربية المعاصرة : بشهادة المصنفين من أهل الغرب أنفسهم تدخل
اليوم مرحلة المحاق والأمثلة كثيرة والمؤلفات التى تكشف هذه الحقيقة عديدة .
أما كتاب « إنسان المستقبل » لمارتن باولى :

The Private Futaae

الذى يقول : ماذا حدث للإنسان فى الغرب : لقد انهارت سلطة الأسرة
ودمرت الوفرة كل الآخطار العظيمة . لقد بدأ الانهيار فعلاً فى المجتمع الصناعى
بانهيار كيان الأسرة وسلطة الأب بعد ضعف وانقطاع الصلة بين الأصول
والفروع والجدود والأعمام . بل أن الاطفال اليوم ينزعون الى مغادرة البيت
فور انتهاءهم من الدراسة لا عند الزواج كما كان يحدث من قبل . بل أن الزوجة
نفسها التى تعتبر آخر حجر فى بديان سلطة الأسرة بدأ وضعها يتغير أولاً بالترد
على الالتزامات التى توثقها بالأسرة وثانياً تزايد معدل الطلاق حتى العلاقة بين
الآباء والأبناء أصبحت تعصف بها الشكوك بعد سيل الدراسات والنظريات التى
تبين العلاقة الوثيقة بين الشذوذ العقلى والعلاقة الأسرية .

لقد دمرت الوفرة الافكار العظيمة وقضت على الأسرة وأطاحت بنظام
الزواج وسفقت الحب الرومانى وحولت الديمقراطية التقليديه الى أسطوانات
دعائية مسجلة . وهى تمسج الى تقليص العقد الاجتماعى الى سلطة محدودة
« غير مرغوب فيها » .

إذا ذهبنا نستقصى هذا الجانب من للكشف عن انحراف الحضارة الغربية

واضطرابها لوجدنا الكثير الذى يقوله أهل هذه الحضارة عن مجتمعاتهم ، والذى اعتقد أننا فى أشد الحاجة الى أن نعرفه ونعى حكمته لنرد تلك الموجة الضالة التى يحاول أن يدفعنا اليها بعضا من المذتسبين الى لغتنا وبلادنا من أهل التبعية والتغريب والصعوبة ، حين يزيفون للناس أسلوب العيش الغربى ويعملون ماوسمهم فى سبيل الغنى من أسلوب الاسلام الاجتماعى والحضارى الذى هو الملاذ الاخير للبشرية اليوم بعد أن جربت الايدولوجيات المختلفة والمذاهب المختلفة من الوجودية غرباً الى البوذية شرقاً دون أن تجد الأسلوب الاصيل الذى يرضى النفس الانسانية ويقدم لها أشواقها الروحية وحاجاتها المادية معاً فى كأس واحدة وهو ما يفعله الاسلام : الاسلام المهيج ، وليس هذا الواقع الذى يعيشه المسلمون والذى لا يمثل الاسلام تمثيلاً صحيحاً .

ان علينا أن نعرف أن الحضارة الغربية التى بدأت مستمدة جذورها من المنهج العلمى التجريبي الاسلامى وليكنها قلقت ذلك الى أفق آخر هو أفق الفلاسفة اليونانية المادية والاباحية وقد أعان على ذلك قلبها للفلسفات التى قدمها فرويد فى مجال علم النفس والاخلاق ودوركايم فى مجال العلوم الاجتماعية وماركس فى مجال الاقتصاد وسارتر فى مجال الوجودية ، كل هذا هو الذى حول الفكر الغربى من المفهوم الاصيل لرسالة الانسانية ومسؤوليته وأمانته وبعشه بعد موته وجسائه وجزاه .

فان الفلسفة المادية التى انبثقت عنها تلك الدعوات التى وصلت الى أحماق النفس الغربية فأحدثت فيها تلك الازمة العصبية ، والتزق والانهار هى محاولاتها الخروج عن الفطرة والاصالة بانكار أمانة الإنسان ومسؤوليته فى هذا الارض على النحو الذى جاء به الدين الحق للإنسان .

وبالرغم أن العلماء فى مختلف مجالات النفس والاجتماع والعلم التجريبي قد كشفوا عن فساد هذه النظريات فان الفلسفة المادية تدفعها قوى خطيرة لها هدف بعيد فى إذاعتها وإغراء العقليات الضعيفة والساذجة بها . هذا الهدف هو تدمير البشرية قبل السيطرة عليها وهو ما كشفت عنه بروتوكولات حكماء صهيون ولقد تبين بالوثائق العلمية ان هذه الفلسفات استندت على أساطير قديمة ليست لها أى صفة علمية ، وأن المسلمات التى قدمتها قد كشفت التجارب الاحصائية عن

خطأها ، بل أن علماء النفس التجريبيين قد خطأوا فرويد في فرضيته من أن الجنس هو المصدر الوحيد لطموحه ، بل لقد تكشف أن ما جاء به فرويد على أنه صيغة علم هو من صميم الفلسفة التلمودية وقد كشفت الكتابة الفرنسية (لوس إيرا جراي) عن أن نظريات فرويد تنافض الفطرة وأن رأيه في المرأة لا يمدو مفهوم أفلاطون الذي يرى أن المرأة ليست كائناً بشرياً ، وإلى ذلك فإن فرويد ينظر إلى المرأة على أنها موضع لاشباع الرغبات الجنسية وقال بنيامين نيلسون في كتابه فرويد والقرن العشرين : إن علم النفس التحليلي عند فرويد يمثل علم الكبت والقمع ، وأنه اعتمد على الأساطير القديمة مثل عقده أوديب والخراب بين إيروس إله الحب والحياة وثاناموس إله الموت ، ويقول سعيد حارب الذي نقلنا عنه هذه المراجعات أن نظريات فرويد في الدول الغربية وبين مفكرها قد سقطت لأنها عاجزة عن أن تلبى فيهم نداء الحقيقة والعلم فهي نظرية جريئة تبحث في جانب يسير من جوانب السلوك الانساني ، وهو العامل الجنسي وتهمل كثيراً من الجوانب الهامة .

وكما كشف علماء الغرب فساد نظرية فرويد الذائمه العصيت والتي تدرس في المعاهد والجامعات على أنها علم - وليس على أنها فروض قابلة للخطأ والصواب - كذلك كشفوا فساد نظرية دور كايم التي علمت جيلاً ضخماً في البلاد العربية والاسلامية من ذهبوا إلى جامعات الغرب .

ودور كايم تلميذ أصيل بمدرسة الفلاسفة المادية التي أقامها هيرت سبنسر وتلميذ بمدرسة التفسير المادي للتاريخ التي أقامها ماكس وأنجلو ، وهو في ضوء المذهب الماركسي ينكر أهمية الفرد ومسئوليته ، ويعمل شأن الظاهرة الاجتماعية على المسؤولية الفردية وهو يرجع الأخطاء إلى المجتمع في محاولة لتبرير خطأ الفرد وجريمته وإحلاله من المسؤولية في كل ما يصنع ، ولا ريب أن مفهوم دور كايم للأسرة وللجريمة وللحياة هو مفهوم عكسي منافض للفطرة ومخالف لما جاءت في الأديان ، وينكر الندين الفطري ، في الانسان ، وينكر حياة الانسان في أسرته ، ويرى أن الجريمة هي عمل فطري ، وهو بذلك فتح الطريق أمام الأفراد للتحرر من المسؤولية الاجتماعية والالتزام الأخلاقي ليدفعهم إلى عمل كل شيء عطفاً كل الضوابط والقيود والحدود التي أقامتها الأديان والتزمتها البشرية في سعيها نحو إقامة المجتمع

الرباني ، وبعبارة أصح أنه يحاول أن يوجد مبرراً أمام الأفراد في أعمالهم المعارضة للأخلاق والضوابط ، ولإلقاء التبعة على المجتمع ، ومن ذلك فساد نظريته في أن المجتمع هو الذي يخلق الأديان والمقائد والقيم الروحية والأخلاقية ولذلك فهو يراها عبث لا طائل منه . وإذا كان ماركس يتجه بالإنسان إلى حيوانية العيش والبحث عن اللقمة ، وفرويد يصور الإنسان بأنه عبد لشمواته ونزواته ، فإن دوركايم يكمل الحلقة في افساد البشريه حين يفسر الإنسان تفسيراً مادياً حيوانياً صرفاً حيث يلغى إنسانية الإنسان . هذا هو الإنسان الذي خلقتة الفلسفة المادية في الغرب اليوم : هذا المفهوم هو الذي يوجه الحضارة المعاصرة وجهتها إلى النهاية المحتومة ، وذلك أن سارتر لم يلبث بعد أن عاد الشباب الأوروبي مهزوماً متجسلاً الخلق ، أن دعاه إلى الانطلاق فاندفع ينشئ علب الليل وعرى الشواطئ . والفساد في الميادين ، وكانت آخر الصيحات ظهور مجموعات عارية في الميادين لجأ ثم اختفائها : وقد شهد المفكرون الغربيون بأن الوجودية بمفاهيمها تمثل منعذراً من أشد منعذرات المجتمع البشري إلى الهاوية التي لا قرار لها .

ولا ريب أن المجتمع الغربي اليم تحت طرقات معاول هذه الدعوات الهدامة يدخل مرحلة اليأس والنزق والغربة التي بدأها مفهوم الخطيئة الأولى ، والذي أنشأ روح التشاؤم في الآداب الغربية والفكر الغربي وهذا ما يصوره الوجوديون أنفسهم حين يصفون جيلهم بأنه جيل بلا أمل ولا عمق ولا مستقبل .

(٣)

ومن هنا نصل إلى حقيقتين هامتين .

أولاً : ان هذه الحضارة المنهارة لا تستطيع أن تعطي المسلمين شيئاً ذا بال وهم بسبيل بناء حضارتهم الإسلامية الجديدة أو في مرحلتها المستأنفة .

ثانياً : ان الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية لا يصدران من مصدر واحد ، ولا يلتقيان من حيث الزمان والمكان فهذه الحضارة الإسلامية التي كفت عن اللعطاء خلال القرون الثلاثة الماضية تعود من جديد إلى الحياة بينما تدخل الحضارة الغربية في مرحلة المحاق والافول بعد تجربتها المريرة مع البشرية وهي أن تمكن

قد قدمت إضافات واسعة في مجال الماديات فإنها عجزت عن أن تستكشف الجوانب
المعنوية والروحية التي هي الشطر الآخر للإنسان والحضارة وكان أكبر أزماتها
انهيار الجوانب الأخلاقية وعدم الإيمان بالله صانع الحضارة والعلم والتكنولوجيا
ومعلم الإنسان ومن هذا المنغمز عجزت أن يحقق للإنسان ما يطمح إليه .

وتجرى اليوم محاولات في الغرب للتعرف على حضارة الاسلام وعلى الانسان
نفسه كمنفذ للبشرية من أزماتها وللمكن قوى الصهيونية تفسد هذه المحاولات وتخضع
أهل الغرب عن الحقائق الصحيحة وتزيف الصورة المشرفة للإسلام وتجدد من
بعض أهل الكتاب متابعة للأهواء بالتعصب والكراهية والحق قد عما يحول دون
فهم حقيقة الاسلام أو الاعتراف بعظمته وقدرته على حل مشاغل البشرية ، ولقد
نشأ منذ وقت بعيد تيار واضح وعميق في الغرب يعرف قدر الاسلام ويعترف
بأثره الواضح في حضارة الغرب وقد جاء هذا رداً على حملة الغدر ومؤامره الصامتة
والانكار الذي ظل يسرى سنوات وسنوات بفضل الاسلام ولكن هذا الرافد
الذي يعترف في الغرب بالاسلام منهمجاً صالحاً للمجتمع البشري وبديلاً للمنهج الغربي
المعاصر (لغير اليه وما ركسيه) ما زال نموه لما يكتمل بعد واعتقد أنه سيصل في
القرن الخامس عشر إلى مرحلة النضوج والكمال فزال أمام الغربيين شوطاً طويلاً
حتى يتفادوا عن ذلك الصلف الذي ظل يغذى عقولهم سنوات طويلة عن الرجل
الابيض وحضارته التي لا تهزم وعن سيادته للسود والهنود والمولدين ؛ وعن دوره
في التكنولوجيا والوصول إلى الكواكب وهو ينسى أنه محاصر الآن حصاراً
شديداً لا فكالك منه بين القنابل الذرية والهيدروجينية المدمرة لمدنه ومدنيته
والمذاهب المادية المدمرة لنفسيته وكيانه الروحي .

في مواجهة الحضارة الغربية

إن حضارة الغرب تمر اليوم بمرحلة الانهيار والحزينة والتحلل وهو الدور مرت به من قبل حضارات الرومان والفرس وكل حضارة خرجت عن القيم الدينية والأخلاقية وانحدرت إلى الترف والاباحية والفساد .

ومع أن هذه الظاهرة واضحة تماماً في عشرات من الصور والمواقف فإن بعض دعاة التغريب ما زالوا أمثال حسين فوزى ولويس عوض وغيرهم يكذبون على أهلهم ويخدعهم بتصوير هذه الحضارة على أنها المثل الأعلى والغاية المرجاه لكل ثقافة وأمة . ولو أننا تدبرنا قليلاً ما يقوله أمثال جبراله مهرد في كتابه (القيم الخلقية الثابتة) حين يقول :

« إن الغرب تأس ومتخلف بتحكيمه القانون العلمي في كل شيء حتى غدا الإنسان آلة قابلة للتحكيم والتحكم ما دام كل شيء ما كينة فكل شيء . لا هدف ولا أخلاق له ولا قيم له . إن كل ما يملك الغرب هو القدره على التصنيع والقدره وحدها قد تدمر والاسلام تحقيق لا بالشفاء ولكن بالقلب والعدل معاً ،

وقد أشار إلى معاني الفساد في الحضارة الغربية باجشون كثيرون في مقدمتهم (والترشوبارت) الذي يقول : إن الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق وهي شديدة الائمة نزاعة إلى الفردية محبة للتنافس .

صحيح أن الغرب قد جعل الانسان ذات تراث واسع يتفوقه في الصناعة ولكنه جرد الانسان من الروح وسيفقد الغرب زعامته ويصبح لا يمثل الطراز الانساني في الغالب وكثير من ذوي العقول الراجحة يتوقون إلى أن يروا نهاية الثقافة الغربية البالية وهم يشعرون بفقرها وإفلاسها وينطلقون إلى ثقافة تخلفها . إن الفرد من خلال هذا النموذج الثقافي — الغربى — لا يعبأ بخلاص روحه وأما يمه فرض ساططاته وتوسيع دائره نفوذه وقد نجح الفرد في تغيير وجه الارض

ولكن هذه الثقافة أخذت تملأ سماءها السحب وتومض حولها البروق وتعصف بها الأعاصير وأوروبا تنزلق نحو الهاوية وتقرب من النهاية ولا شيء يستطيع دفع هذا المصير المظلم .

نحن نقول لهم أن هذا المصير المظلم الذي يواجه البشرية يستطيع شيء واحد دفعه هو « الإسلام » بمفهوم العودة إلى الله وربط الأسباب كلها بصانع الأسباب وخلق كل القوى في عالم الطبيعة وعالم الإنسان .

وقد دمج سولجستين الحصار الغربي المعاصرة بالهزيمة والدمير وقال : أن أعجب ما يلاحظه المراقبون الأجانب في الغرب هذه الأيام هو الانهيار في روح الشجاعة في مواجهة السوفييتية الشيوعية ، أنهم مصابون بالشلل عندما يواجهون القرى المهددة لأممهم ومنها الإرهاب الدولي .

ويسأل : هل انهيار روح الشجاعة هو بداية النهاية . ويقول : أنه بما يساعد على رواجها هذا الغزو الذي يثير الاشتراكية الحية الفرد الخاصة بواسطة البرامج الغبية في التلفزيون والموسيقى التي لا يمكن احتياها . أن الدفاع عن حقوق الغرب قد وصل إلى أبعاد متطرفة بحيث أصبح المجتمع كله أحياناً يقف عاجزاً عن مواجهة أشخاص معينين . إن السمعة السطحية والاستعجال مرض القرن العشرين . يبدو واضحاً في الصحافة . لقد أصبحت الصحافة أقوى من السلطة التشريعية والتنفيذية ومن سلطة القضاء .

إن المعركة من أجل بقاء كوكب الأرض قد بدأت فعلاً . إن قوى الشر قد بدأت فعلاً هجومها ، وتستطيع أن تحبس ضمطها في كل مكان ورغم ذلك فإن شاشات تليفزيونات الغرب وصحفه حافلة بالابتسامات والكؤوس المرفوعة لتبادل الانتخاب . لقد وضعنا كل آمالنا في الغرب على نظريات الإصلاح الاجتماعي والسياسي واكتشفنا بعد ذلك أننا مخدوعون ،

وممكننا بعد أن الأمور قد صارت واضحة لهم ولكن ما بال أهلنا في العالم الإسلامي قد ما يزالون يمشون في خدعة عميقة تجاه هذه الحضارة المخارة وما زال يربقها يملأ عيونهم وأرواحهم .

إن الغربيون المنصفون اليوم يبحثون بعد إفلاس الحضارة الغربية عن طريق: هذا الطريق نهمر نحن المسلمون أن لدينا مفاتيحه . نعم أن فكرنا الاسلامي الاصيل قادر على أن يقدم لهؤلاء ما يبحثون عنه . إن هؤلاء القوم معذورون لأن طبيعة المفهوم الذي جاءهم عن الدين لم يكن كاملاً والانجيل الذي أنزل على رسول الله عيسى عليه السلام لم يكن ديناً مستقلاً ولذلك فإنه ما كان ليقود حركة الحياة . لقد أنزل الله تبارك وتعالى الانجيل على عيسى عليه السلام ليكمل النقص الذي وجد في بني اسرائيل حين انصرفوا إلى المادة انصرفاً كاملاً حتى أنك حين تقرأ التوراة المكتوبة بأيدي الاحبار لا تجد فيها كلمة واحدة عن اليوم الآخر . لقد أعلوا شأن المادية حتى دعوا إلى أن يروا الله جهره ، ومن أجل ذلك لابد أن يأخذ الانجيل ليقدم شعباً روحية ويكمل النقص الذي منى به بنو اسرائيل ، فلما انفصلت المسيحية عن اليهودية كانت المادية كلها في جانب والروحانية في جانب .

أما الاسلام فقد جمع بين الماده والروح وأمور الحياة ومطامح النفس ولذلك فقد نص القرآن على أن بني اسرائيل أهدوا القيم والروحانيات وأن أهل الانجيل (أهل الدنيا) أما أهل الاسلام فقد جمعوا بين الجانبين .

لقد قدم الاسلام مفهوم الحضارة الانسانية الجامعة : حضارة العدل والرحمة والاخاء الانساني على أساس تحرير الانسان من عبودية الوثنية ومن عبودية الانسان وأن يكون الانسان مستخلفاً في الأرض لبناء المجتمع الرباني وأنه مسئول وملتزم أخلاقياً ويؤمن بالجزاء والبعث والحساب ويؤمن بأن الكون من خلق الله تبارك وتعالى وأنه هو مصدر العلم العامل والمعرفة الحقيقية لجميع البشر . ولقد أعطت الحضارة الاسلامية البشريه هذا المفهوم المميّز كما أعطتها المنهج العلمي التجريبي وإذا كانت قد توقفت عن العطاء فترة فإنها مؤهلة للعودة ككرة أخرى إلى أداء واجبها في بناء الانسانية لاشدة بعد أن أثبتت الحضارة الغربية فشلها في أداء هذه الرسالة .

ولقد هوجمت الحضارة الاسلامية من الغرب هجوماً شديداً وتذكر انها بعد أن أحرز زبدة علومها ومعطياتها ، ولكن الحق يعلو مهما اشتد التنكر له فقد عاد المنصفون يعترفون بالفضل . ويرون أن البشرية لن تستطيع أن تحقق مجتمع

الرحمة والعدل والاخاء إلا إذا عادت إلى الإسلام كرة أخرى. إن الحضارة الإسلامية بمفهوم القرآن تهدف إلى قيام المجتمع الإسلامي الصحيح الذي يجمع بين توفير الحاجيات المادية والحاجات النفسية وضمان تحقيق التوازن بين الأمرين ، ولقد صيغت المبادئ الإسلامية على نحو يجعلها رمزاً للضمان الحقيقي للأمن والكرامة والعواطف التي تحتويها لا تعارض سنة التطور في الحياة البشرية من جهة وتضمن توفير حاجيات البشرية بنوعيتها من جهة أخرى ،

إن على المسلمين الذين ما زالوا مخدوعين في الحضارة الغربية والذين يحاكونها بحاكة عمياء ، على هؤلاء أن يتذكروا ما قاله برتراند رسل الفيلسوف الانجليزي من أن الناس في الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الإنساني من الحياة بالكمية نفسها التي تتقدم بها الناحية المادية وإن كل خطوة إلى الأمام في المخترعات المادية هي خطوة نحو فناء الإنسان ، فعلياً أن نكون دائماً على يقظة فلا نلقي بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة . إن علينا أن نأخذ منها ما ينسجم وإسلامنا ونلقي عن كراهاتنا عقمها وفسادها . وهذا أمر ميسور حين نؤمن بالإسلام عن بينة وهدى والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم أو كما يقول المسلم الألماني محمد صديق من أن الحضارة الغربية لا تضع حلاً لغير مشكلات الحياة المادية ونحن نشاهد أثرها المدمر على الحياة الإنسانية فقد تحطمت الأسره كاجمعت صلات الموده بين الأفراد ولذا فإذا شئنا أن نكون بشراً بحق ونصرف تصرفات الإنسانية أن نمرض أعراضاً كاملاً عن التقليد الأعمى للحضارة الغربية .

حضارة الإسلام المتجددة

حاول الاستشراق محارلات متعددة للغرض من قدر الحضارة الإسلامية ، فقد كان جارياً على أنكار فضلها على الغرب ، حفيها بأن يظل أهلها جاهلون أياها ، بل وكارهون أياها . ومن هنا كانت دعاواه بأن المسلمون لم يقدموا إلا مترجمات اليونان القديمة ، أو قولهم أن عناصر فارسية أو تركية أو غيرها كانت هي مصدر الحضارة وأن العرب لم يكن لهم فيها نصيب فيها أو وصفهم الحضارة بأنها حضارة مربية في محاولة لسحب كل ظل من الإسلام عنها وفي كل الدعاوى الثلاث كان الباطل واضحاً فإن المسلمين قدموا للانسانية المنهج العلمي التجريبي الذي لم يسبقهم اليه أحد وأنه هو الحجر الاساسى لبناء الحضارة الحديثة ، وأن مسألة العناصر لا قيمة لها في الإسلام الذي ارتفع بمعتقديه الى الايمان بوحدة اسلامية ترتفع عن القبليات والافليميات والتعصب للعناصر أو الاعراق أو الدماء .

ولم تكن الحضارة عربية لان أساسها هو القرآن والتوحيد والدعوة الى النظر في السكون والرحمة والاخاء الانساني والتحرر من الوثنية ومن عبادة الفرد والقيصر والفرعون فهي اسلامية أصلاً وليست عربية .

كلمات للتاريخ

يقول وليم كانسفيلس : ان كثيراً من كتاب اللغة العربية عندما يذكرون الدول الاسلامية كدول الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والامارات الاسلامية يعبرون عنها بقولهم (التمدن العربي) وهو تعبير فاسد تكذبه الحقيقة التاريخية ، فلو قالوا (الدول العربية) لكانوا أقرب الى الصواب ذلك لأن العنصر الغالب والحاكم فيها كان عربياً ، أما التمدن بمعنى ما أنتجت تلك العصور من ثمار العلوم والفنون والصنائع فقد كان (تمدناً اسلامياً) وليس عربياً . والفرق بين اللفظين ظاهر لا يخفى على ذى بصيرة .

ويقول : أن العرب بما فطروا عليه من الذكاء وبعد النظر لم يضطهدوا العلوم

والفنون في البلدان التي فتحوها بل على الضد من ذلك شجعوا وساعدوا على ترقيتها ، ونحن بدورنا نقول للكاتب أن ذلك هو أيضاً فضل الاسلام وأثره ومنهج الحياة التي جاء بها ، وليس العرب هم الذين فعلوا ذلك من عندهم فقد علمهم دينهم السماحة والرحمة والانفتاح على الثقافات فدعاهم رسولهم أن يطلبوا العلم ولو في الصين شريطة ألا يكون ذلك متعارضاً مع عقيدتهم وتوحيدهم لله تبارك وتعالى .

وبعد ف ولیم کانسفلیس بفضل الحضارة الاسلامية ويضيف شهادته إلى شهادات المنصفين أمثال دواير وجورج سارطون وجوستاف لويون وسجريد هوتكه حين يقول : لقد استفادت أوروبا النصرانية من الاسلام بعد أن تقهرت بعد سقوط رومية وظلت أجيالاً راسخة في ظلمات الجهل إلى أن حان وقت يقظتها

ولقد عاشت الحضارة الاسلامية وندفت قدرتها عن العطاء ولا زالت مؤهلة لاستئناف أداء دورها مرة أخرى عاشت لأنها قامت على أسس راسخة من مفهوم تحرير الانسان من عبودية الوثنية وتحرير الانسانية من عبودية القياصرة والفراعنة والباطرة ، ولذلك فإن أرنولد توينبي لم ينقطع أن يتجاهل الحضارة الاسلامية من بين الحضارات التي ما زالت قائمة (الحضارة : عربية وشرقية) والحضارة الهندية وحضارة الشرق الأقصى . يقول : هذه الحضارات القائمة في الوقت الحاضر قد استطاعت أن تبقى قائمة يعقنها مئات الملايين بفضل ما أتبع لها من عوامل النمو والحياة نتيجة لما قام بينها من تفاعل وما حدث من اللقاءات على مدى التاريخ . ويتحدث أرنولد توينبي عن مشهدين في الالتقاء بين الحضارة الاسلامية وحضارة الغرب المسيحية : اللقاء الأول هو لقاء الحروب الصليبية ويقول : كان من نتيجة هذا اللقاء اقتباس أوروبا الغربية للتفوق العربي الاسلامي ولإثراء الحياة الغربية بالسيطرة بعناصر اجتماعية وثقافية كان لها أثرها في قيام حركة النهضة الأوروبية ابتداء من القرن الرابع عشر (عصر النهضة) .

أما اللقاء الثاني فهو اعطدام الحضارة الاسلامية بالحضارة الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر متمثلاً في الاستعمار الغربي في مصر (حملة نابليون) ثم الاحتلال الانجليزي ، وفي شمال أفريقيا (الاستعمار الفرنسي) . . ويكشف أرنولد توينبي انصاف عن أن الحضارة العربية الاسلامية بالصوره المشوهة التي يحاول بعض الباحثين

أن يصورها في صورته الأفول والذبول الذي أدى إلى الانهيار السريع أمام الاستعمار بل كانت الحضارة العربية الإسلامية لا تزال تتمتع بقدر كبير من الحيوية بما مكنها من الصمود أمام الغزو الحضاري الأوروبي الذي ظل يفاوش العالم الإسلامي حتى اليوم ولم تأخذ الحضارة العربية الإسلامية أسلوب الانكماش والعزلة بل راحت بمنطق الثقة والاعتزاز تبحث عن سر التفوق أو الانتظار العسكري للغرب .

يصل (توينبي) إلى الدعوه إلى اتخاذ أسلوب العيش العربي سبيلا إلى إبقاء الحضارة الإسلامية . هؤلاء الذين تربوا في أحضان الغرب وحملوا لواء هذه الدعوه لخدمة النفوذ الأجنبي واستبقائه لتجديد الحضارة الإسلامية بعد أن فسروها تفسيراً مادياً غربياً أو ماركسياً في محاولة لانتقاصها ولخلق جو من اليأس في نفوس أهلها منها ليعتقدوا حضارة الغرب المنهاره التي تمر بمرحلة الانهيار والتصدع ، وقد كشفت حركة اليقظة عن فساد هذه الدعوه وانهازام هذا التيار بعد أن جرب العرب والمسلمين أسلوب العيش الغربي الذي وضعهم في طريق الهزيمة والنكبة والنكسة بل ووضعهم على حافة فتدان وجودهم نفسه ما لم يعودوا إلى التماس منهمجهم الاصيل المستمد من القرآن الكريم والاسلام والتوحيد ، وقد تكشف لهم دغش ، هؤلاء الرواد وضلالهم من طه حسين وإطفي السيد وساطع الحصري وسعد زغول ، ومنذ وقت بعيد عرف المسلمون أن ما ينقصهم هو العلم والتكنولوجيا وأنهم إذا استطاعوا الحصول عليها وصهرها في إطار فكرهم الإسلامي ولقنهم العربية فإنهم يدفعون الحضارة الإسلامية الغافية إلى طريق اليقظة ، فتوقد معها لها من جديد لتمتد الانسانية كلها بالضياء والمال والرحمة والأخاء الانساني بعد أن تصدعت تجربة الحضارة الغربية المادية التي سيطرت على البشرية أربعة قرون وأعطت الناس من المتاع المادي ما دفعها إلى حافة الترف والاباحية والتزق النفس لأنها نسيبت إطار الحضارة العالم على حدود الله وضوابط العدل واشتغلت بالجنس والعنصر والمادة وانحرفت عن بناء المجتمع الرباني فكان لابد من أن نصيها سنة الحضارات ، ولا بد أن تنتهي نهاية الحضارة الرومانية وكل حضارة مجرت طريق الله تبارك وتعالى واشتغلت بالباطل والظلم .

واليوم يتزايد هذا الجليل الرائد الذي مدي إلى الضلال بعد أن استحصدت

حركة اليقظة الإسلامية وقدمت مفهوم الإسلام الأصيل : المفهوم القرآني لا الفلسفي ولا المستمد من جبريه التصوف الفلسفي أو علمانية الاعتزال ، وكلها مذاهب معطربة تأثرت بالفلسفات اليونانية والغنوصية وعجزت عن أن تقدم المنهج الأصيل المستمد من المنابع الأصيلة من القرآن الكريم والسننة الصحيحة ، ويتكشف لكل قابعين والمراقبين أن الحضارة الإسلامية تتأهب لجولة جديدة هذا على الأقل هو ما يتطلع إليه المسامون على سطات القرن الخامس عشر : ألف مليون ، ربع سكان العالم لهم كيانهم الاقتصادي ووجودهم التكاملي ، هذا فضلا عن أن بشرية كلها تتطلع اليوم إلى فجر جديد يأتي من قبل الإسلام نفسه بعد أن عجزت الأيدولوجيات الغربية عن أن تقدم مقهجا أصيلا .

ولقد كان روجية جارودي في كتابه (من أجل حوار مع الحضارات) قد أندر الحضارة الغربية بسبب تحطيمها للقيم الإنسانية (ومن قبله كانت صيحة شينجلر) الذي أعلن قبل خمسين سنة حين قال : ليس هناك مهرب وإنما الآن في آخر مراحل التدهور وليس هناك احتمال في ظهور دين جديد أو فلسفة جديدة لأن تربة الغرب مهوكة ميتافيزيقيا والشك هو الطريق الوحيد الذي ينفذ أمامنا .

أن هذا العمر سيكون المرحلة الأخيرة من الحضارة الغربية وهذه المرحلة النهائية حتمية بالنسبة لتاريخ الغربي . وهناك مجموعة أخرى سبقت وتبعث تحمل هذا الطابع من التشاؤم في مستقبل الغرب منها برطاردت وتيلولاس وداليفر ، قال دانيفسكي أن الأفطار غير السلافية في طريقها إلى التدهور . ونحن نرى اليوم أن الشعوب السلافية أيضا قد انهارت بعد أن فشلت فيها التجربة الماركسية ، أما جارودي فيقول : أن الحضارة الأوروبية التي نبتت على فلسفة فاوست (أي الشيطان) والتي جعلت من الإنسان الغربي مجرد آلة للإنتاج والاستهلاك يسير دون مدف ، ولهذا السبب فإن الحضارة الغربية ستعود للإنسان إلى هلاك محتمل إلا إذا خرج الرجل الأبيض من جملة وغرويه وخطرسته وتفتح على الحضارات العريقة الأخرى . أن الإنسان الذي أنتجته الحضارة الغربية يسير بلا هدف كالآلة في إنتاجه واستهلاكه وهدفه الوحيد هو أن ينتج أكثر فأكثر ، ويجعل من هذا النحو الاقتصادي المقياس الوحيد الذي يفرق بين دولة متحضرة ودولة متأخرة .

ومكنا نحن لشهد النهايه . ولكننا لا تتمجلها وإنما نطلب إلى المسلمين أن يقيموا المجتمع الاسلامى فى بلادهم ليستطيعوا أن يقدموا الاسلام الى الناس ، أن البشريه أحوج ما تكون اليه ، أن الاسلام يملك مفهوم الحضارة الوحيد الذى تتطلع اليه الدنيا كلها ، وهو القادر على أن ينقل الناس من البشريه الضالة الى الانسانيه الراشدة ، ذلك هو التوحيد والعدل والرحمة والآخاء الانسانى والتحرر من عبادة الوثنيه فى العقيدة وعبادة القيصر والمادة فى المجتمع .

لقد حاولت الحضارة الفريية قهر الحضارة الاسلاميه وابادتها فى محاوله استمرت أكثر من مائه وخمسين عاما واسكنها عجزت لأن الحضارة الاسلاميه على تعتمد على أسس ثابتة من الفطره والأصالة والعدل وهى أسس لا يمكن أن تنهار أمام زيف الماده أو بريق الاباحيه أو ضلال العنصريه والفرديه والاستعلاء بالجنس او المال .

نحن وحضارة العرب

(١)

في مطالع القرن الخامس عشر الهجري يجب أن يكون المسلمون قد تحرروا تماما من عقدة الاجنبى ومن الاعجاب بالحضارة الغربية التي تمر اليوم بمرحلة الافول والتدهور . وذلك بشهادة الغربيين أنفسهم في ذلك أن هذه الحضارة قد قطعت شوطا طويلا في الطريق المضاد للقطرة والطبيعة حين فصلت بين العلم والدين والروح والمادة، والهدنى والآخرة واستعملت بالنظرية المادية، واستطالت بشمرات العلم، وحاولت أن تؤكد قدرتها على تنظيم الحياة بأسلوب لا يدخل فيه الدين ولا تنتظمه الاخلاق ولا ثبات القيم وجرت وراء مفهوم للتطور والنسبية يرفض إقامة إطار ثابت تجري الحركة من داخله ثم حاولت بعد ذلك إقامة الدراسات الانسانية على أساس التجريد والمادة فافترضت أن الانسان حيوان وأنه خاضع للمادة أو للجنس واسقطت اسقاطا تاما مفهوم الروح والمعنويات والدين وما للعقائد من تأثير في الناس، وهالها من قوة في تفسير الاحداث والوقائع والمواقف ومن ثم دخلت في مرحلة الازمة وتركت بصماتها على المجتمع الغربى بالتزق والغربة والخطر الشديد وخاصة حين أخذت مفهوم الاباحية وحرية الجنس والترف لإنهيار الاسرة وكراهية المرأة للولادة وتربية الطفل والجري وراء الشهوات وبذلك دخلت مرحلة الافول التي دخلتها من قبل الحضارتين الرومانية والفارسية ونحن المسلمون لنا حضارة قد توقفت عن المطاء ثمة بعد أن أعطت العالم والانسانية أعظم تراث من العدل والرحمة والاخاء البشرى وحطمت قواعد الظلم والعبودية التي عرفتها حضارات الفراعنة واليونان والهنود والفرس وإقامت المجتمع الربانى وأقامت المنهج التجريبي أساس الحضارة الحديثة، ورفعت البشرية عن هذه الوثنية والمادبة وحررتها من الطفولة والاخلا دلى الأرض والشهوات والظلم، وكانت الحضارة الغربية قد ورثت تلك المعطيات جميعا ولكنكم شامت أن تصمم مفاهيمها العالمية في إطار

للفكر البشرى الوثنى القديم ومن ثم تقدمت مقدما ماديا بعيد المدى في معطيات الحياة والعناء والعمل ولكنها عجزت في نفس الوقت أن تلبى مطالب الروح أو تحقق أشواق النفس أو توازن بين الماده والروح أو تجمع بين العقل والقلب، أو تجعل الدنيا مزرعة للأخرة فانصرفت عن أدق مفاهيم الاستخلاف في الارض، وعجزت عن فهم المسؤولية الفردية والإلتزام الأخلاقي والجزاء الاخرى .

وكان أكبر المحاذير أن جاء النفوذ الغربى مثلا بالاستعمار السياسى والعسكرى والاقتصادى ففرض على المسلمين مفاهيم في الاجتماع والتربية والقانون ، وحجبت أسلوب الحياة الاسلامى تماما ، وحاولت جميع النظريات الوفده التى ظهرت في العالم الاسلامى وهى مجموعة من النقائص والاشاب ، من ركام النظريات الغربيه أن تشكل بالمزج والتركيب نظرية ملفقه ولذلك لم تستطع أن تبقى طويلا لانها ضد طبائع الاشياء وضد الفطرة ومن حيث حاول بعض القادة الجمع بين الاسلام والقومية والماركسية أو بين الوحدة والحرية أو بين الديمقراطية والاشتراكية ، فلم تستطع هذه النظريات أن تحقق شيئا ، وكشفت بفساد تطبيقها ، عن حاجة البلاد الاسلاميه إلى النظرة الاسلاميه الاصيله الجامع . اتقد فضلت تلك المسميات الوافده كلها أن تعطى شيئا ، وكانت ميزه الاسلام أنه صنع وحدة الفكر الجامع التى تحول دون الصراع الفكرى التمزق النفسى .

ولقد كشف كثير من الباحثين الغربيين عن فساد هذه التجربة الغربيه فقال والتر شوبارت : أن لروح الغربيه يتفشى فيها الخوف والقلق ، وهى شديده الاثر نزاعه إلى الفردية محبة للتنافس ، وأن الغرب قد جعل الانسان ذات تراث واسع يتفوقه فى الصناعة ولكنه جرد الانسان من الروح ، وسيفقد الغرب زعامته ويصبح وهو لايمثل الطراز الانسانى الغالب ، وكثير من ذوى العقول الراجحة يتوقون إلى أن يروى نهاية الثقافة الغربيه البالية وهم يشعرون بفقرها وإفلاسها ويتطلعون إلى ثقافة تخلفها . أن الفرد من خلال هذه النموذ الغربى لايعمأ بخلاص روحه وإنما يهجمه فرص سلطانه وتوسيع دائره نفوذه وقد نجح الفرد فى تغيير وجه الارض ولكن هذه الثقافة أخذت تملأ سماءها السحب وتوهض حولها البروق وتمصف بها الاعاصير وأوربا تنزاق إلى الهاوية وتقرب من النهاية ولا شئ يستطيع دفع هذا المصير المحتوم .

لذلك كان علينا أن لا يندفع وراء حصاره خرجت عن الفطرة وعن طاعة الله
سمحت الاشياء بغير اسمائها الحقيقية وتسكرت للخفاق العظيم فوصفت مصدرها
بالطبيعة وادعت أنها ليست في حاجة إلى وصاية المدين أو حماية الاخلاق .

ومن أخطر محاذيرها أنها تحاول أن تطرح أسلوبا للعيش يخرج المسلمين من
مفاهيمهم وقيمهم ويدفع بهم إلى التخلف من التماسك الخلقى وفتح الباب أمام
الرشوة والهدية في مقابل خدمة مقدمه على حساب المجتمع ، وإلى السهرات الصاخبة
والحرور يتصل بها من اخفلاط الرجال والنساء وإلى الولوج بالترف والوخرف
والالوان والزينة والنفجف والموسيقى والرقص والتخلف من التبعات وخلق مجتمع
فيه كثير من التحلل والرخاوة ومن شأن تقبل المسلمين لمفهوم الحضارة الغربية
هذا أن يجعل الجماعة الاسلامية عاجزة عن مواجهة النفوذ الاجنبى والفز والخارجى
ومقاومة السيطاره الاجنبية المتغلغلة وعن شأن تقبل هذا أن يخلق نوعا من الاعجاب
بالغاصب وتقليده التعلم فى مدارس البعثة إلى بلاده ، وفهم الاسلام على غير حقيقة
والتأثر بالفسير المسيحى للدين باعتباره دين عبادى لاهوتى محض لاعلاقة له
بالنظم الاجتماعية والسياسية . وقد احتوت هذه الاساليب المجتمعات الاسلامية
إلا قليلا فى نظام اقتصادى ربوى ومفهوم لبيرالى ديمقراطى أو ماركسى اشتراكى
مع مفهوم إقليمي وقومى ضيق وكل هذا مما يتعارض مع العدل الاجتماعى الاسلامى
والشورى والاخاء الاسلامى الجامع .

نحن وحضارة الغرب

(٢)

تحديات مجتمع الاستهلاك

يقول أحد الخبراء الاجتماعيين الغربيين : إن المجتمع البشرى اليوم قد سئم ويئس من منبع أوروبا الذى فقد زبته ولم يستطع خلال هذه النهضة الهائلة الطويلة أن يضيف إلى رصيد الإنسانية إلا الحديد والنار والقنابل المدمرة والغازات السامة والآلات المبيدة . وإن الفراغ الذى حدث فى قيادة الإنسانية اليوم هو فراغ رهيب ولكنه فراغ لا يستطيع أن يملأه أحد إلا للعالم الإسلامى ، والحقيقة إن كتاب الغرب المتصفين اليوم قد أخذوا يقومون التجربة كلها وقد وجدوا ثمرتها قبض الريح وحصاد الحشيم .

لقد نضبت موارد الأرحام فى أوروبا ونسبة المواليد فى أغلب بلاد أوروبا هى خمسة أطفال لكل ألف من السكان وما تزال الذببة تنضائل . بينما هى تنمو نمواً مضطرباً فى عالم الإسلام ، وهناك الحديث عن افلاس الغرب والتضخم ، وجرى الحديث حول صياغة نموذج اجتماعى جديد والعجز عن تحقيق ذلك لأن الوعائم فى الغرب اليوم غير قادرة على تغيير نوعية الحياة التى يعيشونها أو الانتقال من حضارة الاستهلاك إلى حضارة جديدة أكثر استقراراً والسبب وصول رجال عاديين إلى الحكم أصغر بكثير من الازمات التى تواجه بلادهم نرى العجز واضحاً فى تجاوز المشا كل والتخبط يمينا وشمالا .

وقد أجمع صفوة علماء الغرب على فساد التضامن الرأسمالى والاشتراكى والتطلع إلى نظام جديد وقد عرض علماء المسلمين عليهم النظام الإسلامى بوصفه الحل الوحيد الذى لن تهدم البشرية أمامها سبيلا للخروج من أزمتها إلا به .

وقد توقع أن يولد توفيق الدينار الدخل القومى والاجتماعى للبلدان الصناعية

مما يؤدي إلى توقف النمو الصناعي في هذه الدول بل وتدهوراً مستمراً يسيطر على هذا النمو مما يجعلها تواجه تحدياً مريعاً سببه الحصار الاقتصادي الدائم الذي ستعاني منه نتيجة أحوال مادية قاسية .

وكتب مؤخراً كلود جوليان عن سقوط الامبراطورية الامريكية في العالم فقال: أن هذا السقوط سيكون أسرع كثيراً من المدة التي اقتضاها لإنحسار الشمس عن الامبراطورية البريطانية وقال أن عوامل التفسخ والتآكل التي قضت على جميع الامبراطورية بما فيها الامبراطورية الرومانية التي ظلت تهاوى بشكل اتحداري لمدة ثلاثمائة سنة .

ويواجه الغرب موجة عاصفة في مجال الأمراض الخبيثة التي يجتاحها بنسب عالية نتيجة الإسراف في الطعام والحرق وأكل لحوم الخنزير وأمراض القلب والقرحة والصداع .

وقد تكشف في السنوات الأخيرة في المجتمعات الغربية عشرات الوقائع من الفضائح الاخلاقية .

وهكذا يعاني الغرب الفلج والاضطراب والفربة والانتحار نتيجة المشا كل التي يواجهها الإنسان في حياته اليومية العادية ، وهي حالات عصبية وهمية لاعلافها بالواقع ومنها ظاهرة الاكتاب وتعارف الجميع على ما يسمى بالحبوب المهذنة والمنومة التي يستعملها اليوم الملايين ، وقد جاء في بعض الاحصائيات أن ٢٠٠ مليون أمريكي يتناولونها كل يوم لكي ينام بعضهم أو يهدى أعصابه وأصبحت المصانع تنتج منها بالمليارات .

وما يزال مجتمع الاستهلاك يفرز مزيداً من الاخطار ويعقد الامور ويخلق الازمات ولعل أخطر هذه الازمات التي تهدد بفناء البشرية استهلاك الطاقات استهلاك الوارث السفية الذي يبذر ما أورثه الله له من ثروات طبيعية هائلة وكأنه يعتقد أن هذه الموارد من المواد الخام والاراضي الزراعية ومياه الانهار والبحيرات لا حد لها ، يستطيع أن يغترف منها إلى ما لا نهاية فهو يستخدمها بإفراط وإسراف يهدد العديد من هذه الموارد بالنضوب والاستنزاف .

وقد أعلن العلماء محذرين أن النمر الذي يشهده العالم منذ سنوات بعيدة له حدود سيقف عندها وإن الموارد الطبيعية التي يبددها الإنسان بحماسة سوف تنفذ يوما ما قد تكون أقرب ما يظن .

يومئذ سيواجه الجنس البشري مأزقا لا يدري كيف يتخلص منه، هذاما كشف عنه العلماء نتيجة السفه في الاستهلاك وفي مسائل الثرف وما يزال عالم الغرب يمدح المسلمين وأصحاب القارة الوسطى الواخرة بكل الثروات ليستلب منها هذه الثروات بأقل التكاليف ويثير تلك الدعاوى الباطلة عن الانفجار السكاني وغيره من محاولات ترمى إلى إنقاص تعداد المسلمين وتنمية خصومهم ، والحقيقة أن الازمة ليست في تزايد السكان ولسكنها في سوء توزيع الثروة من حيث يمتلك عدد قليل من أصحاب الثروات تلك المقادير الضخمة يعيش أصحاب الموارد أنفسهم عيش للفقراء ثم يراد أيضاً أن يحال بينهم وبين النمو حتى تظل هذه الموارد في أيدي الجشعين من المغامرين الأجانب وأغلبهم اليهود .

كذلك فإن هناك ذلك التطاول الخطير من بعض أديباء العلم في تجاوزهم الحدود المسموح للبشر بالسمي والاجتهاد من خلالها في محاولة إنتاج ما يسمى الإنسان النموذجي ، وقد أغزاهم النجاح الذي أحرزه في بعض الجزئيات فدفعهم إلى اقتحام ميادين جديدة تعتبر خارجة عن الحدود التي يجوز للإنسان أن يعمل في نطاقها وخاصة تلك الميادين التي اختص الله نفسه بها ولا يستطيع بشر مهما أوتى من العلم والمقدرة أن يتعرض لها وفي مقدمة هذه الميادين معجزة الخلق بكل ما فيها من تعقيدات وإعجاز حتى في أصغر مخلوقات الله .

وقد أخذ بعض العلماء في التورط في أبحاث ودراسات قد تكون نتائجها وبالاً على الإنسانية بدلا من أن تفيدها ، ومعنى هذا أن العلم ترك مجاله الحقيقي في خدمة الإنسان للبحث عن ميادين أخرى غابئة يحارل افتتاحها بروح الغرور وبذلك يواصل خروجه عن مهمته الحقيقية تمدد نكاره للخالق والصانع والمدير والاعتداد برأى باطل ظاناً أنه يستطيع أن يكشف ما لم يأذن به الله .

بل أن عالم الغرب يمتلك فائضا ضخما من الثمرات يحول بينه وبين الوصول إلى المجامع الفقيرة المتناثرة في أنحاء العالم ويلقي بها في البحار .

وقد تبين منذ فترة أن لدى دول العالم المتقدم مليوناً طناً من الألبان المجففة التي تكفل لإطعام ٢٠٠ مليون طفل من أطفال العالم الثالث القليل التغذية لمدة عام، ولكن الجشع الذي عرفت به الحضارة الغربية ما زال يحول دون عدالة التوزيع وحسب الثمار في أيدي قليلة تملك كل شيء وتحرم ما يفيض منها على الناس وتحول دون وصوله إليهم .

هذه المفاهيم التي يمدحها المجتمع الغربي الاستهلاك تتعارض تماماً من قيم الدين الحق من العدل والرحمة والآخاء الإنساني ولذلك فإن هذه الحضارة معرضة للزوال والسقوط ولا بد أن تصيبها قارعة تحطم هذا الظلم وهذا الطغيان .

خاصة وأنها تنفق على الأسلحة الذرية والهيدروجينية ألوف المليارات وتكدس تلك القنابل الخطرة وتضع البشرية لدى سنوات طويلة عرضة للخطر الذري المدمر ، وما يترتب على ذلك من آثار خطيرة على المجتمع الغربي والمجتمعات الأخرى من حيث ظهور روح الخوف المتصلة بإحساس دافع إلى اقتناص الذات وانفجار للشبهوات ما دامت النهاية المحتومة هي الفناء أن على الشرق المسلم أن يعي درس هذه الحضارة المزدية وأن يكون حريصاً على أن لا يقع في براثنها وهي في مرحلة الأمول .

(٣)

نحن وحضارة الغرب

عجزما عن الاستجابة لاشواق الإنسان

أعلن كثير من الباحثين المنصين أن الحضارة الغربية لم تعد تملك امكانية حل أزمتها الحاققة (مخالفين بذلك أنواره توينبي ومالك بن تبي وقاليري) ويردون ذلك الى عقم التربة التي تقف فوقها والى فساد الهواء الذي يكتنفها كما يقول الدكتور عماد الدين خليل — وهي تقفز كالمحبوس من النقيض الى النقيض الى أن وجدت أغرب حل حين اقترح (الدوس هكسلي) تعميم المخدر وجمعه في تناول الجميع كالمشروبات الروحية والتبغ وذلك لأنه بغير نرج الإنسان الغربي لتطويع الذات العارضة وقد تبين من بعد هذه الجولة الضخمة فساد التجربة : فشل الدين وفشل الاتحاد : فشل الدين لأن تفسيراته لم تكن مطابقة للدين المنزل فقد انحرفت عنه .

فشل الديمقراطية وفشل الدكتاتورية : لأن كليهما كان من الفكر البشري القائم على الأهواء والظلم وسيطرة طبقة .

فشل الوجودية وفشل إلغاء الحزبات :

وكان الانسان هو الضحية فهو الذي دفع أعصابه ودماءه وكرامته وفطرته وانسانيته مما أدى الى الانقلاب النهائي من أحضان اللاتقاء أو الفكر بكل الكلمة الى الايمان بذاته وآليها وتقديسها والى الوقوع في برائن الوجودية (سارتر وكامو) ويرجع ذلك الى غياب الأساس الثابت : نقطة البدء أو النهائية بعد الجولة الواسعة لابد من وجود أساس تبدأ اللعبة منه وتنتهى عنده :

ويشير الباحثون الى أنه بعد أن عجزت الديمقراطية والماركسية اليوم بدأت تجمعات للشباب الهيبى يقدم البديل للمجتمعات التي تارث عليها وبدأت

ثقافة المخدرات يستوطن عقول الشباب وتنخر في أجسادهم وتناثرت صور الضياع وتغابقت بمضل تهور الشباب حيث ظهرت أخيرا في شوارع لندن وفي حي (لشلسى) قفليعه جديدة أطلق عليها ((بونك)) يلبسون الثياب المقلوبة ويزينون أذانهم بدبابيس الثياب المعروفة ويضعون شفرة الخلاقة التي تقدل من القلادة التي تحيط بالعنق كما يحيط اللجام باعناق بعض الحيوانات .

وجاءت تقارير تقول : أن كل أمريكي يعادل خمسمائة هندي بالنسبة لما يستهلكه ساكن الولايات المتحدة من منتجات غذائية . ويتحدث التقارير عن التلوث المتزايد بنسبة خمسة كلما ازداد عدد الأمريكيين بنسبة واحد في المائة وهل ادركت الحد الأقصى الذي يستحيل بعده اجتذاب دمار البيئة الطبيعية وزوال الحضارة من أصلها وقال التقرير أن الدول المصنعة تنصح البلدان الفقيرة كل يوم بتحديد النسل وتخفيض عددهما البشري على اعتبار أن منتجات الأرض لا تكفي لسد حاجات البشرية التي يبلغ عدد أفرادها اليوم أربعة مليارات والحال أنه يتضح من إحصاءات المنظمات الدولية أن الشعب الأمريكي يستهلك حاليا ما يعادل استهلاك ٤٠٠ مليار هندي عما يعني أن النظرية القائلة بأن العدد البشري هو أصل الداء ليست صائبة فإن أصل الداء هو طريقة توزيع منتجات الأرض على سكانها بدليل أن سكان الولايات المتحدة لا يمثلون سوى ٦ بالمائة من مجموع سكان الكرة الأرضية ولكنهم يستهلكون ثلث نفطها ورابع حبوبها ونصف فوسفاتها فضلا عن أنهم يملكون ثلث مجموع المواد الأولية الرئيسية في العالم .

وتقول التقارير أنه في مواجهة تناقص المواليد في الغرب فإن الغرب يقوم بعملية الأول الضغط على العالم الإسلامي لتخفيض سكانه وصرف مئات الملايين لدفع عملية تحديد النسل وتقديم أقراص منع الحمل وفي نفس الوقت تعمل دول الغرب على تشجيع الانجاب بسبل ووسائل غاية في الإغراء فالمانيا الغربية تدفع ١٠٨ دولار شهريا للطفل الثالث و٤٥ دولار للطفل الثاني ، أما فرنسا ودول الغرب الأخرى تتجه إلى دفع مرتب ثابت لا يقل عن ٨٣٠ دولارا في الشهر الواحد .

وما يزال الغرب يدعي أنه "غرب المسيحي مع أن اليهودية قد احتوت المسيحية والفكر المسيحي وهذا الاحتواء اليهودي الذي فرضه العهد القديم بمفاهيم المغيرة والمخاضة للإنجيل لخدمة الفكر اليهودية وجعل العهد القديم مرتبعا بالإنجيل وجعل

أ كذوبة أرض المعاد من القضايا التي ألغى عليها الأجيال المسيحية الجديدة ، وقد كانت عملية التبشير التي قامت بها الكنائس والجماعات في العالم الإسلامية ذات أهمية كبرى في خدمة الاستعمار وتركيز النفوذ الأجنبي السياسي والفني ، ذ الربوي واليهودي السائر في ركاب الاستعمار ولقد كان الفكر الليبرالي الغربي الذي حاول السيطرة على المجتمع الإسلامي فكريا مسيحيا كنسيا محتوى بالفكر اليهودي الربوي وله جذوره اليونانية ومفاهيم الرومانية ، ولذلك فقد طرح منذ اللحظة الأولى فصل الدين عن السياسة وإعلاء شأن العلانية التي تقرر اتخاذ القانون الوضعي نظاما للمجتمع في شئون القضايا والاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم وعمل على حجب الشريعة الإسلامية بكل معطياتها ، ومن ثم ففتح القانون الوضعي والمظالم الربوي الباب واسما أمام الخمر والاباحية والانحلال الأخلاقي وحطم الحصانة التي كان يعتز بها المجتمع الإسلامي قبل الاحتلال .

واقدا استطاعت اليهودية تطويق المسيحية مرتين ، مرة في بولس ومرة في العصر الحديث فاذعنت لقبول الربا وقبول الخمر ، ولقبول التأييد لاسرائيل ، ولأن لليهود السيطرة على الاقتصاد فقد اضطر الفاتيكان إلى إعلان تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح (والمسلمون يؤمنون بأن المسيح لم يقتل ولم يصلب) ، وقد نجحت اليهودية في أن تشكل لدى المسيحيين عقدة ذنب لاحقهم لتأييد وجودهم في فلسطين والاعتراف بالتفاسير السكاذبة لما يسمى حق اليهود في فلسطين .

ويقول بعض الباحثين : أن هناك ضربتان وجهتا إلى المسيحية : الصهيونية والماركسية وتطويق اليهودية للمسيحية وتحريف مفاهيمها وتحطيم اتجاهها وإدخالها في زمرة أديان التعدد والوثنية .

واليوم تعمل الكنيسة الغربية في خدمة أهداف التلمودية الكبرى وتبنى موضوع الحوار للحد الباب أمام المستشرقين الذين لا يقلون مفاهيم المسيحية عقلا ويودون أن يهتدوا إلى التوحيد الخالص ، وهم يحاولون احتواء بعض التفريعات ليحصلوا منهم على أبحاث إسلامية تقول أن الخلافات بين المسيحية والإسلام فرعية وأكاديمية على حد تعبيرهم وذلك ليواجهوا بها أولئك الذين يرغبون في دخول الإسلام وليثيروا في صدورهم اليأس من أن الإسلام سوف يعطيهم عطاء الروح ويحجبون

عنهم أن الاسلام يخالف المسيحية في ثلاث مسائل هامة وخطيرة وهي التثليث والصلب والخطيئة .

واليوم تكشف دراسات جديدة عن فساد نسبة التوراة والانجيل الموجودتين اليوم إلى المصادر الالهية ويؤكدون أنها كتبت بأيدي الاخبار والرهبان وأنها ليست منزلة من السماء وأن هذه الكتب تعارض الحقائق الدينية والعلمية وأن الكتاب الوحيد الذي ثبت آياته صدق مصدره الرباني هو القرآن الكريم .

(٤)

نحن وجنسية الغرب

مستقبل الحضارة الإسلامية

بعد إفلاس الحضارة الغربية يبحث الأوروبيون عن طريق نحن المسلمون
نفسهم إن لدينا هذا الطريق . أن فكرنا الأساسي قادر على أن يقدم هؤلاء
ما يبحثون عنه .

إن هؤلاء القوم معذرون لأن طبيعة الانجيل أنهما جاء ليقود حركة الحياة
وإنما أنزله الحق تبارك وتعالى على سيدنا عيسى ليكمل النقص الذي وجد في
بنى إسرائيل حين الصرفوا إلى المادة لأنصرافا كاملا حتى إنك تقرأ التوراة المكتوبة
بأيدي الأحرار فلا نجد فيها كلمة واحدة عن اليوم الآخر : سيطرة المادية ، يريدون
أن يرتقوا بالقوانين المادية إلى الإله : حتى نرى الله جبهة ، من أجل ذلك كان
لا بد أن يأتي الانجيل وليس به سوى الشحنة الدينية الروحية ، وليس به نظام
حياة حتى يكمل النقص الذي في بنى إسرائيل ، ولقد حدث بعد ذلك أن
انفصلت المسيحية عن اليهودية فكانت المادية في جانب والروحية في جانب وحين
يريد المسيحي أن يجد حلا لآى قضية من قضايا الحياة المادية فلن يجدها في الانجيل
لأنه لم يجرى لهذا وإنما جاء لآكمال النقص الروحي : ثم جاء الاسلام يجمع بين
أمور الحياة وشئون الروح ، ولذلك نجد القرآن ينص على أن بنى إسرائيل أهملوا
القيم والروحانيات وينص على أن أهل الانجيل أهملوا الدنيا ،

أما المسلمون فقد جمعوا بين الجانبين .

وهذه هى نقطة الحسم فى الموقف كله فى أمر الحضارة الغربية والمجتمع الغربى
وفى المواجهة القائمة الآن بين قيم الاسلام وأسلوب العيش العربى :

إن الحضارة الإسلامية المتجددة مع مطالع القرن الخامس عشر ستعطي البشرية نموذجاً جديداً فقد صيغت المبادئ الإسلامية على نحو يجعلها قادرة على ضمان التنسيق والتوازن والتكامل بين حاجيات المادة والحاجيات النفسية والروحية ، إن الضوابط التي وضعها الإسلام لا تعارض سنة التطور ولكنها تقيم حركة المتغيرات داخل إطار الثوابت .

إن خضوع المسلمين اليوم وتحت تأثير انفتاحهم الذي لا ضابط له على الحضارة الغربية ، يتنازلون عن كثير من عاداتهم وقيمهم ويميزاتهم الخاصة تحت الضغط المادي والقهر النفسي ويفقدون هويتهم وطابعهم الذي شكلهم به القرآن وصنعهم به الإسلام ليصبحوا د. نموذجاً ، خاصاً في البشرية كلها ، شاهدين عليها ، هادين لها ، يحملون ذاك اللواء ، لا إله الا الله ، وذلك القنديل المضيء . القرآن ، وهم اليوم يتنازلون عن خصائص كثيرة وينصهروا في أتون الأمية والعالمية المظلم ، وخاصة فيما يتعلق باللغة العربية وأسلوب الممار والمأكل والملبس وترك المترجمات الضارة يحتاج أفق فكرهم بما يقدم الأجيال من يدأ من الضعف والتحلل والانقياد للشهوات والآهواء ، وتقدم وسائل الاعلام باخطر دور في هذه المؤامرة الضخمة في متابعة مجتمع الاستهلاك ودور مفاتن السلع الغربية وتقليد النمط الغربي للحياة

ولا ريب أن دراسة المجتمع العالمي المعاصر تدلنا على أن فيضان النهضة المادية قد وصل إلى آخر مداه وأنها غير قادرة على اعطاء السكينة لقلب السكينة لقلب الانسان وأن موجة من التحلل والغربة والتمزق وانعدام الثقة والطمأنينة النفسية تغزو العالم ولكن العالم أخذ اليوم يبحث عن مخرج ، عن النور ، عن كوة صغيرة من الضوء ، وسوف لا يجد ذلك كله الا في الإسلام ، ولو نهض المسلمون يدعون إلى دين الله لفتح الله لهم ولسكنهم مع الأسف ما زالوا مكبلين بأصقاف الآهواء المادية التي تحول بينهم وبين إقامة المجتمع الإسلامي فيما بينهم قبل أن يكونوا قادرين على تبليغ الإسلام إلى العالمين .

ان فهم الإسلام فهماً حقيقياً على أنه نظام مجتمع ومنهج حياة هو العقبة التي يجب أن يتحملها المسلمون ليقوموا المجتمع الإسلامي الرابح المصدر وبذلك يكونوا مؤهلين لأداء دورهم في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة .

واليوم تتحطم في الغرب تلك الصورة التي كانت تقوم على الاستطالة والاستعلاء بالكذب والباطل وبالادعاء بأن هذه الحضارة هي من صنيعهم ، وقد كشفت الابحاث الجادة فضل المسلمين دورهم الاساسى في بناء المنهج التجريبي وتقديم المعطاء في عشرات الميادين فضلا عن مفهوم الحرية وحرية الفكر وحرية العقيدة وتحرير البشر من الوثنية ومن عبادة الفرد .

يقول سجيريد هونكه : إنه من خطئ الراى أن يدعى الاوربيون أن أوروبا هي فقط العالم الحديث ومن الحماقة أن يدعى الاوربيون أن تاريخ أوروبا هو تاريخ هذا العالم ، فالحقيقة التي لا شك فيها أن سائر القارات التي يتكون منها عالمنا هذا ساهمت وتساهم في تشكيل الأحداث العالمية التي تخضع لها شعوب المعمورة ونحن لا نجد فيما كتب الاوربيون إلا إشارة عابرة إلى أن دور العرب لا يتعدى ساعى البريد الذي نقل إليهم التراث اليوناني .

إن العرب ظلوا ثمانية قرون طوا لا يشعرون على العالم فنا وأدبا وعلماء وحضارة كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور ، كما نشروا الواء الحضارة إلى حلوا سواء في آسيا وأفريقيا أو أوروبا ثم أنكر الاوربيون عليهم فضلهم .

وفي أحدث كتب جارودى (من أجل حوار الحضارات) يكشف عن عظمة الدور الذي قامت به الحضارة الإسلامية يقول : لقد جاءوا بنظام اجتماعى أرقى بكثير من النظام القائم وسرعان ما ظهروا في مظهر التحررين وذلك بتخليص عبيد الأرض من وصاية الملوك . ثم بعدم الاستيلاء على الأرض فالقرآن يحرم ذلك مكتفين بالحراج ، ويقول إن الغرب مدين بالنهضة إلى حد كبير للتصليح العربى الذى استطاع أن يخلق الظروف العسكرية لفتحها .

ويؤكد أرنولد توينبى الدور الجديد الذى ستقوم به الحضارة الإسلامية فنقول أن هذا المستقبل متوقف على الاكثرية المؤمنة بترائها والتي زادها الصراع مع الغرب حيوية ونشاطا والمؤكد أن هؤلاء الاكثرية سوف يوجهون الطاقة العربية (الإسلامية) للفخاق والإبداع والنمو ، وبالتالى إلى تجديد شباب الحضارة العربية (الإسلامية) والعمل على إحلالها محل اللاتق في الحضارة العالمية .

إن مستقبل الحضارة العربية (الإسلامية) يتوقف على الآ كثرية المطلقة من الجماهير الواعية التي تدرك ذاتها وتعمل على تقوية نفسها لصد السيطرة الغربية والتحرر من الاستعمار بأوسع مظاهره والعمل على تنمية حضارتها الذاتية :

ان الثقة بالنفس التي تميز بها العرب لم تصل الى حد التعصب الاعشى المغرور أو الى روح العزلة شأن الحال عند بعض الغربيين فقد تميز العرب بالقدرة على الاختلاط بالآخرين والتعاون مع من لا يريد تحديهم أو العمل على اذلالهم .

ان العرب لا يعيشون في فراغ روحى وحضارى لأن تراهم الحضارى الغنى بمؤسساته ونظمه وتقاليده وأفكاره يملأ روحهم ويكون ثروة عظيمة اذا أحسن تنميتها وتوجيهها فإنها ستمين على فرض مستقبل زاهر على أن أهمية التراث فى حياتنا الحضارة لا تكون بالجمود عليه بل فى محاولة تنميته وتطويره لىكون قوة حيوية ملائمة للحياة الجديدة بما يواجه من تحديات وأن هذا التطوير ينبغى أن يقوم به العرب أنفسهم بوعى وإدراك وهذا هو السبيل الذى مكن العرب فى الماضى من تكوين دولتهم العظيمة التى دامت قرونا وهو السبيل الذى إذا اتقن تنظيمه سيضمن العرب مكانتهم فى المجتمع الإسلامى المستقبل ثقة فى النفس وسعة فى الصدر ومرونة فى الفكر وعمق فى البصيرة وتعاون ببناء .

وجملة القول : إن مستقبل الحضارة العالمية رهن بمستقبل الحضارة الإسلامية ولقد دخلت الحضارة التبرية مرحلة الحاقق ولم يعد فى استطاعتها أن تعطى شيئاً إلا عطاء القلق والتمزق وأزمات التدمير الاجتماعى والخلقى .

ويجب أن يعرف شباب الإسلام أن الأمل معلق بالقوة القادرة على منح الإنسان مظاحه الروحية الى جانب المعطيات المادية وأن المعطيات المادية نفسها لم وان تكون قادره على إسماعده ؛ فقد ارتفعت نسبة الدخول والموارد فى بعض بلاد أوروبا على النحو الذى جعلها فى القمة وما زالت هذه الدول تقاسى أشد ألوان التمزق النفسى وفيها أعلى نسب الانتحار والقتل .

والحضارة الغربية اليوم تقدم أبشع صورة للإنسان فى مجال التدمير ولا ريب أن أخلاقية الحضارة هى حجر البناء الأول فإذا فقدت الحضارة هذا الأساس فإنها مهما تطل بها الحياه فسقط الملايين القائمة بها مدمره مناره .

ولاريب أن أكبر الخطأ هو الاستسلام للنمط الغربي ونسيان الهوية وفقدان الأصالة، إن الهدف من الغزو التغريبي القائم هو أن ينصير المسلمون في بوتقة الامة . ولا ريب أن الانحاط الحضارية الغربية التي يراد احتوائها في داخلها هي جد فاسده :

ولذلك فنحن نطالب بالعودة إلى المنابع ونشجب أسلوب العيش الغربي لقد كان الغربيون في أخدمم بالتجريب الإسلامى أصدق منا فقد احتفظوا بقيمتهم وعقائدهم والشيعويون والغربيين لهم استقلال ايدلوجى ، واليابان مع حضارة الغرب لها استقلال فكرى .

فلماذا لا يكون للمسلمين هويتهم وذانيتهم ازاء الحضارة والعلم وأسلوب العيش الغربى حتى لا ينصهروا في بوتقة الامة وتزول هويتهم وشخصيتهم المتميزة .

(٥)

في مواجهة الثقافة الإسلامية

(١) في مواجهة الثقافة الواحدة

(٢) الإسلام والثقافة الوثنية

في مواجهة الثقافة الوافدة

إن محاولة النفوذ الغربي لإخضاع ثقافة الإسلام وفكره الثقافة الغرب ما تزال مستمرة وهي تتم في إطار السيطرة وليست تجري في إطار الإرادة الحرة ، أنه ليس تقارباً حراً بين الثقافين وإنما كنه تقارب في ظل عدة ضغوط تحت نفوذ الاستعمار و سلطان الغزو الثقافي في محاولة فرض هذا اللون نقيضه مرحلة ضعف الغرب والمسلمين ومرحلة سيطرة الغرب وقد جاء ذلك نتيجة تكوين عناصر ذات سيطرة سياسية تؤمن بالفكر الغربي وتحقر الفكر الإسلامي ومن ذلك قولهم أن التراث الغربي له جذور إسلامية (ولذلك فإننا نستطيع أن نأخذ به) وهي مقولة غير دقيقة فإن هذه العلوم حين كانت إسلامية ونقلها الغرب إلى لغاتهم من اللغة العربية ، نقلها بحذر دون أن ينصهر فيها وحوّلها إلى إطار فكره وليكنها حين تعود اليوم فهي ليست خالصة من طابعها الغربي الذي أضفى عليها طابعاً مادياً فتحوّلت إلى شيء آخر غير الثقافة الإسلامية الأصلية المبالغ التي تستمد من القرآن والسنة وتقوم على التوحيد .

٢ — لقد كانت الثقافة الإسلامية - كما يقول ماملتون جب - ولا تزال عاملاً هاماً في تكوين الشخصية الإسلامية على مدى العصور فقد حمت الثقافة الإسلامية القائمة على (التوحيد والعدل والرحمة والأخاء الإنساني) المسلمين من دخول تقاليد غربية الجوهر عن كنهه الصحيح . وبذلك بقي لها ذلك طابع الاختلاط الدائم الذي ظل قائماً بين أنحاء العالم الإسلامي لاسيما بين الأطراف ومركز الإسلام في مصر وآسيا الغربية وأهمها . الحج والطرق الصوفية واللغة العربية والتجارة .

كذلك عملت الثقافة الإسلامية على أضاف ذكري الثقافات الموروثة بل على نحوها في بعض الأحيان من نفوس معتنفة واحلال تاريخ الإسلام وتقاليد عليها ونسى الناس في كل الأقطار تقريباً ما كان لهم من ماض قبل الإسلام ، نسي

المصريون فرائضهم وبطالستهم ، ونعى الاثراك خواقينهم ذلك أن المصاركة في دين واحد وشريعته واحدة وثقافته واحدة أوجدت الى جانب الشعور بالوحدة الاجتماعية (القرب بين المسلم في المغرب والمسلم في جواره له الحق في أن يغدو ويروح .

ويقول جب : ليس عجيبي أن تتمايز الثقافات ولكن العجب أن أصول المدنية ونزعات الفكر في الإسلام بقيت واحدة بوجه عام برغم كثرة العوامل التي تعمل على الاختلاف ومن أعظم آثار هذا الاتساع المتوثب أن الإسلام لم يتعرض أثناء تنسب مدنيه لثقافات متباينة تنافس في التأثير فيه .

٣ - لقد علمنا الاسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها في ضوء قيمنا ونورها الهادي ، ومن أجل ذلك فإن علينا التعرف على أكبر قدر من المعلومات المقدمة لنا عن طريق الصحافة أو الإذاعة أو المؤلفات المترجمة وغيرها ، هذا الركام من خبرات العالم المزاكمة ، ماهو موجود هنا وهناك وهل كل هذه المعلومات نافع وضروري ولإيجابي أم هناك زيف كثير وتغامات إن لكل أمة ثقافتها التي شكلتها عقيدتها وفكرها وتاريخها وتراثها لذلك فإنه علينا أن يكون لنا موقف ، من هذه الثقافات والفلسفات ، ماذا يمكن أن نعتقنا ، هل نقف بما يعرض علينا موقف النقل والاقباس ، كيف يمكن ضمان أن لا تصبح المعلومات المعروضة علينا وسيلة للسيطرة على الأمم ، وماذا هن فكرة تقليد الغرب وإنماط الغرب ، ولتترف ، والاستهلال ، التحرر من القيم ، عن انتهاء الأفطار العربية إلى الاسلام .

٣ - ويجب علينا تركر دائما على حقيقة أساسية تدخض كل الشبهات أن الثقافة العربية تستمد وجودها الرامن من التعامل الإسلامية وترتبط بالاسلام ارتباطا لازما وشاملا ، وهي كما يقول الدكتور إبراهيم حسان - أن البلاد العربية وحدة ثقافية تقوم على وحدة الدين ووحدة التراث ووحدة اللغة ، هذه الوحدة هي المهرع المسكين الذي حفظ للعرب سماتهم الخاصة وحفظ لهم كرامتهم كالكافة المرتسكو الاسامي للتحرر والانطلاق ، وهي التي مهدت للعرب فرص اللقاء في وحدة شاملة ونعى إذابة الفراق في التصورية والحسيه والشكوكيه به المجتمعات العربية والاستفادة من ضرورة

الترابط الوجداني الذي نبته العقيدة الاسلامية في حلق ترابط وتعاطف اجتماعي في نطاق الوطن العربي .

٤ - أن النظرة الاسلامية هي النظرة الجامعة التي لا تقتنع بالجانب المادي أو الدنيوي أو الجانب الروحي وحده في أي تجربة من تجارب الحياة .

ذلك كما يقول الأستاذ العقاد أن كل ما يحاول أن يصل إليه العلم من سر عرفناه بالايان ، أن هذه الكرة الأرضية في مكان خاص من الكون الواسع ولا يغير هذه الحقيقة كهدف من كهوف الفلك ولا يزال سر الحياة مستعصيا على العلم والعلماء ولكنه ليس مستعصيا على المؤمن بالله لأنه قد أعطاهم إياه من قبل دون أن يحتاجوا إلى الخبرة الطويلة في البحث وكل ما أعطاه العلم مهما بلغ قليل بالنسبة لما أعطاه الإيمان

وما تزال كل ما أعطت العلوم عاجزة عن تفسير سر الحياة الذي عرّمه المؤمنون أن سر المادة اليوم أصبح أحوج إلى الإيمان من سر الروح .

٥ - إن أخطر ما يواجه الاحتكاك الثقافي بين عالم الاسلام وعالم العرب هو خطر المصطلحات الوافدة : وإن أول ما تدعو إليه الأصالة ويهدن للعقبات على طريق دخول حركة اليقظة عصر النهضة هو خضوعنا للمصطلحات الغربية وعجزنا عن تحررها . ولقد ارتفعت الصيحات من الدعاة المخلصين بالعمل على صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الاسلامية من التحريف أو إخضاعها للتصورات المعاصرة الغربية أو المصطلحات السياسية والاقتصادية التي نشأت في أجواء خاصة وبيئات مختلفة ولها خلفيات وعوامل وتاريخ فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية - كما يقول السيد أبو الحسن البدوي - غيرتنا على المقدسات وعلى الأعراض والكرامات بل وعلينا أن نحول دون إخضاعها وإمكانه ليس مستعصيا المؤمن التصورات الحديثة أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية ،

وأما المخاطر التي وقع فيها الفكر الاسلامي في القرن الخامس الهجري عندما دعا بعض الزنادقة والشعوبية إلى احتضان مصطلحات وافدة ، ومنها فكرة الباطنية ودعوتهم إلى أن للقرآن ظاهرا وباطنا فقد أزلوا الثقة بالكلمات المتواترة الأصيلة التي هي أسوار الشريعة الاسلامية وحصونها وشعائرها وأدخلوا المسلمين في دوامة

خطيرة من التبعية والريف . ويقول السيد أبو الحسن البدوي : أن الكلمات هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعاني والحقائق من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر ومن انسان الى انسان فاذا وقع الشك في مدلول هذه الكلمات أو صار التلاعب بها اضطرب دهاثم الدين وتزلزلت أركانه . وليست قضية الأسماء والمصطلحات من اليساطة بالمكان الذي يتصوره بعض الناس ، فانها تؤثر في النفس تأثيراً خاصاً وتثير معاني وأحاسيس ذات الصلة بالماضي وذات الصلة بالمعاني والاعراف أحياناً ولذلك كره رسول الله أن يقال العتمة مكان العشاء ويوم العروبة بدل الجمعة واستبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول أو بالمدينة . لقد توارثت الامة الإسلامية هذه المفاهيم المعينة كما توارثت أشكال الصلاة والصوم والحج وتناقلتها وحافظت عليها من غير أقل انقطاع أو أقصر فترة ، :

ومن هنا فان تلبيت المصطلحات الإسلامية : الشورى والعدل الاجتماعى والرحمة والمروءة والاخاء الانساني وغيرها عامل هام في خلق التصور الاسلامي الصحيح الذي لا تستطيع المصطلحات الغريبة الحديثة تحقيقه لانها تختلف عنه اختلافاً واسعاً .

الإسلام والثقافة الوثنية

(١)

رفض المسلمون في القارة الهندية الانصهار في بوتقة الامة الهندية وحافظوا على وجودهم وكيانهم الخاص : يصور هذا أحد الباحثين المسلمين فيقول :

أن المسلمين في القارة الهندية مع إيمانهم بصدق الاسلام وادراكهم تمام الادراك عظمت ثقافتهم وتراثهم لم يمتنعوا عن إتخاذ بعض أوجه الثقافة الهندية والتي يمكن التوفيق بينها وبين مثلهم العليا وحاجاتهم وكانوا يمتدنون كل ما يخالف عنائدهم وأفكارهم نبذاً شديدا ولم يقبل مسلو الهند أن يتسرب لهما شيء ويترحف الى مذهبهم وعقيدتهم ولا أن يؤثر في أي بينه جدير على وجهتهم وكان حكام البنغال حماة اللغة والآداب وكانوا يؤمنون بأن المسلم إذا قام بذش ثقافة هندية غير مسلحة فقد هتد نفسه . لقد أراد المسلمون أن يعيشوا فقاموا كل الجهود التي بذلت للقضاء عليهم وكانت أجابتهم على حركة الأحياء الهندية أن قوروا رابطنهم بمصادر ثقافتهم الاسلامية وزادوا نسبة الكلمات الفارسية والعربية في لغتهم اليوم .

وإذا نظر الهندي إلى العهد الماضي السابق على الاسلام باعتباره عصره الذهبي فقد أجاب المسلم بتمجيد أعمال اسلافه في الهند وواعتبرها مثلاً أعلى . أن أسطورة الفتح الاسلامي التي يعتبرها الهنود قصة الاذلال القومي كانت في نظر المسلم أوج مجد أجداده . كل هذا سبب فتورا ونفورا في علاقات المسلمين بالهند وجعلت المسلمين يدركون أن لهم كيان قائم بذاته . وهكذا زاد احساسهم وقوى إدراكهم لالانهم ينتمون إلى ديانة مختلفة وكفى بل وإلى نظام اجتماعي مغاير وثقافة متباينة .

أن العناصر الاسلامية لهذا النظام وتلك الثقافة ماوهنت فقط ، وزادها قوة ذلك التبديل البارز في نظم الهنود خلال عشرات السنوات الاخيرة وتجلت

حقيقة الديكان المستقل للشعب الاسلامى فى الهند بصورة واضحة فى لباسه وفى هندسته المنزلية والعامة وفى اللغة والشعر وفى الأدوات والآلات ذات الاستعمال اليومى وفى العادات والاساليب وجد الهند فى مذهب القومية الهندية فرصة لتدعيم مركزهم لانهم أملوا الحصول على موارد الدولة بفضل عددهم ووجد المسلمون انفسهم أمة قائمة بذاتها وتركهم ، وتركوا حركة الاحياء الهندى كاشفين عن كل المميزات والخصائص التى تنفوه بهم كأمة منفصلة وتلك ظاهرة ذات مغزى لدارسى دلم الاجتماع .

نعم : يمتد الباكستانيون أن لهم ثقافة مجيدة يستطيعون أن يدفعوها قدما ويرون أن تاريخهم : أقام الدليل على ولهم الميزى بالتسامح والتحرر فوجب عليهم اذن أحيائها وممارستها فى حياتهم ونشرها والدعوة اليها فى العالم .

ومن ذلك طموحهم على جعل حياة الامة ترتكز على المبادئ الاسلامية لآخوة الانسان والتسامح والديمقراطية والعدالة الاجتماعية . أن لاضرار الباكستانيين على المبادئ الخلفية والروحانية التى نادى بها الاسلام ادى بالمقربين عليهم أن يقولوا أن باكستان دولة الهية أو دينية وليس شىء أبعد عن هذه الحقيقة أن السلطة الالهية معناها الحكم المستبد المتعصب لطائفة الكهنة المتعنتين الذين يحكمون باسم الله . أن هذه النظرية غريبة على الالة العربية فضلا عن غرايتها على الاسلام الذى لا يسمح بأى نوع من الرهانية :

(١ . ج . فريسي)

(٢)

• تعمل الهندوكية مع الصهيونية والشيوعية الاممية بتعاون وثيق سعيا إلى ضرب المجتمع الإسلامى القائم فى الهند وفى باكستان وفى بنجلادش عن طريق العزو التعانى الهندوسى، وعن طريق الحلف الهندى الاسرائيلى ضد العالم الاسلامى الذى كشف عنه الاستاذ محمد حامد فى كتابه (الحلف الدلس) عن التعاون الهندى الاسرائيلى فى مختلف الميادين وقد أشار إلى الكوارث الثلاث التى حلت بالمسلمين فى بداية هذا القرن من انهيار دولة الخلافة وتأسيس دولة الهندوس وأخرى لليهود وأشار إلى أن هذه الكوارث هى نتيجة مباشرة لتأخر المسلمين وعجز زعامتهم ونتيجة غير مباشرة لمقرارات اليهود العالمية ومكانة الاستعمار والصهيونية .

وقد عمد غاندى ونهرو إلى إعادته لإحياء التراث الوثنى الهندوكى واعتباره التراث القومى للهند بعد أن عاشت الهند أكثر من ألف عام فى كتف الحضارة الاسلامى والفكر الاسلامى .

وحين يكتب كاتبهم عن تاريخ ثقافة الهند القومية (كتاب دكتور عابد حسين) يقول : لقد جاء المسلمون الى الهند كغزاة عام ٧١٢ ونشروا حكمهم فى اقليمى السند ومولتان والمرجح أنهم جاءوا للتجارة فى جنوب الهند قبل ذلك بمدة ، ثم اشار الى أن المسلمين نشروا الحرية والنظام فى ربوع البلاد ومنحوا رعاياهم من الهند الحرية الدينية والثقافة فغـيروا القوانين المدينية والجنايئة وأدخلوا عليها بعض بنود الشريعة الاسلامية السمحاء .

ويحاول أن يصور اقبال الهندوك على الاسلام بأن ما دعا اليه الاسلام كان لا يختلف كثيرا عن وحدة الاصل والمصدر الذى كان الهندوكيون يؤمنون بها وأن ذلك جمل من الطبيعى أن ينجذب الهندوكيين الى تلك التعاليم التى تشبه فى كثير من الوجوه تعاليم الفلاسفة الفيديّة .

ولا ريب أن هذا التبرير خاطىء وغير صحيح ولو أن الدكتور عابد حسين

قال أن الاسلام هو الفطرة وإن الهنود حين سمعوا كلمة لا اله الا الله نفضوا أيديهم من أوثانهم وتماثيلهم وأحجارهم وكنبتهم وانجهوا الى صوت الحق لكان خيرا له . ولما لا يستطيع أن يقول ذلك ويقول : ان أعظم ما جذب الطوائف الدنيا من الهندوكية هو التنظيم الاجتماعي في الاسلام والمبنى على أساس المساواة والاخوة بين جميع البشر بمضى للنظر عن الجنس واللون والدين فوصل عدد صحم من الهنود الى رحاب الاسلام .

(٦)

في مواجهة اللغة العربيّة

(١) تحديات في وجه اللغة العربية

يقول خصوم اللغة العربية :

تحديات في وجه اللغة العربية

• أن اللغة العربية غير قادرة على أن يتحدى اللغات المعاصرة .

• أن عدم قدرة اللغة العربية لإثبات وجودها في عالم اليوم إنما هو نتيجة اعتمادها على أصول وقواعد في النحو والصرف منذ القدم ولكي تكون اللغة العربية لغة معاصرة حية لابد من أن : (١) أن تتخفف من كثير من من قواعد النحو - أن يتساهل في قواعد الإملاء (٢) أن يتساهل في قواعد الصرف .

• إن اللغة العربية وسيلة وليست غاية ولذلك يجب التخفف من كثير من قواعدها ، ١ . هـ

ما تزال اللغة العربية تعير على مر الأيام بمارك ومساجلات عل امتداد الوطن العربي ، وفي مواجهة التحديات التي لقيتها خلال فترتي الاحتلال وما بعد الاستقلال خاصة في البلاد التي سيطر عليها النفوذ الفرنسي والبريطاني حيث تنافست الثقافتين اللاتينية والسكسونية وحاولت كل منهما فرض نفوذها عن طريق ثقافتها ولغتها وعلى حساب اللغة العربية الفصحى ، حيث حاولت مخططات الاستشراق والتبشير إحلال اللغة الأجنبية أو اللهجة العامية أو الحروف اللاتينية (كما حدث في تركيا وأندونيسيا حيث استبدلت حروف اللغتين العربية بحروف لاتينية وقد جرى ذلك بفان بعض اللغات أفريقيا) .

لقد كان لخصوم اللغة العربية والاسلام دعوات عريضة حول اللغة العربية في محاولة اتهامها بالقصور أو الجمود أو العجز عن استيعاب مصطلحات الحضارة والمعصر وقد نوقشت كل هذه القضايا وثبت فساد دعواها ، كما ثبت صلاحية اللغة العربية في الحاضر صلاحها في الماضي لحل رسالة الحضارة والعلوم والتكنولوجيا.

(١) قضيتان تثاران في الوقت الحاضر للهجوم على اللغة العربية :

(الأولى) اتهامها بالعجز عن تلبية حاجات المجتمع .

وإذا كانت معاصرة اللغة للحضارة إنما تتحقق بأن تفي بحاجة أبنائها من الكلمات والمصطلحات وتعينهم على استخدام كلمات ومصطلحات أجنبية كما يقول الدكتور محمد رشاد صالح - فإن خطوة اللغة العربية من القيم التي يحتويها هذا المعيار لا تقل عن خطوة اللغات الأخرى منها .

فاللغة اليابانية من أجل أن تراكب العصر اضطرت إلى قبول ما يتراوح إلى ٣٣ في المائة من مجموع مفرداتها من المصطلحات الأجنبية المدة وغير المدة وغير المدة كجزء من لغتها الأم كـ اللغة العبرية التي اضطرت أن تصل إلى ١٧ في المائة من مخزونها من مفرداتها .

واللغة الفارسية ضمت إلى بنائها الحديث من المفردات العربية ٢٢ في المائة ومن المفردات الأوروبية ١٥ في المائة .

واللغة التركية تستخدم عن المفردات الأجنبية ٢١ في المائة من مجموع مفرداتها

أما اللغة العربية فإذا وضعناها وما حققه لمواكبة العصر في كفة ووضعنا اللغات التي ذكرناها وما حققته هذه اللغات لتطوير نفسها والملاءمة العصر وحضارته في كفة أخرى وجدنا أن اللغة العربية تأتي في المقدمة بل تقف على القمة لأنها استجابت لحاجة العصر قدر استجابة اللغات التي ذكرناها واعتنى أبنائها باغناء هذه اللغات بمطامير أكثر حيث استطاعت أن تفي بحاجة أبنائها بوضع البدائل العربية وتوظيف المفردات القديمة وأن تعاصر حضارة العصر أكثر من معاصرة اللغات المشابهة لها في جغرافية المناخ وحيثيات الظروف من غير أن تقبل من الأجنبية والدخيلة حتى بنسبة ٢ ٪ من مجموع مفرداتها الأخرى الذي يجعل اللغة العربية تستحق صفة المعاصرة بمقدار ومن غير ما جدال بل يجعلها على رأس قائمة اللغات المعاصرة والعالمية الأولى .

الثانية : يقول بأن معاصرة اللغة للعصر إنما تتحقق بأن تكون اللغة سهلة في قواعدها ، بسيطة في أدائها ، غير مستعصية على التناول .

وفي هذا يقول الدكتور محمد رشاد صالح : لمعرفة مدى ما تتمتع به اللغة العربية بالقيم التي يحملها هذا المعيار تحتاج إلى إجراء مقارنة بين أوسع لغة عالمية وهي اللغة الانجليزية وبين اللغة العربية حيث يضح كلا منهما ومن المزايا التي يحملانها مقابل بعضها البعض .

أولا : اللغة الانجليزية لغة عالمية راقية لاتدانيها اللغات الأخرى في تداولها وعالميتها . قواعدها بسيطة لأبأس بها ومؤيدوها وعشاقها أكثر من الكثير وقد نجحت في السيطرة على العالم ولسكن السؤل هو : هل يعود نجاحها إلى مقومات المعاصرة وعناصر السهولة التي تملكها أم إلى عناصر خارجية . لا يجد المعنى في الانجليزية الا أن يحكم بالشق الثاني لأن الجوانب التي تعيب اللغة الانجليزية وتقلل من شأنها وتجعلها صعبة المراس عند الامعان ليست بقليلة فهي في أكثرها قائمة على الشواذ وتعتمد على السماع كما أن عماد اللغة نفسها يدور على نبرات صوتية كآلة وجرس رنيني لا يخضع لآداء صوتي محدد وقواعد محدودة . وكل نفس الشيء في أملاء الانجليزية حيث يفزوه نقص القواعد والضوابط من البداية إلى النهاية . فهناك الكثير الكثير من الكلمات (أكثر من نصف المفردات) الانجليزية التي تلتق مع بعضها في الصوت والجرس والرنين وتختلف عن بعضها في الاملاء بل أن حروف اللغة الانجليزية هي الأخرى تدور على عشرات أنواع من الاملاء مما جعل وجود عالم واحد يلم بأملاء جميع الكلمات الانجليزية على مستوى العالم من باب المجال . هذا إلى جانب أن حروف الهجاء الانجليزية غير كافية لرسم صوت الكلمات الانجليزية حتى أن القواميس الانجليزية تضطر إلى إضافة على رسم صوت بحروف الهجاء الانجليزية المعروفة إلى رسمها في أشكال ورسوم مختلفة توصل الأحرف الانجليزية وأصواتها إلى أكثر من مائة صوت وحرف على أحسن تقدير وهكذا فإن اللغة الانجليزية الحاملة صفة المعاصرة ، ولقب أرقى لغة لاتطاولها في عالميتها لغة ، هي لغة لاتحمل من مقومات المعاصرة وامكانية مواكبة العصر إلا ما هو أقل من القليل وهكذا وهذا يؤدي بنا إلى حكم واحد هو أن الانجليزية ليست في ذاتها معاصرة وأن معاصرتها وعالميتها مدنيه لمنحنيات الزمان وتواءات التاريخ التي ترفع طوراً باقوام وتنحدر طوراً بالآخرين .

أما العربية فاذا قسناها بالمعيار الذي قسنا به الانجليزية فافتنا نجد انها على عكس

الانجليزية لغة قياسية تتبع قواعد وصواب محدودة ، وسواها التي لا تخضع للضوابط وكذلك ما يستند على السماع فيها قليلة لا تنوّف نسبة كبيرة من مجموع مقرراتها . وهذه القليلة هي التي يمثلها بعض مصادر الثلاث وبعض أسماء الماعلين من الثلاث وبعض جموع التكسير وبعض صيغ النصب والتنكير وهي بالنسبة للجموع الخاضعة لقانون الصرف لا تنوّف أكثر من ٧ في المائة من جموع المفردات العربية ، أما فيما يتعلق بالشواذ في النحو المدرسي فإن الشواذ عن قواعده تكاد تكون لاشئ . إذا قسنا ما بالشواذ من هذا النوع في اللغات الأخرى أما إملاء العربية فمن السهولة . يمكن جد عال له قواعد بسيطة يسهل على المتعلم فهمها وحفظها في جلستين أو ثلاث وله بعد ذلك أن ينفذ هذه القواعد في كتابه كل كلمة تحتويها قواميس اللغة العربية منذ القدم وإلى اليوم ولا يسر أن يفسب عملة إلى خطأ ما طالما هو ملتزم بقواعد الإملاء التي استوهمها .

و هكذا فإن المقارنة بين الانجليزية والعربية تفتي بنا إلى حقيقة واحدة هي أن العربية لا تعاني من النقص في شيء إذا قيست بما تعاني منه اللغات الأخرى وعلى رأسها الانجليزية : اللغة العالمية الأولى .

وليست المقومات اللغوية هي السبب في معاصرة الانجليزية وعالميتها وإنما يعود كل شيء إلى أبناء الانجليز الذين استعمروا نصف العالم أو يزيد لا أكثر من قرن استطاعوا أن يفرضوا انتمهم على للعالم . وقصصوا عالم الصناعة والعلم والاكتشافات العلمية لبرهة من الزمن قادوا عالم السياسة والفكر لقرون فجعلوا لغات العالم تابعة لهم وآكله فئات موافقهم ويوم كانت العرب سادة العالم ، ولهم زمام المبادئة في السياسة والفكر والعلم والاقتصاد والأخلاق والفن كانت اللغة العربية سيدة الموقف بلا منازع ويومها استطاعت أن تدفن الهير وعليقه . والفارسية القديمة واللغات الأخرى التي طال بها الزمن لا أكثر من ثلاثة آلاف سنة .

ولغة هذا شأنها لا محالة تغالب الزمن وتتكسر كموب خصومها لأن التجربة هي التجربة والحضارات هي الحضارات .

(٢)

ويقول الدكتور عبد الله محمود أن اتهام اللغة العربية بعدم قدرتها على أن تبقى

بجاءات أهلها كما نقي اللغة الإنجليزية بجاءات الانجليزية فيه إقرار صريح بنزع عنصر التحدى الذى تميزت به اللغة العربية طوال أربع عشر قرناً من الزمان لأن لغة القرآن كانت لغة الدول الإسلامية والامة الإسلامية طوال قرون عدة أما دعوة التخفيف من كثير من قواعد النحو والصرف والاملاء فهى تعنى فى لغة العرب انقاص وإزالة الكثير من قواعد النحو والصرف والاملاء .

وقد جاءت هذه الدعاوى المتجددة (جامعة الامارات والدكتور الاشتري عام ١٩٨٠) ترديدا لما جاء فى مؤتمر دمشق . ١٩١٩ المؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية) حيث دعا الدكتور طه حسين وإبراهيم مصطفى وأحمد حسن أحمد الويات وغيرهم إلى القائل فى بعض قواعد الاعراب وعدم التشدد فى قبول المستحدثات من الالفاظ والأساليب التى تجرى على كل لسان لئلا يسهل تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية (الويات) أما طه حسين فانه ألقى محاضرة دعا فيها إلى العدول عن قواعد النحو الثابتة المتداولة زاعماً أنها لم تعد صالحة (انظر لإحياء النحو ص ٢٢٨) .

وقد واجه الدكتور محمد محمد حسين هذه الدعاوى قائلاً : إنك تحدد دعوتهم إلى العامية وتبديل الخط العربى وقواعد النحو والصرف والبلاغة إذا أهوزك أن تجد ذلك سافراً صريحاً فستجده مسنوراً أخفياً يلبس زى الناصح الغيور، هذه الدعوة لم تنشأ إلا فى ظل استعباد الغرب لبلاد العرب والمسلمون وفى حمايته من ناحية وفى حضانة التبشير من ناحية أخرى ، ويكفى أن اذكر لك على سبيل الاختصار أسماء سينا ، فولارز ، بادل ، فيلوت ، بويران ، مسبيرو ، الذى قادوا الدعوة فى مصر منذ ١٨٨٠ أن أول ما بلفت للنظر فى هذه الدعاوى ما انحدرت إليه مجامع اللغة العربية من ترويج الدعوات المريبة إلى تطوير اللغة وقواعد ما ورسمها وهو تطوير يختلف أصحابه فى تسميته ولكنهم لا يختلفون فى حقيقة ، يسمونه تارة تهذيباً وتارة تيسيراً وتارة إصلاحاً وتارة تجديداً ولكنهم فى كل الأحوال وعلى اختلاف الأسماء يعنون شيئاً واحداً هو التحلل من القوانين والاصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد فاضمت لجيلنا وللجيال المقبلة أن تشرح بفكرها وتمرح فى معارض فنون القول وأثار العبقريات الفنية والعقلية لانحس بقيود الزمان ولا المسكن فكانما القرآن قد نزل فىنا اليوم وكأنا شعراء العربية وفقهاؤها

وفلاسفتها وكتابتها وأطبائها ورياضيون وطبيعيوها وكيميائوها على اختلاف أزمانهم قد كتبوا وألفوا ما ألفوا في الآس القريب وهذه ميزة من الله من بها علينا ولم تحفظ بها أمة من الأمم فاذا تحملنا من القوانين والأصول التي صانت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة تبليت الآسن حتى تصبح قراءة القرآن الكريم والتراث العربي والفكر الإسلامي كله متعذرة على غير المتخصصين من دراسة الآثار ومفسرى الطلاسم . وليس الخطر الكبير في الدعوة إلى أبطال النحو وقواعد الإعراب أو اسقاط بعضها فالداعون بهذه الدعوات من صغار الهدامين الذين ليس لهم حظ العتاة بمن يعرفون كيف يخدعون السيد باخفاء الضباك وكيف يستدرجون الناس بزوير الكلام ، أن الخطر الحقيقي هو في الدعوات التي يتولاها خبثاء الهدامين بمن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضمونها في أحب الصور إلى الناس ولا يطمعون في كسب عاجل ولا يطلبون انقلابا سريعا :

الخطر الحقيقي هو في قبول مبدأ التطوير نفسه على أن تقديس لغة القرآن
والتزام أصولها وقواعدها وأساسياتها لم تكن في يوم من الأيام داعيا إلى تحجر اللغة وجود مذاهب الفن فيها ووقوفها عند حد تمجذ معه عن مسيرة الحياة . ويقول الدكتور عبد الله محمود معلقا : أن الدعوة إلى تطوير اللغة بحجة أنها غير معاصرة هي من آثار وقورع الأمة الإسلامية ضحية الغزو الفكري الشرس للعقلية الغربية الإسلامية ووقورع جميع البلاد الإسلامية بين برائن الاستعمار الذي فرض لغته على أبناء المسلمين قرضا لأن اللغة وعاء الفكر فاذا فسد الذوق اللغوي للامة فسدت أفكارها ونامت شخصيتها في دوائر التقليد الغالب احتى لا يعود للاسلام ليتصدر أحداث المسرح الدولي فلتنظر كيف تكون لغة القرآن هي لغة المسلمين .

في مواجهة التبعية والاقتباس من الغرب

(١) سقطت مدرسة التبعية

(٢) في مواجهة قضية الاقتباس من الغرب .

(٣) في مواجهة النفوذ الاجنبي .

سقطت مدرسه التبعية

صدعت المدرسه الاسلاميه بالحق ، وسقطت مدرسة التبعية للحضارة الغربية وأصبحت الان تلبم ركامها وتحاول أن تعيد تشكيل مؤامرتها من جديد ، فنجد أن الاستشراق والتشهير يغير جلدة ، ليخدع المسلمين من جديد ، ولكن التجربة التي خدعت المسلمين بأن الوسيلة التي تمكنهم من النهضة والتقدم هو التبعية للغرب في منطلقاته ومفاهيمه ، وكانت تلك دعوتهم للأجيال التي خدعت ، دعا هؤلاء ، واتباعهم الناس إلى أن الحضارة الغربية هي مصدر النهضة في الشرق ، هكذا عاموم في الغرب ، وكان للدعوة جانب كهنوتي منذ الحروب الصليبية يخاف الاسلام ، ويخشاه ، ويتمثل هذا الجانب في إنكار الحضارة الاسلامية وقيمها وانتقاصها لحماية ، الغرب نفسه من غزو الاسلام ، ثم اتصدع صوت الحق ومن قلب هذه الجماعة قال الدكتور هيكل : أن البذر التي وضعناه في الارض لا يثبت سواء كان فرعونيا أم غريبا وأن هذا الطريق لا يؤدي وأن الطريق الوحيد هو طريق الاسلام . قال هيكل ذلك بعد أن استعلفت كلمة المدرسة الاسلامية ودوت في الافاق .

ولقد ظلت تتوالى الحقائق تنكشف أمام المسلمين : كشفت عن حروب النكبة والهزيمة والنكسة جميعها عن فساد دعوى المدرسة الضالة المضلة : مدرسة طه حسين وسلامة موسى ومن ورائهم زكي نجيب محمود ولويس عوض ، خداع وأغراء ، خدعهم المشرقةون بالنظرية وأغروهم بالنفوذ ، لقد حاول هؤلاء تقديم ذلك الركام من النظرية اليرالية ، والماركسيه والفرويدية ، والوجودية بغير نقطة بدأ أصيلة من الفكر الاسلامي الذي طرحت في افقه هذه الاعاصير ، أن نقطة البدء يجب أن تبدأ من الاسلام نفسه ، من كلمة التوحيد التي ترسم للانسان مسئوليته في الحياة والزمامه الاخلاقي .

لقد أعادوا طرح ركام الفكر الوثني القديم ، مثلاً في إخوان الصفا والباطنية

والحلول والاتحاد وجروا وراء أوهم الفكر الأفريقي والغنوصي وسموم الاناجيين من الشمرء (أبو نواس ويشار) وسموم ابن عربي والحلاج ورسائل إخوان الصفا .

أقد كانوا قناطر تنقل السموم من الغرب إلى الشرق ، ولم يكن أحد منهم صاحب فهم أصيل مستمد من الفكر الاسلامي ولا صاحب أيولوجية ولا يمكن أن يضاف اسمه إلى قائمة العلماء فهؤلاء تابعون رددوا شبكات المستشرقين والمبشرين وز ينوها في نفوس الشباب المسلم .

ولكن جرعة اليقظة استطاعت أن تضرب هذا الاتجاه وأن تدمره ، وأن تكشف فساد هذا المنهج وفساد الفكر البشري الوثني المادى ، لقد كان يغمر نفوس هؤلاء المتغربين ، شعور البغض ومحاولة الاستعلاء بالتقليد ، كانت عقدة التخلف في نظرهم لا ترفع الا بالتقليد ، تقليد الاجنبى ، وقد عجزوا عن فهم أبعاد المسائل والقضايا ، وخلفيات الاشياء ، ونسوا أن مصدر النقص هو الغفلة عن المنبع الاصيل .

هزت نفوسهم ، ماديات الحضارة . كانوا يكتبون عن باريس ولندن وعن المتاحف والقصور والكاندرايميات وكانها كل شيء في الحضارة . كان التقدم المادى يلهب عقولهم ويسيطر على نفوسهم فينظرون إلى أوطانهم على أنها ظلمات ولا يرون الا بابا واحداً لتقدمها هو نقل هذه الحضارة المادية ، ولقد كانوا يعلمون أن أصحاب الحضارة مكررة وظلمة فهم لا يقدمون هذا العلم الذى صنع التقدم المادى إلى أمة الاسلام وإنما يقدمون لها سموم الحضارة وأباحتها ويقدمون معها فلسفة ادية خالصة تفسد العقول القلوب فقد غزوا هذا الشرق الاسلامى باليدلوجيات والنظريات وأيقظوا النحل والدعوات الهدامة القديمة لتتصارع روح الاسلام الحق وتمزق وحدة فكر الامة الاسلامية .

وكان من دراء ذلك قسرك الصهيونية في تحويل مفاهيمها إلى مذاهب وعلوم تدرس بجامعات العالم الاسلامى ، وأستطاعوا أن يجهروا الناس ثمة ولكن أنظر الآن نجد أن كل ما تركوه هو ركाम مظلم أسود ، وتجد جريرتهم واضحة قائم هم الذين خدعونا حتى أوصولنا إلى مرحلة التصدع . لقد قطع هؤلاء الناس صلتهم

بالماضى ، بالعروبة والاسلام وصنعوا صلات جديدة وهمية بالغرب والفكر الغربى والفكر الماركسى والمكر الصهيونى .

لذلك فقد كانوا عاجزين أن يحدثوا فى القلوب رضا أو فى النفوس ولا لانهم كانوا يسبحون ضد التيار ، فلما أرتفعت كلمة الله ودعوة الاسلام ووجدت الاستجابة الحقيقية لانها تمثل الفطره وتقدم للنفس البشرية والقلب الإنسانى مطامحه وهداه ، فلما وجدوا أن الدعوة الاسلاميه تغلبهم حلوا عليها وهاجموها ، ثم حاولوا أن يدخلوا الميدان ويقتحموه بالكتابة عن الاسلام والصيره ليوحدوا بديلا تحمله أفلام لامعة لها شهرتها وليكون ذلك عاملا أساسيا فى تقديم البديل قبل ضرب الاصيل والقضاء عليه .

هذه البدائل تتمثل فى كتابات التاريخ الاسلامى والسيره لم تكن التى خالصة لوجه الله واسكنها كانت تستجيب لاهواء دهعت الاحلام اليها . كانت تحاول ضرب الموجة الزاحفة ، أو التكر لمعجزات النبي ، أو تصوير الاسلام عن أنه دين عبادى لامنهج حياه ونظام مجتمع ، أو أنكار الغيبيات . ثم حاولوا بعد ذلك على امتداد تطويع هذا المنهج تفسير الاسلام تفسيراً مادياً .

ولقد عمدوا إلى حجب التراث الاسلامى الصحيح وراه فسكرة الانقطاع بين العصر الحديث والمصور التى سبقت سواء الادب أو التاريخ والثقافة فلما بدأ التراث الاسلامى يشرق ويكشف عن جوهره الاصيل زيفوا بكتابات طه حسين عن الفتنة الكبرى وهامش السيره ثم حادت المرحلة التالية على أيدي الماركسيين الذين اعتبروا أن طه حسين هو عميدهم ورائدهم الذى فتح أمامهم الطريق وأزال من طريقهم العقبات ثم جاء زكى نجيب محمود ليكشف الصفحات المظلمة والباطنة والوثنية التى تجددت بعد الاسلام تحت اسم أخوان الصفا والمعتزلة والباطنية والفكر الفلسفى والفكر الصوتى الفلسفى . وحاولوا أن يعطوا تلك الفرق الضالة كالونج والقرامطة الذين قتلوا حجاج بيت الله وسرقوا الحجر الأسود صورته البطولة والدعوة إلى العدل الاجتماعى وحاولوا أن يعتبروا أن هذا هو التراث الاسلامى الذى يجب تجديده .

لقد جددوا التراث بالفعل ، واسكنهم جددوا التراث الزائف المسموم وحجبوا التراث الحقيقى : تراث التوحيد الناصع القائم على العدل والرحمة والاخاء البشرى .

في مواجهة قضية الاقتباس من الغرب

مازال الفكر الغربي يطرح في أفاق الفكر الاسلامي سموما زاعقة، وشبهات خطيرة ، ومفاهيم ضالة، وما تزال هذه السموم والشبهات ترسم فساد وجهة الفكر الغربي وتكشف عن أن الغربيين بعد أن عزلوا الدين حكموا العقل في ناحية ما وراء الطبيعة والضمير في ناحية الاخلاق .

ويخطئ العقل لأنه يختلف من إنسان لآخر ومن بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى زمن ومن مكان لآخر ومن ثقافة لأخرى . كذلك فإن الاعتداد بالضمير خطأ، لأنه يوحى بإيماءات مختلفة، فالضمير ليس إلا أشراً للبيئة والثقافة والوسط الذي يعيش فيه ، ليس الضمير معصوماً قط وإنما لفكره ضالة أن يكون الضمير معصوماً ، وإذا تخلف الضمير عن سيطرة الدين فإنه قد يوحى بالفساد ، وإذا كانت البيئة أوربية فالضمير أوربي . وإذا كانت البيئة شرقية فالضمير شرقي ، ومن الواضح أن ضمير الأوربيين لا يؤمنهم قط على سفك الدماء الذي يستميحونه في كل قطر يسيطرون عليه بل هو يبرر القتل والتكيد والاستعمار وليس هناك شيء ثابت مستقر معصوم اسمه الضمير ، وليس هناك قضايا يتفق عليها فيما وراء الطبيعة

ومن أخطائهم دعوى رجال العلم بأن الإنسان له حرية واستقلاله وحدوده ، وكان ذلك رد فعل الكنيسة ، كذلك كانت دعوه سارتر إلى حرية الفرد هي رد فعل الحرب العالمية الثانية وسقوط فرنسا ، أنهم يحاولون بين البشرية وبين الوصول إلى مفهوم الاسلام ويوجهونه إلى مفهوم العلمانية وهدم الدين .

٢ -- كذلك فإن هناك فساد فكرة التطور في الدين والاخلاق ويعنى مفهوم التطور في الفكر أنه ليس هناك قضية ثابتة وأن جميع القضايا الفكرية متطورة

ومتغيرة وأن هذا التطور قد لا ينتهى عند حد ، وأذن فهناك النسبية باستمرار ،
هناك النسبية المطلقة ، وهناك أيضا الخطأ المستمر ، مادام هناك قول بالنسبية
والتطور فليس هناك ثبات ، وإذن لا يكون هناك ثبات في الدين ولا يكون هناك
ثبات في الاخلاق .

ومن أكبر أخطائهم فساد إدخال فكرة التطور في الدين .

فاذا فهمت فكرة التطور على حقيقتها وفكرة الدين على حقيقتها فليس هناك مناص
من الافرار بان الدين الحق لا يدخله التطور، ذلك ان التطور الفكرى هو تغيير من
حال إلى حال وهو تعبير مستر دائم ، ولا ريب أن الحقائق الدينية ثابتة لا تتغير
بتأثير الالهواء والعواطف .

١ - أن جذور الفكر الغربى المعاصر (ماركسى ووثنى وليبرالى) .

هى صلب المسيح وتأليه الانسان والرومانية والوبا وعبادة الذهب ونظرية
الابوة وسقوط الغيرة إزاء المرأة وسقوط الرحمة إزاء الاباء والامرة والتثليث
وإنكار الآخرة والبعث وعبادة الاجساد وكل هذه المفاهيم تشكل النظريات
الخاصة بالاجماع والسياسة والثقافة والتربية والاقتصاد ومن هنا كانت الفوارق
العميقة بين أصول وقيم ومقومات الفكر الاسلامى وبين أصول وقيم ومقومات
الفكر الغربى وأبلغ هذه المقومات أن الثقافة الاسلامية لم تعرف ذلك الانفصال
الذى عرفته الثقافة الاوربية بين الفلسفة والدين حيث لا يوجد في الاسلام الفصام
بين العلم والدين أو بين الدين والمجتمع أو بين الدنيا والآخرة .

ومن هنا تأتى قضية الاقتباس : وهى قضية هامة وخطيرة بالنسبة للفكر
الاسلامى المعرض اليوم لتحديات الفكر العالمى (الوثنى والمادى والماركسى)
والحقيقة الاولى فى مجال الاقتباس : أنه يؤدى إلى نقل النواقص التى يشكو منها أهل
الفكر المنقول منه ، وهذه النواقص عندما تنتقل إلى بيئة أخرى قد تصبح أشد
خطرا بكثير عما كانت فى بيئتها الاولى والحقيقة الثانية : أن الاخذ من الغير مقيد
بشرط المحافظة على الاصلة الاسلامية ، فاذا كان عاملا على القضاء على الذاتية
الخاصة فانه مرفوض تماما .

٣ - ولا وب أن الحلول الوافدة قد جنت على امتنا الاسلامية جنابة كبرى ، حتى قبل أنها بمثابة قتل الشعوب بغير إطلاق الرصاص ، ويتمثل هذه الحلول في الدهوات المسمومة إلى الاقليمية والقومية الغربية والليبرالية والديمقراطية والماركسية ولدى المسلمين مناهج أكثر أصالة وأقدر على حفظ المطاء وعلى نقاء الاخوة الاسلامية الجامعة .

ولاريب كم تكون النظرة ناقصة وغير قادرة على الاحاطة وحاضره عن استيعاب الامور عندما تكون قومية أو وطنية اقليمية ، أو عندما تكون أدبية ذلك أنها تكون جزئية وناقصة .

أن علينا تأصيل القيم العليا التي ورثناها عن الدين الحق والتي هي أساس وجودنا وأن أخطر الاخطار هي حجب الثقافة الاسلامية عن طالعها الاصيل المميز لها أو عزل الثقافة والفكر الاسلامي المعاصر عن جذوره وامتداداته منذ نزول القرآن ، وأخطر من ذلك الدعوة إلى ما يسمى ثقافة عربية حديثة مرتبطة بالفكر الغرب مع تجاهل كل ما ينصل بتاريخ ثلاثة عشر قرناً .

ومن ذلك خطر التخيير الغربي للمسلمين بين الاسلام والعلمانية أو القول بأن الاسلام لا يستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها العرب والمسلمون ، ولاريب أن العلمانية التي يدعون اليها هي فراغ ، والفراغ لا يمكن أن يحمي المنطقة من الاخطار وأن الاسلام هو الحل الوحيد الذي يحمي الاقطار العربية ، لقد حى الاسلام الاقطار العربية في الماضي وسيحميها في المستقبل فالاسلام هو السلاح الوحيد .

٤ - أن الاسلام لم يحذر من شيء قدره تحذيره من التبعية والتقليد ، إيماناً بأن الاسلام له منهجه الاصيل ونظراته الواضحة اكل أمر من أمور الميث والحياة . ونبات الشخصية والقيم في الاسلام لا يحول مطلقاً دون تلقى أحدث معطيات العلم والفكر والمعرفة واستيعابها والتزقي بها في مختلف مجالات النهضة والتقدم والحضارة ولقد كان المسلمون في مختلف المصور حتى في أشد المصور ضمناً وتخلفاً قائمين بالحق في وجه محاولة احتوائهم أو صهرهم في بوتنة الاممية ، وكانوا في أسوأ عهود الاحتلال العسكري والاستعمار السياسي غاية في النقطة تجاه محاولة صهرهم في بوتقة

الغرب وأحسنى أن يكونوا بعد أن تحرروا من النفوذ العسكري والسياسي قد دخل عليهم احساس خادع بالامن بينما يدعونا لاسلام ونحن في أشد حالات القوة إلى الحذر الدائم والمراقبة في الثغور . وهناك صيغة تحذير عامة صدرت من كثير من الناصحين تشير إلى أننا نفقد أصالتنا تدريجيا ونتنازل عن الصفات المميزة لنا يوما بعد يوم نتيجة غزو أسلوب العيش الغربي لنا وسيطرة قيم وافده على مفاهيمنا وسلوكنا ،

هـ - أن قضية الافتباس قضية مثارة وامكن لها محازيرها ، فإنها قد تؤدي إلى نقل النوافس التي يشكو منها ويسعى لازالتها المذكرون في البلاد التي أنشأت ذلك النظام وهذه النقائص عندما تنصل إلى بيئة جديدة قد تصبح أشد ضرراً بكثير مما كانت في بيئتها الأولى .

إن الأخذ من الغير مقيد بشرط المحافظة على أصالتنا .

ولا ريب أن المنهج العلمي الغربي تشاد لكل يوم قداسة جديدة وبطولة زائفة ذلك لاننا وجدناه في أيدي الباحثين وخاصة المشرفين والمبشرين يقوم على الهوى والتعصب وتحمل طابع استعلاء الغربيين بالجنس الابيض وبالحضارة ، ويحمل طابع الانتقام من حضارة الاسلام صاحبة الفضل الأكبر على الحضارة الحديثة ولا ريب أن المنهج العلمي الصحيح هو الذي أقامه الاسلام وكل منهج يدعى العلمية ولا يقوم على ضبط النفس والاخاء البشرى والسماحة هو منهج زائف . ولقد واجهت المناهج والايولوجيات الغربية هزائم مترالية في التطبيق لانها :
(١) عارضت الفطرة (٢) صانعت الالهواء والظنون (٣) لانها لبشريتها لم تتمكن من الارتفاع إلى آفاق الايجابية والمواالة مع تحولات الأزمن والبيئات ولا يقدر على ذلك إلا المنهج الرباني .

في مواجهه النفوذ الاجنبى

لقد حرص النفوذ الاجنبى على استدامة وجوده في بلاد المسلمين ، وذلك محاولة ضخمة تطلبت منه أن يعمل على القضاء على روح السيادة والقوة والاعتزاز النفسى بالكيان القائم المنصل بأساليب مخادعة وماكرة ، وكان أخطرها هو تحطيم مفهوم الإسلام القائم على الحفاظ على الذات ومداومة العدو والإعداد بالقوة والمراعاة في النور واستبقاء روح الجهاد قوية غلابة والحيلولة دون السقوط في حاة الزف والدعة وهى التى تعمل على التحلل والضعف والاستكانة .

ولعل من أكبر الممانى التى حاول النفوذ الاجنبى إسقاطها من النفس الإنسانية هو دور الاسلام كمقيدة وتربية حيث لم يكن يوماً من الأيام راضياً لأمه بالذل ولا مسانداً للخنوع ولا معيذاً على العبودية .

ولقد ربي الاسلام مقتنيه على الاعتزاز الكبير بكرامتهم وأقامهم على الايمان بأنهم خلقوا ليفرضوا وجودهم فرق هذه البسيطة ولتزعوا مكانهم تحت الشمس لا ليكونوا عبيداً ولكن ليكونوا سادة .

ولذلك فان الاسلام لم يكن حليف الطفيان ولا حليف الظلم .

وفي العصر الحديث فان الاسلام هو الذى استطاع أن يحرر العرب والمسلمين من رق دول الاستعمار ذات العدة والعدد رغم أن المسلمين لم يكن لهم سند ولا قوة وأن قوتهم الأساسية التى واجهوا بها الاستعمار لم تكن إلا قوة الروح والايمان والفكر والمقيدة ولقد كان على الاسلام بعد أن حرر المسلمين من عبودية النفوذ الاجنبى أن يدفعهم إلى إقامة دولتهم ومجتمعهم وأن يكون عامل تقدم بعد أن كان عامل تحرر .

ولذلك فان على المسلمين اليوم أن يحذروا محاولات كثيرة تجرى تحاول تمكين النفوذ الاجنبى من أن يستعيد سلطانه عليهم :

أولاً : محاولة خداعهم بالادعاء بالصلة بين الديمقراطية والاسلام أو الاشتراكية والاسلام فان الاسلام منهج رباني أصيل له طابعه المستقل عن هذه المذاهب البشرية وأبرز وجوه الخلاف أنه منهج جامع بينما هي انشطارية . وله طابع الاستمرار بينما هي مؤقتة ، وله جوهره العالمى الصالح يختلف البيئات والعصور ، بينما هي مرحلية تعجز عن أن تتواصل مع الأزمنة والبيئات إلا بتعديلات وإضافات وحذف .

ثانياً : هناك محاولة ضرب الاسلام من الداخل عن طريق بعض الطوائف الدخيلة مثل القاديانية والبهائية والأخاينية واليزيدية وكلها تلقى المعونة والتوجيه من المستعمرين والمبشرين واليهود وهم يعدونها لما أسموه ضرب الاسلام بالاسلام ، هذه الطوائف تقدس زعماتها وترفعهم فوق مرتبة البشر ونشرع لاتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغلة باسم الاسلام هدم الاسلام .

إن من أخطر محاذير النفوذ الأجنبي في مطالع القرن الخامس عشر التي تعوق حركة اليقظة من الدخول مرحلة النهضة هي تلك التبعية الاقتصادية للشرق والغرب مما جعل المسلمين مجرد مستهلكين وليسوا منتجين .

وأخطر من هذا تنازل المسلمين عن كثير من عاداتهم الاسلامية وقيمهم ومميزاتهم الخاصة تحت تأثير الضغط المادى وتحت اسم الانفتاح الذى لا ضابط له ، في حين أن امتلاكهم بمميزات ذاتيتهم الخاصة هو أكبر عوامل القوة والقدرة على بناء عصر النهضة الاسلامية .

ومن ذلك تضحيتنا بالانصاحة في اللغة وقبول الكلمات الأعجمية وتضحيتنا بأسلوبنا الاسلامى العربى في المعمار وفى المأكل والمشرب دون أى مبرر وقبول الترجمات للكلمات الغربية والفكر الغربى دون ضابط ودون تعرف صحيح لمدى ضررها أو نفعها ودون تعريف القارئ المسلم بظروفها في مجتمعا ، وأخطر من ذلك كله النظر إلى هذا الفكر البشرى الوافد أنه علمى المنهج مع أنه قائم على الهوى ، أو الادعاء بأنه علم مع أنه فروض قابلة للصحة والخطأ .

أن المترجم من الفلسفة واليونان أو الفلسفة الحديثة يجب أن تكون له أصالته

بتعريف الفوارق ، أما المترجم الخاضع للفكر الغربى فإنه لا يستطيع أن يقدم لنا إلا مزيجاً من السموم والتفامات .

إن علينا أن نحمى المسلم المعاصر من الانهيار النفسى والتبعية لحضارة طاغية دخلت مرحلة الانهيار وتبرأ منها أهلها .

ولا ريب أن اكتشافنا لمؤامرة « النفوذ الاجنبى » بقواه الثلاث : غربية وماركسية وصهيونية يجب أن يجعلنا على يقظة تامة .

إن المؤامرة تستهدف تجريدنا من مصادر القوة فى نفوسنا ونحطيم إيماننا بقدرتنا الذاتية على التطور وقدرة حضارتنا الاسلامية على العطاء .

ولا ريب أن العودة إلى الأصالة وتعرف ذاتيتنا الاسلامية هو الحصن الحصين الذى يحمينا من الذوبان فى أنون الحضارة العالمية وفى الأمية العلمانية الضالة . علينا أن نتعرف على تاريخنا وتراثنا الذى ظللنا نجهله القرون الطوال بحكم ظروف التخلف وبحكم الاستعمار وفى هذا يقول عالم جليل « لقد عشنا فترة على موائد المستعمرين نتجرع سمومهم فنزداد كرهاً لأنفسنا وحشارتنا فتتناقص بالتالى أصالتنا وتمهار إرادتنا فتوغل فى التقليد حتى أصبح نسخاً مسوخة لغيرنا .

إن بداية الانطلاق تكمن فى تحرير النفس من كل سلبيات الماضى وتأكيد إيجابياته وذلك لا يتم إلا بمعرفة هذا الماضى والايمان به قيمة عالية لها أثرها على حاضرنا ، إن أخطر المخاطر هو خطر الذوبان أو الموت الحضارى . .

إن علينا أن نعلم أن النفوذ الاجنبى كان فى الماضى سياسياً وعسكرياً فسكننا تقاومه لأنه كان واضحاً ومكتشفاً ، أما اليوم فقد تحول وتخفى وليس أثواب العلم والثقافة ودخل بسموه إلى مفاهيم التربية والفكر يحاول أن يغير القيم الثابتة ويحتوى الصفحة البيضاء ويغير جوهر التوحيد والجهاد والايمان القائم على الاصرار بالمقاومة وحماية البيضة والدفاع عن السكبان .

وهكذا أخذ النفوذ الاجنبى صورته الجديدة خادعة ماكرة ولكن علينا ألا نخدعنا وأن نكون على وعى بها .

أن النفود الاجنبى اليوم يتحول إلى إيدولوجيات ونظريات تريد أن تقضى على
ذاتيتنا وأن تقهرنا فى بوتقه الايميه وأن تبيع كياننا ووجودنا كله حتى نصبح من
غشاء الامم واسكن إيماننا بالرسالة التى وضعها الحق تبارك وتعالى على عاتقنا
والمستولية التى يحملها أهل لا إله إلا الله فى تبليغ كلمة الله إلى العالمين تدعونا
إلى أن نحافظ على كياننا الإسلامى الخاص وذاتيتنا القرآنية الصريحة حتى نكون
مؤهلين لاداء الامانة وتبليغ الرسالة وإقامة المجتمع الربانى فى الأرض ،

(٨)

فِي مَوَاجَهَةِ الْعِلْمِ

(١) . اِذَا بَعْدَ فِرْوِيْد

ماذا بعد فرويد

(١)

أقام فرويد التحليل النفسى للإنسان على « الجنس » واعتمد فى ذلك على « الأسطورة » وعارضه علماء النفس ، ومع ذلك فقد جرت نظريته بحرى الريح ، ووجدت من يحملها إلى كل الافاق فتدخل الجامعات ، وتسيطر على الآداب والقصة ، والدين وعلوم الاجتماع ، خلال خمسين سنة كاملة ، ثم لاتبث أن تنهار لأنها تضاد الفطرة والعلم وطبائع الإنسان والأشياء ، وتعارض مفهوم الدين الحق ، وكان الذين دفعوه إلى نظريته والذين حملوها وروجوا لها هم اليهود التلويديون الذين كانوا يصنعون مذهب الإنسان الحيوان التى بدأوها بتحريف نظرية دارون وأكلوها بنظرية ماركس ودور كايم وكلها تهدف إلى تصوير الإنسان بصورة الجرى وراء الطعام والجنس ويرى فى الجريمة الفطرة وفى الزواج والاسرة مفارقة للفطرة ، ولكن ذلك كله ما لبث أن تكشف فساده وزيفه خاصة فى مواجهة نور الإسلام ، يقول الدكتور حسن الشرفاوى : يزعم رجال مدرسة التحليل النفسى أن النفس البشرية مغلوقة على أمرها وضيت بذلك أم أبت ، تسيرها دوافع قسرية وتحركها غرائز حيوانية ونزعات أنانية ، وأن الإنسان مثله مثل الحيوان يسمى لتحقيق حاجاته البيولوجية وإشباع شهواته البهيمية ؛ وأن الشخصية الانسانية يحكمها قانون الغاب من الداخل . ويرون أن أصحاب مكارم الاخلاق مرضى نفسيون باعتبار إن الإنسان حيوان وحشى مصاب بالشبق للجنسى فلا هم له إلا تحقيق لذاته والنفيس عن غرائزه الجنسية فإن لم يستطع فهو مريض نفسيا وأن الإنسان السوى هو الإنسان المتوحش .

وكانت دعوة هذه المدرسة إلى علاج الامراض النفسية فى ضوء عقدي أوديب والسكراترا وقد اتخذ فرويد من هذه الشخصية الاسطورية مسرحا لعلاجاته النفسية وجعل العلاقة الجنسية المحرمة بين الام ووليدها هى الصورة المعبرة عن الشخصية الانسانية : وروج لهذه الاسطورة اليهود فى كتبهم وعملوا على تلقينها للشباب

والسكول باعتبارهما حقائق بقيت به مدم العلاقات الأسرية والمعمل على التفكك الأخلاقي وألغاء القيم الأساسية والمثل العليا من على الأرض . وقد إستعار فرويد عقدة أوديب لجعلها أساس العلاقة بين الأم ووليدها ، وإستعار عقده الكترا لتمثل العلاقة الجنسية بين الأب وابنته وجعل فرويد من الأسطورتين الخياليين حقيقة واقعة وأخذ تنشر هذه الآراء في المجتمعات الغربية التي كانت قد سقطت في أوائل في هذا القرن في الانحلال الخلق وتفشى بين الأسر الزنا والعلاقات غير المشروعة فوجدت آراؤه أذانا صناعيا وتمسك بها الشباب الساقط والوجاهات العاهرات ليسكون مسوغا عليها لتصرفاتهم الأخلاقية ومبرراً لفعل الفواحش ، وظهرت روايات ومسرحيات تعاون على ترسيخ هذه الموجة الانحلالية في عقول الشباب الأوروبي . ظهرت مسرحية المرمس الفاضلة التي عرضت مئات المرات ، هذه تمثل الحالة التي تردت فيها أوروبا في نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠ حيث اتضح أن الزوجات يمارسن الجنس مع غير أزواجهن وجاءت المسرحية لتدافع عن العهر والعاهرات وتروى قصة امرأة عاهرة أحببت شابا في أسرة محافظة ، ذهب الأب إليها يرجوها أن تترك الشاب فهجرته وتخلت عن أملا كها لتعيش بعيداً في كوخ فقير حيث تموت بداء السل ، هذا هو المغزى الخطير للقصة فهي تشجع على البغاء وتعاون المنحرف على الانحراف وتزعم أن للعهر أخلاقيات وأن للمرأة العاهرة مثلاً للتضحية والإيثار وهكذا أعانت فكرة فرويد على الانحلال الخلق والشذوذ الجنسي . وتروج مفترياته عن طريق اليهود ونهرها بين العام والخاص ، وامتد أثرها ليغزو المجتمعات البشرية باعتبارها حقائق علمية لا يحتمل التشكيك فيها ، وقال شفييتسر وهو أكبر علماء التربية الألمان : نحن نعيش عصر انهيار الحضارة بين الحضارة والبربرية .

وهكذا أخذت مدارس التحليل النفسي في تبرير السلوك الجنسي الشاذ وينصح الشباب بالتفكير عن نزعاتهم الجنسية ومتطلباتهم البيولوجية وحاجتهم الفريزية بدعوى أن كتبها يوله الأمراض النفسية ، وهكذا هبط هؤلاء الأطباء بالإنسان إلى البهيمية والحيوانية .

ومن مساوى فرويد قوله أن الإنسان معدة تسمى على الأرجل وأن الحضارة تنحصر في البطن والفرج فهو وماركس لا يجعلون للعقل أو الروح البشرية أى قيمة في الوجود .

ولقد وقف الفكر الاسلامى أمام هذه السموم موقفا واضحا فالاسلام يحرم النفس
الالسانية من هذه الهضبات ويقود الانسان الى ما هو اسمى وأعلى وفي نفس الوقت
يكشف زيف هذ النظریات التي حاولت أن تجري مجرى العلوم بيناهى مجموعة من
الفروض التي لم تثبت أمام البحث العلمى الصحيح ، يقول دكتور فؤاد أبو حطب
أن علم النفس الفرويدى ليس علما بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، بل لا ينطبق عليه
شروط العلم الواجبة وأهمها اليقين والموضوعية وهى شروط العلوم الطبيعية وهذا
النطبق على العلوم الاجتماعية جميعا فهى علوم زائفة .

وأبرز أسباب فساد منهجية التحليل النفسى كعلم هر غلبة الاتجاه المادى فى علم
النفس بحيث جعله يتصور النفس الالسانية تصورا ، اديا ، على أنها مجموعة غرائز
تتطلب الاشباع المادى المباشر والانسان فى إطار هذه النظرة المادية مدفوع دائما
بقوى لا معقولة ومذلوب على أمره تصدر عنه أفعال قهرية وكل ما يملكه العقل
من دجل ، هى تبرير هذه الافعال أو البحث عن وسائل مقبولة لاشباعها أو
التسامى بها ليزاولها بصورة أجمل ، ومعظم النتائج التي توصل إليها بعض أصحاب
الاهتمامات النظرية فى علم النفس وعلى رأسهم فرويد استخلصت من الحالات
المرضية ثم عمنت على حالات الاسوياء وتبنت نماذج نظرية كاملة فى هذا الاطار
الوائف وكذلك فقد تبين أن علم النفس التجريبي هو كذبة كبرى ، لأن النفس
ذات كلية ، ولا يمكن تحويلها الى موضوع أو تشريحها تحت المجهر ولا يوجد
فرع من فروع العلم التجريبي - ومنه العلوم الفيزيائية - يوصل الى المعرفة
اليقين ، ولا توجد ملاحظة بشرية معصومة من الخطأ .

ويقول الدكتور فؤاد أبو حطب : أن هذا هو أحد مصادر التحدى الحضارى
التي يتعرض لها المسلمون اليوم وما يحمله تيار العلم الوافد إلينا من الغرب وعن
الشرق من خلقية الحادية واضحة فى طياته جعلت من الكفر بكل ما هو غير مادى هو
سمة هذا العصر ، وذلك هو علبة المادية على علم النفس والمادية فلسفة حياة وجراثيمها
مضرة فى العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم :

أن مصدر الخطأ هو قاعدة سيطرة المادية على العلوم الطبيعية ، ومضمونها
الاحادى ، مثل مبدأ أزلية المادية ، والطاقة ، ونسبة كل شئ فى الكون إلى

الطبيعية وقوانينها ومحاولة تفسير التدرج في عمران الارض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة .

والذى تكشف عنه الايام اليوم ، هو أن آراء فرويد وأصحابه مدرسة التحليل النفسى عامة تواجه بالنقد العنيف داخل الاطار السيكلوجى ذاته وتوسع دائرة هذا النقد ابتداء من فرويد شخصا وشخصية حتى التحليل النفسى مدرسة ومنهجها وفلسفه حياه

ومن أبرز الظواهر فى مجال الدراسات النفسية بعد فرويد كما يقول الدكتور يحيى الرخاوى : أن المعلومات الشائعة فى عصرنا المستقبل عند الانبهار بالحديث عن اللاشعور الفرويدى بكل محتواه الفريزى قد توقفت ، لأنه تبين أن هناك شعور أعمق ، قد نبه عليه زميله كارل يونج وعن قبله ومن بعده كل المتصوفة وبخاصة من المسلمين وهو الجزء من اللاشعور الذى إذا ما أصبح شعورا وبقينا غير الإيمان الحسى وعرفنا أين حبل الوريد .

وقد أعلنت هذا الاتجاه مدرسة جديدة هى مدرسة علم النفس الإنسانى حيث تركز حديثها على حاجة الإنسان إلى التكامل بما نطلق عليه الفضيلة أو السمو أو الصدق أو الإيمان بما يبين أن نذكره . ونضع هذه المدرسة حاجات الإنسان فى ترتيب تصاعدى يسمح بظهور الحاجة الأعمق متى أشبعت الحاجة الأولى والمفروض فى التطور الطبيعى أنه إذا ما شبعنا طعاما وجفنا انتبهنا إلى بقية تكويننا وسعينا لتصبح صدقا وبقينا فلا تستغرقنا المرحلة الأولى . وفى الإسلام فان شهر رمضان يعطى هذه الفرصة . إذن ليست القضية (ولا الحضارة) مجرد إعلاء لمزية جنسية بل هى إكمال لما بعدها إذ أنها حاجة أصيلة فى تركيب النفس البشرية وما اغتراب الإنسان ووجدته وشقاؤها إلا لاهمالها أو كبتها أو إنكارها ، وكما أن غرائز الفضيلة إن صح التعبير - قد آن لها أن تجد طريقا شرعيا من خلال العلم ايضا فى حياتنا العسة المريضة .

وكما أن فرط الحرمان من الطعام قد يؤدى إلى الحقد أو سوء التغذية وفرط الحرمان من الجنس قد يؤدى إلى السكبت وما شاع عنه من عقد نفسية فان فرط الحرمان من الفضائل يؤدى إلى أمراض محددة لها من الاضرار والمضاعفات

ما يفوق مثيلاتها من أمراض نفسية إلا أن انتشار نقص الفضائل لا يظهر بيننا شكل صريح اسبيين .

الاول: إنها أمراض شائمة شبيوع الوباء وكأنها القاعدة وليست الاستثناء
والثاني أن الحديث عن الفضيلة كثيرا ما يغنى عن ممارستها وكأنه التحذير المسكين
مرض الوبف ينتج الحرمان من فضيلة الصدق ، مرض الظلم يتجه ليقف في إطلاق
فضيلة العدل .

مرض التعقيد والغموض الناتج من كبت فضيلة البساطة .

هذا قول (إبراهيم ماسلو) من المدرسة الإنسانية المذكورة ولا أجد أنه في هذا
قد جاء بالحدديد المبرر عما تحدث به أبو حامد الغزالي عن هذه الآفات في تحديد
حقى تصوراته يكتب (روشة) يحدد فيها التشخيص والأسباب والعلاج فقد شخّص
أمراض الحسد والمنافسة والعداوة ، والكبر ، والتعجب ، والخوف وحسب الرئاسة
وحسب النفس ، وحدد مرض الحرص والطمع ووصف لعلاجها ثلاثة أركان
الصبر والعلم والعمل .

وهكذا نجد أن الإسلام هو الذى كشف فساد هذه الدعوات المسمومة التى
لنبهت من تفسيرات ضالة أو منحرفة ، وقد تبين أن هذه معالم علم نفس يهودى
أو مسيحى فى أوروبا والولايات المتحدة وهى مرتبطة بالتحديات التى واجهت
التفسيرات الدينية ودعوات الإصلاح الدينى ونظريات الفكر المادى ومن هنا
فتحن نحس بالفوارق العميقة بين هذه المذاهب وبين مفهوم الإسلام الذى يمثل
علم نفس إسلامى ، جامع بين النفس والروح ، والعلم والدين ، والقلب والعقل ،
والدنيا والآخرة ، فللإسلام علم نفس خاص يختلف عن علوم النفس اليهودية
والمسيحية والبوذية والذى يختلف منا مع خصائص كل دين من هذه الأديان .

فِي مَوَاجَهَةِ التَّارِيخِ

(٩)

(١) تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات

(٢) أخطاء في كتابة التاريخ الحديث

تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات

في مجال دراسة تاريخ الإسلام فإن هناك محاذير كثيرة يقع فيها المحللون والباحثون وأخطر هذه المحاذير هي محاكمة تاريخ الإسلام من خلال مناهج وضعت لتفسير تاريخ أمم أخرى لها ثقافتها وعقيدتها وتحدياتها ، بينما لا يمكن فهم تاريخ الإسلام إلا بتفسيره وفق منهج أصيل مستمد من عقيدته .

وتمثل فلسفة التاريخ الإسلامي على هذا النحو :

مبدأ تاريخ الإسلام وجماعته ، لما منهج تستمد من الإسلام : هذه الجماعة كونت المجتمع الإسلامي وتبنت الحضارة الإسلامية وفق مقومات فكرة أساسية قوامها . دعوة إنسانية للعالمين ، إلى الحرية والعدل والحق والمساواة .

وفي طريق هذه الحركة إلى غايتها فإنها تواجه أمرين :

أولاً : معارضة قوية وقوى مضادة تحول بينها وبين طريقها .

ثانياً : هذا المجرى يصيبه بين الحين والحين ركاب يعوقه ويسد مجراه .

والإسلام يبدو في خلال تاريخه في صورة « كائن حي » له جناحان : فكر وحضارة . متجدد الخلايا يمر بمراحل القوة والضعف خلال حركته الدائبة وأبرز ظواهره : ظاهرة التجدد والتغيير وتصحيح المفاهيم من خلال إطاره الجامع ، يتصل ذلك في كلا جناحيه : جناح الفكر الذي يتجدد بظهور أعلام الفكر وقادة الرأي . وجناح الحضارة يتجدد بظهور بناء الدول وصناع الأحداث .

نعم : لم يحمد الإسلام أمام حركة التاريخ خلال العصور أو تطور الحضارات والمدنيات ولم يتوقف عن مدحها بتفسيره في إيمان وقدره على السير بخطوة التاريخ نفسها بل ربما سبقها خطوات .

(١) تحرير الانسان

والاسلام في التاريخ : حركة أوسع من الامة العربية أو الدول الاسلامية
أل الحضارة الإسلامية وأعمق من الحدود التي تربطه بالسياسة أو تقصره على الحضارة
والثقافة ، أو تقب به عند قيام الدول وسقوطها ، أو الفتوحات والحروب ،
وأنما تتمثل فيه كل هذه القطاعات ونقشها .

فالاسلام في الحق هو حركة التاريخ نحو الحرية : تحرير الانسان من بوتقة
الظلم وإقرار حقوق الافراد والجماعات وتحريرها من الاستعباد ، وبذلك فهو
انطلاقة إنسانية ، بعيدة المدى ، في كل الأمم والشعوب التي اتصلت به ، سواء
من دانت له أو أساغت له فـكره دون أن تأخذ عقيدته .

ولقد كان لبزوغه في محيط الامة العربية معنى واضح الدلالة هو : اصطفا .
هذه الامة لحمل رسالته ، ومن ثم بعث الرسول من أهلها ونزل القرآن بلفتها ومن
ثم فلا سبيل لفصل تاريخ العرب عن تاريخ الاسلام منذ فجر الاسلام إلى اليوم
فإن برغ الاسلام ارتبط تاريخ العرب به أوثق رباط ، لقد ظهر في الامة العربية
أولاً ثم في حياة الرسول حيث دانت الجزيرة العربية له ، فكانت أشبه بالبحيرة
العربية التي امتدت منهار وافده وفروعه ، كما انبعثت منها الموجات المتوالية المختلفة التي
تحركت شرقاً وغرباً وشمالاً وحملت الامة العربية إلى العالم أجمع وكانت اللغة العربية
الفصحى أداة أفكاره وثقافته ، وحضارته ، والفكر الذي كوّنته الامة العربية من خلال
جوهر الاسلام ، كان حصيلة مشتركة للدوليين والعرب جميعاً بحيث لا يمكن
أن يوصف بأنه فـكر عربي وكذلك الحضارة فهي فـكر عربي اللغة إسلامي الجوهر
وهي الحضارة إسلامية شارك فيها الجميع ، وانصهرت فيها مختلف الثقافات الانسانية .
هندية وفارسية ومصرية ويونانية ، تبلورت جميعها في إطار الاسلام وفق مفهومه
ومضمونه وفق شارك في هذه المرحلة العرب وغير العرب في مجالات الحضارة
والفكر والحكم .

(٢) قادة الفكر

وقد رسم الاسلام مفهوم الوحدة بين معتنقيه والمربطين به على أساس الفكر وليس على أساس الجنس، ومع دائرة الأخاء الانساني وأسقط العصبية والفرقة العنصرية وجعل أساس التبريز والتفوق والنفاضل مستمداً من العمل لا من العرق ولا من الشخصية ولا من الوراثة .

ولقد اُتسم تاريخ الاسلام بسماوات جعلت له طابعه الخاص ومفهومه المتميز .

ذلك : أنه لما كان الاسلام هو دين وفكر وحضارة ومجتمع ، فإن التاريخ السياسي في تاريخ الاسلام هو أقل هذه الجوانب أهمية حيث تبدو الجوانب الضخمة الحافطة بالاحكام في تاريخ الاسلام الفكري والعلمي والعقلي وفي مجال الدراسات العقلية والفقهية والاجتماعية .

وتتمثل أبرز جوانب التاريخ الاسلامي في القادة والاعلام والمفكرين الذين بنوا القاعدة العريضة للفكر الاسلامي مستمدة من القرآن : أولئك المصلحون المجددون ، حملة لواء اليقظة وتصحيح المفاهيم الذين حفل بهم تاريخ الاسلام خلال مختلف مراحل وأدواره ، وفي هذا المجال نجد طبقات الأطباء وأخبار الحكماء والنحاة والرواة والأدباء وطبقات الفقهاء والمؤرخين والاجتماعيين وتاريخ أعيان كل عصر ، فليس تاريخ الاسلام إذن تاريخاً سياسياً فحسب وليس التاريخ السياسي إلا جناحاً من أجنحته بل ربما كان أقلها خصوصية وعمقا وأثراً في حركة التاريخ ونموه .

(٣) من هو المسلم

ومن هنا تسقط تلك الشبهة التي يرددها البعض من اقتصار تاريخ الاسلام على حياة الخلفاء والملوك ، بل يتناول مختلف مظاهر حياة المجتمع والحضارة .

ويمثل تاريخ الاسلام : حركة تطور شامل متصل ، وحركة اجتماعية يدفعها مفهوم وعقيدة في مختلف ميادين الحياة . ولا تستوفي دراسة تاريخ الاسلام إلا إذا قامت في ظل مفهوم جامع شامل ، كما أن اتصالنا بالغرب اليوم يجب أن يقوم

على مفهوم مرحلة هي رد فعل لمفهوم مرحلة سبقتها ، بحسبان أن هذه الحضارة العصرية الغربية ليست منفصلة عن عالم الاسلام ، وإنما أقامت قواعدها على المنهج التجريبي الاسلامي وعلى بناء صاغه العرب والمسلمون . فنحن حين نتصل بها اليوم لا نكون غرباء عن جذورها ، فهي ملك البشرية كلها التي صاغتها وشاركت في تكوين جوانبها المختلفة : فقد قدم الفكر الاسلامي لهذه الحضارة علومه وجامعاته وبنى فاعدها العريضة في الاندلس .

في ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نقول أن لتاريخ الاسلام طابعا متميزا ، ولذلك فإن تفسيره لا يمكن أن يخضع إلا لمنهج جامع ، ليس ماديا خالصا وليس روحيا خالصا وليس اقتصاديا ، أو جنسيا .

فالمسلم كما فهمه الباحث الغربي الأستاذ ولغرد كانتول ، يحس بالتاريخ إحساسا جادا أنه يؤمن بتحقيق ملكوت الله في الأرض ويؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا واقعيا يسير البشر في الأرض في إطاره . ومن ثم فهو دائما يعيش كل عمل فردي أو جماعي ، وكل شعور فردي أو جماعي ، بمقدار قربه أو بعده .

(٤) المحاولات الفاصلة

هذه العبارة للكاتب الغربي تقرب من الحقيقة وتكشف عن الفارق العميق بين فهم المسلم للتاريخ وبين فهم الطوائف الأخرى ، ويتابع (اليان وايد غراي) : هذا المأني حين يقول أن وجهة نظر المسلمين للتاريخ هي نظرة بناءة ، فهم يرون أن البشريه إذا اعتنقت تعاليم الوحي (القرآن) فإن إرادتها حيثما تتطلب وإرادة الله ، وقد قدموا أفضل فيلسوف للتاريخ ممثلا بالفيلسوف ابن خلدون وكان هذا الفيلسوف قد حلل درجات تأثير المحيط والذوايق النفسية التي تعمل عملها في الحياة الانسانية وتسبب نشوء الحضارات وانقراضها ونشاهد بوجه عام تيارين يتنازعان السيطرة على أفكار فلاسفة التاريخ المسلمين : المفهوم الحركي والمفهوم القدرى وكلها تطهر بوضوح في تقلبات القوى الاجتماعية وعلى العكس من ذلك كان للفلاسفة الهنود قد قطعوا كل صلتهم بما هو وفتى وفورى وقدموا تعاليم انهمازية وانعزالية ، والتاريخ بالنسبة للبودية والهنود ليس إلا وهما ويؤكد

الاستاذ تريتون في كتابه « الإسلام : عقيدته وعبادته » : أن التفسير المادى لا يصلح لفهم تاريخ الإسلام يقول : « إذا صح في العقول أن التفسير المادى يمكن أن يكون صالحا في تحليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها فإن هذا للتفسير المادى يفشل فشلا ذريعا حين يرغب في أن يحلل وحدة العرب وغلبيتهم على غيره وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم وثبات أقدامهم فلم يبق أمام المؤرخين إلا أن ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة فراوا أنها تقع في هذا الشيء الجديد : ألا وهو الإسلام » .

وهذا ما نريد أن نصل إليه : في أن أية محاولة لتفسير تاريخ الإسلام بغير منهج التفسير الإسلامى للتاريخ هى محاولة باطلة وأن جميع مذاهب التفسير التاريخى : المادية والاقتصادية والجغرافية والمناخية ، لا تستطيع أن تستوعب مفهوم . التاريخ الإسلامى ولكل أمة وعقيدة مقاييسها التى تشكل قانون تفسيرها .

ولذلك فإن كل المحاولات التى تجرى الآن لتفسير تاريخ الإسلام من خلال النظريات الغربية هى محاولات قاصرة ، ذلك أن الإسلام الذى يقوم منهجه على تكامل الروح والمادة ، والحياة والموت ، والدنيا والآخرة ، والنفس والجسد والثواب والعقاب ، والمنغيزات والكلى والجزئى ، لا يمكن أن يفسر الكلى بمنهج جزئى سواء أكان ماديا أم روحيا خالصا ، ولذلك فإن هذه المحاولات كلها التى ترمى لأن تضع الإسلام فى صف الديمقراطية مرة ، وفى وصف الاشتراكية مرة أخرى وكلها قاصرة فالإسلام له ذاتيته الخاصة وتكوينه الجامع المتفرد الذى قد يلتقى ثمة مع جانب من هذا أو ذاك ولكنه ان يكون إلا هو وحده الذى تدمج المناهج المادية ونظريات التفسير الجزئية عن استيعابه وفهمه .

(٥) حملات التعريب

كذلك واجه التاريخ الإسلامى حملة ضخممة من حملات التعريب والغزو والثقافى تستهدف إثارة الشبهات والشكوك حوله ، بقصد وضعه موضع الازدراء والانتقام فى نظر أممه وحتى يفقد أهميته من حيث أنه قوة انبعاث وبقظة ، وقد حرص التعريب عن اختلاق تاريخ إسلامى منفر عسى أن يذترع من المسلمين ثقتهم فى ما ضييع الإسلامى وفى أنفسهم كسلمين ويسلمهم من تراثهم الفكرى وتاريخهم الإسلامى فيصبحون بلا ماض ، فتضعف معنوياتهم وتسهل السيطرة عليهم عسكريا

واقتصاديا وقد جرت المحاولات لاحتلال مناهج الغرب في تفسير التاريخ بديلا للدراسات الاسلامية وفرضت كتب الغرب في المدارس والجامعات وجعلت مناهج الغرب في دراسة التاريخ هي الجواز إلى تخريج المؤرخين العرب وإلى وضعهم موضع الصدارة .

وقد حفلت هذه الدراسات بالتناول على أعلام الاسلام وقادته ونوابغه والتشهير بهم في كل عصر عن طريق تريف طائفه من الاخبار المشكوك فيها والقصص اعتمادا على مصادر غير أصيلة أو مطمون في صحتها لانتاس هذه الشبهات .

وهناك محاولة أخرى في حاجة إلى الكشف عنها ودحضها : تلك هو محاولة القول بأن تاريخ الاسلام هو الاسلام نفسه ، والواقع أن التاريخ الاسلامي ليس بالضرورة ممثلا للإسلام ، وأنه لابد من التفرقة الواسعة بين مبادئ الاسلام الربانية الثابتة الممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وبين التجربة التي قام بها الحكم الإسلامي والتي قد تلتقى مع مبادئ الاسلام في بعض المراحل وقد تختلف عنه حين يذهب قادة المسلمون بعيدا عن منهج الاسلام .

ولا يجب أن هناك نفرا ممن تولوا زمام الحكم في الدولة الاسلامية بعد الخلافة الراشدة بعدوانهم منهج الاسلام ، في غير الحق أن يصور سلوك هؤلاء الحكام على أنه هو الاسلام نفسه ، وأهم ما في ذلك الفهم الخاطيء من محاذير هو محاولة نسبة الاستبداد إلى الاسلام ، ومحاولة الاستشراق تبرير الاستبداد بالاسلام نفسه حيث يقول بعضهم وهو كاذب : أن نظام الحكم في الاسلام نظام استبدادي ونسب هؤلاء أن للاسلام مبادئ الواسعة التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لمصلحة المحكوم نفسه .

(٦)

حقائق التاريخ

كذلك فإن التفسير التاريخي الغربي (المادى المصدر) يعمز من استيعاب حقائق التاريخ الاسلامي التي تملو على التصور المادى فسرعة انتشار الاسلام على هذا النحو المذهل وتمكنه من خلال فترة تقل عن قرن من أن يبسط جناحيه من

حدود الصين إلى حدود فرنسا ، هذا في تقدير التفسير الغربي مشكوك فيه لان الفكر الغربي لا يؤمن بأمر ، الايمان العميق القادر عن طريق الارادة الانسانية إلى التغيير الواسع ؛ كذلك يعجز التفسير الغربي عن فهم واستيعاب قاعدة اسلامية أساسية هي : كم من فئة كبيرة باذن الله ، ذلك أن التقدير المادى يرى أن الكثرة العددية هي الغالبة أبداً بينما يحمل الاسلام من الايمان قوة جديدة مضاعفة إلى قوة العدد والعدة ، وقد أكدت الفتوح الاسلامية هذه الظاهرة بما لا يدع مجالاً للشك ، وقد ثبت في مختلف الغزوات والمعارك التي المسلمون أن عددهم فيها كان أقل من عدد خصومهم بمراحل . وأن عدد عدوهم كان مضاعفاً أكثر من مرة بل مرات ، فالتصر هنا يرجع إلى عنصر الإيمان الذي لا يعتمد به في الحساب عند التفسير الغربي للتاريخ .

وهناك ظاهرة من التعصب ترجع إلى الاختلاف بين الاديان وتفسيراتها للحياة ومن اختلاف وجهات النظر ومن الصراع القائم بين الشرق والغرب ومن وجهة نظر الاستعمار التي ترى ان الغرب هو الجنس الأبيض معدن البشرية وأن بلاد الاسلام هي العناصر الملوثة التي يرى أنها أقل في الدرجة والقدرة والكفاية ومن خلال نظرة الاستعلاء . العنصرى والتعصب الغربى تهمى تفسيرات خاطئة في مقدمتها الادعاء بأن انتشار الاسلام إنما جاء بالسيف وهي دعوى مبطله ، والحق أن الاسلام لم يرفع السيف إلا دفاعاً عن كيانه حين يتعرض وجوده للخطر وذلك في مقاومة محاولات المتأمرين عليه .

وهكذا نجد ان الاسلام في عقيدته وحركته له ذاتيته الخاصة التي تمجز للنظريات عن استيعابه النظريات الجزئية .

ومن هنا فلا بد أن يكون للتاريخ الاسلامى تفسيره الاصيل .

أخطاء فى كتابه التاريخ الحديث

تعرض التاريخ الحديث لموجات من التحليل والتفسير اختلفت باختلاف المدارس التاريخية الغربية التى حاولت أن تصدر أحكاما من وجهة نظرها أولا الغرب وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الاسلام وعلاقات المسلمين بالغرب ، صدرت هذه الاحكام تحت تأثير طابع الاستعلاء الغربى فى النظر إلى الاشياء وتفسيرها ، ومن حيث النظرة المستمدة من غرب حاكم مسيطر ومستعمر على عالم الاسلام الذى وقع تحت تأثير النفوذ الغربى منذ سقطت الدولة الاسلامية فى الهند تحت النفوذ البريطانى وسقطت منطقة أرخبيل الملايو تحت النفوذ الهولندى بل يرجع إلى أبعد من ذلك ، عندما تدافعت قوات اسبانيا والبرتغال لضرب المغرب العربى والوحف على غرب أفريقيا فى بدأ مرحلة يمكن أن يطلق عليها جولة الاستعمار الغربى الحديث التى وصفها الغرب بانها تنمى للحروب الصليبية التى سبقتها باكثر من ثمانمائة عام ، ولقد كان من شأن هذا الصراع بين عالم الغرب وعالم الاسلام أن شكل من خلال حركة الاستشراق مفهوما خاطئا وتفسيرات متعصبة لحركات الاسلام الحديث ومراحل تاريخه ، فقد صدرت هذه المفاهيم وهذه التفسيرات من وجهة نظر الغرب القائمة على التعصب والحلاف والخصومة فهى ليست خالصة لوجه الحق ، وانما يغلب عليها الهوى والحقد ، هذا فضلا عن أن مقاييس التفسير التاريخى الغربى ، هى مقاييس مستمدة من التاريخ الغربى نفسه ولذلك فهى ليست صالحة لتفسير التاريخ الاسلامى الذى يستمد قوانين تفسيره من أصوله ومقوماته ، ولاريت أن هناك خلاف عميق بين أصول التاريخ الغربى ومقوماته التى تقررت عليها مقاييس تفسيره : ترجع هذه الاصول إلى العقيدة والثقافة والتاريخ القديم ، ولا ريب ان التاريخ الغربى يتصل اتصالا عميقا بمفاهيم الوثنية اليونانية والعبودية الرومانية والتفسيرات المسيحية ، وهذه كلها تشكل نظرة خاضعة إلى الاوضاع والاحداث والمواقف ، ومن هنا فهى

تختلف اختلافا عميقا عن أصول التاريخ الإسلامى التى تقوم على أساس عقيدة التوحيد والنبوة والبعث ومسئولية الانسان والتزامه ومفاهيم الاخاء الإنسانى والعدل والرحمة وفى إطار المنهج الذى قدمه القرآن الكريم والذى يختلف بل ويتعارض مع تفسيرات العقيدة والقيم التى تقررت فى الفكر البشرى المختلط ، وخاصة فيما يتعلق باضطراب مفاهيم العقائد اليهودية والمسيحية ، وهى التى تشكل الاساس الاول للثقافة والفكر الغربى : ويتجلى هذا الخلاف فى تفسير التاريخ الإسلامى حيث يقوم الاستشراق بتطبيق مقاييس غربية مختلفة كل الاختلاف عن مفاهيم وقيم الاسلام التى تشكل من خلال مفهوم جامع بين الروح والمادة والقلب والعقل ، والدنيا والاخرة ، بينما يقوم مفاهيم الغرب على التفسيرات المادية الخاصة ، التى لا تستطيع أن تسعوب التوحيد والوحى والنبوة وأثار الجنائب الروحية والمعنوية فى قيام الدول فى أما كن قصيرة وانتصار الجيوس ، بالعدد الأقل وانتشار الاسلام ذاتيا ، كل هذا يستدعى من الباحثين إعادة النظر فى هذه التفسيرات .

(١) لتكون الحقيقة أكثر جلاء ووضوحا

يجب التفرة بين حكم العثمانيين للعرب وبين حكم الاتحاديين والتفرة بين حكم المماليك فى مراحل الاولى وبنيه فى مراحل الاخرة

(٢) القول بان الاتراك سبب تاخر العرب قول مردود .

لقد كان الحكم العثمانى فى البلاد العربية مختلفاً عن الحكم الاستعمارى ذلك لان الترك انفسهم كانوا متاخرين فى العلوم والفنون

(٣) خطأ القول بأن الاتراك هم الذين سيطروا على البلاد العربية واحتلوها فقد كان دخول العرب فى الدولة العثمانية فى النصف الاول من القرن ١٦ بمثابة التقاء الجزء بالكل والتشام الاجزاء الضعيفة مع الجزء الاقوى لصد خطر الافناء الصليبي الذى صاحب مطالع عصر الاستعمار والثانى رأس الوجود الصالح .

ولاريد أن إرتباط العرب بالترك كان عاملا هاما ، فى تأخير سقوط البلاد العربية فى قبضة الاستعمار الغربى أربعة قرون ، وكان مصدر صمود الجبهة فى مواجهة ضربات أوروبا .

٤ - فساد مفهوم الإصلاح المنقول من اصلاح المسيحية باعتبارها قامت على تفسيرات بشرية جعلتها غير قادرة على مواجهة تغييرات الازمنة والبيئات .

أما الإسلام فإنه لا يقر الاصلاح بمفهوم تعديل مقررات الشريعة الاسلامية الثابتة ، وكلمة التجديد أقرب إلى مفهوم الاصلاح وإن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يحد لها أمر دينها ، والتحديد هنا هو العودة إلى المنابع ومصطلحات الاصلاح والتطور والتحديد بمفهوم بمالاة الاستعمار الغربي في تعريف الاسلام أو تسميته هي مصطلحات باطلة .

كذلك لا ينطبق على الاسلام مفهوم التطور لأن التطور مرتبط بالمنهج البشرية المتغيرة التي سرعان ما يتجاوزها الزمن فتحاول اصلاح نفسها بالتطور أما المنهج الاسلامي الرباني فإنه قادر على العطاء في مختلف العصور والبيئات وهو منهج قرن واسع الجنابات قادر على العطاء والاستجابة مع تغير الأوضاع .

٥ - فساد محاولة القضاء على فريضة الجهاد على النحو الذي تقدمه القاديانية والبهائية بهدف ايقاف الكفاح ضد المستعمر والفاصل وهي محاولة لتفريب الاسلام وتسميته وإعطائه طابع الفاندية والنو لستوية الذي لا يمثل مفهوم الاسلام . وتعد محاولة على عبد الرزاق ، والقادياني ، وأحمد خان ، والبهاء محاولات باطلة تستهدف تغيير مفهوم الاسلام الاصيل .

وقد -اول على عبد الرزاق الادعاء بأن الخلافة ما كانت إلا ملكاً أو سلطاناً وأن النبوة ليست حكمة ولا ملكاً وقال أن الملك الذي شيعه النبي ﷺ عمل دنيوى لا علاقة له بالرسالة وأن زعامة الرسول ليست إلا زعامة دنيوية وهذا فهم باطل للاسلام الجامع بين الدين وبين نظام المجتمع .

وقد جرت محاولات النفوذ الاجنبي لضرب حركات التحرر الاسلامية والقضاء عليها .

١ - القضاء على ثورة المسلمين في الهند .

٢ - القضاء على ثورة الامير شامل في القوقاز .

٣ - تجميد القوى المصرية في نفارين .

٤ - - تخطيط القوة الوهابية الصاعدة في الجزيرة .

كما جرت محاولة تمزيق وحدة العالم الاسلامى إلى قوميات وإقليميات ، بدأت هذه المحاولة قبل الغاء الخلافة فانقسم المسلمون إلى نحو سبعين جنسية وفرقه كل منها معزولة عن الأخرى ومحبوسة وراء فواعل مادية وأدبية لاحصر لها .

(٢)

ففى الاستعمار على الزعامات الأصلية التى كانت مفاهيمها تربط بين الوطنية والاسلام بمفهومه العام وكانوا يرون كمنح الاستعمار جزء من النضال فى سبيل الله وصنع مدرسة أخرى من تلاميذ الاستعمار هم الذين قاموا بمحركاتهم فى دائرة الاستعمار وفكره ومنهجه الداعى إلى قبول الأمور الواقعة ثم المطالبة والذين كانوا مبهورين بالحضارة الغربية ، ومعجبون بأولياء الاستعمار متعاونون معهم .

وقد كانت معركة الجزائر تختلف عن ذلك فقد قامت على أساس مفهوم الجهاد فى الاسلام ، ولولا أنهم أكدوا ذلك لما استشهد منهم مليون شهيد ؛ فالشعب الجزائرى لم يدعى لخوض المعركة التحريرية إلا باسم الاسلام ولولا ذلك لما استطاع أن يحمل فى هذا العصر لواء المقاومة للاستعمار المدجج بأحدث الأسلحة ، واسكن التجربة لم تكتمل فقد خشيت أوروبا مغبة هذا الاتجاه ولذلك فقد أجهض قبل أن يقيم الجزائريون دولة اسلامية .

إن تجربة الجزائر أعادت القيم الاسلامية إلى الظهور مرة أخرى بعد صلاح الدين وبعد أن غابت عن مسرح الحياة الإنسانية سنوات طويلة ولا يمكن أن يتحقق تحرير القدس إلا بمثل هذا الأسلوب الذى تحول كل القوى دون تحقيقه .

وقد كان الاستعمار والنفوذ الأجنبى حريصا على إجهاد الانحاء الاسلامى فى الجهاد حتى لا يودى إلى مواجهة عقائدية مع النفوذ الأجنبى ، وقد خدع مصطفى كمال الانراك والعالم الاسلامى جين حمل القرآن ودعا الى حرب اليونان ثم كالت جولته فى مواجهة اسقاط الاسلام والغاء الخلافة .

(٣)

انطلقت فكرة الدولة الباكستانية من مفهوم الإسلام ولكن الدولة الباكستانية لم تقم عليه ، فقد حالت حوائل كثيرة دون تحقيق هذه الغاية ، بل أن المدرسة التي كان رأسها محمد علي جناح لم تكن إلا مدرسة غربية شبيهة بالمدارس التي كونها النفوذ الأجنبي في البلاد العربية ، فقد كان من المؤمنين بالديبلوماسية الغربية . قال الأستاذ المودودي : أنه بالرغم من أن هذه الحركة (حركة جناح) تثار باسم الإسلام ولكنها ليست حركة إسلامية وطرح نظريته العمل الإسلامي الصحيح وهو أن ينتشر الإسلام أولاً حتى إذا ما انتشر الدين الإسلامي في أعماق الجماهير فإن هؤلاء المسلمين سيقسمون الإسلام في الهند كجزء من عقيدتهم وقال غلام أعظم (أمير الجماعة الإسلامية في باكستان الشرقية) بما أن هذه الحركة لم تتبلور كحركة إسلامية فإن غالبية قادتها منذ قيام الباكستان تنكروا لمفهوم الإسلام ، لقد قاموا باكستان على تصور إسلامي ولكنها بعد تأسيسها لم تتخذ هذا التصور وبالتالي لم يترسخ في أعماق الجيل الجديد ولذلك حينما بحث هذا الجيل عن قوميته وجدت الإقليمية طريقها إلى تفكيكه .

(٤)

طرحنا عناصر مختلفة في أفق كل بلد عربي أو إسلامي :

١ - عنصر قديم متصل بالتاريخ السابق للإسلام ، ففي مصر الفرعونية وفي الشام الفينيقية وفي العراق الآشورية ، وفي المغرب البربرية ، وفي الهند الإسلامية : الهندوكية القديمة وفي إيران تاريخ كوروش والجنوسية القديمة وفي تركيا الطورانية وتاريخ الذئب الأغبر وكلها محاولات للعودة إلى القديم البالي الذي حطمه الإسلام .

٢ - عنصر قومي وإقليمي متصارح ، كالمصرية ، أو السورية والعراقية تحاول أن تلتقط من التاريخ صفحات ومراحل وشخصيات في محاولة لتقسيم أعلام الفكر الإسلامي إلى عرب وفرس وترك ، وإلى مصريين وسوريين وعراقيين .

٣ - عنصر غربي أوروبي (فرنسي ، بريطاني أو أمريكي) ، وعنصر ليبرالي أو ماركسي ووراء كل عنصر من هذه العناصر مفاهيمه ، فالبلاد التي خضعت لفرنسا إبان الاحتلال ما زال ولائها الثقافي للفكر الفرنسي (لائني) والبلاد التي خضعت لانجلترا ما زال ولائها (سكسوني) وقد قامت الصراعات بين اللاتينية والسكسونية ، وبين الولاء للغة الانجليزية والفرنسية ، وبين الولاء الغربي نفسه فرنسي ، وإنجليزي ، وأمريكي من خلال الثقافة والمترجمات .

ثم جاء الصراع الآخر بين الايدلوجيات : الرأسمالية الغربية والماركسية السوفيتية ، وما يتصل باتباع هذين الايدلوجيين .

والهدف هو الحيلولة دون قيام وحدة إسلامية أصيلة مستمدة من القرآن واللغة العربية والاسلام والغاية هي الصراع بين المدارس والمناهج .

(٥)

لما كان الغريبيون يرون في ابطال النضال الوطني حصوما لهم لانهم قاوموم ومنموهم فانهم يحاولون أن يسموم بأشياء زائفة ، فالرئيس حميدو القائد الجزائري المشهور الذي أخضع دول أوربا لباس للجزائر وسلطانها حتى كان الاوربيون يؤدون للجزائر مغرما سنوياً وكانوا لا يدخلون هذا البحر المتوسط يمتطوا الجزية ، هذا القائد البطل يصفه المؤرخون الفرنسيون بأنه قاطع طريق وبأنه هو وأصحابه الابطال قرصان ومتوحشون .

(٦)

ان ظهور سدة زغلول (مصر) ومصطفى كال (تركيا) ورضا شاه (ايران) في مرحلة واحدة بعد الحرب العالمية الاولى كان يستهدف القضاء على صيغة العالم الاسلامي الاسلامتو وارساء مفاهيم الاقليمية والقوميات الوافدة ، والوطنية الضيقة ، والقضاء على الوحدة الاسلامية والخلافة) بل أن بعض المؤرخين يردون هذه المحاولة إلى محمد علي الذي فتح الباب لألر مرة أمام الحكومة العلمانية التي حطمت نظام الحكم الاسلامي وقد سجل السيد رشيد رضا هذه الظاهرة فقال أن محمد علي ثلاثة أعمال كبيرة كان كل منها موضع خلاف :

(أولا) تأسيس حكومة مدنية في مصر (أى علمانية) كانت مقدمة لاحتلال الأجانب له .

(ثانياً) قتاله الدولة العثمانية بما أظهر به للعالم كله وللدول أوربا خاصة ضعفها وعجزها وجراً من على التدخل في أمور سياستها

(ثالثاً) مقابلة الوهابية والفضاء على ما نهضوا به الإصلاح الديني في جزيرة العرب في عهد الاسلام وأحمد مآله :

وان محمد على هو أول من تجرأ في العالم الإسلامى على استبدال القوانين الأوربية بالشريعة الإسلامية ولا ينسون قتالة لحليفة المسلمين بما يعد حرا به ، ولا ينسون أن (توفيق) هو الذى تأمر على ثورة عرابى واستدعى الانجليز لاحتلال مصر واحتمى بمجيئهم بعد أن طاهد جمال الدين على تطبيق حكم الشورى بمصر ثم نفاه وزعم أنه رئيس عصاة من المفسدين .

وبعد هذا في تقدير الباحثين هو التهديد لما قام به سعد زغلول في مصر وكمال أتاتورك في تركيا ورضاشاه وإبنه محمد في إيران في محاولة تغريب مصر وتركيا وإيران .

(٧)

ظهرت دعاوى باطلة تحاول أن تصور العالم الإسلامى وكأنه قبل الاحتلال الغربى كان فى سبات عميق ، وأنه تمهد فى القرون الوسطى وأن أوضاعه السياسية والاجتماعية كانت فاسدة وان لم ينهض الا حين نهض به النفوذ الأجنبى وأن الحملة الفرنسية على مصر هى بدأ اليقظة وان الارشاليات الاجنبية هى التى حققت له الصحوة .

كذلك شوه الاسمعار حركات اليقظة التى قامت قبل قدومه وادعى أنها لم تحقق شيئاً بينما كانت البلاد العربية والإسلامية قبل الاحتلال على درجة عالية من الوعى السياسى والاجتماعى وكانت بها نظم سياسية جيدة ، مثل ما كان فى مصر وكانت الحياة الحضارية والثقافة فى أوج التقدم فى مختلف مناطق أفريقيا التى احتلها الاستعمار البريطانى والفرنسى وحاول تشويه ثقافتهم وحضارتها وأطبق عليها بنفوذ وثقافته ليزيل الوجود الإسلامى العربى بها .

ولا شك كان الازهر حافلاً بحركات اليقظة قبل الحملة الفرنسية وكانت الجزيرة العربية (في نجد ومنطقة الخليج) في اوضاع ثقافية واجتماعية طيبة بدعوة الإمام محمد بن الوهاب . وقد جاء احتلال الجزائر بعد فترة من إنجازات ضخمة كان لها شأنها لولاء الاحتلال الفرنسي الذي أعاد البلاد إلى الميودية الفكرية والسياسية ثم جاء التدخل الاجمبي بعد أن اوشكت هذه الحركات على النجاح فاجهضتها وأدخلتها في صراع مع بعضها البعض يقصد ضرب بعضها ببعض والقضاء عليها . ولا ريب أن الحركات الوطنية والفكرية في مصر وتونس غير القرن التاسع عشر قد ألزمت الغزوات الحاكمة على الشورى والعدل وتمكنت من الحصول على مزيد من حرية العمل والفكر ، ووضع أسس دستورية وتشريعية كانت كافية بالمساهمة الشعبية في الحكم ، بل أن هذه الحركات الإصلاحية قبل الاحتلال الاجمبي كانت تستمد مفاهيمها من الاصول الاسلامية في تحديد وجهتها ، غير أن النفوذ الاجمبي قد حطم هذه المحاولات كلها ووضع البلاد الإسلامية في دور التبعية الكاملة لنفوذ وقوانينه تحت أسماء الانتداب والوصاية بادعاء أن أهالي هذه البلاد لم يكونوا على أي قدر من الوعي السياسي وكان في ذلك كاذباً ومضلاً ذلك لأنه كان يطمع في القضاء على تلك الروح الإسلامية الاصلية في الإصلاح ، وكان يهدف إلى القضاء على هذه المدرسة الإسلامية في السياسة والحكم والاجتماع ، وبناء مدرسة من أوليائه التابعين الخاضعين المزمعين ، الذين يوالون سيطرته يقبلونها ويمجبون بها ويلتصقون بقائماً ليستمر بقائهم ، من هؤلاء سعد زغلول في مصر وعدد كبير من الحكماء الذين أنشأوا في مدارس الارساليات وعملوا على تثبيت دعائم الاستعمار ، هم تحولات التنظيمات السياسية والاجتماعية والتربوية فاقنعت الأنظمة الغربية والقوانين الوضعية ، فافسد ذلك المجتمع الاسلامي إفساداً تاماً . حيث انتشرت عوامل الفساد الاجتماعي نتيجة حجب الشريعة الإسلامية بمحدودها في الربا وفي العلاقات الاجتماعية ، وغيرها وفتح باب الاستدانة والرشوة والفساد الحلقى لتسكين الغاصب من عصر هذه الشعوب والحصول على ثمرات نتائجها .

وهنا حجب القوى الغاية أهل الاصاله والحق عن مواقع القيادة ، وسمحت للقلة الموالية للغرب أن تسيطر وظهر من يدعو الى تبني فكرة ارتباط العالم الاسلامي بالخطا اة الاوسطية والغرب ، وتبني الولاء الغربى وانكار الاصول الاسلامية والعربية في الملائات والثقافة والمقائد والاعراق وظهرت تلك الدعوات

الاقليمية . والقوميات الوافدة ، والوطنية وأخذت البلاد الاسلامية تطبق على فكرها ومجتمعها مقاييس الاستعمار ومعاييره في مفهوم التقدم والتخلف ، وفي التنظيمات الاجتماعية والسياسية .

وكانت هذه المحاولات كلها ترمى إلى تمزيق وحدة الفكر الاسلامي والجامعة الاسلامية التي تقوم على الاسلام والقوآن والتوحيد .

(٨)

حاول كتاب الغرب تفسير التاريخ الاسلامي تفسيراً مادياً واقتصادياً وغفلوا عن جانب المعنويات والقوة الروحية والايان الذي كان عاملاً أساسياً في النصر الذي حققه المسلمون بالأعداد القليلة على القوى السكيرية وباندفاع هذه القوى التي لم تكن تملك من التكنيك العسكري أو العدد والعدد وما يوازي عشر معشار ما يملكه هدم ، ثم انتصارهم عليها ، وإذا نظرنا نظرة عامة قلنا أن عدد المسلمين في المارك الاسلامية لا يزيد عن مائة ألف مقاتل فتحوا في ثمانين عام ثلاثة أرباع المعمورة وهذا هو المد الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً من قبل وهذه الظاهرة هي التي أزعجت أصحاب مقاييس التفسير المادي للتاريخ عن معرفة السر في هذه المعجزة

ولقد جاءت محاولات تفسير هذه الظاهرة تحمل طابع الجهل بالجوانب الروحية والمعنوية وأثرها البعيد في التعبير ، أو طابع الحقن الدفين في هذا الفرد الاسلامي في مواجهة الأرض التي كانت خاضعة للرومان .

إن دعوى القول بأن العرب خرجوا من جزيرتهم تحت ضغط النفاقة والحاجة لا يمكن أن تكون اجابة صحيحة لهذه الروح من الايمان والاستشهاد وعدم المبالاة بالعنائم ، إن أن الوقوف عند هذا التفسير بالعامل الاقتصادي وحده لا يمكن أن يوصل إلى الحقيقة : ولقد أجاب المجاهدون المسلمون أنفسهم عن هذا التساؤل حين قال رستم المظفيرة بن شعبة : قد علمت أنه لم يحملك على ما أنت فيه إلا ضيق المعاش وشدة الجهد ونحن نعطيك ما تشبعون به

قال المظفيرة : إن الله يبعث إلينا نبياً من أنفسنا فيفزعنا إليه فأسعدنا بإجابته واتباعه وأمرنا بمجاهد

من خالف ديننا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ونحن ندعوك إلى عبادة الله وحده والإيمان بنبيه فإن فعلت والا فالسيف بيننا وبينكم .

وقال ريمي بن عامر : أتيناكم بأمر ربنا نجاهد في سبيله وننفذ أمره وننجز موعوده وندعوكم إلى الاسلام وحكمه فإن أجبتهمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا معكم كتاب الله وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزية فإن فعلتم والا فإله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم فاقبلوا قوائله لاسلامكم أحب إلينا من عنائكم ولقتالكم بعد أجب من صلحكم .

ومن المؤسف أن تصور غزوات الاسلام التي كانت مثلاً عالياً في الرحمة والخلق بآمنها أعمال السلب والنهب .

وإذا كان العامل الاقتصادي هو واحد من جملة عوامل في تفسير التاريخ فإن ذلك يكون قريباً من الواقع ، غير أن وقائع التاريخ كلها تشهد بأن منازعات الأمم وحروبها ترجع في أغلبها إلى الدين والاعتقاد وأن محاولة قصر عوامل التاريخ على الاقتصاد لا تنطبق على التاريخ الاسلامي بل لا تنطبق أيضاً على التاريخ الاوربي .

(١٠)

في مواجهة الفكر الإسلامي

(١) في مواجهة الفكر الإسلامي

(٢) الفكر البعري القديم

لا ريب أن الفكر الإسلامى نشأ فى خضانة الدعوة الإسلامية وله جذوره
العريقة وأصوله المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية وسيرة
الرسول وتاريخ الإسلام والأدب العربى وقد اكتمل مفهوم الإسلام فى حياة
الرسول ﷺ اليوم اكملت لكم دينكم ، وكانت قواعد الفكر الإسلامى الأساسية
تجد بدأت ونمت فى حياة الرسول ﷺ مستمدة من القرآن وأن القواعد لم تتغير
من بعد ولم تجر إضافة أى شئ إليها فظلت قيمها الأساسية كما جاء بها وحى السماء
(القرآن) وسنن النبي فى تفسيرها وتطبيقها وإنما جرت حركة العمل من داخل
الاطار الذى رسمه القرآن ولقد كان اتصال المسلمين بالفلسفات اليونانية والفارسية
والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الإسلام بمفهوم (السنة الجامعة) وهزمت
جميع محاولات السيطرة والاحتواء والغزو الفكرى كما لسميه بلغة العصر وبقيت
الحقائق الأساسية قائمة .

أولاً : الإسلام دين ميم .

إن الإسلام ليس ديناً كسائر الأديان وإنكته جركة اجتماعية واسعة تشمل
الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والأخلاق وأن ميزة
الإسلام أنه نظرية كلية شاملة وأنه لم يجرى الحياة بل انظر إليها نظرة كلية كما
نظر إلى الإنسان كوحدة نفسية وجسمية لا تتفصل .

ثانياً : وحدة الفكر الإسلامى وتكامله

وفى الفكر الإسلامى المستمد من الإسلام يقوم منهج تكامل القطاعات والعناصر
فى لسق واحد ، فالاجتماع والسياسة والأدب والتربية والاقتصادى أجزاء وعناصر
من شئ واحد هو الإسلام وإذا كان الفكر الغربى يجرى على الفصل بين العناصر
والوحدات وأجزاء فإن الفكر الإسلامى لا يقر هذا الفصل ويرى فيه تدميراً

للشخصية الانسانية وللمجتمع نفسه ويرى منه قصورا في النظرة باعلاء عنصر على عنصر ، فالاسلام لا يرى ما يراه الفكر الغربي من استعلاء عناصر المادة والعلم والعقل والمحسوس على العناصر الاخرى . ويرى أن الروح والمادة يتكاملان والقلب والعقل هما بمثابة عينين في وجه واحد ، والدنيا والآخرة متصلان صلة جذرية فالحياة كلها تدور حول رسالة وتتصل بإنسان له مسئولية الفردية إذا عمل وجزائه على هذا العمل ، وإنسان متصل بمجتمع متفاعل معه ، والإنسان له قلب وعقل وروح وجسد لا انفصال بينهما .

ومن هذه الوحدة القائمة بين العناصر في الفكر والحياة والالتقاء بين الأجزاء في الفكر الاسلامي لانجد قضية للخلاف بين العلم والدين ولا بين الدين والأخلاق ولا بين الدين والدولة .

وفي ضوء هذا كله فإنه ليس هناك فكر ديني أو لغة دينية على النحو الذي يقهه الغربي الذي يفصل بين المفاهيم وكذلك تختلف نظرة الفكر الغربي في أمور كثيرة : في الثوابت والمتغيرات ومفهوم التطور والنسبية .

وفي مفهوم البطولة .

ومن هنا فقد أقام الفكر الاسلامي منهجا للمعرفة خاصا به يختلف عن منهج المعرفة الغربي ، وهو غير المنهج العلمي التجريبي الخاص بالعلوم .

ثالثاً : منهج المعرفة الاسلامي

أقام الاسلام منهج المعرفة المتكامل إذا الجناحين المعتمد أصلاً من المصادر الأولية الأساسية : الفطرة والعقل والقلب والوحى : هذا المنهج القائم على المادة والروح والعقل والقلب مخالفاً بذلك الفكر البشري الانشطاري : القائم في أحد قطبيه على الروح وحدها أو المادة وحده أو الذوق أو البصيرة أو الحدس ، وكل من هذه المناهج مستقل بأسلوبه وطريقته لا يعترف بالأخرى ولا يرى أنه وسيلة صالحة للمعرفة ، وفي الصورة المعاصرة الآن : المنهج المادي في عالم الغرب والمنهج الروحي في الشرق الأقصى معتمداً على البوذية ومفاهيم الأديان الهندية وكذلك كان الأمر قبل ظهور الاسلام : كان هناك الفكر الهليني اليوناني القائم

على التأمل والمنطق المحسوس والمفكر القائم على الحدس والاحساس الباطنى ، في وسط هذه التيارات والفلسفات من تفكر البشرى المنحرف ناحية لوثنية أو المادية أو الاباحية قدم الإسلام منهجه الجامع فى المعرفة وإقامة على أساس التوحيد .

وما تزال مناهج المعرفة تصطارع وتتضارب ولا تستجيب لفطرة الإنسان ولا لأشواقه الروحية ، ويبقى منهج المعرفة الإسلامى الجامع وحده على مفهوم التكامل الذى يربط بين قوى الحواس والعقل والوجدان والروح وبين السمع والبصر والبصيرة والعقل قائماً أشبه بالمنار السامق الذى يهدى الإنسان ويهذى الفكر الإنسانى وينقذها من لحج الشك والالحاد والوثنية والمادية جميعاً ،

وتتمثل أبرز معالم منهج المعرفة الإسلامى فى الأصول الآتية :

أولاً : التفرقة الواضحة بين مقاييس العلوم ومقاييس الإنسانية فقاييس العلوم مقاييس مادية مستمدة من التجربة والاختبار الدائم المتماثل الذى لا يتغير . وهذه المقاييس تعجز عن أن تخضع الإنسان والمجتمعات والنفوس والأخلاق إلى نتائجها ، فإذا حاولنا تطبيق مقاييس العلوم فى مجال النفوس أخطأت وفسدت .

ثانياً : الجمع بين إطار التوابع الأساسى وحركة المتغيرات . وقد وضع الإسلام قاعدة السكليات ذات الاطار الواسع والأفق الواسع ، وهى التوابع التى تقوم عليها دعائمه ، هذه الدعائم التى تمثل الاطار المرن والذى تجرى من داخله حركة التغيير والاجتهاد فى الفروع المتجددة والمسائل المتغيرة بتغير الزمان والمكان .

ثالثاً : تكامل العناصر وتلافيها وتأثر بعضها ببعض فالنظرة الإسلامية متكاملة لا تتجزأ ولا تأخذ بفرع دون الآخر فكل فرع منها مؤثر فى الفرع الآخر متأثر به .

رابعاً : لكل قيمة وجهان . مادى ومعنوى ، لا انفصال بينهما بل تكامل :
خامساً : لكل نظرة دعائمان : الوعى والعقل :

سادساً : رفض أسلوب التقليد الموروث ، والتبعية وقيام النظرية على أساس الفحص والإيمان المتجدد .

سابعاً : إن معرفة الإنسان لقوانين الطبيعة لا تغنى عن الإيمان بصانع الطبيعة بل من الحق أن تهدي إليه وتدل على عظمته .

واجه الفكر الإسلامى التحديات منذ اتصل بالفكر البشرى الذى كان يتمثل فى ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية بما حملت من مفاهيم الوثنية والالحاد والاباحه والمادية وتعدد الآلهه فدخل معها فى معركة ضخمة استمرت فروناً ثلاثة حتى استطاع أن يتحرر منهم بإقامة مفهوم أهل السنة الجامع : وقد امتدت هذه الفلسفات إلى مجال العقائد والتفسير والفقه والتصوف وأدخلت عليها كثيراً من الشبهات أو ما أطلق عليه الاسرائيليات . وقد جذدت حركة للتغريب والغزو العثمانى هذه الشبهات وأعاد طرحتها فى أفق الفكر الإسلامى مرة أخرى فى العصر الحديث وفى ظروف تختلف عن ظروف القرن الثالث الهجرى وهى ظروف التحدى التى فرضها النفوذ الأجنبى وقد أطلق على هذه الحركة زعمائها وعلى رأسهم هاملتون جب : حركة التغريب : أى صبغ العالم الإسلامى بصبغة الغرب وإخراجه من طابعه الإسلامى المميز وصهره فى بوتقة الأمية وقد هم الاستشراق على إثارة السموم فى مختلف المجالات وحملت رياح التبشير الغربى ذلك كله إلى المدرسة والجامعة والصحيفة وبعد أن كان دوره مقصوراً على دور التعليم ظاهراً فقد تخفى وتندس إلى جميع فروع الثقافة تحت اسم نظريات جديدة وشاركت قوى التغريب فى مجال الاستشراق فتجمعت على طرح شبهات بعضها لخدمة الاستعمار والنفوذ الأجنبى وبعضها لخدمة الصهيونية وبعضها لخدمة الشيوعية فكل على حركة اليقظة الإسلامية مواجهة هذه التحديات التى تحاول أن تخرج الفكر الإسلامى من ذاتيته الخاصة وطابعه القرآنى :

لقد قامت هذه المحاولة منذ وقت بعيد وكان أول من تحدث عنها لويس التاسع وذلك حينما قاد الحملة الصليبية السابعة الى مصر وهزمت هزيمة نكراء فى المنصورة . هناك إبان اعتقاله فكر ودر وتأمل ، وكتب فى مذكراته هذه الأطروحة الخطيرة قال : ان نتائج الحروب الصليبية بغدأ أكثر من قرن ونصف قرن تؤكد أن المسلمون لا يمكن هزيمتهم عن طريق الحرب والقتال فإن ديمهم قدم لهم منهجاً خطيراً فى هذا الشأن هو الجهاد فى سبيل الله والموت

في سبيل حماية الدين . ولذلك فاعتقد أن الأسلوب الصحيح للغرب للسيطرة على المسلمين هو السيطرة على فكرهم وتحويله عن أصوله الحقيقية . إن أوروبا إذا أرادت مقاومة الاسلام والقضاء عليه فاعلموا أن يكون ذلك عن طريق الكلمة ، وعن طريق تحريف هذه المفاهيم وتفريغ الاسلام من تلك المقومات التي تعطيه القوة والعمود ولذلك فاعتقد أنه لو قامت مؤسسة مسيحية أوروبية بهذا العمل فإن ذلك من شأنه أن يصير الاسلام دين عبادة وبذلك يمكن تفريغه من قوته الذاتية الخطيرة التي مكنته خلال القرون من العمود في وجه القوات الفازية . ومن هنا نشأت تلك المحاولة الخطيرة التي اسماها التغريب واطلقت عليها الغزو الثقافي والتي قامت عليها مؤسستا التبشير والاستشراق واستهدفت تغيير أصالة الإسلام ، ومقوماته الأساسية وأثارة الشبهات حول تاريخه ولغته وعقيدته ورسوله بهدف توهينه ، هذا الدين في نظر أهله وأعداء شأن مناهجهم وأيدولوجياتهم وإخراج المسلمين من الاسلام .

وقد جرت تلك المحاولة في عدة طرق :

أولاً : إثارة الشبهات حول حقائق الاسلام وخاصة مفهومه الاساسي من حيث أنه منهج حياة ونظام مجتمع وإثارة الشبهة بالقول بأنه دين عبادة وتأويل مفهوم الجهاد في الاسلام الذي هو كبرى فرائضه .

ثانياً : ضرب الاسلام من الداخل عن طريق قوى تحاول أن تحتضن ظاهراً مفاهيم الاسلام ثم تعمل على إثارة الشكوك والشبهات حول حقيقة تطبيق الشريعة الاسلامية أو مناهج التربية الاسلامية أو حول الضوابط والقواعد في الاسلام كالحجود والربا ومحاولة التشكيك فيها .

ثالثاً : تبني دعوات ضالة كالقاديانية والبهاية واعتبارها من حركات التجديد الاسلامي ، وفتح الطرق أمامها في المجتمعات الاسلامية .

رابعاً : محاولة تفسير القضايا الكبرى تفسيراً خاطئاً ، على نحو ما يقول به البعض من الحوار المسيحي ، وغيرها من القضايا بما يخالف الحقيقة التي تتمثل في ذاتية الاسلام التي تختلف عن تفسيرات الأديان .

خامساً : (حياء) الفكر الباطني والاباحي والمادى سواء في الفلسفات اليونانية أو الفكر الغنوصي الشرقي .

واقدر عرف المسلمون مدى الاخطار التي واجهتهم عندما تركوا منهجهم الرباني والمصدر الانساني الطابع وألتسوا مناهج الغرب سواء منها ما يتصل بالسياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد . وقد جاء هذا نتيجة اضطراب أساليب التربية والتعليم التي وجهت الرواد إلى الانهار والا كبار لفكر الغرب في نفس الوقت الذي جهلوا فيه أبسط القيم الاسلامية ، كذلك فإن القيم الخلقية الغربية التي نواجهها اليوم إنما ازدهرت في جو الانحلال الذاتي في بيئة غلبت عليها طوابع المنفعة والانانية والفردية بينما يقدم الاسلام للبشرية طوابع الرحمة والغيرة والبذل والفداء .

كذلك فإن الفكر الاسلامي يؤمن بأن القديم ليس فاسد كله أو مضطرباً . ذلك لأن قديماً نحن المسلمين خاصة إنما هو عمرة أصول ربانية جاءت بوحي السماء . فم كان هذا التراث تفسيراً لها وتعميقاً وفهماً ، فهذه الصيحة المسحومة التي تقول بانتقاص القديم جملة إنما تحاول أن تتال من هذا الميراث العظيم الذي جاءت به النبوة للبشر من رب العالمين مدى وضياء ، ولذلك فإن معارضة القديم على إطلاقه هي من دعوات التغريب وما أظن أن أمة ماحق هذه الأمم التي تدعونا إلى ترك القديم ، سواء أ كانت أمم الغرب أم الصهيونية ، قد تركت قديمها ونحلت عنه ، والحضارة الغربية عندما تجددت في القرن الرابع عشر الميلادي بعد سقوط روما في القرن الرابع وبعد انقطاع دام ألف عام عادت تربط نفسها بالخط الهليني في القانون الروماني والاجتماع والادب، فكيف يترك المسلمون ميراثهم الممتد خلال أربعة عشر قرناً خوفاً من أن يتهموا بأنهم يحجبون القديم .

فالمحافظة قانون طبيعي ومن سنن الكون التي لا تتخلف والمحافظة - لا الترجمية - هي التي تعصم المسيرة من الانحراف وتجعلنا في إبان الازمات والاحداث تتلفت لنرى هل نحن حقاً نلتصم من منابنا الاصلية أم انحرفنا عنها .

ثانياً ، التبعية : ذلك هو الخطر الثاني الذي يواجه الفكر الاسلامي ويحيى . هذا نتيجة التصور بأن فكر الأمم الاخرى التي لها قدر من القوة والسيطرة في

العصر الحاضر هو الأصح وأنه ما دامت هذه الأمم قد نجحت بهذا المنهج فإن علينا أن نقلده ونقبه حتى نصل إلى ما وصلوا إليه من تقدم وظاهر المعادلة يبدو صحيحاً ولكنه في واقع الأمر وفي النظرة الأعمق لا يؤدي إلا إلى إذابة الشخصية وتحللها حتى تصبح صورة مهلهلة مضطربة لذلك الأصل الذي تحاول الاقتداء به .

إن أخطر ركائز للفكر الإسلامى وهو الأصالة والتبعية واستحالة الاندماج والنوبان أو الاحتواء في دائرة الفكر الأسمى . ذلك لأن الإسلام منهج متكامل بينما تقسم مناهج الفكر الأخرى بالتجزئة والانفطار وهو الذى يمثل قوة الدين والفكر في وحدة لا تنفصل وهو الذى يعتمد على الوحي والنبوة ورسالة السماء أساساً له ، ثم يكون العقل وسيلة من وسائله والعلم منهجاً يجرى في مجراه .

إن أخطر ما حذرنا منه ديننا هو متابعة الناس بغير برهان والخروج من ذاتيتنا ومقوماتنا تحت سيطرة الأهواء والبريق . ولقد كانت أمتنا قادرة في أشد أوقات المحن على أن تحفظ كثرهما في أحضانها فلا تفرط فيه حتى تزول أزمة الاستلاب من حولها : ذلك أن الأمم التى استهانت بقيمتها ومركبات شخصيتها من لغة وعقيدة وتراث وتاريخ ، هذه الأمم ضاعت أدراج الرياح ووضعت في توابيت المتاحف . أن محاولة مضلة تحاول أن تقول بوحدة المعرفة أو وحدة الفكر وهى دعوة تنبعث من المسيطرين بالنفوذ ، وأدوات الغزو ، تريد أن تحتوى فكر الأمة الإسلامية التى تمر الآن بمرحلة اليقظة والتى لم تمتلك إرادتها بعد كاملة . ومن هنا فإن علينا أن نواجه هذه الدعوات إلى التبعية المقنعة بحذر شديد وأن نعترف بأنها إنما تريد أن تبطلنا في أتونها الضخم .

نحن نؤمن بوحدة الجنس البشرى في مصادره ووحدة الفكر في أولياته ، ولكن المحاولات البشرية التى عملت منذ وقت بعيد على تشكيل مناهج لها تختلف عن الفكر الربانى وتغاير قيمه التى جاء بها الوحي عن طريق رسالات السماء ، هذه تحاول دون تقبل دعوتها إلى وحدة الفكر ، ذلك لأنها ترمى إلى إخراج البشرية من إطار التوحيد والإيمان والمسئولية الفردية والأخلاقية والنمى والجزاء وقد نجحت هذه المحاولة في بعض أطراف الأرض ، وهى التى تمتحننا نحن المسلمين

أخطر امتحان ومحنة لتحطيم هذه القوة القائمة بالحق في وجه الوثنية والمادية
والالحاد والاباحية .

فضلا عن أن منهج أية أمة لا يصلح لأية أمة أخرى .

والواضح أن هناك محاولات لصهر الفكر الاسلامي في مفاهيم المسيحية ،
والوثنية والارغريقية والمجوسية والفاسفات عن طريق إحياء مفاهيم الاعتزال
والفلسفة وفلسفة التصوف والتأثير على تسكامل العقيدة والشريعة والأخلاق عن
طريق مفاهيم مدرسة العلوم الاجتماعية والفرويدية والوجودية فعلينا أن نحافظ
أصالة الفكر الاسلامي وذاتيته الخاصة .

• • •

الفكر البشرى القديم

إعادة طرحه في أفق الفكر الإسلامى

المؤامرة الخطيرة التى تواجه الفكر الإسلامى فى العصر الحديث هى محاولة بوى التغريب (الاستشراق والتيشير) إعادة طرح الفكر البشرى القديم الوثنى والاباحى مرة أخرى ، لتزييف هذا الفكر القرانى الربانى وتمييعه واحتوائه .

ولقد كان الفكر الإسلامى دائماً متفتحاً لشمرات الفكر الانسانى ، ولكنه كان قادراً حتى فى أشد مراحل الضعف والتخلف على المحافظة على ذاتيته والحيلولة دون إنصهاره فى الفكر الأسمى ، ذلك لأن مقوماته الأصيلية وقيامه أساساً على التوحيد ، حال دائماً دون هذا الانصهار وهذا الاحتواء الذى فوضه الغزو الخارجى عليه .

وقد كان الفكر الإسلامى فى الجولة الأولى (أبان ترجمة علوم اليونان والفرس والمنود) فى نهاية القرن الأول وبدايه القرن الثانى وحتى الثالث ، قادراً على أن يتوقف دون ترجمة الفلسفة والقانون والشعر أول الامر ثم لما ترجمت الفلسفات واجبها علماء المسلمين فى قوة ، وكهفوا عن أن منهجها لا يتفق مع منهج التوحيد

أما فى الجولة الثانية (هذا العصر) فقد استطاع النفوذ الاجنبى أن يفرض ترجمت كل ركام الفكر البشرى ووثنياته وإباحياته ، من أساطير وشعر وفلسفات مادية ، دون أن يكون هناك حائل دون ذلك ، وأن تمكن أعلام حركة اليقظة الإسلامية من كهف زيف هذا الركام البشرى .

ولقد كان هدف دعاة الغزو الفكرى من هذه الخطوة إعادة الفكر إلى الايمان بالجبر ، وعودة الانسان إلى الوثنية . والدعوة الملحة إلى الانطلاق من القيم والتحرر من الأخلاق إلى حيوانيه الطعام والجنس .

ولعل أخطر ما طرح الفكر البشرى فى أفق الاسلام فى العصر الحديث :

- ٢ - الاخطار الفلسفية والوجودية .
- ٣ - الكشوف الانثروبولوجية التي دعت إلى استغلال الاسطورة في تفسير الحياة الانسانية .
- ٤ - المذاهب الفلسفية التي ردت الانسان إلى الحيوانية .
- ٥ - نظرية دارون .
- ٦ - مقارنات الاديان التي تقوم على أ كذوبة أن البشرية كانت وثنية ثم اعتنقت التوحيد مع ظهور اليهودية .

ولقد دعا الاسلام معتقيه إلى اليقظة تجاه الفكر الوافد وحرر إتيابه من التأخير الاجني بكل أنواعه ، ودعا إلى الحرص إزاء محاولة أعداء الاسلام تغيير المعالم الاصلية للعقيدة الاسلامية والفكر والثقافة ومحاولة تزيف مزاج المسلمين النفس .

- ٢ - وكان أعداء الاسلام يعلون أن الطريق الوحيد إلى القضاء على « وحدة الفكر الاسلامي » هو ضرب الامة من خلال قوائم فكرها باثارة الشبهات وإدخال مفاهيم وتفسيرات غريبة تختلف عن التفسيرات الاصلية .

كذلك كان من أكبر مميزات الفكر الاسلامي ، هي قدرته الواضحة على التماس المنابع حين يفقد النص القرآني أو التوجيه النبوي ، فهو حين يفتتح على الثقافات العالمية يأخذ منها بحذر ولا يأخذ كل شيء ، ويرد الباقي من السيل المتدفق الذي يقدم إليه ، فهو لا يأخذ إلا ما يتفق من الاساليب والوسائل لا الاصول ، وما يتفق مع طابعه وما يزيده قوة وكل ما يأخذ به يصهره في بوتقته صهرا تاما ويحيله إلى طابعه .

ولقد كان الفكر الاسلامي ولا يزال - وسيظل - قادرا على أن يعمل داخل الاطار الذي رسمه القرآن وحدده وأن يحكم المسامون على كل ما يواجههم في ضوء القرآن والسنة لا يتعداهما إلى مصدر اخره .

وفي هذا المجال فرق الفكر الاسلامي بين المعرفة والثقافة خاصة ، ولكل أمه

ثقافتها المستمدة من عقيدتها وشريعتها وأخلاقيها كذلك فرق بين العارض والاساسي وبين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية ، ودعا إلى وحدة الفكر في قطاعاته المختلفة فلا سبيل لفهم قطاع من الفكر الاسلامي وحده منفصلا عن قطاعاته الاخرى .

كما فرق بين مقاييس العلوم التجريبية ، ومقاييس الدراسات الانسانية التي لا يمكن أن تخضع لاساليب العلوم التجريبية والمادية ، لانها تتصل بالنفوس والاخلاق ، كما رفض الفكر الاسلامي مبدأ التقليد الاعمى ومبدأ التبعية وافر مبدأ الاصل والتماس المنابع .

وقد قام الفكر الاسلامي في تكامله على أبعاد ثلاثة :

أولاً : عمق زمني : يربط الانسان بالتاريخ والزمن الواقع وقضايا الحياة .

ثانياً : اتساع مكاني : يربطه بالاحداث العالمية في العالمية في العالم المحيط به وهذا هو الشطر الذي يعتبره الفكر الغربي الحديث أساساً وحيداً الفكر ، أما الاسلام فإنه يعترف بعلاقة البيئة ولكنه لا يراها العلاقة الوحيدة .

ثالثاً : تكامل موضعي بمعنى وضع الجزء في مكانه من النظرة الكلية الجامعة :

وقد عارض للفكر الإسلامي : « الجمود » الذي يزرى بقيمة العقل ويحط من كرامة الانسان .

وعارض التعصب : الذي يمنع الانسان من تقليب وجهات النظر المختلفة .

كما عارض التقليد : الذي يجعل الانسان تابعاً للقديم أو الوافد دون فحص أو تمحيص .

ثم أن الفكر الاسلامي يعارض كل ما يصادم قوانين الكون ونواميس الوجود والحياة ويرى أن كل شئ يبدأ من نقطة ثابتة وينتهي إليها (حركة في إطار الثبات) وأن كل شئ يبدأ صغيراً ثم ينمو حتى يكتمل ثم يعود مرة أخرى (كالطفل والقمر) .

وقد رفض الفكر الاسلامى المنطق اليونانى الذى يقوم على القياس والاستدلال النظرى وأقام منطقاً جديداً مستمداً من خصائصه وهو المنهج المحسى التجريبي ، وأعلن أن القياس المنطقي ليس كافياً وحده في إفاة النظريات خاصة إذا تمارضت مع واقع التاريخ ، وأن الاسةشهاد بوقائع غامضة من التاريخ — كما فعلت نظرية ماركس المادية — هو أيضاً زيف .

وأسوأ أنواع القياس : القياس الفاسد الذى لا يؤيده حقيقة عليية وكشف الفكر الاسلامى عمق الارتباط بين الفكر واللغة وأن منهج البحث ، لاي فكر وهو ما يطلق عليه لانييا اسم « الاورجانون » يستند أساساً إلى خصائص اللغة ولذلك فإن منهج المعرفة الاسلامى لا يمكن أن يستند إلى خصائص لغة غير اللغة العربية ، ذلك لأن لكل لغة منهجها القائم على معانيها ومضامينها ، وقد هاجم المسلمون المنهج الارسطى ، وكشفوا عن أنه قائم على خصائص اللغة اليونانية ، التى تخالف اللغة العربية ، ولذلك فهم لا يقبلون به .

كذلك الامر بالنسبة إلى المنهج الغربى الوافد ، ذلك أن الفكر الاسلامى لا يستطيع أن ينطلق إلا من خلال منهج البحث الخاص به المستمد من اللغة العربية أولاً .

كما أعلن عن أن كل نظرية أو مذهب قامت أو قام في مجتمع ما ، إنما أقامها أهلها على مقياس مجتمعهم ، وفي ظل تحدياته الواقعية والتاريخية مما . فهي ليست سوى إستجابة ظرف وبيئة ، وكذلك فهي صرعان ما تتحول مع مرور الزمن إلى أداة عاجزه عن تحقيق الهدف فيضاف إليها ويحذف منها ، ولذلك فإن نقلها في حد ذاته إلى بيئات أخرى لا يحقق نتيجة ما ، لأنها كالبذر الغرب لا ينبت في غير تربته ، ولقد كان المفكرون المسلمون على يقظة تامة إزاء هذا الملاحظ الدقيق .

ولقد كان لطرح المذهبين الديمقراطى والماركسى في أفق الفكر الاسلامى . أبعد الأثر في الاضطرابات التى أصابت المجتمع الاسلامى خلال القرن الماضى . فقد اقتسم المذهبان مؤامرة الهدم .

فاحتضنت الماركسية هدم الدين والعقائد وللتشكيك في القيم الانسانية والنفسية والمعنوية .

واحتضنت الديمقراطية هدم الاخلاق ونشر الاباحية والتحلل وتوجيه السلوك
توجيهاً يعلى شأن الغريزة وانطلاق العاطفه والشهوات والاهواء .

وقد تبين أن جميع أنظمة الغرب : لليهودية المالية أصبح في وضعها أو في
إحتوائها أو تعديلها وتفسيرها ونشرها ، وقد خضعت أما لمصلحة أصحاب رؤوس
الأموال ، وأما لمصلحة طائفة أخرى من أهل النفوذ والسلطان ، والنظام اليهودي
قائم على تبادل المنفعة ، والقانون عندهم هو الذى يتماشى مع القانون ولا تعاقب
عليه المحاكم ، أما النظام الاسلامى فهو قائم على مبدأ « الايثار المتقابل » .

وقد تبين للفكر الاسلامى أن المذهبين الفردى والماركسى يتقاربان في عديد
من وجهات النظر . بل أنهما يقومان فعلاً على مفهوم التفسير المادى للتاريخ ، الذى
أوشك أن يكون أساساً للرأسمالية والماركسية معاً وأن كان الغرب لا يعتمدهما
وحدهما في تفسير الوقائع ويضيف إليها التحليل النفسى الفرويدى (أى ماركس
وفرويد معاً)

وقد ظهرت نزعات العنصرية تحت اسم القوميات ، كمقدمة لظهور العنصرية
اليهودية ، وكانت اليهودية العالمية تحمل لواء الرأسمالية والاشتراكية معاً ، وهى
التي خلقت الصراعات والمعارك بين الأمم تحت هذا اللواء أو ذاك ، وهى التي
حلت النظرية المادية في الغرب والنظرية الاشرافية في الشرق ، ومن وراء الهيمن
والبوذيين في نفس الوقت . ودعوات العلمانية واليهووصوفية جميعاً .

وهى التي قامت من وراء الروحية الحديثة التي تدعو إلى ظهور آله جديد
اسمه « سلفريش » ، ومن وراء العقلانية التي تنكر كل ما وراء الحس ، وهى التي
دعت إلى أن الجنس عملية بيولوجية لا علاقة لها بواقع الحياة ، في محاولة لهدم
الأسرة والاخلاق ، أو القول بأنه لا علاقة بين اللباس والاخلاق ، أو أن المجرم
مريض ، وليس مذنباً ، أو السخرية بمغاف المرأة واللبكارة في محاولة لدفع البشرية
كلها إلى الوثنية والاباحية .

وهكذا يطنى الفكر البشرى في هذا العصر مكتسحاً مفاهيم الخلق والدين

والرحمة والكرامة الانسانية ولم تعد هناك قوة قادرة على مواجهته وصدموخته
غير الاسلام : دين الله الحق الباقي ، على حمل رسالة التوحيد الخالص إلى العالمين .

ولقد حاولت قوى التغريب والنزوة الفكرى إثارة الشبهات حول الفكر الاسلامى
وانتقاصه بدعاوى عدة : منها .. أولا : وصف الفكر الاسلامى بالذرية ، أى
بالتجربة والانفصال . .

وهذا خطأ محض ، ذلك لان الاسلام إنما يقوم أساسا على التكامل وعلى التقاء
العناصر المختلفة فى كل موحد وهو فى هذا يختلف عن الفكر الغربى القائم على
على الانشطارية أساسا وعلى الفصل بين الدين والدولة ، بين الدنيا والآخرة ،
والذى يعلى من شأن المادية .

وقد استمد شبهة الذرية من إنتاج مرحلة الضعف والتخلف ، حين علت نزعة
جبرية الصوفية ومن قبلها علت نزعة عقلانية الاعتزال ، وكلاهما لا يمثل الاسلام ،
وبحكم الاسلام بأحدهما وإنما يحاكم بمفهومه الاصيل فى عصر قوته وهو المفهوم
الجامع الذى يقوم على أساس ترابط القيم والمناصر ، وربما ارتبطت صفة الذرية
بالعقل حين يعمز عن النظرة الكلية ، التى تلتهمس الابداء الكاملة واسكنها فى
الواقع تتعارض مع مفهوم الفكر الاسلامى المستمد من جوهر الاسلام والقائم على
التكامل والوسطية .

ثانيا : القول بأن الفكر الاسلامى فكر تجريدى ..

وهذا خطأ محض ، وأمامنا ثمرات الفقه والتشريع والعلوم كلها تكذب هذه
النظرية فان الأصول كلها تروينا واقعية الفكر الاسلامى ، كيف أنه يتناول كل
حادث يقع فى حينه ، ثم تناوله بالبحث ويضع له الحلول ، بل أن الفكر الاسلامى
أكثر إيمالا فى الواقعية من الفكر الغربى حيث يتناول الفقه مفردات الحياة اليومية
ولا يقتصر على مسائل العبادات كما هو فى بعض الأديان .

ثالثا : وصفه بالضعف وأنه مثل التولستوييه أو الغاندييه ذات طابع الاستسلام
ولا ريب أن الاسلام بعيد عن طابع هذه الدعوة التى نقوم على القضاء على مفهوم
الجهاد الاسلامى على القوة والرحمة معا ، كل فى موضعه ، ودعاة هذا المذهب

يحاولون تصور الاسلام معهم ، أو هم يريدونه مكذبا ، وهم بذلك ينكرون جانباً هاماً من جوانبه فالاسلام يقوم على السلام والتسامح في نفس الوقت الذي يقوم فيه على المقاومة والقوة إذا انتهكت أرضه أو قيمه .

رابعاً : خطأ القول بديمقراطية الاسلام أو اشتراكية الاسلام . فالاسلام ليس منهجاً خاصاً للإيديولوجيات البشرية وليس مبرراً لأوضاع المجتمعات العالمية المنحرفة الفاسدة ، وقد تلتقي بعض الخيوط هنا وهناك مع العدل الاجتماعي الاسلامي أو الشورى الاسلامية ، ولكن يبقى الإسلام منهجه الكامل الجامع الرباني المصدر ، الانساني الوجهة . الذي يستطيع أن يعايش الأمم والحضارات والمضور إلى أن يرث الله الارض ومن عليها . دون أن يعتوره نقص أو يحتاج إلى إضافة .

وبعد . فيجب أن يكون موقفنا من الفكر الغربي ، والفكر البشري بعامة ، حاسماً فاصلاً ، وقد آن الاوان أن تبدأ رحلة المواجهة الفاصلة حتى يعرف كل دارس للفكر الغربي مدى صلته بالفكر الاسلامي أو بعده عنه ومدى سلامته أو عجزه ، ومدى صلاحيته أو فساد ، ونعجب أن نقرأ في بعض المجلات العربية الإسلامية دفاعاً عن الفكر البشري الوثني المادي .

ولقد بدأ مع مشرق القرن الخامس عشر ، عصر المواجهة ، أو عصر الرشد المعكرو ، وأمامنا قول الرسول ﷺ ، يحمل هذا العلم من كل خلف عدوة ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين . .

ولا ريب أن الغرب يخاف نهضة العالم الإسلامي من خلال الإسلام ، ذلك أن الإسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات ولكنه منهج حياة ونظام مجتمع ومدنية كاملة .

ولما كان الفكر الاسلامي الاصيل ، فكر أهل السنة والجماعة ، لم يستسلم طوال أربعة عشر قرناً أمام الفكر الوافد الغريب فإنه لم يستسلم في هذا العصر وقد أعلن وجهة نظره واضحة في مختلف القضايا . وكشف زيف الدعوات الهفامة والإيديولوجيات الوافدة ، وقد ظل دوماً وجيلاً بعد جيل يواجه هذه النظريات

ويدلى برأيه فيها ، لا يتوقف عن الممارسة ولا يتقبل كل شيء كما هو بل يرفض قبول كل ما لا يتفق مع أسسه وأصوله مع سماحته الممهودة في القبول والرفض .

ويقول سنوك هروجنيه : لا اعتقد أن الاسلام يسقط أمام النصرانية لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقارمة النفوذ الاجنبي فهو يرى أن النصرانية شيء مضى ويرى تدينه بها خطوة إلى الوراء .

ويقول ولفرد كانتول مميث : ما من دين استطاع أن يوحى إن المتدين به به شعورا بالهزة كالشعور الذي يحامر المسلم . أن الغربي لا يفهم الاسلام حق الفهم إلا إذا أدرك أنه « أسلوب حياة » تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطناً وليس مجرد أفكار وعقائد يناقشها بتفكيره .

ويقول بارتلى سان هيلر : أن الاسلام قد أحدث رقياً عظيماً جداً فقد أطلق العقل الانسانى من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد وبين أيدي الكهنة فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة وأن تحریم الاسلام للصور في المساجد قد خلص الفكر الاسلامى من وثنية القرون الاولى واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه وأن يبحث عن خالقه . .

وهكذا شهد علماء الغرب بأصالة الاسلام وفساد الفكر البشرى ولكن القوى التي تستهدف السيطرة على العالم بعد تدميره أخلاقياً هي التي تعمل على طرح الفلسفات والوثنيات والمذاهب الهدامة والمادية في الفكر الاسلامى باعتبار الاسلام هو العقبة الوحيدة والصخرة الكبرى أمام تلك المؤامرة الخطيرة . وهذا كله اجمال له تفصيل .

(١١)

الفلسفة العربية

- ١ - الفلسفة اليونانية
- ٢ - الفلسفة المادية
- ٣ - طريق الفلسفة والقرآن
- ٤ - طريق الفلسفة الغربية لا يودى
- ٥ - مل استطاعت الفلسفة

الفلسفة اليونانية

أولاً: فساد الادعاء بأن الفكر الإسلامى خضع للفكر اليونانى .

ثانياً: مؤامرة نقل الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامى العصر الحديث .

دعويان طرحهما التغريب والغزو للثقافى لتزييف أعالة الفكر الإسلامى ،
القرآن فى المصدر .

أما أولاهما : أن الفلسفة اليونانية هى مصدر الفلسفة العربية . وأما الثانية :
فهى القول بأن المسلمين أخذوا الفلسفة اليونانية وبنوا عليها مفاهيمهم ومصطلحاتهم
فى الفقه والنحو والبلاغة .

وقد ارتفعت الصيحة بأن أرسطو هو شيخ الفكر الإسلامى ، وأن المسلمين
اعتبروه كذلك وأن الازهر قد اعترف له بهذه المنزلة ، وبذلك دعا لطفى السيد
وطه حسين وغيرهما ، أن أساس النهضة الحديث فى العالم الإسلامى هى إحياء
الفلسفة اليونانية كمصدر لها ، ومتى كانت الأمة الإسلامية قد أخذت هذه الفلسفة
اليونانية أساساً لفكرها فى الماضى ، ولما كانت ثمرة الفلسفة اليونانية : الفلسفة
العربية الحديثة ، فإن على المسلمين أن يأخذوا فى العصر الحديث هذه الفلسفة
العربية بالتبعية .

متى كان أساسياً ؟ :

ولا ريب أن هذه الدعوى باطلة ومضللة . فإن الفلسفة اليونانية ما كانت يومه
أساساً للفكر الإسلامى ، وأن الفلسفة العربية المعاصرة لن تكون أساساً للفكر
الإسلامى الحديث ، الذى تحرر من مدرسة التغريب التى كانت تعمل من شأن آراء
المعتزلة وتراها مصدر النهضة ، لأن الاعتزال فى مصدره كان يونانياً بينما كانت
المدرسة الأشعية التى ظهرت بالوعامة الحققة فى العصر الاول ، وهى التى سقتصر
فى معركة هذا العصر إن شاء الله ، والمدرسة القرآنية ، وحدها ، التى تستمد نهجها

ومصادرها من المنابع الاولى وحدها : القرآن والسنة . وليست في حاجة إلا إلى جهد وجهاد ، ويومئذ ينصرها الله .

ومن يراجع تاريخ دراسة الفلسفة في العصر الحديث ، يجد أن الجامعة المصرية القديمة بدأت بدراسات لا تكونت دى جلازرا الذى فاجأ تلاميذه العرب والمسلمين منذ اليوم الاول بأنه لا توجد فلسفة عربية ، وإنما هذه الفلسفة المنسوبة إلى (السكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد) : هى فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية .

وكان أرنست رينان قد ردد هذا فى كتبه على نحو يراد به إنكار فضل الاسلام فى ميدان الدراسات العقلية ، ونسارع فنقول أن الشيخ مصطفى عبد الرازق - شيخ الازهر الاسبق - ما لبث حين تولى تدريس الفلسفة فى الجامعة المصرية أن أعلن : أن الفلسفة الاسلاميه تبدأ بالامام الشافعى . فى كتابه (أصول علم الفقه) . وأن الامام الشافعى هو أول الفلاسفة فى الاسلام . وأن مقامه فى العربيه بمثابة مقام أرسطو فى الفلسفه اليونانية . وأن أمثال السكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد . هؤلاء هم المشاؤون المترجمون للفلسفه اليونانيه إلى اللغة العربيه فحسب .

ولقد جاء ذلك بعد أن استشرت دعوى لطفى السيد . الذى ترجم باسمه كتاب علم الاخلاق لارسطو (ترجمه بارتملى سانتيلير) وعلم السياسة . وجاء طه حسين فأدخل اللغة اليونانية مادة أساسيه فى كليه الآداب بغير ضرورة ملحة لذلك . وتمالت صيخته الفكر اليونانى فى مصر . وترجمت مؤلفات وكتب ومشرحيات وأساطير كثيرة بقصد غزو هذا الفكر الوثقى من جديد للفكر الوثقى من جديد للفكر الإسمى المعاصر . وقد تخرج المسلمون فى الصدر الاول من ترجمته . واعتبروه ثقافة خاصه لليونان . وعرفوا أنه مستمد من علم الاصنام عند اليونان .

ولكن مدرسة التفریب كانت حريصه على إغراق المسلمين فى هذا الاتون . فى نفس الوقت الذى أطرحت النهضه العلميه الاوربيه منذ القرن الخامس عشر

فلسفه أرسطو ومنهجه اليونانى فى مقابل الاخذ بالمنهج التجريبي الاسلامى الذى
أنشأ الحضارة الغربية المعاصرة .

ولقد هاجم فلاسفة الغرب فلسفه أرسطو بنفس العبارات والنصوص التى
عارض به منهجه أئمة المسلمين فى القرن الرابع الهجرى حين أعلنوا : أن الفلسفة
اليونانية تمثل (أرجانون) خاص للعبودية اليونانية والوثنية الاغريقية وأن
هذا (الارجانون) يخالف لمنهج الحضارة الاسلاميه القائم على التوحيد الحامض
وعلى الاخاء البشرى: فقد حرر الانسان من العبودية التى عرفتها حضارات الرومان
واليونان والفراخه والفرس . وجئنا نخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة
رب العباد ، — النعمان بن مقرن . فامح نهاره وشهيد معركتها — وفى نفس
الوقت الذى أخذ الغرب فيه المنهج التجريبي الاسلامى لبناء حضارته . فانه
أراد عن طريق حركة التغريب الغازيه أن يربطنا بمنهج أرسطو الذى لفظته
حضارة الغرب . حتى ندور فى هذه الدائرة المظلمه .

تبرير التبرير :

وقد حاول التغريبيون تحسين هذه المؤامرة لنا ، حيث نجد « أستاذ الجليل
أحمد لطفى السيد يقول فى مقدمة كتابه المترجم عن أرسطو: «هى» مع أن نقل كتب
الفلسفه لم يكن مقصوراً على كتب أرسطو ، فان فلسفه أرسطوهى التى غلبت على
الفلسفه العربيه وطبعتها بطابعها ، والواقع أن الفلسفه العربيه ليست شيئاً آخر
غير فلسفه أرسطو طاليس بالطابع العربى ، وسميت الفلسفه العربيه ، وبقيت صلة
النسب بين الفلسفتين طيبة إلى حد أن الجامعات الاوربية فى العصور الاخيره
من القرون الوسطى ، كانت تدرس الفلسفه العربيه باعتبار أنها فلسفه المشائين ،
أى فلسفه أرسطو . .

وقد علق الدكتور يعقوب صروف فى المقتطف (يناير ١٩٢٥) ، على هذا
المعنى فقال : أن مقاله الأستاذ — « يعنى . لطفى السيد ، — يؤيده الكتاب
الأوربيون الباحثون فى الفلسفه العربيه ، واستشهد بما يقوله الاسكيس وإيم رنس
أن ما يعرف بالفلسفه العربيه ليس فيه من العربيه سوى الاسم واللغة ، فهو فكر
يونانى منظم ، عبر عنه بلغة ساميه ، وحوار بالمؤثرات الشرقيه ، وأدخل بين أهل

الاسلام بمؤازرة الواسع الصدر من خلفائهم ، وبقي حيا بغيرة جماعة من المفكرين
- الذين لم يخشوا من المجاهرة بأرائهم - على أن أمتهم أساءت به الظن واضطرتهم
للمجرم .

ثم ذكر لطفى السيد ما يراه سبباً في رجوع العرب والمسلمين والمصريين إلى
فلسفة أرسطو ، فقال : وكما أن النهضة الاوربية الحديثة عمدت إلى درس فلسفة
أرسطو عن نصوصها الاصلية ، فكانت مفتاحاً للتفكير العصري الذى أخرج كثيراً
من المواهب الفلسفية الحديثة ، فلا جرم أن نتخذ نحن من فلسفة أرسطو
- لا سيما أنها أشد المذاهب اتساقاً مع طبيعتنا ، والطريق الأقرب إلى نقل العلم
إلى بلادنا وتأقلمه فيها - رجاء أن ينتج في النهضة الشرقية مثل ما أنتج في
النهضة الغربية .

وقال أن فلسفة العلم الأول خالدة ، ماحدها وطن ولا أخنى عليها زمن ، فقد
بنت عليها كل مدينة صروح مجدها العلمى حتى مدينتنا الجديدة .

هذا هو الاتجاه عام ١٩٢٥ ، في نفس العام الذى تحولت فيه الجامعة الاهلية
إلى جامعة رسمية ، وجيء بلطفى السيد الذى وصفه تلاميذه واتباعه ، بأنه أستاذ
الجميل ، رئيساً للجامعة ، وجاء طه حسين وغيره يدعون إلى الإيمان بفكر ووثنية
اليونان وأرسطو .

فهل كان حقاً لطفى السيد ، أستاذ الجليل ، صادقاً فيما قال ؟ وفيما دعا إليه
العرب والمسلمين من اتخاذ أرسطو منطلقاً إلى النهضة الجديدة ؟ وكانت كتابات
طه حسين وغيره من بعده ، دعوة واحدة إلى هذا الطريق ؟ أم أن الامر كان فيه
شبهة أو خدعة .

هل كان حقاً أرسطو هو منطلق الحضارة الغربية في عصر النهضة وما بعدها ،
أم أن أول عمل قامت به هذه النهضة هو نقض أرسطو وتزييفه والحيلة على منهجه
واعتبار منهجه عامل التجميد الذى عاش فيه الغرب معتقلاً قروناً ، حتى جاء منهج
التجريب الاسلامى ، الذى أطلق الطاقات إلى عصر العلم الحديث .

ندع هذا الباحثين : لقد كان انبعاث مناهج علماء المسلمين الطلاقاً من

القرآن ؛ وهم الذين أنشأوا المنهج العلمي التجريبي ، الذي كان أول حجر في بناء الحضارة والعلم ، بشهادة : درابر وبريفولت ، وجوستاف لوبون في العصر القديم ، وسارتون وهونكه وغيرهم ، في العصر الحديث ، وآخر كتاب في هذا الشأن عنوانه : « شمس الله تشرق على الغرب » ، وكتاب « أوروبا ولدت في آسيا » .

إذن فلم يكن أستاذ الجليل — لطفى السيد — صادقا ، ولم يكن عميد الآداب « طه حسين » أميناً حين نقلا إلينا إلينا هذا المعنى ، ذلك أن المسلمين نقدوا أرسطو أولا ، ثم جاء الغربيون فنقدوه ورفضوه ، وأنتمسوا بمنهج المسلمين الذي رفعهم إلى ذروة التكنولوجيا الآن .

الاستفراق المستعمر أو الاستعمار المستشرق

إذن فلماذا هذا التعارض ؟ يسأل عن هذا « الاستفراق » ، والاستعمار ، ذلك بأنهم ، على حد تعبير الدكتور محمود قاسم : « نقلوا المسلمين إلى أرسطو ، ونقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين » جابر وابن الهيثم والبيروني ، ، ذلك أن أرسطو هو الذي سيضع المسلمين مرة أخرى داخل القوقعة المنطقية التأملية المظلمة « قوقعة المنطق الصوري » ويحرمهم من ثمرات منهج التجريب ، الذي سموه بلغتهم « براجماتيزم » ، والذي أنشأوه هم ونماء الغرب . وهكذا نجد أن هذا المنطق على يد طه حسين ، وجماعة من أتباعه « يقسح ويمتدح حتى يقرر : أن العرب خضعوا لمنهج اليونان وأرسطو في القديم » ، ولما كان الفكر الحديث هو ثمرة فكر اليونان فإن تبعية المسلمين له لا تعد شيئا جديدا ولا غريبا ، لأنهم كانوا تابعين لليونان ، فلا حجب أن يقدموا ما جددته أحفاد اليونان ، لم يكن أستاذ الجليل صادقا إذن ، ولم يعتقدوا فكر اليونان ، وإنما العكس هو الصحيح ، ذلك أنهم قاوموه ونقدوه وأبانونا عن وجوه الخلاف العميق بينه وبين منطق القرآن ، ولقد تصدى لهم كثيرون ، من أبرزهم الغزالي وابن تيمية .

وإذا كان الخلاف ما زال واسعا حول ما كتبه الفارابي وابن سينا « وهل هو فلسفة إسلامية ، أو متابعة للمعشائين اليونان من المشائين المسلمين ، فإن رجلا كراما قد ولي قسم الفلسفة في كلية الآداب ، هو الامام الأستاذ الشيخ مصطفى عبدالواثق

شيخ الازهر السابق - قد فصل في هذا الامر على نحو صحيح ، ومن خلال دراساته في الجامعة نفسها ، وبالرغم من سيطرة طه حسين على عمادة كلية الآداب حين ذاك ، فإن الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق ، أعلن في حسم هذه القاعدة التي غيرت منهج البحث كله حين قال : « إن الفلسفة الإسلامية إنما تلتبس في كتب المتكلمين والفقهاء ، وإن الإمام الشافعي واضح أصول علم الفقه - ، هو أول الفلاسفة في الإسلام ، وأن مقامه في العربية هو بمثابة أرسطو في اليونانية .

مدرسة الاصاله :

وبذلك نشأت « مدرسة الاصاله » ، في مجال الفلسفة وامتدت من بعد واتسعت وكان من اتباعها الخضيرى ومحمد عبد الهادى أبو ريده وعلى سامى النشار ومنذ ذلك الوقت صدر كتاب « تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية » عام ١٩٤٧ وقد كان منهجه قد تقرر قبل ذلك بوقت طويل .

وقد تحررت الفلسفة من التبعية الغربية وبرزت مدرسة الاصاله فيها وهو ما يزال عسيراً أن يحدث مثله في مجال الادب والنقد الادبى فان التبعية لمذاهب النقد الغربى الواقد ما زالت قوية .

ولقد أقيمت مدرسة الاصاله « في الفلسفة الإسلامية - عبد الرازق أبو ريده - النشار ، - إن المنطق الارسطاطليسى - منهج الحضارة والفكر اليونانى - لم يقبل في المدارس العقلية الغربية وأن المنهج التجريبي الاسلامى هو الذى عرفته أوروبا - بعد قرون من مطلع حضارتها الحديثة - لمباينته للحضارة اليونانية وأن اكتشاف وجود هذا المنهج لدى المسلمين ، يفسر « روح الحضارة الإسلامية » ، فالحضارة الإسلامية حضارة عملية تجريبية ، تتجه إلى تحقيق الفعل الانسانى فى ضوء نظريه حية ملدوسه كذلك .

وقد كشفت الابحاث المتعددة عن اضطراب خطير فى المراجع التى اعتمد عليها الفارابى - وباعتراف الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا - « إن الفكر الذى نقل إلى المسلمين من اليونان والاغريق ، لم يكن صحيح الاصول بل كان صورة زائفة دخلت عليها مفاهيم السريانية والنساطرة المترجمين وعقائدهم ، وكانت تهدف إلى خدمة

المفاهيم الدينية المسيحية ، ومن هنا كان فسادها وعجزها ، عن أن تعطى الفكر الاسلامي شيئاً .

ومن ناحية أخرى فقد تبين أن المقاومة للفلسفة اليونانية - ومذهب أرسطو بالذات - قد بدأت منذ أن تمت الترجمة ، وأن المعارضة بدأت منذ اليوم الاول ذلك أن الفكر الاسلامي كان قد تم تشكيله قبل الترجمة ، على أساس قيمه القرآنية من التوحيد والاخلاق ومن الربط بين الوحي والعقل . ولذلك فإنه كان من العسير أن ينصهر فيها . خاصة وهي فلسفة مجتمعة وثني قام على العبودية وإعلاء العقل وعبادة الجسد فضلاً عن محاذير الترجمة من فساد وانتحال وتحريف النصوص . وإن كانت طائفة من الفلاسفة أطلق عليها اسم المشائين المسلمين قاموا بمحاولة شاقة وعسيرة لادخال الفلسفة اليونانية في إطار الاسلام ولكن المحاولة فشلت تماماً .

تهافت الفلاسفة :

وكانت وفقة الامام الغزالي في وجه الفلسفة الالهية اليونانية وقفة صارمة ردت السهم إلى صدور أصحابه فقد كشف الفرق بين الفلسفة الرياضية والفلسفة الطبيعية وبين الفلسفة الالهية ورفض الاخيرة لانها متعارضة مع التوحيد وأعلن أن الكلام ق الطبعيات برهاني أما في الالهيات فهو تخميني . وفي الفلسفة الالهية عارض الغزالي القضايا الكبرى الثلاث التي تفرها الفلسفة اليونانية . وتختلف مع مفاهيم الاسلام .

ما يقولون به من قسم العالم وأن الله (جل وعلا) لا يحيط علماً بالجزئيات وإنكارهم البعث . وهاجم الفلاسفة الذين جحدوا الصانع وزعموا أن العالم قديم كالدهرية والوندافقة والمذنب قالوا أن النفس تموت ولا تعود . ومن أنكروا الآخرة .

هذا وقد كشف الامام الغزالي بالنسبة للفارابي وابن سينا وجهة نظر أخرى حين عرفت روابطهم بالدعوات الباطنية الهدامة وإحوان الصفا وغيرهم من الذين كانوا على اتصال بأعداء الدولة الاسلامية من قرامطة ومزديكية وغيرهم وفي كتبهم نصوص توحى بهذه الصلة .

آراء ابن تيمية :

ثم جاء الامام ابن تيمية فاستحالت غرباً فقد كشف كتابه : الرد على

المنطقيين ، عن أن للفكر الاسلامى له منطق خاص مستمد من القرآن والسنة وقد استخرج منهما قواعد هذا المنطق الجديد الذى أسماه : (المنطق الإسلامى) وقال أن هذا المنطق فيه غنى للمسلمين عن العقلية الغربية فى الحكم على الاشياء . وفى الاستبصار والتأمل الفلسفى — المنطق الصورى — ورد على المنطقيين الذين استحكمت فى عقولهم آثار الفكر اليونانى وطوابعه وعزلها عن الاقتباس من فلسفة القرآن والحديث النبوى ومنطقهما . وما قاله : إن ما عند أئمة النظر من أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية فقد جاء القرآن بما فيها من الحق وما هو أكل وأبلغ منها على أحسن وجه ، منزها من الاغاليظ الموجودة عند هؤلاء . ويقول الدكتور النشار :

كان ابن تيمية رائد الكلال الاتجاهات الحديثة فى نقد منطق أرسطو ، من أرجانون ورئيس يسكون الى الفلسفة الوضعية . وقد عنى بنقد فلاسفة الاسلام كالفارابى وابن سينا وابن رشد ، وظل من وافقهم على التشيع لمنطق أرسطو ، وأشار إلى عبث محاولتهم وعقم تجربته التفتيق عندهما الفارابى وابن سينا ، بين الاسلام والافلاطونية المحدثة . ورأى أن هدف التفتيق هو هدم الاسلام من الداخل .

وما عرف فى هذا المجال . وهو كثير : كتاب (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) بقلم محمد بن إبراهيم الوزير الحسنى البنى الصنعمانى المتوفى ٨٤٠ هـ
هل أثرت الفلسفة فى الفقهاء :

وبعد فقد كان لابد لمدرسة الأصالة أن تواجه المدرسة التى ما تزال تعلى من شأن المدرسة اليونانية والتى تبلورت بعد فى مدرسة طه حسين وبيومى مذكور حيث يقول مذكور ، إن أرجانون أرسطو أثر فى مختلف المدارس : كلامية وفقهية وعلمية وفلسفية . يدنا يقول الدكتور النشار : أن المنطق الارسطوطاليسى قد نقل إلى العالم الاسلامى وأثر فقط فى المدرسة المشائية الاسلامية وبقية المدارس الاخرى المنبثقة عن النظام الاسلامى بعيدة كل البعد عنه تحاربه وتجاهده وكانت قد وضعت منطقاً مغتلفاً تمام الاختلاف فى روحه وجزئياته .

إن سيادة منطق أرسطو إنما بدأت حينما تداعى الفكر الإسلامى فى القرن الخامس فاحتلط بما يسمى علوم اليونان ولكن ذلك لم يوافق دوائر الفقهاء الآخرين ،

ولم يوافق متكلمي الاشاعرة من ناحية ، ومتكلمي السلف من ناحية أخرى ،
على استخدام هذا المنطق لحاربوه أشد الحرب .

ويقول الدكتور النشار : أن محاولة القارائي كانت غريبة عن روح الإسلام
وعن تفكيره وعن منهجه العام ، وأن فلسفة الإسلام إنماتمشتق من الإسلام نفسه :
عن القرآن وعن السنة ، لا عن محاولة للتوفيق والتنسيق والتلقيق ، وأن فلاسفة
الإسلام المشائين قد ابتعدوا عن الإسلام روحا ونصا . وعن المجتمع الإسلامي
فكراً وقييدة وحياة ، وأن الفلاسفة المشائية ماتت في العالم الإسلامي منذ عهد بعيد .

ويقول الدكتور النشار : أن المذكور يرى فلسفة اليونان غاية الغايات وأن
إليها يعود كل فكر ، ويرى أن فكرنا الإسلامي المعاصر يفتى أن يرتبط بفلسفة
أوروبا وحضارتها ، تحت تأثير الدعوة الخاطئة التي قدمتها مدرسة طه حسين ، على
مسرح تفكيرنا ، والتي تقول أنه ما دام أسلافنا قد أخذوا بفلسفة اليونان ،
وبما أن فلسفة أوروبا وحضارتها هي امتداد لهذه الفلاسفة ، فليتنا أن نأخذ من هذه
المدرسة الأوروبية كل شيء ، أ . هـ

الفلسفة المادية

انتقل العلم التجريبي ، من العالم الاسلامي إلى أوروبا فكانت به ثمرة هائلة ؛ فلما نهض الأوروبيون صدوروا إلى المسلمين ، الفلاسفة المادية : دارون ، وبجنر ، ونيشيه وفرويد ، وأوجست كونت ، ومندل ، دور كايم ، بكل ما يحمل فكر هؤلاء من سموم ، قدموها إلينا على أنها علم وفلسفة ، وليس على أنها نظريات وفرضيات تناقش وتدرس .

إن أوروبا أخذت المنهج العلمي الاسلامي ، فهو الذي أطلق العقل الغربي من قيوده التي كبلتها الوثنية والرهبانية ، فاندفعت تنشر الحاضرة الحديثة ، غير أنها صاغت ذلك في إطار الفلسفة اليونانية ، فاحترفت من اللاهوت النصراني إلى الفلسفة المثالية إلى الفلسفة المادية التي يعيشها الغرب اليوم

وقام الصراع أول الأمر بين مفاهيم الدين الغربي التي عارضت معطيات العلم ومنجزاته ، ثم استعلى العلم وقطع علاقته بالدين كله ، وانتهت معركة الصراع بين العلم والدين ، بانتصار الفلسفة ، التي كان قادتها من اليهود ، والتي تلاققت هذا الصراع فنحت الدين كله عن مجال الحياة ، ودفعته العلم إلى طريق مخوف بالمخاطر وقد سقطت عنه كل الضوابط والمقومات التي تجعله في مأمن من الخطر بما يحقق للإنسانية غاية كريمة

في هذه المرحلة ونتيجة للبراق الأولى التي لمعت في أفق العلم ظهرت (النظرية المادية) ، التي حاولت أن ترد أصول الأشياء كلها إلى المادة ، والتي أنكرت ماسوى المحسوس كله من غيب ودين ووحى ، وأنكرت وجود الخالق - جل وعلا - واستعملت استدعاء كبيرا حين أعلنت أن الطبيعة ، تصنع نفسها ، وأنها موجودة وجودا ذاتيا وباقي لانهاية له وأن الكون صدفة .

وهي التي أعلنت ، نظرية الحتمية ، وأذاعت بأن العلم يستطيع أن يفسر كل الأمور ويحجب على كل الأسئلة ، وأنه حين يسيطر يستطيع أن يقيم للبشرية نظاما اجتماعيا خاليا من العتبات وأن يحل مشا كل البشرية كلها .

سقوط الدعاوى الباطلة : وقد سقطت من بعد كل هذه الدعاوى الباطلة، وعاد العلم يعترف بأنها كانت فروضا ، ولقد كان ، للفلسفة ، دورها الخطير في دفع عجلة « المادية » إلى غايتها في إفساد المجتمعات ، وفي تدمير الحضارة .

فقد اتخذت فروض العلم الأولى أساساً لاقامة أيديولوجيات فكرية . وكانت تلك الفروض بمثابة « المسلمات » فقد تحدثت عن قداسة العقل وجلال العلم ، مما زاد التفرقة بين العنصرين المتكاملين ، وعمقت الهوة بين الروح والمادة ، والجسم والنفس ، وبين العلم والدين ، وبين الدنيا والآخرة ، حين طمست مفهوم الإيمان بالله وأخلاقية الحياة .

ولقد كانت كل محاذير العلم وأزمته — التي هي أزمة الحضارة البشرية والإنسان المعاصر — كلها مركزة في تجاهل العلم للمصدر الأول والأوحد للكون والعالم والإنسان والعلم جميعا وهو الحق تبارك وتعالى خالق كل شيء وكان خطؤها الأكبر في رد كل ظواهر الحياة إلى ما أطلق عليه : المادة أو الطبيعة ، كما أنه دفع العلم إلى مجال السيطرة المادية في عنف وقسوة بالشعوب الضعيفة دون تقدير للأخاء الإنساني أو الأخلاقيات التي تقضي بالرحمة والعدل والسباحة، وهو الإطار الذي دعت الأديان العلم إلى التحرك في داخله .

غرو الفكر المسموم : ثم جاءت مرحلة النفوذ الاجنبي والغزو الثقافي التي عمدت إلى نقل نظريات « الفلسفة المادية » إلى عالم الاسلام — دون حقائق العلم التجريبي نفسه — التي حجبت عن الشعوب المتخلفة في محاولة لإثارة الشبهات في النفوس ، وخلق أجواء من الشك والارتباك وإنشاء مفاهيم فلسفية معارضة لمفاهيم الدين الحق تقوم على المادية الخالصة ، بالإضافة إلى المحاولات الأخرى التي جرت لبعث مفاهيم الوثنية والفكر البشري القديم .

ومن ثم ظهرت تلك الدعاوى التي حمل لواءها شبلي شميل وأصحاب المقتطف وأعران الاستعمار وتلاميذهم : يعقوب صروف وسلامه موسى وفرح انطون ، وجماعة الماديين من بعدهم والتي حاولت أن تنقل إلى أفق العالم الاسلامي مفاهيم التطور والمادية والتحليل النفسي، مما دها إليه دارون والتي قدمها في أسوأ تفسيراتها عن ترجمة للمادى العريق « بنجر » وفي أشد تحولاتها التي قام بها ميبلسر هيجل ،

وغيرهما من زعماء المادية في محاولتهم التي جرت إلى خلق منهج اجتماعي عام أساسه المفهوم المادى الذى أنشأه دارون .

الاسلام يرفض دارون والجامعات تعلمه : وقد رفضت حركة اليقظة الاسلاميه هذا المفهوم وكشفت عن زيفه وفساده . ولكن مناهج التعليم والدراسات والجامعات فى العالم العربى والاسلامى حتى اليوم ما تزال تقدم مفهوم دارون المادى فى بدء الخلق وهو مفهوم مخالف للفطرة والعقل والدين والحق .

كما تقدم نظريات فرويد ودور كايم على أنها علوم لاعلى أنها فروض علميه قابلة للنقض وقد أنشأ ذلك تضارباً وصراعاً فى نفوس الشباب المسلم وعقولهم وأوجد ازدواجاً خطيراً بين مفهوم الدين الحق وبين مفهوم الفكر المادى .

وهكذا شاعت مفاهيم الفلسفة المادية فى أفق الاسلام على نحو كثير الاضطراب .

فساد نظرية دارون : تفترض نظرية التطور وصاحبها دارون أن جميع الكائنات الحية التى كانت تعيش على الأرض قد نشأت من أصل واحد أو بضعة أصول ترجع فى جماعتها إلى الخلية الواحدة وأن التغيرات المختلفة التى حدثت لها جعلتها تتحول من كائنات بسيطة التركيب إلى كائنات أخرى أكثر تعقيداً والانسان هو آخر تطور فى هذا التسلسل وقد تبين فساد هذه الفرضية من عدة وجوه :

أولاً : عدم مشاهدة أى ارتقاء من أى نوع كان فى الاحياء الأرضيه منذ الوقت عديدة من السنين ، وقد أعلن العلماء والاس ، ، أنه من المستحيل أن يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء حيث أن الارتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصدق على الانسان .

وقال فرخو : أنه تبين لنا من الواقع أن بين الانسان والقرود فرقاً بعيداً ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان من سلالة قرود أو غيره .

وقال أجاسير : أن النشوء لا يتم إلا وفقاً لخطوة الحية حكيمة ، والاصطفاء الطبيعى إذا ما حل محل الخلق الالهى فإن الانسان يكون قد جرد من روحه وغدا آله ضياء وأن التفسير الحرفى لنظرية دارون يفسح المجال لتأليه سورمان نيقيه ، وتمجيد

للقوى البدنية على أنها الأساس الوحيد للسلوك بين الناس ، وأن الفكرة التي يعتقها
الداروينيون عن تناسل نوع جديدة بواسطة نوع سابق ليست إلا افتراضا اعتباطيا
يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة (١) .

ثانيا : كشف العلم التجريبي فساد نظرية داروين وأعلن أنها «أسطورة قد أنهارت»
فإن المكشوف العلمية الجديدة قد أثبتت أن الانسان خلق جنسا مستقلا ، وأنه لم
ينحدر من فصيلة القرد ، وأن أجناس الخلق كلها مستقلة منفصلة ، يقول . حال بنفو
رئيس المجمع العلمي الفرنسي : وقد وقف هذا العالم نصف قرن تقريبا على دراسة
أصل الانسان ، واستطاع أن يؤكد أخيرا أن الانسان ليست له علاقة بتجانس
بالقرد ، وقد ثبت بالأدلة أن النظرية القائلة بوجود جذع مشترك ينشعب منه كل
من الجنس البشري و جنس القردة الكبيرة لم تزل مفتقرة إلى البرهان الحاسم .
وأن هذه المشابهات بين القرد والانسان غير كافية للجزم بوجود أصل واحد للانسان
والقرد ، وليس من المعقول أن الانسان الحاضر الذي : ربما يكون قد انحط من
منزله في غضون ملايين السنين القادمة ، ليترك المجال لحيوان من الحيوانات يترقى ليحل
محله ويسيطر عن الكون . وهذا الافتراض مرفوض لأن الانسان لم يظهر على
الأرض بمجرد صدفة ، بل إنما جعله الله تعالى خليفة في الكون ، ولذلك ظهر
مركبا في أكل تقويم ، بعد أن خلق الله السموات والأرض (٢) .

ثالثا : اتخذت القوى التلمودية فكرة التطور منطلقا الى الاحاد ، ووسيلة
لقضاء على الأديان وجعلها البعض سندا في إنكار العقيدة الدينية وانخذلت
مصدرا لفلسفة نفى الخالق — جل شأنه — وأعطاء المادة صفة القادر على
كل شيء .

ومن ثم جاءت دعوام إلى تأليه الطبيعة ، ومن ذلك قولهم بالتطور المطلق ،
الذي ينسحب على الأديان والقوانين وذاتية الأمم ، باعتبار أن كل شيء بدأ ناقصا
شأنها يشير السخرية والاحتقار لم تطور ، فلا قداسة في نظرم لدين ولا لوطنية
ولا لقانون .

وقد تركت النظرية آثار الصراع من أجل البقاء في أوساط السياسة والحرب
وكان لمبدأ بقاء الأصلح أثره في مخططات الاستعمار التي دعت إلى إبادة الأجناس

المغلوبة على أمرها وظهرت من خلال ذلك نظرية القوة والتمييز العنصرى والشعوب المختارة كما صيغت نظرية نيتشه ومن ذهب مذهبه ، وبها انتفع دعاة الارستقراطية وعلقها معلنو الحرب على الاديان ، فأخذوا يضربون بها فى جدران الدين وأعلاء العلم .

رابعا : كشفت حركة اليقظة الاسلامية أن نظرية التطور البشرى ليست إلا استنتاجا ، وستظل كذلك حتى توجد العظام الحقيقة التى تثبت دعواها ، ولم يستطع اتباع دارون أن يحولوا فروضهم إلى حقائق حتى جاءت الاكتشاف بعظام الانسان الأول من قبل أكثر من ثلاثة ملايين سنة لتسفه رأيهم كما كشفت حركة اليقظة الاسلامية أن التطور قانون اجتماعى وليس قانونا أخلاقيا ، وأنه يتحرك فى دائرة الثوابت ولكنه لا يقتضى مطلقا تفضيل الطور الاخير على الطور السابق فليس كل طور أفضل من الطور الذى سبقه لان للتطور فى الحياة قد يكون ارتقاء وقد يكون تردى وانتكاسا .

الدعوة إلى القوة والبطش بالضعفاء : كما طرحت الفلسفة المادية فى أفق الفكر الاسلامى سموما كثيرة :

أولا : كانت دعوة نيتشه إلى إبادة الضعفاء دعوة طالمة ومضللة فى الوقت الذى دعا إلى قتل العاجز أو تركه يموت دون العمل على شقائه أو إبادة الضعفاء . وقد لقى نيتشه مصيرا مظلما غاية الظلام نتيجة دعوته التى اعتمدها الاستعمار مررا لظلمه ، فقد عاش نحو عشرين سنة وهو فى جنون يكاد يكون مطبقا ، إذ كان فى الدور الاخير من السفلس — وهو مرض لم يقعد جسمه فقط بل ألمات ذهنه حتى مات مغمورا — فلم ترثه جريدة ولم تذكره جامعة ، حتى بعث اليهود من بعد وقالوا فى البروتوكولات :

« لقد رتبنا نجاح نيتشه كما رتبنا نجاح دارون وغيره ، .

ولقد كانت صيحة أوربا فى محاولة انقاص البشرية بالقضاء على الضعفاء محاولة ضالة ، جفت فيها ينباع السخاء البشرى عندما دعت إلى قتل العاجز أو تركه يموت .

وكان أفسى تلك الصيحات ، القول بالقضاء على الزوج السم والحمار لحساب

شعوب أرق منهم ، وكان هذا تبريرا كاذبا للاستعمار والاستغلال لأن الأفوياء هم الذين يستعمرون ويقتلون الضعفاء بالوراثة .

. . ونظرية وراثة الخصائص : ثانيا : طرحوا في أفق الفكر الاسلامي نظرية مندل ، وقد ثبت أن قواعد مندل في الوراثة غير محكمة ، وأن مندل لم يكن على علم بالآفاق الجديدة للطاقة التي أوشكت أن تسفشرها البشرية من بعد وأهمها البترول ، الذي كان ظهوره عاملا هاما في قلب نظرية مندل والاطاحة بها . كما طرحوا نظرية تنازع البقاء ، وقد تبين فسادها ، وتأكد من بعد أن التعاون في الطبيعة أكبر أمرا من التنازع .

والنظرية الثلاثية : طرحوا نظرية أوجست كونت في الدين البشري الذي يحل محل المسيحية وقد فشلت نظريته من قريب ، وتبين خطؤه في قانون المراحل الثلاث (البدائي والمتأخر والوطني) في طوره البدائي وقف حائرا عاجزا أمام الظواهر الطبيعية وخاصة ظاهرة البرق المصحوب بالرعد وفسرها بأنها أصوات الآلهة عند ما انقلب وتتصارع وقد تبين من بعد أن أوجست كونت (أستاذ زكي نجيب محمود) كان مصابا باختلال في عقله وأنه حاول أن ينتحر غرقا في نهر السين ولا بد أن يكون لا منطراب عقله أثر في مذهبه الذي وضعه والذي خضع له دعاة الاتحاديين في تركيا وزعيمهم .

والتحليل النفسي : رابعا : طرحوا نظرية فرويد في التحليل النفسي القائمة على الجنس ، وقد زيف زملاء فرويد (أدلر يونج) ، مفهومه في أن الجنس هو الأساس في كل المرافع الإنسانية . لكن القوى اليهودية التي كانت قد عقدت آصرة التفاهم بين هرتزل وفرويد على تدمير العقلية الإنسانية ، هي التي حملت آرائه إلى محال الدراسات في مختلف الجامعات — حتى في العالم الإسلامي — على أنه علم لا مجرد فروض علمية أثبتت التحاليل والتجارب العلمية فسادها وقد أثبت يونج ومكدوجل . أن الماقل الباطن ما هو إلا خرافة .

ونوقش فرويد في مسألة العقل الباطن وعقدة أوديب (الذين أخذهما من الأساطير اليونانية) وفرويد لم يقابل في حياته أكثر من مائة مريض هم الذين وضع على أساس عقولهم مذهبه . أما الأسوياء وهم الملايين فلم يقابل منهم أحدا .

وقد أنكر فرويد في آخر حياته معظم أفكاره ، وقد أصيب في أخريات حياته بالسرطان في الحلق . وأمضى سنوات مظلمة .

وتسفيه القيم والأخلاق باسم النسبية : خامسا : طرحوا فكر دوركايم اليهودي ، الذي أخذ يعمل بمحاول هدامة في تحطيم كل القيم والمفاهيم الدينية والأخلاقية ، والذي أخذ تلميذه لليهودى لينى بريل ينج منهجه ويسير على طريقه : منهج التشكيك في القيم والمثل والعقائد والأخلاق .

ومن أبرز تلاميذهما : طه حسين وزكى مبارك ومنصور فهمى - في مرحلة تلقيهم في السربون - والقاعدة التي يقوم عليها فكره : أن كل الظواهر والمظاهر نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال ولا تستقر على وضع : لأنها كل يوم تتبدل بحال آخر ، وهم يستخدمون هذا المفهوم في دراسة (الاجتماع والنفس والأخلاق وتاريخ الأديان) لافساد المجتمعات والعمل على تحللها أخلاقيا ودينيا ، والهدف هو أن يكون المجتمع شاكاهيا بالفتن وذلك سبيلهم إلى الهدم . ومن أجل هدفهم هذا تكاثفوا لتكوين لهم الكلمة الأولى في الجامعات والعلوم الإنسانية وهو لم يمكن أن يقال أنه إذا كانت الأخلاق نسبية فسيأتى الزمن الذى نعتقد فيه أن الصدق رذيلة ، وأن الشهامة شر : وأن الشجاعة سوء . وأن العفة جريمة . (الدكتور عبد الحليم محمود

الهدف الحقيقى : وتهدف هذه الدعوات كلها إلى إنكار نظرة الاسلام الاصلية إلى الثوابت والمتغيرات . وإحلال نظرية التغير الدائم ونسبية الأخلاق .

وقد كشفت حركه اليقظة الاسلامية فساد هذه النظرية المادية ، وأبانت عن أن مفهوم الاسلام هو أشد أصالة ، لأنه يقوم على أساس ثبات القيم الأخلاقية والآداب الإنسانية . التى هى من أصول ثبات الطبيعة البشرية : هذه القيم الثابتة من الدين والأخلاق والحدود والضوابط . هى التى تقى المجتمع الإنسانى من الفناء والهلاك وهى القانون الثابت الذى لا يتغير مع تغير العناصر المختلفة فى المجتمع .

ومن هنا فإن الفكر الغربى تحت تأثير الفاسفة المادية هو فكر انشطارى أما الفكر الاسلامى فإنه فكر متكامل جامع يربط القيم فى توازن وثيق وتناسق معجز وليس وجود الأضداد دليلا على خصوصتها وتعارضها . ولكنه سبيل إلى تكاملها

والتقائهما فالضد يولد من للضد ، فالحياة يقابلها الموت والفقر يقابله الغنى والجبن تقابله الشجاعة والروح تقابلها المادة فهي ثنائيات متقابلة متلاقية والواحد الفرد هو الله تعالى وقد وفق الاسلام بين المتناقضات في إطار التكامل .

وبذلك يقيم الاسلام وقانون الثواب والمتغيرات ، فالاسلام يجمع بين الاصول العقائدية الثابتة وبين الاجتهاد في الفروع والتفاصيل والتطبيقات — وهو مانسميه التطور — ويقول بتغير الاحكام النوعية مع تغير الازمنة والامكنة والاسلام منهج إلهي من حيث الاصول ، إنسان من حيث التطبيق والتفاصيل ، يقيم الحدود والضوابط في الاطار العام ويسمح بالحركة والتغيير داخل هذا الاطار ودون مساس بالثواب في العقيدة والشرعية والأخلاق مما جاء به نص قاطع البيان محدد القسما .

فساد فكرة الحتمية :

تعتقد الفلسفات الغربية المادية — أن القوانين التي اكتشفها الانسان للكون — عن طريق العلم الحديث دون معرفة حقيقية لمصدر هذه القوانين أنها قوانين طبيعية حيث تدبر الطبيعة نفسها فهي لا تتخلف ، وفي هذا الاعتقاد خطأ أكبر وخطأ أصغر أما الخطأ الأكبر فإنه من المستحيل أن تدبر الطبيعة نفسها بمثل هذه الدقة ، لأنها لا تخلق نفسها ولا بد لها من خالق أساسا ثم هو نفسه - تبارك وتعالى - الذي يدبرها لحظة بعد أخرى ، ومن هنا فإن هذه القوانين مخلوقة لله تبارك وتعالى وهو القادر على إبطالها متى شاء .

ولا ريب ان غياب هذا الفهم عند الفكر المادي جعل النظرية قائمة على شق واحد منها ، هو حتمية هذه القوانين . واغفال الجانب الهام منها وهو صانعها ومدبرها والقادر على إبطالها .

ومن هنا يصور العلماء الماديون : « الحتمية » بأنها هي خضوع الأشياء لمبدأ التغيير للقوانين الضرورية وهذا يعني أن الأحداث ترتبط فيما بينها وفق قوانين موضوعية . ومن هنا فإن الحتمية هي إنكار ما نظن أنه مصادفة أو احتمال كما أنها تنكر حرية الإرادة ، ذلك لأن الحتمية لا تتفق مع إرادة التغيير ومن هنا فهي

تمطل هذا الجانب الهام الذى هو مصدر أصيل فى إنشاء التاريخ، ومن ثم ففى تلخى دور الإنسان فى التغيير .

وهى فى هذا تخالف الفطرة الانسانية من جانبين : من جانب عبورها عن فهم قدرة الله المطلقة وقدرته على خرق القوانين وتغيير الواقع ، وقصورها عن فهم إرادة الانسان التى منحها الله تبارك وتعالى آياه داخل الارادة العليا لله، إثراء للكون كله .

والفارق يسير جدا وكبير جدا ، فهو فى نظر المسلم : أن العوامل الظاهرة لحدث أو للقانون ليست هى وحدها العوامل الحقيقة ، وأن هناك عوامل أخرى غير منظورة وهى إرادة الله ومشيتته التى هى أكبر من الاسباب نفسها والقادرة على تمطيل الاسباب أو أمضاء الاسباب من غير أن تحقق النتائج المترتبة عليها ، وهناك قدرة الله على التغيير بغير عوامل ظاهرة أو خفية تقاس بمقاييسنا المعروفة .

وهكذا فإن الحتمية أو الجبرية كلاهما يقوم على نظرية مادية خالصة لا تنظر إلى الجانب الغيبى ولا تقدر قدرة الله تبارك وتعالى : التى هى من وراء الكون الظاهر والنصرف الظاهر .

أما الإنسان فله دوره وإرادته الذاتية التى تحقق له التصرف الذى به يكون مسئولا عن عمله فى دائرة صغيرة ولكنها بعيدة الأثر فى إحداث التغيير .

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ، الرعد .

والفرد يستطيع أن يمارس إرادته فى تغيير الواقع والمجتمع بقدر استفادته من قوانين الحركة ، والالسان له إرادة فاعلة وهى ممكنة بتمكين الله تبارك وتعالى يتمير بها عن الحيوان ، وهى تتحرك فى دائرة خاصة ويكون مسئولا فى حدودها ولكن الإدارة الكبرى هى إرادة الله التى تخلق التأثيرات العامة للمجتمعات والا كوان ، أما الحتمية فهى لا تتفق مع إرادة التغيير لأن الحتمية تفرض أنه

لا إرادة من جانب الانسان وهى بذلك تعد انسان (متفرجاً) إزاء حركة التاريخ يرى ما يحدث له والمجتمع دون أن يشارك فيه ، وهذا القول مخالف للواقع ولطابع الأشياء .

الويف فى قولهم :

ومن هنا فإن القول الذى يردده جبريو التاريخ ، كاركس وغيره ، والذين يقولون أن التاريخ محكوم المسار فى مستقبله . هو قول زائف وغير صحيح ، وكل النبوءات التى قدمها ماركس فى هذا الصدد قد تبين كذبا ولم تتحقق جميعها وما وقع من بعد ماركس مخالف بل مضاد تماماً لكل ما قرره بناء على حتمية للتاريخ أو جبريته فى حدود النظرية التى قدمها ، ذلك لأن ماركس ليس إلا بشراً يجهز عن الإحاطة ونظريته ليست إلا شطيرة ترتبط بعنصر واحد من عناصر التأثير - وهى الاقتصاد وتقوم فى مرحلة زمنية محدودة ، وببيئة لها طابع خاص ، ومن هنا فقد عجز وعجزت عن تفسير المستقبل ، فضلاً عن إخفاق ماركس فى تحليل التاريخ القديم .

ولا ريب أن النموذج البشرى تقوم عليه فكرة الجبرية ، هو نموذج لإلسان سلبي خامل كسول مستسلم للواقع . متنازل عن حقه الطبيعي فى الاختيار . مؤثر للجن وعدم المجازاة . وبذلك يفترض فى هذا الإنسان أنه تطابق للحتمية المادية الحادعة . والمسلم لا يقر هذا المفهوم السلبي ويؤمن بإرادة الإنسان وبالقدرة على الاختيار والحركة للتغيير الواقع ويجهل من إرادته البشرية قوة فادرة على حكم الفرائز وقيادتها والسيطرة عليها .

ومن هنا فإن الأمم التى تخضع للجبرية تموت وتبقى لأنها تستسلم وتداس بالآفدام .

هدم الفرد والمجتمع المسلم :

وهذه الدعوة محاولة لهدم إرادة الفرد المسلم والمجتمع المسلم لحساب قوى مغتصبة غازية . ومن هنا كانت دعوة الإسلام الملحة إلى بناء الإرادة وعزم الأمور .

ولا ريب أن التقدم مرتبط بتنمية إرادة التغيير ، فإذا فقدت الأمة هذه الإرادة استسلمت للجبرية التي هي الانحطاط .

وهكذا نجد أن الفلسفة المادية هي صناعة يهودية ترى إلى مدم كل القوى التي نراها الدين الحق في الأفراد والمجتمعات وخاصة المجتمع الاسلامي ، الذي صاغه الاسلام صياغة خاصة ليسكون متميزاً ومفرداً بطابعه الاصيل القادر على البقاء ولقد طرحت الفلسفات المادية في أفق الفكر الاسلامي سموماً كثيرة ولكن مفهوم الاسلام الاصيل المستمد من منابع الاولى: وما يسمى مفهوم السنة الجامعة فهو قادر على دحض هذه السموم والسميات .

١ — والقرآن الكريم يقطع بأن الانسان قد صور لإنسان لأول خلقه - حيث يقول تعالى :

« وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات » غافر : ٦٤ ، ويقول : « وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير » النغبان : ٦٤ ، والخلق من غير الانسان يراهم الله أمم متكاملة النظام والخلق حيث حيث يقول : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون » الانعام : ٣٨ : وهذا واضح في تنوع المخلوقات وتوفير الوظائف والبيئات :

٢ — أنظر من سورة النحل من الآية ٣ إلى ١٨ حيث بين أن كل ما للكون من مادة ودأوات قد خلقه الله تعالى ثم سخره للإنسان على سطح هذه الارض — فتبارك الله أجسن الخالقين وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها :

طريق الفلسفة . وطريق القرآن

إن من أهم ما تكشف من آفاق الاصلية على أبواب القرن الخامس عشر تلك
التفرقة الواضحة بين الفلسفة المادية وما وصل إليه العلم التجريبي من حقائق .

لقد قامت الفلسفة المادية على احتمالات البحث العلمي حين كان يخطو خطواته
الاولى وحين لم يكن قد حطم القدرة بعد وحين كان متغطرا مستعليا يظن أنه
قادر على الكشف عن كنه الوجود والحياة ، ولكنه الآن قد تحول كثيرا عن
هذه الوجهة بعد أن ثبت عجزه إزائها واكتفى بالعمل على تفسير ظواهر الأشياء .
ثم جاءت انحناءاته الكبرى أمام عظمة صنع الله بعد أن تبين أن هناك خفيا من العلم
لا يمكن كشفه أو تفسيره إلا بالاعتراف بوجود وصانع وهو الذي يدير هذا
الكون لحظة بعد لحظة بالهفة البالغة التي تدعش الابواب وتعجز أمامها كل قوى
الغضب والتقدير ، هذا هو موقف العلم التجريبي اليوم ، فهو على طريق الله بعد أن كشفت
التلسكوبات الضخمة عظمة الكون واتساعه وتمدد المجرات التي تحفل بألوف الملايين
من الأقمار والكواكب ، وبعد أن وصل الإنسان إلى القمر وإلى بعض كواكب
المجموعة الشمسية ثم تبين له أنه لم يقطع إلا قدر يسير أمن تلك المساحات الشاسعة
هذا موقف العلم وهو يختلف عن موقف الفلسفة المادية أو ما يسمونه فلسفة العلم
ومع أن الفلسفة المادية تعرف أن العلم آمن أو أوشك أن يؤمن فهي ما تزال ساددة
في طريقها المظلم المسدود ، وقد أخذت تقوم في السنوات الأخيرة بدراسة الإنسان
والمجتمع والأخلاق فقدمت مفاهيم ضالة زائفة لأنها عجزت عن أن تفهم الإنسان
فهما جامعا (روحا ومادة وقلبا وعقلا وجسدا) وتوقفت عند فهمه كمادة
وكجسم وكجموعة من الأهواء والشهوات والمطامع تهجر حول الطعام
والجنس .

أما الاسلام فإنه يقدم مفهوما جامعا للنفس الانسانية ، كما يقدم مفهوما للوجود
والطبيعة والكون ، تستمد مفاهيمها من الفطرة وتتكامل فيها القيم ، وهي بذلك

جامعة تأخذ الانسان من جميع أطرافه وهى مائة تسة طبع أن تواجه كل تطورات الحضارة والمجتمع والبيئات . ولذلك فإن المسلم يريد منها للحياة ونظاما للمجتمع فقد قدم له الاسلام هذا المنهج لفهم الوجود والكون والانسان فان القرآن قدم له فهما وافيا كاملا لا يحتاج بعده لانفاق الجهد الموصول إلى عشر معشار هذا المفهوم الجامع الكامل لذى قدمه الاسلام ليحمى الانسان من الضلال وليصرفه إلى ما هو فى حاجة إلى استعمال العقل فيه وهو عمران الكون وكشف ذخائر الأرض وإذا كان المسلم يريد منها للحياة ونظاما للمجتمع فقد قدم له الاسلام هذا المنهج وهذا النظام على نحو إنسانى شامل جامع صالح لكل زمان ومكان :

وإذا كان المسلم فى حاجة إلى دراسة الانسان فان مفهوم الاسلام للإنسان أوفى مفهوم ، فهو سيد الكائنات تحت حكم الله وهو المستخلف فى الأرض لعمارتها وهو الذى حمل أمانة العمل على أساس المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقى والجزاء الاخرى :

ومكدا تكشف نظرة الاسلام إلى الكون والحياة والانسان أوفى مفهوم بينما تقدم الفلسفة الغربية نظرات متباينة أشد التباين بين عقلية استقباطية ، أو مثالية متطرفة أو حسية مادية بعيدة عن الواقع أو بعيدة عن العقل والروح وأحيانا لا تتفق مع موازين العقل ولا تلتقى مع الفطرة ومع هذه السعة فى معطيات الاسلام مما يتطلبه الانسان من مفاهيم فإن قومنا يوجبون هذا كله ، ويسرفون فى ترجمة تلك الفلسفات المادية المتضاربة ويتركونها بين أيدي شبابنا حتى دون أن يطلعهم على الظروف التى وجدت فيها هذه التيارات ودون أن يقولوا لهم أنها نظريات وفروض قد تصدق وقد لا تصدق، ودون أن يوجههم إلى أنها من نتائج مجتمعات أخرى لها ظروفها وأوضاعها وتختلف معنا حتى فى أدق دقائق العقائد والآداب والاخلاق .

بل أن الامر أخطر من هذا كله ، فإنه قد ظهرت فى أعقاب أزمات الحضارة المادية والحروب الشاملة المدمرة (الحربين العالميتين) فلسفات قاصرة فى قيادة الفكر والحياة لأنها فلسفة أزمات لا تتناول الانسان ككل ولا تهتم اهتماما جادا بمكانه فى الكون ورسائله على الأرض بل تعبر عن الجانب المادى فى الانسان وهو

على كل ليس بالجانب الحقيقى فى طبيعته هذا فصلا من أن تطور الحضارة المادية وإتجاه الأمم إلى أسباب القوة من جهة وإلى الترف من جهة أخرى ، وإلى جانب قصور النظم التربوية على مستوى العالم كله - كما يقول الدكتور محمد عبد الهادى أبوريدة - وعجزه عن تكوين النموذج الإنسان المتزن من الناحيتين الفكرية والخلقية - كل هذا حد من تأثير الدين الحق بروحانيته وأخلاقياته وتصوره للكون والإنسان وقدرته على تنظيم أمور الحياة .

هذه الخلفيات للفلسفات الغربية المطروحة الآن فى أفق فكرنا الإسلامى يجب أن نعرفها لنلقى الضوء المكاشف على فسادها وعدم حاجتنا إليها ، لقد كانت تحديات الحرب العالمية الأولى والثانية عاملا أساسيا فى ظهور جميع الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة من وجوديه وماركسية ومادية وتفسير مادية للتاريخ ولذلك فهى ليست فلسفات ناتجة عن مجتمعات طبيعية ولكنها جاءت كرد فعل لآحداث عارضة . فكيف يمكن للمجتمع الإسلامى الذى يختلف تماما عن المجتمع الغربى والذى لم تكن له مثل تلك التحديات والاحداث أن ينقل هذا أو يحاول أن يطبقه فى مجتمعه هذا فضلا عن أن المجتمع الغربى بشقيه هو مجتمع مسيحى الأصل ، والمسيحية دين وصايا ولم تحمل معها نظام مجتمع - لأن نظامها الاجتماعى وشريعتها موجودة فى الموسوية - وهى عندما انفصلت عن اليهودية حاولت أن توجد نظاما اجتماعيا فاستعملت الفلسفة وأسلوب العقل ومن ثم انبثقت أيديولوجيات الرأسمالية والقومية والعلمانية والماركسية وغيرها ، أما المجتمع الإسلامى فالأمر فيه يختلف كل الاختلاف .

ونحمد اليوم دهوة ملحة من الغربيين والشمعويين ودعاة الفكر الوافد إلى طرح المذاهب الفلسفية فى أفق فكرة ، وهى دعوة معروفة المهدف والهووى والفرص ذلك لأن الفلسفة التى ترجمت فى القرن الرابع الهجرى هى أكبر ضربة وجهت إلى مفهوم الإسلام الصحيح وإلى التوحيد الخالص ولولا أن القوى الإسلامية واجهتها مواجهة صادقة لافسدت مفهوم الإسلام الصحيح ولا نرت فيه تأثيرها فى المسيحية واليهودية .

لقد بدأ المسلمون صلتهم بالفكر الغربى من خلال ترجمة العلوم والطب والفلك

والكيمياء ووقف المسلمون موقف المعارضة لترجمة الشرائع وترجمة الآداب
ولسكن أسلوب الترجمة انحرف في عهد المأمون واستطاع نصارى نصيبين والرها
وحران وجند سابور أن يجدوا فرصتهم لإدخال مفاهيم نصرانية إلى الفلسفة التي
ترجموها وقد تبين أن ترجماتهم كانت زائفة ومحرقة .

ومعكذا فقد كانت الفلسفة دخيلة على الفكر الإسلامى ، وكانت آثارها في الكلام
والاعتزال والتصوف بعيدة الأثر من حيث تحريف المفهوم الأصيل .

ولا ريب أن الفلسفة وعلم الكلام تفسيرا بشرية غير منزعة عن الخطأ وقد
استمدت مفومها من المنطق اليونانى الذى هو أصله علم الأصنام ، وقد واجه علماء
المسلمون هذا التيار وقاوموه وكان الغزالى من أقوى المخاضمين لها فقد انتقد الغزالى
الفلاسفة في مسائل قدم العالم والعلم الإلهى والبعث ، وقال أن ماذهب إليه الفلاسفة
فيها مناقض للقرآن .

وبعد الغزالى رفض علماء المسلمين أسلوب المنطق الارسطى وكان الغزالى
مقدمة لدور ابن تيمية القوى الحاسم لقد رفض الغزالى الفلسفة كتنصور ايدىولوجى
يونانى من حيث الخلط بين عالمى الغيب والشهادة وقد أعلن ابن تيمية منطق
القرآن بديلا لمنطق ارسطو ، وتبين من بعد صورة واسعة من الرفض والاهمال
لكل ما ذهب إليه الفارابى وابن سينا وقد عدت هذه المدرسة تابعة للفكر
اليونانى .

وكان الامام الشافعى بمنهج القرآنى هو أول خطوة للتحرر من القبيعية وبناء منهج
إسلامى أصيل للبحث ، وقد تبين أن انتشار الفلسفة وسيطرتها في هذه المرحلة
كانت العامل الأول في الانهيار الذى أصاب المجتمع الإسلامى إلى جانب عوامل
أخرى سياسية واقتصادية وخارجية كالفتار والصليبيين ولكن محاولات
الغزو من خلال الفكر التى قامت بها قوى الشعوبية والباطنية والمجوسية
كانت أكبر ضربات المعاول التى مهدت للغزو الخارجى ومكنته من هزيمة
المسلمين .

ولقد تبين للمسلمين أن منهج أهل السنة والجماعة : المنهج القرآنى هو وحده

المنطلق إلى النصر وإلى امتلاك الإرادة ، واليوم يحاول المستشرقون أن يدفعوا تيارات الفلسفة إلى السيطرة على الفكر الإسلامى وتزييفه وحجبه عن الاصاله التى تستمد من المتابع ومن القرآن والسنة ، فى محاولة لاحداث فتنة شبيهة بفتنة العصر العباسى ، وصولا إلى هزيمة مفهوم الاسلام الاصيل ولقد كانت الفرصة مهيأة فى هذا العصر لترجمة عموم الفكر الغربى وأحواله وشبهاته جميعا ، وهى متضاربة محتلطة لتدمير العقل الانسانى والقلب المسلم ، ولكن المسلمون تنبهوا إلى هذا الخطر وكشفت حركة اليقظة هذا التيار الاسود وعرفوا أن طريقهم الواحد الوحيد هو طريق القرآن .

طريق الفلسفة الغربية لا يؤدى

جنحت الدراسات الفلسفية وجهة خاطئة حين تابعت مفاهيم المستشرقين الغربيين الذين استقدمتهم كاية الآداب في العشرينات والذين رددوا ما كتبه رينان من أن الفلسفة الإسلامية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بحروف عربية ولكن هذا الاتجاه لم يلبث أن أدخل عليه تصحيح سريع بفضل جهود الشيخ مصطفى عبد الرزاق الذى حرر هذه القضية وأنشأ مدرسة الأصالة ، با كرأ فى الأربعينات وهو مالم يحدث بالفلسفة للآداب أو الثقافة أو التاريخ وكلها ما زالت إلى وقت قريب خاضعة لمفهوم التغريب و لقد تشكلت مدرسة الأصالة فى دراسه الفلسفة من عدد من الأبرار أمثال : الحضيرى والنشار وتوفيق الطويل وزيان .

ومع ذلك فقد استمرت مدرسة التبعية لليونان والفكر الغربى تلقى سمومها فى أفق الفكر الإسلامى من أمثال زكى نجيب محمود وذكربا لإبراهيم وعبد الرحمن بدوى .

وكان أبرز ما أشار إليه الذشار هو أن أرجانون أرسطو (اليونانى الإغريق) قد وجد رفضاً كاملاً فى أفق البحث الإسلامى منذ ظهوره والذين تابعوه كانوا قلة لم يطلق عليهم يوماً من الأيام لاسم العلماء وإنما كانوا دائماً من مدرسة المشائين اليونان باللغة العربية أمثال : الفارابى وابن سينا .

وأن المسلمين عرفوا منهجاً للنطق مستمداً من القرآن على النحو الذى كشف عنه الإمام بن تيمه وكان أكبر منافع عن إصالة المنهج الإسلامى الامام العزالى الذى رد الفلاسفة العرب المتابعين لمنهج اليونانى فى هذه أمور تخالف التوحيد أما الدكتور توفيق الطويل فقد عرف بمفهومه الواضح فى التفرقة بين العلوم الرياضيه والعلوم الانسانية فى الخصوص لمنهج التجريب وقد كشف عن أن ما يتصل بالنفس والمعنويات والروح لا يصلح أن يطبق عليه المنهج الذى يطبق على المادة .

وقد كشف الدكتور الطويل أن بعض فلسفات المعاصرين قد ماتت وأصحابها لا يزالون أحياء. (ولعله يقصد من ذلك الفسكرة الوجودية التي قدمها سارتر).

أما الفلاسفة المعتنقون للذاهب الفلسفة المادية كالبرجماتية أو الوجودية أو الماركسية فإنهم يجدون أنفسهم أمام مفاهيم ليس لها ثبات أو استقرار، وما تزال مفاهيم العلم تضرب في جدار المادية وتكشف زيفها ومع ذلك فإننا نعجب حين نرى أحدهم — كالدكتور زكي نجيب محمود — يقول إن الأمة العربية ليس لها فلسفة خاصة بها وأنها تستمير الثقافة والفكر الأوربي والأمريكي في كل شيء. وهذا رأى غريب حقاً، لا يثبت أمام الحقائق التاريخية والثقافية، إذ كيف يمكن القول لأمة تملك منهج الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وهو منهج جامع قد أقام نظاماً كاملاً في مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والأدب والتربية، له مفهومه الروباني في الطابع الإنساني المرتبط بين الروح والمادة، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة، والذي له طابعه الواضح في مختلف قضايا الحياة والعصر والمجتمع، وكيف يمكن أن يقال أن للعرب والمسلمين ليس لهم فلسفة حياة وهم الذين يؤمنون بأن الإنسان رسالة في الحياة وأمانة والتزام أخلاقي وله بعد الموت والبحث حساب وجزاء، وهذه الفلسفة تختلف اختلافاً عميقاً عن الفلسفة الغربية التي يدعى الدكتور زكي نجيب محمود أننا نستعيرها، وإذا كنا قد تابعنا بعض مظاهر الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية تحت ضغط النفوذ الأجنبي فترة فإن الضمير العربي الإسلامي ما قبل أبداً وما رضى وما خضع لهذه المحاولة التغريبية التي فرضت عليه خاصة بعد أن تكشف له زيفها ومن ثم فقد عاود النظر إلى أسلوب الميثاق الإسلامي المنطلق الأصالة ولتحرر من التبعية الأجنبية.

(٢)

نحن بإزاء الفلسفة اليونانية الاغريقية في العصر الحديث أشبه بالمحاصرين، وهو حصار كان قد حاول اجتياح المسلمين من قبل فتغلبوا عليه، ونحن في أشد الحاجة إلى أن نعرف أخطاره لتتجاوز هذه الفلسفة اليونانية التي ورث الحضارة الغربية مفهومه المسموم: القائم على الإباحية وعلى مرح الجسد وفرحة البدن وتقدير الجمال المادي وخلق الآلهة وعبادتهم ومن ميراث الفكر اليوناني ترعيان متضادتان أولهما السعادة في اقتناص اللذات وهي النزعة الآبيقوية والسعادة

في التنشيف والوهادة في الذات وهي النزعة الرواقية وكل منها مبالغ في الدفاع عن رأيه والدفاع عن مخالفه ، ومن هذه نشأت نزعتان متضادتان أخريان هما الفردية المسرفة والجماعية الساحقة ، والاسلام ينكر نفرد المذاهبين والنزعتين . ولقد واجه الفكر الاسلامي العاصفة الاغريقية مواجهة حاسمة ، فهم أولا نبذوا كتاب ارسطو عن الدراما والنماذج التي طاف بها في تراجيديات سوفوكليس واسخيلوس وكوميديات اريستوفان وإضرابه فقد رواها حافلة بألهة تتصارع وأرباب تلهو وتعبث وقدر متربص بالمناس ، يلحق بهم ضروب الازدي ، ولم يرقهم هذا فقد كانوا يجيولون على نظرة التوحيد ورفض الشرك ، ولو كان شبهة أو أداة من أدوات صناعة الفن والتخييل .

وهم لم ينقلوا إلا ما يتصل بالعلوم ثم قاموا بتصحيحه وتحريره من الاساطير والوثنيات ولكن قوى الشعوية استطاعت أن تغلب فترجمت الفلسفات فوقف علماء المسلمين لها موقفا حاسما وكشفوا عن زيف منطق ارسطو واضطرابه وارتباطه بملم الاصنام وعجزه عن العطاء في محيط الفكر الاسلامي القائم على التوحيد .

ولقد وقف الاسلام أمام غنوص الشرق (فارسيا أو هنديا) كما وقف أمام غنوص الغرب (الافلاطونية المحدثة) موقف العداوة والبغضاء بحالها أشد مجالدة وأعنف جهاد . فقد كشف عن زيف مذهب الفرس الشنوية (النور والظلمة) وعارض ما انبثق من مجوسية الفرس بعد الاسلام من بابلية وخرمية ومزدكية وغيرها ، هؤلاء الذين استباحوا كل المحرمات واستمرت الحرب معهم عشرون عاما ، ومن هؤلاء طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والدرزية والحاككية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم باطنية :

ولقد واجه مفكرو الاسلام فضائح الباطنية من قرامطة وحشاشين ، ولقد كان من ثمار هذا الفكر الفلسفي الباطني مولفات كرسائل إخوان الصفا كتابات الحلاج وابن عربي وغيرهم وقد رفضها المسلمون كما رفضوا فلسفات ابن سينا والفارابي وكشفوا تبعيتها المذاهب الباطنية (وإن قبلوا منهم مفاهيمهم في العلوم والطب) وقد تأثر بهذه المدارس كثير من أمثال أبي الملاء والمتنبي وأبي تمام في مجال الفلسفة وأبي نواس و بشار في مجال الشعر والاباحية .

وكذلك وقع في شرك التبعية السكاكي وقدامه في مجال البلاغة وأخطرهما صنمه

قدامه بن جعفر في كتابه نقد الفهر هو الرجوع إلى أرسطو في كتابه نقد الفهر
وقد استطاع الفكر الاسلامي أن يتحرر من هذه الموجة العاصفة واستعاد أصالته
ومفهومه الجامع. بعد دفاع الفزالي وابن تيمية وغيرهم وبرر مفهوم مذهب أهل
السنة والجماعة قاضياً على تلك التجاوزات .

ولكن هذا الركام الذي تجاوزته الفكر الاسلامي الاصيل لم يلبث أن أعاده
الاستشراق إلى الحياة ، بل لقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين ترجموا تلك
التراجيديات والكوميديات الفاسدة الضالة إلى اللغة الغربية في العصر الحديث
لتكون واحدة من عوامل التغريب فكانت بالإضافة إلى إحياء رسائل إخوان
الصفاء وكتابات الحلّاج وابن عربي وكتابي الفلية والأغاني بمثابة محاولة جامعة
خطيرة لاحتواء الفكر الاسلامي الاصيل :

هل استطاعت الفلسفة الغربية المادية

أن تعطى نوراً

هل استطاعت الفلسفة الغربية أن تعطى الفكر الإسلامى فى العصر الحديث شيئاً إيجابياً أم إنها — كشأنها فى القرن الرابع الهجرى — قدمت عشرات من الشبهات والسوم والاهواء التى عصفت ببعض النفوس وأفسدت عدداً من العقول الناضجة والارواح النقية ، بما حملته إليها من فكر مادى ووثنى وإباحى كان بعيد الأثر فى تدمير بعض النفوس التى لم تكن لها حصانة حقيقية من الإيمان بالله تعالى .

لقد كانت الدعوة إلى طرح مفاهيم الفلسفات الغربية والوافدة فى الفكر الإسلامى تتردد فى إلحاح خطير بعد أن أصبحت الفلسفة مادة تدرس فى المدارس والجامعات فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى ، وقد قدمت بأسلوب ما كرخيت حال دون الكشف عن أخطائها أو عن أنها تراث أم أخرى كانت فى حاجة إلى أن تفسر أمور الطبيعة بعيداً عن الدين أو لأن الدين لم يقدم لها فى هذا المجال ما يشفى الصدور . والواقع أن الفلسفة كانت اجتهداً عقلياً فى هذا المجال أو بمثابة محاولات هى عرضة للخطأ والصواب بينما كان الفكر الإسلامى قد تنذر منذ وقت بعيد بفهم أبعاد هذه الأمور من حيث إن القرآن قدم تفسيراً واضحاً كاملاً لعالم ما بعد الطبيعة أو مايسمونه (الميتافيزيقا) أو عالم الغيب كما يطلق عليه القرآن ولم يكن المسلمون بعد ذلك فى حاجة إلى تفسيرات بشرية تخطئ فى الأغلب فى أن تقدم التفسير الصحيح لمعجزها الطبيعي عن أن تفهم ما وراء الطبيعة ولا اعتماداً على الجواب المادية وهى ليست كل شئ . ولأنها تستمد مفاهيمها عن طريق العقل الذى ليس من مهمته فهم ما وراء المحسوس والظاهر . كل هذا أحدث اضطراباً كبيراً فى النفوس وخاصة فى نفوس الفتن الذين لم يكونوا قد ثقفوا ثقافة إسلامية أصيلة جامدة .

ومن منا كان أكبر أخطاء الفلسفة الغربية — التي هي في مرحلتها الحالية فلسفة مادية خالصة بعد أن مرت بمراحل الفلسفة المسيحية اللاموتية والفلسفة المتألية — أن ترى نفسها بديلا عن الدين في تفسير أمور الطبيعة والحياة أيضا، ويرجع قصورها إلى أنها تعتمد على العلم التجريبي المتغير والذي يفسد في سرعة نتيجة المتغيرات المتوالية .

وحين يقول الفكر الغربي أن الدين عائق عن التطور فإنه يقول ذلك في حدود الفكرة الدينية التي عرفها عن اليهودية والمسيحية فقط، ولو عرف الاسلام ما قال ذلك بحق . ولما كان الغرب يؤمن بأن الدين لا هوأ وأنه علاقة خاصة بين الله تبارك وتعالى والإنسان مما يجعله يستبج لنفسه أن يتصرف في جواب الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، ولكن الأمر في الاسلام يختلف فالاسلام دين بمعنى العبادة ومنهج حياة ونظام مجتمع وهو يتكامل بين العلاقتين مع الله تبارك وتعالى ومع المجتمع ، ولما كان الغرب لا يملك منها متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع — كما يملك المسلمون — فإنه يبحث عن أيديولوجيات . أما المسلمون فإنهم لا يحتاجون لذلك .

ولا ريب أن جميع تطورات الفكر الغربي قد جاءت نتيجة التحدى ، وكرد فعل على الجرد الذي واجهه به الدين الغربي، فالنظرية المادية هي رد فعل الكهنوت وكذلك الماركسية فهي رد فعل الرأسمالية .

ولا يستطيع الفكر الغربي أن يقدم أحكاما مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ ، أو متحررة من الهوى .

وأخطر مفاهيم الفلسفة الغربية : نظرية التطور . ونظرية نسبية الاخلاق ، ونظرية المنفعة ، والنظرية المادية ، ونظرية الجنس . وكلها نظريات تقوم على الانشطارية والنظرة من جانب واحد هو الجانب المادى ، فنظرية التطور لا تقوم على إطار من الثوابت الأساسية . فليس الأمر كله تطورا مطلقا . والاخلاق جزء من الدين لها صفة الثبات ، أما المتغير والنسبي فهي العادات والتقاليد التي يصنعها البشر ، ولا بد بمجوار المنفعة من القيم الرفيعة التي يفرضها الإيمان بالله والخلق ، والتي يقدم منها الإنسان التضحية دون أن ينظر الجزاء المادى ، والنظرية

المادية تفترض إنكار الجوانب الروحية والمعنوية للإنسان. ونظرية الجنس تقوم على أن ذوافع الإنسان كلها جنسية ، وهو ما ثبت أنه غير صحيح ، وأن للإنسان ذوافع مختلفة ، وأن الاقتصاد ليس هو العامل الوحيد في تفسير الحياة والمجتمعات والتاريخ .

إن أخطر ما تنسب به الفلسفات الغربية : النظرية الانشطارية ، والشك والارتياب . والإباحية والتشاؤم ، وأبرز معالم إنحرافها أنها تنسك عنصراً أساسياً من عناصر النفس الإنسانية هو جانب الإيمان والعقيدة والروح ، والعالم الداخلي والغيبى كله ، هذا للعالم الذى أنسكرة الفكر الغربى والحديث ورفضت المعاول لهدفه وتحطيمه وتدميره فكرياً بالفلسفات وعملها بالإباحية ولا ريب أن هذا العالم العقائدى كامن فى أعماق الإنسان لاسيما إلى إلغاءه أو إنكاره وهذا هو مفهوم الانشطارية التى تقبل بالعقل والجسم وترفض النفس والروح وتقبل بالمادة وترفض الوحي وتقبل بالأيديولوجيات وترفض الدين .

ومن هنا كان أبرز مظاهر الفكر الغربى اليوم ، التشاؤم ، نتيجة السرف فى الإباحة وآية على الشك والارتياب !

ولعل أخطر ما طرحه الفكر الغربى على أفق الفكر الإسلامى هى : النظرية الانشطارية التى تفصل بين المادة والروح والدين والدنيا وطابع التشاؤم والفكر الإسلامى بطبيعته ففكر إنسانى الطابع قائم على الفطرة التى فطر الله تبارك وتعالى الناس عليها فهو متكامل يفيض بالرحمة والطمأنينة والسباحة ولا يقبل الانشطارية أو التشاؤم ذلك لأنه يقوم على تكامل القيم وانسجامها ولا يفترض إمكان قيام شطر منها دون الشطر الآخر فضلاً عن أنه لا يميل جانباً منها على مختلف الجوانب. ولقد كان من نتيجة انشطار الفكر الغربى أن خرج من النقيض إلى النقيض : من الرهبانية إلى الإباحية دون قدرة على التوسط أو الموائمة أو التكامل بينما لم يعرف الفكر الإسلامى هذه التجزئة ولم يقرها ومن الانشطارية سقط الفكر الغربى فى أزمة المادية عن طريق إعلاء العلم وتقديس العقل ومن هنا عمت ظاهرة التشاؤم وجدانه وفكره كله وطبيعته بطابع الملل والتذوق والتمرد والصراع والخوف من الموت والرغبة فى اعتصار الحياة ! وإنكار الآخرة والجزاء . وقد جاء غذا

نتيجة خضوعه لفكر التلمودى القائم على الربا والاباحية وإنكار البعث ، وهو ما يضاد مفهوم الاسلام فى أخلاقية الحياة والمسئولية الفردية ، لقد استطاع اليهود عن طريق الفلسفات والايديولوجيات أن يجمعوا مفاهيمهم بمثابة منهج عالمى ، جمعوا له كل ما حمله الفكرى البشرى القديم من وثنية وإلحاد واحتقار للاخلاق فى سبيل إشادة إمبراطورية الربا وعبادة الذهب والتكالب على ماديات الحياة ، وبذلك سيطر اليهود على الفكر البشرى ، وعمدوا إلى احتواء الفكر الغربى ، ولم يعد هناك منهج قادر على مواجهة منهجهم ودحره وتدميره غير منهج القرآن الذى تبنى الاسلام ، وهو منهج التوحيد الحائس ، والإيمان بالبعث والمسئولية والاخلاقية والالتزام الفردى ويتضح طابع التلمودية فى مناهج علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاخلاق وعلم الانثروبولوجيا وعلم مقارنة الأديان . ويتمثل فى طغيان المفهوم المادى ، الاقتصادى ، الجنسى ، على تفسير المجتمعات وتفسير التاريخ بهدف احتواء الامم واحتواء الثقافات .

وإذا نظرنا إلى تراث الفكر الغربى وجدناه مصبوغا بصبغة الاهواء ، غير خالص للحقيقة العليا . فقد ثبت أن قواعد ، مندل ، فى الوراثة غير محكمة ، وأن « مندل » لم يكن على علم بالآفاق الجديدة للطاقة التى أوشكت البشرية أن تستشرقها من بعد ، وأهمها البترول الذى كان ظهوره عاملا هاما فى قلب نظرية « مندل » والاطاحة بها . ولقد كانت صيحة أوروبا هى محاولة انقاص البشرية بالقضاء على الضعفاء محاولة ضالة ، فقد جفت فتها بنابيع السخاء البشرى عندما دعت إلى قتل العاجز أو تركه يموت دون أن تعمل على شفائه ، وكان أقصى تلك الصيحات القول بالقضاء على الزنوج لحساب شعوب أرق منهم ، وكان هذا تبريرا كاذبا للاستعمار والاستغلال ؛ لأن الأفوياء هم الذين يستعمرون ويقتلون الضعفاء ، وقد بين للباحثين أن رأى « دارون » فى تنازع البقاء الذى أخذت به الفلسفات الاستعمارية هو خطأ محض ، وأن التعاون مع الطبيعة أكبر أمرا من التنازع .

وكانت دعوة « نيتشه » دعوة ظالمة ومضللة فى نفس الوقت حين دعا إلى القضاء على العاجز أو تركه يموت دون العمل على شفائه ، وقد لقي نيتشه مصيرا مظلما غاية الظلام نتيجة دعوته التى اعتموها الاستعمار ميرورا لظلمه ، فقد عاش نحو

وهو في حنون يكاد يكون مطبقا ، إذ كان في الدور الأخير من السلفي ، وهو مرض لم يقعد جسمه فقط ، بل أمات ذهنه . وقد مات مغمورا ولم ترثه صحيفة واحدة ! !

ولم نذكره جامعة حتى بعثه اليهود من بعد ، وقالوا لقد رتبنا نجاحه كارتبوا نجاح دارون وغيره ، ولقد كانت كل كتابات الذين لمعوا - كانت بهدف تدمير المجتمع كان أبطال دستوفسكي شواذ ومرضى ، وجميع أبطال فرويد شواذ ومرضى . وكره نيتشه أوروبا لأنها اعتنقت المسيحية ، وكذبت التجربة قولة فرويد : بأن كظم الشهوة الجنسية يؤدي إلى اضطرابات الشخصية . وتبين فساد استغلال فرويد للأساطير وخاصة ما أطلق عليه « مركب أوديب » ، وهو أن الطفل يحب أمه حبا جنسيا ، ويمجد لذة جنسية في الرضاع !

ولقد روج سلامة موسى وطه حسين وغيرهم لهذه الكتابات ، وعاش التخريبيون ينقلون عن فرويد وماركس وسارتر تلك السموم لتدمير مجتمعتنا وفكرنا بها ، وإذا كان القرب دعا إلى هذه الآراء أو اعتنقها فلأنه لم يكن له منهج يهديه ، أما بالنسبة للمسلمين فإن الأمر جد مختلف كما قلنا . والله تعالى أعلم .

(١٧)

الأصالة

(١) دعوة القرن الخامس عشر هي الأصالة

(٢) الأصالة الإسلامية صحيحة مدوية

دعوة القرن الخامس عشر : هي الإصالة

إذا كانت دعوة العصر الماضي هي : التكيف ، :

فإن التأصيل هو دعوة هذا العصر بعد أن كشفت دعوة التكيف عن كثير من الاخطار وقليل من المعطيات. ذلك لأن التكيف يجب أن يكون خطوة تالية لتأصيل الذي يضع القاعدة الصحيحة لمراجعة التيارات الوافدة والنظر إليها ووزنها بميزان دقيق على قاعدة الحفاظ على الذاتية الاسلاميه وعدم التفريط في أى جزئية منها ، أو التضحية بها في مقابل وافدا . وأن تكون كل المعطيات الوافدة بمثابة مواد خام وأن تكون المعطيات العامية والمادية هي التي يراد صياغتها وتشكلونها في أطار المفهوم الأساسى ، أما أسلوب العيش القرنى بمختلف مفاهيمه وأساليبه وما يتصل به من فنون وآداب ومسرح فإنه معزول تماما ، ذلك لأنه يمثل نتاج ثقافى وعقيدة مختلفة عن عقيدتنا وثقافتنا واقد وضع المفكرون المسلمون منذ وقت بعيد القاعدة الذهبية في هذا : أن ينقل المسلمون ماديات الحضارة والعلوم ويشكلونها في داخل دائرة فكرهم وافتهم ويصبروها في أخلاقيات الاسلام وقيمونها على مفهومهم الجامع بين الروح والمادة فالمسلمون يؤمنون بالتقدم الجامع بين العنصرين وهم لا يضحون بالمعنويات من أجل الماديات ويرون أن التقدم المادى وحده لا يحقق هدف المجتمع الاسلامى الربانى الوجهة القائم على مفهوم مسئولية الفرد أمام الله تبارك وتعالى وأمانته في إقامة المجتمع الصحيح والتزامه الاخلاقى وقد دحض المفكرون المسلمون تلك للنظرية المسمومة التى روج لها طه حسين وحسين فوزى وغيرهم بالدعوة إلى تقبل الحضارة الغربية جملة : خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب وهي دعوة ضالة فهل قبل الغربيون في عصر النهضة الحضارة الاسلامية بمفاهيمها القائمة على التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الانسانى أم أنهم أخذوا معطياتها المادية وصبروها في أصولهم المسيحية واليونانية والرومانية .

ولا ريب أن دعوة العودة إلى الإصالة هي أساس الحركة الفكرية الاسلامية في مطالع القرن الخامس عشر الهجرى وهي ليست قيذا يعوق حركة التطور

والتقدم ولكنها علامة على تأكيد الذات والحرص على دعائم الشخصية الإسلامية حتى لا تنهار ولا ينصر في الأمية أو العالمية فتفقد ميزتها الوحيدة التي تميزها وهي التوحيد الخالص الذي لا يحمل لوائه في هذا العصر في العالم كله غير الإسلام أهله وهم الموكلون بإذاعة هذا الدين في العالمين وحمله إلى كل الأفاق .

ولقد مر المسلمون بالمراحل التي فرضت عليهم فيها — وإرادتهم مغسوبة — أسلوب الميش الغربي في الحكم والاقتصاد والاجتماع حين فرض عليهم القانون الوضعي وحين حجبت الشريعة الإسلامية عن العمل وحين سيطرت مدارس الارساليات على مناهج التعليم وقد مرت التجربة دون أن تجد تقبلاً حقيقياً أو تلتقي مع مشاعر المسلمين أو عواطفهم ، بل ظلت معارضة لفطرتهم ومضادة لطبيعتهم سواء في اتجاهها الرأسمالي اللبير إلى أو الاشتراكي الماركسي فقد رفض المجتمع الإسلامي كلا الأسلوبين في الفكر والحياة والحضارة جميعاً وتكشفت له بعد سنوات طويلة عمق الخدعة وضخامة المؤامرة وخطورة المحاولة التي كانت تستهدف استئصال وجوده والقضاء على كيانه وقد تبين له ذلك من خلال الهزيمة والنكبة والنكسة وتبين للغرب — بشقيه — استحالة احتواء الإسلام والمسلمين أو فرض حضارة مادية متعصية عليهم ، أو فرض أسلوب عيش معارض لمفاهيمهم وقيمهم ، وتكشف زيف كل دعاوى التغريب والشعوبية والاستشراق والتبشير من القول بحضارة واحدة ، أو فكر واحد وتأكيد أن الأمة الإسلامية وهي في أشد مراحل ضعفها لا يمكن أن يحتوى وأن الفكر الإسلامي له أصالته القادرة على تبين طريقه وإنبات حركته يقظته من داخله وتصميمه على الوقوف في وجه الانهيار أو الاحتواء ، وتبين فساد عبارات المواثمة والتكليف واشرايت الذاتية الإسلامية مرة أخرى قوية بفضل حركة اليقظة تلتهم أصالتها من منابها الأولى ، ولا يرى غيرها بديلاً ولذلك فإن مطالع القرن الخامس عشر الهجري تتميز بظاهرة الدعوة إلى التأسيس في كل مجالات الفكر : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية وقيام النهضة الإسلامية في إطار المفهوم الإسلامي الجامع بين الروح والمادة ، القائم على مفهوم الثوابت والمتغيرات والمتمس للمثل الأعلى الإسلامي في كل مجالات العمل ، في التعليم والتربية والثقافة ، مؤمناً بأن لكل حضارة (واسكل ثقافة) حضارتها المميزة المستمدة من عقيدتها وقيمها ، وهي في الإسلام واسعة الأفاق ، مرنة الأطر ، قادرة على تقبل كل صالح ونافع من تجارب الأمم ولكنها

لا تقبل بحال الانصار أو الاحتواء أو أن يفرض عليها ما يخرجها عن معدنها
الأصيل: القائم على التوحيد الخالص ، ولقد كان جهاد المسلمين قائما ومتداعيا على مدى
العصور في سبيل حماية هذه الذاتية .

ولقد صدق قول القائل : « إن الخطر المحدق بالامة الاسلامية لا يكمن في
السلاح الحديث الذي يمتلكه الأعداء أو الطائرات التي ترصد بها أو التفوق
التكنولوجي أو الالكتروني الذي يحيط بها من كل جانب بقدر ما يمكن في
الحرب الفكرى والمقائدى الذى يطلقه العدو ومن هنا جاءت الحرمة ، للنكسة ،

ولقد أكد الباحثون أن المسلم ملتزم في سبيل عقيدته : يسترخس كل شيء من
أجلها ، ولا تقاس المعارك بحساب الحياة والموت والخوف والخسائر .

ولقد رفض المسلمون الاستلاب الحضارى ، الذى يستهدف اقتلاعهم من تراثهم
الاسلامى وقيمهم القرآنية ، ويؤكد الاسلام ثقة المؤمنين بأنفسهم واستغفارهم
لمقاومة الظلم والحقف بدلا من الخضوع له ، ولقد تبين بوقائع التاريخ أنه من
الصعوبة أن يقبل المسلمون سيطرة أى أمة عليهم وهم يملكون ذلك التراث العريض
وهم لا يبيتون على العضم أزاء ما يجدونه من عمل الغريب والاستشراق على تزيف
هذا التراث وهدمه والتسلط عليه وبث السموم حوله ، وقد فشلت دعوى دعاة
الانصار التى رددتها طة حسين وغيره من أن مصر ليست شرقية ولا عربية بل
بل أنها غربية العقل ويجب أن نطل أوربية وكالت حركة اليقظة هى الرد الحقيقى
على هذه المؤامرة ، بحيث فرضت التماس المناهج الأولى ، والثبات على القيم الأساسية
والكشف عن خطر النظرية الغربية والنظرية الماركسية على الشخصية الاسلامية
وقد حملت لواء الدعوة إلى التذود باليقظة والحذر حتى تسد جميع المنافذ والمكوى
على كل منسلل يريد أن يبت سبومه بيننا .

الإصالة الإسلامية : صحيحة مدوية

أن الصيحة المدوية في أذان المسلمين اليوم هي الحفاظ على الخصائص والذاتية فهي مفتاح العودة إلى الإصالة ، وعودة الحضارة الإسلامية إلى العطاء ، ولقد تبين للمسلمين كذب وضلال وفساد كل دعوة تدعوم إلى الانصراف في الحضارة النازية أو الثقافة العالمية أو الفكر الأسمى بحجة أن هذا هو منطلق التقدم ، ذلك أن اكمل أمة أسلوب للتقدم والنهضة والمسلمون لا يمكنهم إلا إذا حافظوا على ذاتيتهم وكيانهم بل أن الذين يعلمون خصائص الأمم والحضارات يؤكدون بأن المسلمين إذا لم يقدروا على إبقاء الخصائص الحضارية المميزة لأممتهم فإن هذه الأرض لن تبقى أرضاً إسلامية ، ويقول واحد منهم : إذا أردنا أن نخلد في هذه البلاد حضارتنا وثقافتنا وتدوم مدينتنا ومنهج حياتنا فلن يتحقق هذا إلا بأن ننقل بأمانة ونزاهة مآثور ما وثناه عن أسلافنا من ميراث إلى أجيالنا القادمة ، بل نجعل أجيالنا القادمة كذلك تصلح لحل هذه الأمانة بكل كفاءة وشعور لتتمكن هي كذلك بدورها من نقل هذه الأمانة إلى ما يعقبها من الأجيال . أن الذي يتوقف عليه حياة شعب من الشعوب ويرجع إليه بقاءه واستمراره على المعمورة هو عنايته بأعداد جيل قادم على مستوى يجعله كفواً للمحافظة على شخصيته . أما إذا انصهرت أمة في بوتقة شخصية أخرى فإن معنى هذا أنها فقدت خصائصها ، ومعناه أيضاً أنها اندثرت وفنيت .

أن أعظم مهمة الأمة هي نقل تراثها الحضارة إلى الأجيال القادمة وأن تستمر عملية نقل التراث هذه على الأجيال ، هذه الحقيقة يجب أن نقف بازائها موقف التقدير الكامل ونجعلها كالنار أمام السفن العابرة في المحيط لتتهدى بها . وهذا هو مفهوم الإصالة الحق ومن حول هذا المعنى تذهب مدرسة تصحيح المفاهيم وتحرير القيم فتكشف زيف المفاهيم الوافدة وتحرير المصطلحات ، من التبعية والخضوع وتحرر مناهج التعلم العام والجامعي وما يلحق بها من مركز البحث العلمي من قيود التبعية الثقافية والتخلص من المصطلحات الأجنبية المعبرة عن تصورات ومصالح

أجنبيه غربية عن كيان الأمة الاسلاميه وعقائدها ومصالحها مع تأكيد أهمية الالتزام بمصطلحات نابعة من عقائد الأمة وتاريخها وتراثها وجوهر فكرها وشخصيتها الاسلاميه .

وفي هذا الاطار يجب الكشف عن زيف نظريات الاقتصاد الغربي والماركسي وزيف القانون الوضعي وزيف مناهج الثقافة والتربية والتعليم .

وعلينا أن نواجه تلك المحاولة الخطيرة التي ترمى إلى عزل عالمنا المعاصر تحت اسم الفكر العربي أو التاريخ العربي ، في محاولة لحجبه عن استمراريته المتصلة منذ فجر الاسلام إلى اليوم فهناك اليوم من يحاول تفسير معارك حطين والقدس ودمياط والمنصورة وعين جالوت التي وقعت مع الصليبين والفرنجية والتتار على أنها معارك صراع عربي أوروبي خلال المصور الوسطى وهو تصور خاطيء مضلل فإن هذه المحلات كلها قامت تحت اسم (الاسلام والغرب) .

وهناك محاولات تفسير التاريخ على أنه مصري أو عربي (اقليمي أو قومي) وهي محاولات مضللة فما كان لهذه الأمة الاسلامية إلا تاريخا واحدا متصلا ، وإذا كانت ايدولوجيات الغرب ومفاهيم الديمقراطية والليبرالية هي التي أوقعت المسلمين في النكبة واسلمت فلسطين للصهيونية العالمية فإن تجارب القومية العربية والماركسيه هي التي اثمرت نكسة ١٩٠٧ ، ومن ثم فإن المسلمين قد عرفوا اليوم طريقهم الوحيد الذي يحقق لهم وجودهم وهو شرعتهم ونظامهم الرباني الجامع ، أن محاربة فصل الدين عن السياسة وهي نظريه غريبه صنعها الغربيون للتحرر من سلطان الكنيسة وهم الذين فرضوها على العالم الاسلامي لعزل دينه عن مكان القيادة والتوجيه ، ولسكنها لم تجد تقبلا من الشعوب المسلمة ولم تستطع أن تحقق للمسلمين ما يتطلعون إليه من عدالة وسماحة ورحمة الاسلام وشرعيته ونظام الكفيل بتنظيم المجتمعات وتحريرها من الفساد والاضطراب والتزوق .

ولقد كان فصل الدين عن الدولة وإثارة دعوى القوميات والاقليميات هي المفتاح الذي حقق للصهيونية الوصول إلى فلسطين وكانت الخلافة الاسلاميه والنظام الاسلامي هي الحاجز القوي أمام تحقيق هذا الهدف الخطير ، ولقد عرفت الأمة الاسلاميه أنها لا تستطيع أن تتوقع في الاقليميات والقوميات ولكن طريقه الحقيقي

الإسلامية الجامعة وأنه - كما تقول لومند - أمام الوحف الإسلامي لم تعد القومية العربية تتمتع بالتأثير الذي كانت عليه منذ عشرة أو عشرين عاماً عندما كانت أى محاولة من المحاولات الوحشية تثير حماس الجماهير من الرباط حتى بغداد. إن تجربة القومية العربية الحديثة التي قادها البعث والناصرية وقننها ميشيل عفلق وساطع الحصري قد فشلت وأن العرب الآن يتجهون إلى التجمع مع المسلمين تحت لواء الوحدة والتضامن والأخاء الإسلامي وقد سقطت التجربة الماركسية الاشتراكية لأنها عجزت عن أن تحقق شيئاً.

أن تمايز الأمم وتباينها - كما يقول الدكتور محمد محمد حسين - مقصود لذاته لأنه هو الأصل في تمايز الأمم ودفع بعضها ببعض وهو من سنن الله الكبرى ، وإذا كانت النظريات الرياضية والتجريبية واحدة لا تختلف باختلاف الأمم فإن النظريات السلوكية التي تقن سلوك الفرد وسلوك الجماعة مختلفة متباينة تباين الأمم (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولو شاء الله لجمع الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) ويتميز المسلمون بالمقدار الذي يتمدوا فيه على قيمهم وعقيدتهم وطريق الاتحاد هو نظم يحيل تعدادهم إلى جسم واحد إذا اشكى منه عضو تداعى له سائر الجسد ومن طريق المخالفة لغيرهم الذي يصوتهم من الأدب والفناء في غيرهم وهذا واضح من قوله تعالى (وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فالآية تدعو المسلمين إلى الاجتماع عن طريق الإسلام من ناحية وبيناهم من ناحية أخرى عن اتباع طرق غير المسلمين لأنها تؤدي إلى تفرق جماعاتهم . ولقد انكشف المخطط الاستعماري الصهيوني الذي يدبر لتجميع الطابع المميز لشخصية الأمة الإسلامية تمهيداً لامتصاصها . والتجديد صفة لحركة إسلامية يمكن أن ترد جذته ليعود إلى صورته الصحيحة كما بدأ أولين في عنه ما شابه وخالفه ما انحرف به عن الجادة والإصلاح هو تخليص المجتمع الإسلامي من اعتراه من تهلل أدى إلى تخلف المسلمين ، هذا هو تجديد الإسلام وإصلاح المجتمع ، أما الخطر فهو تطوير الإسلام لأشكال الحضارة الغربية ومفاهيمها وتطوير المجتمع ليكون في نهاية المطاف صورة من صور المجتمعات الغربية ، أن النظم الجمهورية والديمقراطية التي تبدو في ظاهرها تأييداً لسلطة الشعب في اختيار قادتها وزعامتها كانت تستهدف في حقيقتها سيطرة اليهود بالتحكم في اختيار أولياتهم لهذه القيادات والزعامات واستبعاد أعدائهم وخصومهم منها بسميتهم على الرأي العام والانتخابات عن طريق السيطرة على

رموس الأموال ووسائل الإعلام ، هذا ومن ناحية أخرى فإن علينا أن نثق بأن جميع النظريات الوافدة التي ظهرت في البلاد الإسلامية هي مجموعة من النقائص حاولت أن تشكل بالمزج والتركيب نظرية ملفقة واضح منها التمهّل والصناعة ولذلك فهي لم تستطع أن تثبت طويلا لأنها ضد طبائع الأشياء وضد الفطرة ، وستسقط هذه التافهات التي تجمع القومية والماركسية والثورة ، أو التي تجمع الوحدة والحرية والاشتراكية وليس هناك أصلا من النظرة الإسلامية الأصلية الجامعة ، لقد فشلت هذه المسميات كلها في أن تعطي عطاء حقيقيا وكانت ميزة الإسلام أنه صنع وحدة الفكرة الجامعة التي تحول دون الصراع الفكري أو التمزق النفسي .

ولقد انتصر المسلمون في كل معارك الغزو بالمعنى الإسلامي لا بالمعنى القومي وكل قضايهم التي عالجوها بالمفهوم الوطني أو الإقليمي أو القومي لم تحقق نجاحا يذكر ، ذلك أن المفهوم الإسلامي هو الذي احتوى المغول وحولهم إلى حماة للإسلام ، في موقعة عين جالوت كانت صيحة « وإسلاما » وفي الحروب الصليبية برز عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين والظاهر بيبرس ، بل أن حركات التحرر من الاستعمار فإنها لم تنجح إلا عندما ارتكزت على الإسلام ويبدو ذلك واضحا في حرب التحرير الجزائرية وفي معركة العاشر من رمضان وكان قادة اليقظة والنهضة كلهم إسلاميون وكان غيرهم مشبهوهون دائما ، وكذلك كانت جمعية العلماء وابن باديس وأريطة السنوسية والأزهر الشريف والسلفيون في المغرب .

ويدرك اليهود وأنصارهم أن قضية فلسطين هي قضية إسلامية ولا بد أن تعود كذلك رغم كل ما يبذلونه لابقائها خارج دائرة الإسلام .

ومن هنا كان حرص أعداء الإسلام على إبعاد قضية فلسطين عن الحل الإسلامي ، باعتباره الخطر الحقيقي الذي يحطم وجود الصهيونية ويرصفه الصخرة الشامخة التي تدمر فوقها كل المطامع والمؤامرات .

ولقد ترددت كتابات كثيرة تتحدث عن معضلة التحدي الذي يواجهه العالم الإسلامي بين أصالته وعصريته وتلك مسألة يسيرة جد اليسر ، هو أن يلتمس

منهج الإسلام الصحيح عندئذ يأخذ بآخر اكتشافات العلم ومعطيات العصر وإنجازات صناعه والزراعة ليديرها في دائرة مفهومه للحضارة الانسانية : عدلا ورحمة وأخاء بشرياً وهو في نفس الوقت يحافظ على عناصر شخصيته ويبقى متمسكاً بخدوره لا يفرط في شيء منها فيقيم التقدم على معناه الجامع مغنوا وماديا ويهيئ المجتمع ليسير على سنن الله وشريعته ويدعو الانسان المسلم على أن يفهم رسالته وأمانته في بناء المجتمع الرباني لا أن يخضع هذا المجتمع لأهواء الحضارة وممومها وفسادها . إن رسالة الله الحق هي الاطار الذي يجب أن تتحرك فيه الأمم والمجتمعات والحضارات تحمل حلاله وتحرم حرامه وتقيم حدوده وضوابطه حتى تستقيم على أمر الله وحتى يفتح الله لها بركات من السماء وتشهد اليشريعة مرة أخرى منهج الله مطبقاً والمجتمع الرباني قائماً على وجه الأرض يعز عزيزاً ويذل ذليلاً وأنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً .

(١٨)

الذاتية الإسلامية

١ - تأصيل ذاتية الأمة الإسلامية

٢ - الإسلام والغرب

تأصيل ذاتية الأمة الإسلامية

لا ريب أن أبرز معالم حركة ايقظة الإسلامية في مطلع القرن الخامس عشر هي محاولة التأصيل الواسعة التي تطرح نفسها بقوة في أفق الفكر الإسلامي لتحرير الحقائق وتصحيح المفاهيم وكشف الزيف ودخس النظريات الباطلة وتقويض ذلك المخطط الاستشراق التبشيري التغريبي الذي رسمته مؤسسات الغزو الثقافي في الجبهات الثلاث : غربية وماركسية وصهيونية ولكل منها أهداف وقضايا ووجهات نظر وكلها توجه إلى الإسلام برسوله وتاريخه ولغته وتحاول أن تنال من « ذاتية الاسلام » الخاصة المتميزة التي تختلف في جوهرها ومظهرها عن تفسيرات الأديان والأيدولوجيات المتعددة .

وتصل حركة التأصيل اليوم إلى أبعاد مختلفة ، ولا تقف عند مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، بل تتعدى ذلك إلى كل مجال من مجالات الحضارة والآداب والتعليم والثقافة إلى أن تصل إلى فن المعماري أيضاً في سبيل إحياء أسلوب العمارة الإسلامية بعد أن طفت ظاهرة العمارة الغربية كجزء من خطة التغريب التي تهدف إلى تقبل الوافد في كل مجال دون تقدير لوجوه الحاجة والمنفعة والمظهر الجمالي وهوية الشخصية العربية الإسلامية المتمسكة بتراثها الحريصة على وجودها الخالص .

ولقد كانت محاولة ضرب ذاتية الاسلام والأمة الإسلامية هدفاً قديماً من أهداف الغزو والتغريب لصهر المسلمين وفكرهم في بوقفة الفكر الأعمى والوثني والمادي العالمي وكان جهاد الأبرار من أعلام الاسلام منصبا على الحفاظ على هذه الشخصية الإسلامية القائمة على التوحيد الخالص أساساً والتي تختلف به وتقبان مع مختلف شخصيات الأمم الأخرى .

ولقد كانت محاولات الغرب في إعلاء حضارته الادعاء بأن هناك حضارة

واحدة ، وأن الحضارة الإسلامية جزء منها وقد ثبت فساد هذا الرأي تماما كذلك فقد حاول الغرب في صاف واستعلاء فرض منهج للتاريخ على العالم قوامه التاريخ الغربى وعمد إلى تقسيم العصور التاريخية تقسيما مستمداً من ظروفه وأوضاعه فأذاع فكرة العصور الوسطى وحاول أن يعمدها على البشرية كلها وتجاهل أن العالم الإسلامى إبان العصور الوسطى الأوروبية المظلمة ظل ينشر للضياء والعلم على العالم ألف سنة كاملة ، وكذلك من أخطائهم تقسيم شعوب العالم إلى فئات وأجناس عليا وأحناس دنيا وقالوا إن تخلف الأمم يرجع إلى أسباب عقلية وخصائص أصيلة فى عقلية تلك الأمم وقد أثبت البحث العلمى المنزه من الأهواء أن تركيب النجمى الذى يعيش فى أحراش أفريقيا واستعداداته الذهنية هى بنفس القدر ما ركب منها فى عقل الرجل الأبيض الذى يعيش فى نيويورك ولكن الفارق هو الأدوات والعوامل والظروف التى أتاحت لأحدهما أن يمل و ينتج بينما عجزت بيئة الآخر أن تحقق له هذه الفرصة .

واقعد أحييت الحضارة الغربية مفهوم الاستعلاء العنصرى ، والتفوق العرقى ، لتبرر استعمارها واستعبادها للشعوب الآسيوية والأفريقية وهى فى هذا لم تختر عن مفهوم الإمبراطورية الرومانية القديم : روما ساره وما حولها من هبيد .

لقد أخذت الحضارة الغربية مفهوم العبودية القديم الذى عرفته حضارات الفرس والفرعنة والرومان وحاولت أن تضعه فى صيغة براقة ولكنها فى أعماقها ما تزال تنظر إلى الأجناس الملونة نظرة الاحتقار .

كما تنظر إلى ما سوى الفكر الغربى المادى الوثنى المستمد من الفكر اليونانى والرومانى نظرة انتفاص ، ولا تحاول أن تكون منصفة فى نظرتها إليه أو إلى أهله مع أن الفكر الإسلامى قدم لها تلك الأرضية التى قامت عليها الحضارة الأوروبية الحديثة وهو المنهج التجريبى فضلا عن عطائه فى مجال الاقتصاد والاجتماع والتربية وأما الغرب فإنه حجب عن المسلمين كل أسباب القوة فى حضارته وعلومه ، بل إنه حجب عنهم تراثهم الذى سرقه من مكتباتهم ومساجدهم حتى لا يستطيعون به أن يمدوا حضارتهم بما يمكنها من العطاء .

ولقد تعددت محاولات الغرب في - حصار الفكر الإسلامى واحتوائه والعمل على هدمه وتزييف وجه الإسلام الناصح ، وتم ذلك عن طريق :

أولاً : أكاذيب الاستشراق .

ثانياً : مؤمرات التبشير .

ثالثاً : محاولات التغريب .

رابعاً : دعاوى الحوار .

خامساً : مناورات الشعوبية .

سادساً : بيع الفكر الوثنى والباطنى والاباحى القديم وترجمة الفكر الوافد والهدف من هذا تحقيق غايات واضحة منها :

١ - محاولة هدم مشروعية الجهاد وتأويله تأويلاً يخرج به عن طابعه الذى قام عليه الإسلام ، وهو مضى الجهاد إلى يوم القيامة وما يتصل بذلك من إعداد المسلمين للقتال والمرابطة والتأهب لكل محاولات الغزو .

٢ - محاولة هدم ترابط الدين والدولة بدعوى أن الإسلام دين عبادى وإنكار طابع النظام الجامع للمجتمع والدولة الذى قام عليه الإسلام وطبقه خلال أربعة عشر عاماً .

٣ - محاولة انتفاص الشريعة الإسلامية واتهامها بأنها شريعة صحراوية ، أو أنها جاءت لعصر أو لبيئة مختلفة إنكاراً للربانية الشريعة وإنسانيتها وصلاحتها لكل البيئات والمصور .

٤ - محاولة التشكيك فى التاريخ الإسلامى وسيرة الرسول واللغة العربية الفصحى بقصد إثارة روح الانتفاض من أمل الإسلام لتاريخهم ودينهم وانتمهم .

٥ - محاولة تصوير الأديان كلها على أنها متلاقية وأن الخلافات التى بينها هى فى مسائل فرعية وأكاديمية وذلك لانتفاص ذاتية الإسلام وتفرد به بخاصية التوحيد الخالص وتكامل الدين والدولة .

٦ - محاولة تمزيق الوحدة الإسلامية بإثارة روح العصبية ودعوات الأقلية والقومية وتفكيك الجماعة القائمة على أن الإسلام جنسية وأن كل أرض بها مسلم هي أرض إسلامية .

ولذلك ومن أجل هذا كله فإننا مدعون إلى تأصيل القيم العليا التي قدمها لنا هذا الدين الحق والتي هي أساس وجودنا ومقاومة الدعوات الضارة والهدامة وخاصة تلك التي تدعو إلى نبذ الماضي والتراث الإسلامي ، وإحياء الفلكلور والتراث الوثني والجهلي والفرعوني الذي قضى عليه الإسلام ، والتي تدعو إلى مهاجمة الشعر العربي والفصاحة العربية والخطابة بالدعوة إلى إحياء لغة وسطى وإحياء العاميات فإن هذه الدعوات ترمى إلى الفصل بين مستوى ثقافة الأمة وبين مستوى بلاغة القرآن ولسنا ضد الانفتاح أو الاقتباس ولكن على قاعدتنا الأساسية : وهي أن نعرض ذلك على قيمنا ومناهجنا فلا نقبل ما يعارضها وقد بين الباحثون المنصفون أن لكل دعوة من هذه الدعوات محاذيرها فإنها قد تؤدي إلى تقبل النواقص التي يشكو منها أهلها ويسعون لإزالتها ، كذلك فإن هناك خطر العمل على حجب الثقافة الإسلامية عن طابعها المميز لها وعزلها والدعوة إلى ثقافة عربية حديثة مرتبطة بالفكر العربي مع تجاهل كل ما يتصل بتاريخ ثلاثة عشر قرناً ، أن الأخذ من الغير مقيد بشرطين : الأول أن لا نأخذ المناهج ولكن نأخذ الأساليب والثاني أن لا نتجاوز طوابعنا وأصالتنا وقد كان ذلك شأن الأبرار من أسلافنا ، فقد وفدت على البلاد الإسلامية دعوات ودعوات ولكنها لم تستطع أن تصهر الأصالة الإسلامية ، وقد تميزت الثقافة الإسلامية بأنها لم تعرف التجزئة ولا الانشطارية ولا ذلك الانفصال بين المادى والمعنوى ، وبين العلم والدين ، وبين الدنيا والآخرة ، وأن الفكر الإسلامي قادر على تجديد وضعه إذا انحرف عن المنهج الصحيح ، بالعودة إلى منابع . وهو مؤهل اليوم لهذه الغاية ، فالحضارة الإسلامية التي توقفت عن العطاء تعود مرة أخرى لتجدد شبابها بفهم القرآن والسنة وتتودى دورها في دورة جديدة بعد أن أقدمت للإنسانية لمدة ألف عام شمع النور والإيمان ، وكذلك فإن الحضارة الأوروبية تغرب بينما تشرق مفاهيم الإسلام ، وتلك حتمية الحضارة التي خرجت عن

الفطرة وعن سنن الله في الكون والتي انحرفت إلى المادية والاباحية وقد وصلت بتقدير الباحثين من أهلها إلى مرحلة التربية وإن تأخر بها السقوط ثمة .

والفكر الاسلامي المتجدد يفهم القانون الاساسي للحركة داخل إطار الثبات ويقيم قاعدة الموازنة بين القيم وبين الثبات والتعبير ، ولا يجرى وراء خداع صيحة التغيير المندفعة العشوائية ، حتى لا يقضى على الجوهر الثابت ، ولو انهم هذا الأسلوب بالمجود أو المحافظة ذلك أنه من الحرص على الجوهر القائم الاصيل .

والفكر الإسلامي المتجدد يؤمن بأن أى إصلاح اجتماعي لا يمدى بدون والالتزام الأخلاقي ، فلا بد أن يتمسك المسلمون بقيمهم المعنوية والروحية والأخلاق في مواجهه ارتفاع موجهه الاندفاع إلى الاستهلاك والترف واستعلاء الاستمتاع المادى فان الحضارات لا يسقطها إلا الترف والتحلل من الأخلاق الكريمة والعصبية ، والظلم وبذلك سقطت حضارة اليونان والرومان والفرس بل إن من قاعدة النصر أن يتحول المجتمع من الانانية إلى الغيرية ومن الشراة الى انكار الذات . ويتحتم انقاذ الاقتصاد الاسلامي من برائن الربا حتى يظهر من هذا الاثم الذى حرمة الحق قبارك وتعالى ويمكن تغيير النظام القائم في المصارف الى نظام المشاركة في أرباح القروض .

وعلى المسلمين أن يحرروا مواريتهم الحضارية التى أفاء الله عليهم من الاحقاد والاطماع التى صلبها عليهم أعدائهم وأن يدركوا أن طبيعة أعدائهم تدفعهم الى أن يتآمروا على الاسلام كي يقضوا عليه وقد سجل القرآن هذا المعنى (ود كثيرأ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارأ حسداً من عند أنفسهم) .

وعلى الفكر الاسلامي أن يقاوم الموجه المادية الالحادية التى تتسكن الايمان بالله الخالق وما يتصل بها من التفسير المادى للتاريخ وأن لا يحصر الانسان حياته فى مسائل العيش المادى وجدما ، وهو المكلف بحمل أمانة بناء المجتمع الربانى .

الإسلام والغرب

حاول الغرب في زحفه الاستعماري على عالم الإسلام أن يحقق هدفاً أساسياً عاش في أعماق النفس الغربية أكثر من ثمانمائة عام حتى عبر عن ذلك اللورد الليني حين دخلت قوات الاحتلال سوريا بقواته المشهورة : الآن انتهت الحروب الصليبية وذلك أن الغرب حين زحف ظلماً وعدواناً للسيطرة على بيت المقدس تحت اسم الحروب الصليبية التي استمرت قرنين كاملين لم يستطع أن يحقق هدفه في السيطرة على بلاد الإسلام فقد عاش حياة المقاومة المتصلة من أهل البلاد حتى انتهى هذا الوجود إلى مزيعة كاملة اضطرت لفلول المحاربين الصليبيين إلى العودة إلى بلادهم . ولم تلبث موجة المد الإسلامي أن تعالت فاقنحم الممانيون قارة أوروبا ووصلوا إلى أسوار فيينا مرتين وسيطروا على البلقان أربعة قرون كاملة ، كانت أبعد أثراً وأعمق تأثيراً في النفس الغربية حتى ضعفت القوة الإسلامية وجاءت الموجة الغربية للسيطرة على هذه البلاد . ومن هنا فقد كان الهدف الأكبر للنفوذ الغربي : هو قطع الجذور الأساسية لهذه القوة التي سيطرت على أوروبا من ناحية آسيا الصغرى أربعة قرون ومن هنا لم يكن الاستثمار العسكري والسياسي في نظر الغرب كافياً وإنما كانت هناك محاور للقضاء على مقومات القوة والقدرة التي تمكن هذا العالم الإسلامي من امتلاك إرادته مرة أخرى ، ومن هنا كانت محاولة التغريب والغزو العسكري هي العمل الأساسي الذي يرمى إلى تجريد الإسلام من مقوماته الحقيقية التي تعطي أمته هذه القدرة على المقاومة والصمود والعودة إلى السيطرة مرة أخرى وهو ما أطلق عليه عبارة «حرب السمكة» وهو العمل الذي حاولته مؤسسات التبشير والاسقشراق ، والتي استهدفت التركيز على عوامل معينة منها تزيف مفهوم الجهاد في الإسلام ، وفصل الدين عن الدولة ، والقضاء على النظام الإسلامي القائم على تطبيق الشريعة الإسلامية ، وإزالة الشبهات حول العقيدة والقرآن والتاريخ واللغة وسيرة الرسول الكريم .

وكانت عملية طرح مفاهيم الفكر الغربي في أفق الفكر الاسلامي وتوسيع دائرة اللغات الأجنبية وإحياء العاميات واستقدام المستشرقين وإرسال البعثات إلى الغرب كلها من العوامل والأدوات التي تستهدف إقامة ، جيل ، وأجيال من أهل التبعية والخضوع لمفهوم الاسلام على أنه دين عبادة والاعتزاز بالبطولات والابجاد الغربية والتشكر للقيم الاسلامية والغرض من قدر تاريخ الاسلام .

ومن هنا بدأ ما أطلق عليه الممركة بين الشاطئين : الشرق والغرب خاصة ميراث الفلسفة اليونانية والوثنية والمادية والفكر البشري .

وكان اللقاء الغربي لعالم الشرق الاسلامي مختلفاً عن اللقاء الاسلامي لعالم الغرب فقد قدم المسلمون خلاصة تجاربهم وعلومهم في الأندلس وجزيرة صقلية دون أن يجبروها عن أردادها هذه الأصول التي أقام عليها الغرب حضارته الحديثة . أما الغرب فقد ادعى زمناً طويلاً أنه لم يأخذ من المسلمين إلا الفلسفة اليونانية وعمل خلال فترة التقائه بعالم الاسلام على أن يحجب عن المسلمين تطورات العلوم والتجارب كلها وأن لا يقدم للمسلمين إلا أدوات الاستهلاك مع الجوانب الفاسدة من حضارته التي تتصل بالترف وأدوات الزينة والرفض والتحلل ، بعد أن مهد لها بالقوانين الوضعية التي دمرت المجتمع الاسلامي وأصابته بالادواء . لقد حرص الغرب أن يقدم للمسلمين شبهات الفلسفة وأن يجيى فيهم الفكر الباطني والوطني وشمر الماكنين وموفقات الاباحية والافساد أمثال أفيلية والاغانى ورسائل إخوان الصفا .

يقول الفريد كانتول سميت : إن الغرب كان ولا يزال يخاف القوة المعنوية الكامنة في عالم الاسلام الذي تجمعه وحدة التوحيد الحالم ، يخاف هذه القوة ويخشاهما ويعمل منذ سنوات بعيدة على سحقها والقضاء عليها وتزيقها وبعث الخلاف والفرقة والصراع والخصومة والتناحر بين أجزائها . ولعل حماة الغرب في مقاومة هذه القوة هو الذي دفعها على الالتقاء والتوحد والتجمع في كتلة واحدة . ويقول : لم يستطع الغربيون خلال هذه المدة الطويلة أن يكسبوا ود المسلمين بل حصلوا على شعور اجتماعي بالانتقاص عليه : هم ومن حاول أن يعينهم داخل أرض الاسلام ، زاد هذه الكراهية قوة أن الغرب استعمل عمليات التبشير والتغريب والغزو الثقافي وسيلة للاذلال إلى جوار السيطرة الاقتصادية والمالية :

وكان شعور القسوة والعنف والحقد والتمصّب واضحا في الغرب أراء كل
ما هو عربي وإسلامي، وآية ذلك حرق المجلدات الإسلامية في ساحات مدينة قرطبة
وتجميع الغرب كله لاختراع المسلمين من أوروبا : الفاتيكان وإيطاليا والفرنجة
والجرمان والاسكوت . كل القوى تضافرت من ناحية الأندلس ثم تضافرت من
ناحية البلقان ، وجاء رجالهم ليقولوا : اليوم انتهت الحروب الصليبية .

لقد حرص الغرب بمختلف الوسائل وزهزعه هذه العقائد وتحطيم القوة التي
مكتسبهم من الحياة والمقاومة خلال أربعة عشر قرنا .

بل إن المؤرخين أثبتوا أن انتصار أوروبا على المسلمين في بلاط الشهداء لم
يكن انتصاراً حقيقياً ولكنه كان في تقدير الباحثين بمثابة صدل الحضارة الإسلامية من
أن تدخل أوروبا سبعة قرون كاملة .

وقد أكد الباحثون الغربيون المصنفون حقيقين : حقيقة أن الغرب تعلم من
المسلمين وأن الغرب لم يعترف بالجميل .

يقول منشو المؤرخ الإنجليزي : خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين
فاذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أقانين العلم والمعرفة . وقد نهج أشباه
الهمج من مقاتلة الصليبيين عن مارأوا الكفار الذين ينكرون من الناحية اللاهوتية من
من ديانتهم على حضارة دنيوية ترجح حضارتهم رجحا نالا تصح منه المقارنة بينهما .

وقال جيمس برستد : إن العصر الإسلامي في أسبانيا كان أكبر عامل من
عوامل المدنية في أوروبا وأن انحذال المسلمين في أسبانيا كان بمثابة انحذال المدنية أمام
الهمجية ولكن بدأ الغرب في صورته غير المعترف بالجميل وغير المنصف للحقيقة
العلمية أو التاريخية . وكان في مفهوم ثقافته لا يرغب إلا في السيطرة ولا يرى
العدل والحرية إلا للجنس الأبيض .

ويقول الأستاذ محمد يحيى الهاشمي معلقا على هذا المعقوق :

إن انجلترا لأنها كانت تعادى الأتراك بحثت عن خصوم شرقيين لهم فلم تجد
إلا الصغويين التي كانت بينها وبين العثمانيين حروب اكتست بلباس الدين
لأن الصغويين شيعة أمامية العثمانيون فهم سنة حنفية، لذلك ترددت السقرا بين الصغويين
والانجليز واستعان بهم الصغويون على تنظيم جيوشهم فيما بعد :

تقول جان بول رو في كتابة الإسلام والغرب : كانت خريطة العالم الغربي ترسم انذاك أوربا: أرض المسيحية يجب أن تبقى مسيحية بكاملها وأفريقيا أرض الاسلام يجب أن تكون ملجأ للمسلمين ويجب أن توضع تحت الحماية ولم تكن الغرب في استطالته وتعاليمه يملك بعد الفكر الإسلامى إلا شذرات مضطربة من الفكر اليهودى والمسيحى المضطرب والفكر الاغريقى الوثنى .

وكانت اليهودية قد تأثرت كما يقول الأستاذ الهاشمى بالتفكير البابلى القديم فالتوراة لم يمكن جميعها إلا بعد موسى بنحو سبعمائة عام واستغرق تأليفها وجمعها زماناً طويلاً جداً تعرضت خلاله للزيادة والنقص والتغيير والتبديل وقال فولدك : أنه من المصير أن تجد جملة متكاملة في التوراة مما جاء عن موسى : إن التوراة لم تدون في عهده ولا في الجيل الذى رآه أما المسيحية فقد اهتمت بالإنسان نفسه مفصولاً عن المجتمع كما يقول ارثولده تونبى ، وقد فصلت أوربا الدين عن الدولة فنتيجة لتاريخ طويل من تهميز الكنيسة التي فرضت الظلم والتخاف باسم الدين فالجأها إلى الأيدولوجيات فاهـتبدلت أوربا بالدين فكراً بشرياً ولقد أسلمت الشعوب المسيحية قيادتها إلى الأيدولوجيات لأن الدين المسيحى لم يستطيع أن يعمدها بالبناء الفكرى الكامل الذى يستطيع أن يفسر الأوضاع الاجتماعية وأن يمنحها الأمل والمثل الأعلى في مستقبلها ولكن في الاسلام الأمر غير ذلك ،

وهكذا نجد أن الغرب بمحصوله القليل واستغلاله يحاول السيطرة على العالم الاسلامى واحتوائه ويعمل أولاً قبل كل شئ على محو شخصيته وذاتيته والعوامل التى تجعله متفرداً بطابع خاص تحت اسم الدعوة الزائفة إلى وحده الحضارة أو وحدة الثقافة وما هي في الحقيقة إلا السيطرة على ثقافة الإسلام والقضاء عليها .

يقول ولفرد كاثول سميت : لقد عجز الغرب عن تحويل نظرة الكراهية إلى نظرة تقدير ولذلك فقد ووجه بنظرة الحذر والشك من عالم الاسلام :

إن محاولة الغرب لدراسة الفكر الاسلامى عن طريق الاستشراق ليست خالصة العلم ولكن من أجل أمرين :

(أولاً) معرفة النفس الإسلامية للسيطرة عليها من جوانب ضعفها .

(ثانياً) القضاء على المقومات التى تعطى هذه الأمة القدرة على المقاومة

أو الوقوف كشخصية مستقلة غير قابلة للانصهار في الفكر الغربى العالمى أو الحضارة عالمية .

(١٩)

الوقوف في وجه التغريب

(١) تجربتان لتغريب الاسلام

(٢) محاولة تغريبية جديدة

تجربتان لتغريب الإسلام

كانت تركيا هي « بؤرة » التجربة التي قام بها النفوذ الاجنبي لتغريب الإسلام وكانت تجربة تغريب تركيا هي النموذج التي حاولت قوى الغزو الثقافي تقديمه للعالم الإسلامي للبلاد العربية وكانت حركة التغريب في مصر ضالعة في هذا ، محتفية أشداً احتفاء بهذه التجربة المسمومة بل أن خيوطها جميعها كانت مرتبطة . فدور كايم الذي كان أستاذ ضياء جوك آلپ قائد التغريب في جامعة أنقرة هو الذي كان أستاذ طه حسين قائد التغريب في جامعة القاهرة وكانت الدعوة إلى الطوارنة في تركيا هي الدعوة إلى الفرعونية في مصر ، أو على الأقل الدعوة إلى التركية هي الدعوة إلى المصرية المفرغة من العروبة ومن الإسلام ، وفي تركيا كانت الدعوة إلى الحروف اللاتينية وفي مصر كانت الدعوة إلى العامية والحروف اللاتينية أيضاً .

وجرى طه حسين على الدعوة إلى دراسة الفلسفة ومقارنات الأديان في كلية الآداب على نفس النمط الذي كان يجرى في كلية آداب جامعة استانبول ، وكانت الدعوة إلى ترجمة آثار فولتير وروسو في مصر هي نفس الدعوة في تركيا وكذلك كان محاولة القول بأن الإسلام هو دين لاهوتي خاص بالعبادات هي الدعوة التي قادها طه حسين وعلى عبدالرازق في مصر كما قادها مدحت وجاك آلپ في تركيا .

ويمكن القول بأن نفس التجربة تمت في إيران : تغريب تركيا ، تغريب إيران ، ويرد (ت - كويليزيخ في بحثه عن تفاعل الفكر الاسلامي بالفكر الغربي في إيران) ذلك إلى مقام الامبراطورية الصفوية في القرنين ١٦ ، ١٧ حيث بدأ التفكير الغربي يتسرب إلى داخل إيران الجديد ، هذا العصر الذي انعزلت فيه إيران عن عالم الناطقين بالعربية وباتخاذ المذهب الشيعي مذهب رسمياً للإيرانيين مما نتج عنه وقوع اصطدام بين الصفويين والعثمانيين ومن هنا بدأت عزلة إيران عن المجتمع الاسلامي واتسع نفوذ الغرب وكان

الصفويون وعلى الأخص عباس الأكبر يكرمون وفادة الأوروبيين من رجال السياسة والعسكرية والتجارة والثقافة .

ونعتقد أن إيران قد سقطت في هذه الفترة في برائن النفوذ الغربى الذى أراد أن يحول دون وحدة العالم الإسلامى وأن يمزقه بالحلاف والصراع والحروب المتوالية على النحو الذى حدث بين تركيا وإيران .

ثم جاءت المرحلة الثانية عند ما تولى رضا شاه بهلوى (١٩٢٦ - ١٩٤١) حيث بدأت عمليات التوسع فى إنشاء المدارس الإرسالية والتبشير ، واتخاذ أسلوب التغريب والعلمانية وتغريب إيران على النحو الذى قام به كال أقاتورك فى تركيا وتصارعت قوى نفوذ الثقافات الأمريكية والإنجليزية وكانت الغلبة للثقافة الفرنسية وكان الفرنسيون قد فتحوا أول مدرسة لهم فى تبريز ١٨٣٩ وكانت المعاهد الفرنسية هى الرائد الأول الذى أمد إيران بعلوم الغرب وأفكاره على حد تعبير كوبلنزيح حيث لم تطل سيادة الثقافة الفرنسية بل برزت لها الثقافة الأمريكية وزادت حدة التنافس بين الثقافتين بصفه ملحوظة بعد الحرب الأولى ، وتحدث كوبلنزيح عن البهائية وتفشيها فى إيران ومدى علاقاتها بالتفكير الغربى وقال لقد وجد بهاء الله فى الثقافة الغربية ما يلائم منطقته ويتفق مع مذهبه .

وتحدث عن هذه الحركة العلمانية وكيف قادها رضا بهلوى وباركها التغريب لإيران وكيف ألغى الحجاب وأشاع الوى الغربى ، ووضع قانون مدنى على غرار قانون نابليون وفرضت القيود على احتفالات الشيعة بشهر محرم ففقد الناس حماسهم لها وانصرفوا عنها .

وكان هدى أمثال ضياكوك آلب من المفكرين هو المثل الأعلى المسيحى ، والمادى ، وفكر دوركايم وبرجسون والقانون الوضعى السويسرى ، وهى محاولة للقضاء على الشريعة الإسلامية على مراحل وبخطوات ماكرة ، ولم تكن هذه الحركة التى تهدف ظاهريا إلى التوفيق بين الدين والعلم إلا مسرحية فاشلة ذلك لأن أول قاعدة تدمرها هى أن الإسلام ليس ديناً بمفهوم المسيحية فى الغرب ولم يكن بينه وبين العلم أى صراع ، وإن قضية الصراع بين الدين والعلم هى

فضية غربية مسيحية محضة ، ولم يكن في الاسلام في الحقيقة رجل دين واسكن
عالم دين ولم تكن هناك حكومة بشوقراطية في تاريخ الاسلام مطلقا على النحو
الذي عرفته أوروبا .

يقول عبد الحق عدنان : في هذا العصر ساد الفكر الغربي والفلسفة الوضعية
الغربية بقوة الحكومة وتحول الأمر فأصبح (لا دينية تفرضها الإدارة) بعد
أن كان حركة فكرية وقد عبر (المسقشوق حب) عن هذا المعنى حين قال : (أن
تركيا أصبحت ضريحا للفلسفة الوضعية) .

ونحن نعلم أن حركة الاتحاد والترقي كانت ضالعة في الفلسفة الوضعية مشتركة
في مقررات المحافل الماسونية وكلها تهدف إلى « لا دينية » واضحة في بناء المجتمع
التركي الجديد القائم على أنقاض الخلافة الاسلامية والدولة الاسلامية الاولى
في تطبيق التشريع الاسلامي .

يقول عن الحق عدنان : وقد شب جيل من الأتراك لم يتلق تعليما دينيا ترعاه
الدولة بل فرضت عليه الوضعية الغربية بنفس العنف وعدم التسامح وحلت
في تركيا ثقافة محل أخرى ، إنه خضوع كامل لثقافة الغرب ومن ثم لا يمكن أن
نقول يتفاعل الثقافتين الغربية والاسلامية في تركيا في وقت من الاوقات .

وفرض الشاه ارادته على رجال الدين الذين وقفوا في وجهه (التغريب)
والذي يسميه حركة التحرير . ونحن نعرف كيف تابع محمد رضا بهلوي خطوات
التغريب وتوسع فيها على النحو الذي بلغته ثم كيف سقطت هذه المحاولة لأنها
كانت ضد الفطرة وضد جذور الاسلام المعينة في التربة ، وكذلك الأمر في تركيا
لتي عارضت على مدى خمسين عاما تغريبها وعلافيها صوت الاسلام مرة أخرى .

أما في العالم العربي فإنه استطاع بالرغم من كل المحاولات والامارات أن يحتفظ
بذاتية الاسلامية لأنه هو الذي حمل رسالة القرآن ودعوة الإسلام منذ اليوم الاول
ذلك لأن دعوة اليقظة الإسلامية قد انطلقت في قوة على أمر سقوط الخلافة
الاسلامية حاملة لواء تصحيح المفاهيم والكشف عن الحقيقة الجوهرية التي حاول
النفوذ الغربي والتغريب خداع المسلمين عنها وهي القول بأن الاسلام دين عبادي بعد أن

حجب شريعته عن التطبيق ونظامه الاقتصادي وأحل بدلا منها قانونا وضعيا ونظاما
وبويا كما حجب نظام التربية الإسلامية حيث فرض نظامه الملأى على التعليم ونظامه
المأدى على التربية والمجتمع .

ولقد واجهه التخریب البلاد العربية بالدعوة الإقليمية والقومية الغربية ،
إلى جانب النظام العربى السياسى وخضعت البلاد العربية والإسلامية إلى هذه
التنظييات ولكنها لم يفعل بها ولم تستسلم لها وسرعان ما تبين لها فساد هذه
الایدولوجيات وعجزها عن تحقيق أشواق النفس العربية الإسلامية التى صاغها
القرآن وقامت على التوحيد الحالص ولذلك فهمى سرعان ما عرفت مدى الخطر
الذى يهددها ومدى إبعاد المؤامرة التى فرضت عليها باسم اعتناق أسلوب
العيش الغربى .

وتساقطت كأوراق الخريف دعاوى التخریبیین فى القول بحضارة البحر المتوسط
وفرعونية مصر وتشكك المسلمون فى دعاوى الربط بين جديد الغرب وقديم
الإسلام ، أو مفهوم العلمانية أو الماديه أو الفكر الوثنى فى مجال العلوم الاجتماعية
وغيرها أو تقبل الحضارة الغربية حلولها وممرها ، وتبين أن حاجة المسلمين هى
العلوم التجريبية وحدها وكان تدريس العلوم المدنية فى برامج المدارس فى مصر
وتركيا واحداً وكلاهما يرمى إلى خلق ذهنية لادينية بتدريس دارون وفرويد
ودوركايم وحجب مفهوم الإسلام وكانت الثقافة وكان التعليم يهدفان إلى إيجاد
ثنائية ترمى إلى فرض مدنية الغرب على أساس مفاهيم الإسلام كدين وليس
كحضارة وبذلك يتلاشى إزاء أسلوب العيش الغربى وكانت هناك دعوة مشيومة
تقول بالجمع بين حاضر الغرب وماضى الإسلام فان ذلك من شأنه أن يؤدى إلى
ذوال الطابع الإسلامى شيئاً فشيئاً إزاء غلبة بريق العصر ومفاهيمه التى تعارض
مفهوم الإسلام للصحيح ولقد استطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن تقدم ميزاناً
أكبر حمقا وصدقا من هذا الميزان وهو عرض التراث القديم وعرض الحاجز
المعاصر كلاهما على قاعدة الإسلام بمفهومه الجامع ومنهج حياة ونظام مجتمع ،
أما أخذ العلوم والفنون المادية بأرضيتها الغربية فان ذلك من شأنه أن يزيل طابع
الخصبة الإسلامية الذى هو الميزة الوحيدة للوجود الإسلامى فى الأمة ولا بد

من أن نأخذ العلوم في إطار مفهومنا الاسلامى ولغتنا العربية أما الفنون المادية فعلينا أن نحافظ على مفهوم الاسلام للفنون والآداب وهو يقوم على أساس مسؤولية الإنسان والتزامه الأخلاقى وعلى أساس مفهوم التقدم الجامع بين المادى والمعنوى وعلى أساس أسبقية أخلاقه الفن على جمالية .

ولقد كانت المحاولة في تركيا كما صورها (عبد الحق هيدنان) في بحثه : لقد كانت تجربة تفاعل الفكر الاسلامى والغربى في تركيا جد قاسية فقد كانت وراءها قوى تهدف الى محو صفحة الاسلام من الفكر والمجتمع جميعا وكانت طوابع العلمانية واضحة في فرض نفوذها على كل مجالات الثقافة والتعلم جميعا .

محاولة تغريبية جديدة

(القضاء على تميز الإسلام بذانيته الواضحة)

هناك محاولة تغريبية جديدة تظهر في أفق المجتمعات الإسلامية ترمى إلى القضاء على تميز الإسلام بذانيته الواضحة بحجة أن هذا التميز من شأنه أن يحول دون قيام وحسدة الأديان أو قيام ما يطلق عليه الحضارة الكونية ، ومن هنا فإن بعض الجماعات التي ظهرت في نطاق الحوار توجه إلى فرض مناهج في التعلم تطالب بتصحيح كتب التاريخ العربي والإسلامي وحذف صفحات الصراع بين الغرب والإسلام بحجة أن هذه الصفحات تحمل طابع التمهيب وهي بذلك تحول دون إقامة تفاهم أفضل ، كذلك فإن هذه المحاولة تمتد لتفرض على مجموعات المسلمين المقيمة في الغرب أسلوب خاص في التوجيه يحول دون بروز طابع الإسلام في هذه الجماعات ويرمى إلى توهين مفاهيمها الإسلامية وذلك على طريق صهرها في مجتمعات الغرب ونحن نؤمن بأن هدف إقامة تفاهم أفضل بين الإسلام والغرب إنما يكون بتصحيح أخطاء الغرب نفسه التي تزخر بها كتب التاريخ الغربي والتي تفتقص دور المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية ، وكذلك إعلاء العنصر الغربي واللون الأبيض وعدم الاعتراف بذاتية الفكر الإسلامي وطابعه المميز المستمد من القرآن الكريم واستقلالية مفهومه الواضح الجامع الذي يختلف عن مفهوم الغربي الفكر الغربي وخاصة في مجال التوحيد الخالص والتكامل الجامع بين الروح والمادة .

ونحن أساساً وقبل استعراض مختلف نقاط البحث نؤمن :

(أولاً) بأن الخلاف بين الإسلام وتفسيرات الأديان واسع وعميق وفي مسائل أساسية وجذرية وخاصة بالنسبة للسيحية (الصلب والتثليث والخطيئة) وأن محاولة توحيد الأديان محاولة قديمة وباطلة ، وهي من أهداف

الماسونية (وقد نقلتها إلى البهاية) لتيسيع مفهوم الدين الحق والتوحيد الخالص ، وليس في مفهوم الاسلام نفسه توحيد الأديان وإنما فيه تساندا على مقاومة الالحاد والاباحية المذاهب المادية وكشف الاعتقاد بوحدة الله تبارك وتعالى والتقاء الانسانية على الخير والاخاء .

(ثانياً) إن الاسلام يتميز بذاتيته الخاصة (من حيث أنه دين سماوى له كتابه الموثق) الحافظ لمفهوم الصحيح من التوحيد الخالص وتكامل الانسان : روحاً ومادة ، في مواجهة التفسيرات التي اتصلت بالأديان الأخرى وبما أصاب كتبها المنزلة من تحريف ، فالاسلام يؤمن بأن رسالة الله إلى البشرية واحدة ، ولكن أصحاب الأديان غيروا وبدلوا وأن المفاهيم القائمة الآن والكتب التي في أيدي الناس يختلف عن الدين المنزل على موسى وعيسى ومن هنا فإن الاسلام وحده الآن هو الذى يمثل المفهوم الحقيقى لدين الله الحق ، ولذلك فإن أى محاولة للإغضاء عن هذا المفهوم ، أو حجب ، أو تغييره هي محاولة لاضاعة هذا التميز الذى عرف به الاسلام والذى يجب أن يكون قائماً في وجه محاولات التغيير التي فرضت على الأديان والكتب السماوية ، وليكون قادراً على العطاء الحقيقى للبشرية في أزماتها وحاجتها إلى المفهوم الربانى الاصيل وأنه لا سبيل إلى أن يفهم الاسلام على غير مفهومه الاصيل : منهج حياة في نظام مجتمع وكل محاولة لتقديم فهم غير هذا فهي محاولة باطلة وقد حاول من قبل على عبد الرازق وغيره ورفضها المجتمع الاسلامى .

(ثالثاً) أن الغرب قد واجه الاسلام منذ نزول دعوته وإلى اليوم مواجهة عنيفة قائمة على الكراهية والتعصب ، وقد مرت هذه المواجهة بمراحل مختلفة ، كان الغرب فيها هو البادى بالعدوان وما حادث بيت المقدس في الحرب الصليبية الاولى وقتل ٧٠ ألف مسلم في يوم واحد ببغداد حتى وصف المؤرخون خيل الصليبيين وهي تخوض في الدم إلى ركبتها ، فهل يمكن في مفهوم الحوار أو التقارب أن تختفى هذه الصورة من التاريخ الاسلامى ، بينما أن المسلمون في حالة استعدادهم لبيت المقدس على أيدي صلاح الدين كانوا غاية في السباحة والرحمة ، أن بعض

أهل الفتيا طلب من صلاح الدين المعاملة بالمثل فرفض صلاح الدين هذا الرأي وأصر على أن يكون موقف الإسلام سمحاً كريماً .

هذا الموقف يعطى صورة سماحة الإسلام ويعطى في نفس الوقت صورة التعصب الغربي فكيف يمكن إزالة هذه الصورة من كتب التاريخ في تلك المحاولة التي تريد جماعة (الإسلام والغرب) القيام بها .

إن الوحدة العالمية التي تدعو إليها اليونسكو هي محاولة باطلة حاولتها الحضارة الغربية وحاولتها الماركسية وتحمل الصهيونية لواء الدعوة إلى مثل هذه الوحدة تحاول أن تخضع العالم كله لها ، ويقسم الدكتور هنريك رالف في كتابه الانسانية والوطن : هو يجدر بالأمم الضعيفة المهضومة الحقوق أن تأخذ بالنزعة الانسانية وتضحى بالنزعة الوطنية وهل تفكر في سعادة الانسانية قبل أن تفكر في سعادتها ويرى هنريك رالف : إن النزعة الانسانية يجب ألا تمتنعها إلا الأمم القوية أما الأمم الضعيفة فإن لم تتمسك بوطنيتها اعتدت عليها الأمم القوية ويرى هنريك رالف إن أنصار السياسة العالمية إنما يروجون لمصالحهم الخاصة ورغبة في الاستمرار على بسط نفوذهم وسيادتهم على الأمم المهضومة الحقوق ويرى كثير من الباحثين : أن محاولة الغرب في توحيد البشر إنما يعنى صبغهم بالصبغة الأوروبية وطبعهم بطابعها وما دام الغرب يؤمن أن ليس الانسان في مجموعة سيد الخليفة وإنما الانسان الابيض وحده ، هذا الانسان الابيض الذي ندب لتطهير الارض وحماية الحضارة فإنه لا سبيل إلى هذه الوحدة .

هذا إجمال عام نقدمه بين يدي التفصيلات حول هذا الموضوع :

أولاً : فكرة الحضارة الكونية : قامت فكرة اليونسكو منذ ظهورها على أساس إلغاء فكرة القوميات وإعلاء ما يسمى بالحضارة العالمية والحضارة الكونية وهي محاولة للقضاء على مقومات الأمم وصهرها في البوتقة الاممية وآية ذلك أن أصدر اليونسكو كتاباً ضخماً تحت عنوان : الاديان الحية ، الذي قدم به أكثر من عشرين ديناً بشرياً وأدخل فيها الاسلام كدين من هذه الاديان دون تفرقة بين الاديان المهاجرة المنزلة وبين الاديان الوضعية كالبوذية والكونغو شيوسية

وذلك من قبيل التويه على المثقف المستنير ورغبة في مدم الفوارق بين الأديان المنزلة وبين الأديان الوضعية وبين الأديان وبين الإسلام ، وهي محاولة تحقق هدفها للصهيونية العالمية التي ترمي إلى ازالة التميز الواضح الذي عرف به الاسلام بوصفه رسالة التوحيد الخالص .

ومذا الهدف هو الأساس الذي ترمي إليه فكرة الحوار ، التي نبشت في الحقيقة من خلال تلك المشاعر المتصاعدة في الغرب والتي ترمي إلى اكتشاف الاسلام بوصفه ديناً متميزاً بمفهوم التوحيد الخالص ، والمحاولة ترمي إلى استخلاص بعض التصريحات من علماء المسلمين ترمي إلى القول بأن الإسلام لا يختلف عن المسيحية إلا في مسائل جزئية أو الحصول على كتابات تصف تقدير الاسلام لسيدنا عيسى عليه السلام دون أن يحصل المسلمون على كتابات مماثلة عن سيدنا محمد لهذا الهدف الخطير .

وتستخدم هذه الكتابات في مجال الحوار لاقناع الغربيين بأنه ليس ثمة فوارق كبيرة بين المسيحية التي يعتقدونها والاسلام الذي يتطلعون إليه .

ومن ثم تجيء الخطوة التالية الجزئية التي ترمي إلى تغيير كتب التاريخ الاسلامي لرفع العلامات المميزة في الخلاف بين الاسلام والغرب وكلها خلاقات بدأت من اقتحام الغربيين للعالم الاسلامي في الحروب الصليبية في المشرق وحروب الفرنجة في المغرب ثم حروب الاستعمار الغربي الذي قيل أن بها انتهت الحروب الصليبية كما صرح اللورد النوبي والتي مكنت الغرب من امتلاك نفوذ سياسي وعسكري ثم نفوذ اقتصادي على أغلب بلاد العالم الاسلامي من اندوليسا شرقاً إلى المغرب العربي غرباً .

ثانياً : تغريب مفاهيم الاسلام : لقد كانت محاولة النفوذ الاجنبي هادفه أساساً إلى « تغريب » مفاهيم الاسلام وإخراجها من أصولها وذلك بالدعوة التي حمل لوائها القادبانى في الهند والبهاء في فارس وهي افساد مفهوم الجهاد في الاسلام وتصويره على أنه حرب وقتال ومن ثم تعالت الدعوة إلى التحول من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، ثم توالى المحاولات لتفسير أى الجهاد في القرآن تفسيراً محرفاً ، وإلى حجب آيات الجهاد في بعض البلاد المستعمرة كالمند والجوائز (م ٢١ - المد الاسلامى)

وذلك في محاولة الاحتواء الأسس التي قام عليها الإسلام وقد جاءت محاولة اليونسكو لتحرير كتب التاريخ الإسلامي من هذه الجوانب .

وذلك في طريق الخطط المستمر الذي قام به الاستشراق والتبشير الذي يرمى إلى تغيير توجيه التاريخ الإسلامي بحجب صورة العلاقة الحقيقية ونظية المؤامرة التي قام بها الغرب والتي واجه بها الأمة الإسلامية بالحديد والنار وقاتل وهذب وسجن ونفى كل المجاهدين الذين قاوموا نفوذهم ، وهي محاولة ظالمة ترمى إلى حجب المؤامرة التي قام الغرب بها باجتياح بلاد المسلمين والقضاء على وجودهم .

وهي في الحقيقة خطوة على محاولة تهميد الإسلام من مفهومه الصحيح على امتداد التاريخ وهي خيط جديد على طريق البهائية والقاديانية ، ومحاولات المساوية في سبيل فرض مفهوم الحضارة العالمية أو الدين العالمي الذي تظهره الرسالة بوضوح تحت اسم الحضارة الكونية ، وهو مفهوم فاسد يرمى إلى القضاء على مفهوم الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي اللذين يتميزان بذاتية خاصة .

ونحن نعتقد أن هذه المحاولة هي مرحلة جديدة على طريق الاستشراق تنتقل من اختبار الكتب والمناهج المسمومة التي تفرض للدراسة في المدارس والجامعات في البلاد الإسلامية إلى توجيه وجهة التاريخ الإسلامي الذي يرمى إلى بناء شخصية الإنسان المسلم والعربي ليسكون واثقاً من عظمة تاريخ أمة وحضارتها ومنهجها الاصيل نحو انتعاش أعظم صفحاته وأقوى معالمه .

فالتأ : التعصب في كتب الغرب : لأن كانت هناك محاولة لمراجعة كتب التاريخ فإن هذه المحاولة يجب أن تهمي في كتب التاريخ الغربي فيما يتصل بعالم الإسلام لإزالة ملامح التعصب والامواء التي تجعل كتاب الغرب يتقصون الحضارة الإسلامية ، وينكرون أثرها على الحضارة العالمية .

وكذلك فإن هناك تلك الفرية التي تقول بأن العالم كله قد مر بالعصور الوسطى مع أن هذه العصور الوسطى كانت هي سمة الغرب وجده الذي سقط في ظلمات هذه القرون مدة ألف قرن كاملة من سقوط روما إلى عصر النهضة ، بينما لم يعرف عالم الإسلام هذه القرون الوسطى التي كانت في المشرق عصور نور

ونهضة وحضارة حيث أشرقت شمس الاسلام على العالم كله واتسعت حلقاتها من حدود الصين الى حدود فرنسا .

كذلك فإن كتب التاريخ الغربي تحفل بذلك الاستعلاء بالمعصر والهم : الإنسان الأبيض خالق الحضارة الذي لا يهرم ، في مواجهة الإنسان الملون المتخلف الذي يجب أن يظل حاضماً ومستعمرأ والذي لا حق له في امتلاك موارد أو السيطرة على مقدراته .

ومن ذلك الاستعلاء ، أن كتب التاريخ تعتبر الغرب وأوروبا هي مركز السكون وأن العالم يمتد من شرقها ومن غربها ومن هنا ظهرت كلمات الشرق الاوسط والاذنى والاقصى بالنسبة للغرب ومن ذلك اعتقادهم أن الحضارة بدأت في الغرب وانتهت إلى الغرب وأن ما بين ذلك لا حساب له وإذا كان هناك اعتراف بالحضارة الاسلامية فلأنها جزء من حضارة الغرب بينما الحضارة الاسلامية نتاج رسالة الاسلام ولها طابعها المتميز المختلف عن الحضارة الرومانية والحضارة الحديثة ، وهي تتميز في ذلك بمفهوم التوحيد الخالص والعدل والرحمة والاخاء الانساني .

كل هذه العوامل وغيرها كثير تمتلئ بها كتب التاريخ الغربي وهي العوامل الحقيقية التي تحول دون التقاء عالم الاسلام والغرب ، كذلك فإن عالم الغرب ما زال ينظر إلى عالم الاسلام على أنه عالم مختلف ، وهو يفرض قيوداً كثيرة على انتقال العلم والتكنولوجيا إليه مع أنه واضع المنهج العلمي التجريبي في الاساس ، وما زال يفرض على عالم الاسلام جماعات متعددة من جمعيات التبشير التي تدفع لها الدول الاوربية عشرات الملايين من الجنيهات لايخراج المسلمين من دينهم وكذلك هناك محاولات الاستشراق في تزيف مفاهيم الاسلام وتاريخه ولغته وقيمه عن طريق طرح عشرات من الشبهات وفرض عديد من المناهج والايديولوجيات التي ترمي إلى تفهيم التاريخ تفسيراً مادياً ، والتي تغري شبابنا بدعوات إلى الماركسية والوجودية والفرويدية وكلها نظريات وفرضيات تقبل المناقشة وليست علماً مقررأ .

رابعاً : إحتواء المجتمعات الإسلامية في الغرب أما الأمر الخطير فهو تلك المحاولة لا إحتواء المجتمعات الإسلامية في الغرب فقد تعدت مخططات التغريب إلى توجيه المسلمين بمفاهيم ترمي إلى تذليلهم للمجتمع الغربي والانصهار فيه وليس إنسكوبهم الخاص القائم على مفاهيمهم الإسلامية الصحيحة التي تحاول أن تقدم للغربيين ذلك التوجع الجديد الذي تتطلع إلى النظر إليه والذي يمكن أن يقدم له صورة كريمة للمجتمع الإسلامي مطبقاً شريعة الإسلام ، وهذا جزء من خطة حجب صورة الإسلام الحقيقية عن الغربيين وهي تمكيلة لمحاولة القضاء على ذلك التصور الذي يكشف عن تميز الإسلام بمفاهيمه وقيمه : التوحيد والعدل والأخاء الإنسان عن تطبيقات الأديان الأخرى .

فالطوائف الإسلامية الموجودة الآن في أوروبا تستطيع إذا سمح لها بإقامة مجتمعاتها الخاصة على أساس التطبيق الإسلامي الصحيح للإسلام أن تكون نموذجاً كريماً يستطيع الإنسان الغربي - الذي يعيش اليوم حياة القلق والغربة والتمزق نتيجة لمفاهيم الوثنية والمادية والوجودية - يستطيع أن يرى كرامة المجتمع الإسلامي وسلامة وسلامته وسماحته .

ولذلك فإن المحاولة التي يقوم بها الحوار ، من خلال جماعة الإسلام والغرب تحاول أن توجه هذه المجتمعات لصهرها في أنون الحضارة الغربية وحتى لا تتمكن من إبراز ذاتيتها الإسلامية الخاصة .

خامساً : إذا كانت النية صادقة وإذا كانت هناك نية حقيقية في الغرب لإقامة نظام أفضل مع عالم الإسلام فإن الوسيلة إلى ذلك واضحة نعم : فإذا كان الغرب حقيقياً بأن يقيم علاقات طيبة مع عالم الإسلام فإن عليه أن يوقف أولاً حملات التبشير المنبذة في جميع بقاع العالم الإسلامي وخاصة في أفريقيا وجنوب شرق آسيا والتي تعمل في الخفاء في عشرات من الجامعات والمعاهد المبثوثة في العالم الإسلامي والتي تحاول أن تخرج أولياء للثقافات الغربية ، وأن عالمهم أن يظفروا إلى عالم الإسلام على أنه عالم له عقيدته وفكره ومفاهيمه التي استمدتها من رسالة الإسلام والتي تختلف كثيراً عن الفكر الغربي بشقيه ، وذلك حقهم في أن يقدموا

نظامهم ومنهجهم ، ما داموا يؤمنون بالآخاء البشرى ويقبلون التعاون العالمى مع الحضارة الغربية بتقديم الخانات وما تخرجه أرضهم من معطيات كالبترول والمعادن فان من حقهم إقامة مجتمهم ، فاذا اعترف الغرب وعمل له وأزال تلك المحاولات المكشوفة والمستورة لتغريب عالم الاسلام فان ذلك يكون هو العمل الصحيح على طريق التقارب بين الحضارتين الاسلاميه والغريبه .

ولا يمكن أن يكون التاريخ ذو آفاق عالميه أو يدخل فى عهد كوفى إلا إذا تخلى الغرب عن استعلائه ومفاهيمه المتعيزه ولا ريب أن أخطاء التاريخ الحائله دون الالتقاء بين الاسلام والغرب ناتجه من تحيز الغرب وتمصبه فى استعلائه والاضضاء عن وزن القيم الاسلاميه بالميزان الصحيح المبرأ من الهوى والغرض وأن من أخطر ما يدهى اليه المسلمون ما يسمونه لائحه (الموقوفات الجاهزة) التى يشترك فيها رجال الدين من كل ملة وأصحاب العقائد واللادينين فان هؤلاء لا يتقدرون مفهوم الاسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع حق قدره وغاية ما يرونه أنه دين عبادى لا هوئى وهو أمر يحجب جوانب كثيرة من معطيات الاسلام الحقيقية .

(٢٠)

قضايا مشارة

- (١) قضية الانقطاع الحضارى
- (٢) وثيقة لويس التاسع عشر
- (٣) تحديات فى وجه التعليم والتربية الثقافية
- (٤) مراجعات حول مادة إسلام
- (٥) متى يعود الادب العربى إلى أصالته

قضية الانقطاع الحضارى

تجرى محاولة خطيرة ترمى إلى رد العالم الإسلامى إلى كيان وهمى قديم ، وإعطائه الاستمرار التاريخى تحت إسم : حضارة السبعة آلاف سنة الفرعونية والفينيكية والفارسية والهندية وتجرى محاولة لإحياء هذه الحضارات القديمة .

والحق أن هذه الدعوة تتجاوز حقيقة تاريخية أكدها المؤرخون المنصفون ، وهى أن الإسلام بظهوره وانتشاره قد قطع العلاقة بين الأمة الإسلامية وبين هذا التاريخ الوثنى القديم . وكل ما يتصل به من لغات وأديان وحضارات . ولقد قرر الباحثون الثقات بأن الإسلام كان عامل التصحيح الحضارى مع هذه الحضارات القديمة ، وبين الأمة التى دخلت بعد ذلك فى الإسلام .

استمرار الحنيفية السمحاء : دين إبراهيم

والواقع أن الاستمرارية الموهومة التى يحاولون جمع خيوطها ليست هى استمرارية الفرعونية أو الفينيقية أو غيرها ، وإنما هى استمرارية (الحنيفية الابراهيمية) التى بدأت بها الدعوة الى التوحيد ، والتى كانت رسالة محمد ﷺ ختاماً لها ، وانقطاعية عما سواها ، هذه الانقطاعية الواضحة فى تاريخ البلاد العربية كلها منذ جاء الإسلام ، وبعد ألف سنة من اليونانية والرومانية الوثنية .

لقد كان الاسلام هو الخط الفاصل الحاسم فى تاريخ اللسانية ، فقد قطع الامتداد الفسكى والاجتماعى والثقافى بين ما قبل الاسلام وما بعده ، قطعة عن العرب أولاً ثم فى كل مكان ذهب اليه ، وقد ذهب الاسلام الى كل مكان وأثر فى جميع النحل والآثار . قطع امتداد الوثنية فى العالم كله من ناحية العقائد والملل ، وقطع امتداد العبودية فى العالم كله من ناحية الحضارات والأمم ففضى على استرقاق المبيد فى حضارات البراهمة والفرس والفراعنة والرومان ، وقضى على قيصر وكسرى جميعاً .

وبعد ، فإذا تمنى العودة الى ما قبل الاسلام: هل هى ممكنة؟ وما هو مفهومها؟

أن الباحثين الذين حلوا لواء الدعوة إلى الفرعونية أو الفينيقية أو غيرها . لم يجدوا أى خيط يمكن أن تشكل تراثا أو لغة أو ثقافة أو فلسفورا ، كما يقولون .

بل تبين لهم أن كل الحضارات البابلية والاشورية وغيرها هي حضارات عربية حثيفية الأصل ، وقد كشف الابحاث عن زيف ادعاء ما حاوله التغريب والاستشراق بالتفرقة بين الفراعنة والعرب ، أو الفينيقيين والعرب ، وذلك في سبيل تمزيق المسلمين إلى أعم وعناصر ، وكشفت الابحاث الجادة عن زيف هذا الادعاءات وتبين أن المصريين الاولين وفدوا من بلاد العرب وعبروا البحر الاحمر ، ونزلوا عند حدود الحبشة ثم تدرجوا إلى أن هبطوا وادى النيل ، وأسسوا دولتهم . وقد أحصى المرحوم الامرى الكبير أحمد كمال باشا ما يزيد عن خمسة آلاف كلمة متصلة الجذور بين العربية والفرعونية .

وما يقال عن الفراعنة يقال عن الاشوريين والبابليين والفينيقيين ، فهم جميعا موجات خرجت من الجزيرة العربية وإنما عت في هذه المنطقة الممتدة من العراق إلى الشام إلى مصر إلى افريقيا ، وأن هذه الموجات توالى في خلال فترات طويلة من القرون المتوالية قبل الاسلام ، وكانت مهددة للموجة الاسلامية الضخمة التي حملت لواء الاسلام والتي وجدت - عندما تمددت - جذورا لها في هذه المنطقة .

الإسلام حول مجرى التاريخ :

أما الانقطاع التاريخي بين ما قبل الاسلام وبين عصر الاسلام فإن أمره واضح ويعترف به ، حتى من هو أشد المؤرخين الاوربيين تعصبا فإن (هنرى بيرن) مؤلف كتاب (محمد - صلى الله عليه وسلم - وشارلمان) يقرر : « أن الاسلام هو القوة الهائلة التي حولت مجرى التاريخ الاوربي ، وأن العصر الوسيط والتمهنة الحديثة ، نمرتان من ثمار الاسلام ، وأن ما يقال من أن سقوط الامبراطورية الرومانية هو العامل المؤدى إلى هذا التحول في التاريخ هو قول خاطئ . فان هذه الشعوب كانت من هوان الشأن ، وضيق الحياة ، إلى درجة تجعلها تنظر إلى الرومان

نظرة المبيد إلى السادة ، فما كان يخطر لها — بل ما كانت ترغب أبداً — في أن تناري روما وتقضي عليها .

أما المسلمون فكانوا يعتقدون أنهم أرقى واسمى من الرومان في جميع أساليب الحياة ، ولا سيما من الناحية الدينية التي كانت مبعث قوتهم ومصدر تربيتهم ، فلم يجمعوا هن منازلة الرومان ليقضوا عن سطوتهم وسيادتهم ولقد ظلت الدولة الرومانية قائمة وظلت حضارتها باقية ، بعد أن اجتاز (الوندال) حدودها واستقروا في نواحيها ، وكل ما حدث أن انتقل مركزها الرئيسي من روما إلى بيزنطة و القسطنطينية ، وأصاب حياتها العقلية والمادية شيء من الركود والفساد .

ولكن لم تكدهب (ثورة الاسلام) وتسير ركائبه إلى أراضي اليونان ، حتى تلاشى ما كان لهم من المعالم والآثار ، وقامت دول جديدة وظهرت حضارة جديدة ، حاصرت أوروبا من الشرق والجنوب والغرب ، بعد فتح الاندلس . فاضطرت ملوكها إلى أن يوجهوا أنظارهم إلى الجزء الشمالى من أوروبا حيث قامت الممالك التي كتبت تاريخ أوروبا في العصر الوسيط ، وأبان العصر الحديث .

أما الجزء الجنوبي من أوروبا فلم تقع فيه — في تلك المهور — معارك الا معركة (بواتيه) التي انتصر فيها شارل مارتل على جيش الاندلس بالتحية والغدر لا بالقوة والبأس .

فلولا ظهور الاسلام لظلت الامبراطورية الرومانية قائمة ، وأن انتقل مركزها من الغرب إلى الشرق ، وظل البحر الابيض المتوسط بحرا رومانيا — بل قد سمي قرة بحر الروم — ولما قامت الثورات القومية التي خلعت أوروبا الحديثة والثورات الفكرية التي تمحضت عنها الحضارة الراحنة .

وهكذا نجد أن الإسلام قد غير العالم كله .

لقد فتح الاسلام — حين جاء — صفحة للبشرية ، من حيث عالمية الرسالة وخلودها ، ودعا الامم القائمة إلى الدخول في دين الله : لانه هو الدين الحق ، بعد أن زيف رؤساء الاديان مفهوم التوحيد ، ولقد أعلن الاسلام وحدة الدين ، ووحدة البشرية ، والتوحيد الخالص ، فحطم الوثنية والاصنام . وعبادة غير الله

منهج الاخاء الانساني ، فقتضى على العبودية الفرعونية والقيصرية ، ودعا المسلمين إلى النظر في السكون فأنشأ (المنهج العلمى التجريبي) الذى هو قاعدة الحضارة العالمية اليوم ، ولقد استطاع الاسلام لانه الفطرة والحق ، وضياء النفس البشرية البشرية الاصيل ، أق برجف فى خلال قرن ولا يزيد ، حتى سيطر على ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا : من الصين إلى حدود نهر اللوار فى قلب فرنسا ، وقدم للبشرية ذلك الضياء الحق . وتغلب على اللغات والأديان ، ونقل العالم كله إلى نور التوحيد ، ونفذ بأشعته إلى قلب أوروبا ، لحرروها من الوثنية والرهبانية والمادية ، وأدخلها إلى عصر النهضة ، وبذلك كان الاسلام هو العامل الاكبر ، الذى أدخل العالم كله إلى العصر الحديث .

وعبر الاسلام الشاطئ الشرقى والجنوبى للبحر المتوسط فأدخله فى السلم كافة ، وقامت فيه كلمة التوحيد وامتدت نحو آسيا فأخرجت القبائل الزكية فيما وراء النهر من الوثنية . وواصلت زحفها إلى الصين ، وفى الغرب اقتحم الاسلام الأندلس ووصل إلى نهر اللوار ثم لم يلبث أن اقتحم أوروبا من البلقان حتى وصل إلى أسوار فيينا ، بل تعداها إلى جبال الصرب والمكروات .

من هذا كله نجد أن الاسلام كان عامل انقطاع حضارى هقيق المدى . بين حضارات الفراعنة والرومان والفرس والهنود ، فبعد آلاف سنة عاشتها هذه المنطقة بين يدي اليونان والرومان ، انداح فيها الاسلام ، ولم تلبث بعد عقود قليلة من الزمان ، أن تحولت إلى رسالة التوحيد فنسيت لغاتها وأديانها ونحلها القديمة وأقبلت على الاسلام أقبالا تاما ، ومع أن الاسلام حين سيطر على هذه المناطق لم يفرض عليها دينه . وإنما قام حكمه العادل ، وأفسح لأهل الكتاب الحرية الكاملة فى حياتهم الدينية ، وحى معابدهم وفتح لهم آفاق العمل فى مختلف المجالات فى سماحه ورحمة ، غير أن الطوائف العربية الداخلة فى هذه البلاد سرعان ما انصهرت فى البيئات التى عاشت فيها ، ولم تشتمل عليها استعلاء سلطان أو استعمار ، وإنما تأخت معها وأصهرت اليها ، ومن ثم فقد دخل الناس فى دين الله أفواجا ، عندما تبينوا أن ذلك الحكم السامح العادل الذى حررهم من مظالم الرومان ، هو من عند الله ، لذلك فقد دخلوا فى الاسلام الذى كانت جذوره موجودة فى أعماقهم وضمائرهم . منذ رسالة للعنفة الابراهيمية ، التى جددتها محمد ﷺ ، واتصل

جها بعد أن انخرفت . ه في مرحلة ما بينهما (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا) النحل : ٢٣ .

ومن هنا فإن الانقطاع ليس الا عن المرحلة القليلة التي تعثر فيها طريق الحنيفية الى العنصرية ، وكان هذا أمراً طبيعياً في التاريخ فصر العربية قد انقطعت عن مصر الفرعونية انفصالاً تاماً ، لان مرحلة الفرعونية انخرفت عن الابراهيمية ، وكذلك فان سوريا العربية قد انفصلت عن سوريا الفينيقية ، والعراق العربي قد انفصل عن العراق الاشوري والبابلي ، وبالاسلام عادت سيرتها الاولى الى الربط بين الحنيفية الابراهيمية والحنيفية المحمدية .

الجرى ضد تيار التاريخ :

وحين جرت المحاولات في العصر الحديث لاعادة البلاد العربية الى تاريخها قبل الاسلام باحياء المرونية والفينيقية والاشورية ، فشلت هذه المحاولات فشلاً ذريعاً ، لانها كانت تجري ضد تيار التاريخ ،

ويصور هذا المعنى العلامة علال الفاسي حين يقول : « ان العمليات التاريخية التي سبقت بعثة الرسول ﷺ لم تكن الا تهديداً لابلاغ الانسان ورشده عن طريق الى كمال الدين ، بوجود محمد خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، ولم يكن محمد ﷺ بدءاً من الرسل ، فقد سبقته نبوات ورسالات ، كما سبقته دعوات ربانية تشمل كل بقاع العالم ، واكتنفا لم توفق الى البقاء ، وأصابها الانحراف الذي يستوجب أن تجدد وتصلح ، انفتح آفاق التقدم الانساني فكان لا بد أن يبعث الله الرسول الخاتم وكانت مهمة النبي ﷺ أن يهزم الناس في جو الرشاد المبني على العقل والروح على القلب والجسم ، ومن هنا فان كل ما سبق من عمليات التاريخ كان يهدف لغاية واحدة هي وجود الرسول نفسه ﷺ ، وبذلك يصبح الماضي وكأنه ما قبل التاريخ ، أما التاريخ الصحيح فيبدأ بالمجتمع الإسلامي ، البشرية كلها مخاطبة تسير وفق ما ترشد الى ناموس السكون وما بنى عليه هذا المجتمع .

هذه هي قصة الاستمرارية والانقطاع في تاريخ البلاد العربية الاسلامية ، انقطاعية ألف سنة عن اليونان والرومان والوثنية والحقيقة أن الاستمرارية هي استمرارية دين ابراهيم أبي الانبياء ، وانقطاعية كل ما سواه من محاولات عنصرية

وقبلية وعرقية وقومية ، حاولت أن تخرج بالرسالة الخالدة عن هدفها الاصيل
وغايتها الكبرى :

ولذلك فليست هناك استمرارية فرعونيه ، أو بابلية ، أو آشورية ، أو فينيقية
وانما هناك استمرارية التوحيد الخالص وميراث ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وكلها على طريق الله الحق .

لقد ذابت كل القوى التي حاولت أن تسيطر على المنطقة الحنيقية الابراهيمية
اقد ذهبت العنصرية وبقيت العقيدة الخالصة ، وانصهرت القبيلة والعرقية كلها في
دعوة الله الخالصة ، وأن الوحدة التي التقى عليها المسلمون في مشارق الارض
ومغاربها . وهي وحدة العقيدة والفكر والتوحيد الخالص ولغة القرآن . ولقد
انهزمت كل هوامل العنصرية . والعرقية أمام قوة العقيدة والفكر ، وغلبت على
فكرة الدم والنسب ، وغلبت لغة القرآن على كل اللغات القديمة ، حتى اضطر
النصارى إلى ترجمة أناجيلهم إلى اللغة العربية بعد أن ماتت القبطية والسريانية
والارامية التي كان المسيح عليه السلام يتحدث بها إلى معاصريه :

أن الاوتباط بين الحنيقية الابراهيمية والرسالة المحمدية هو النصحيح السليم
للاستمرارية ، بل هو التفسير الاصيل للرابط الاكيد الجامع بين عصور هذه
المنطقة وأجزائها الجغرافية والتاريخية ، وهو ما تعتمد المحاولات التفريعية واليهودية
إلى التأخير فيه . وذلك حين تشكك المصادر اليهودية : في مجيء ابراهيم إلى مكة
وبناؤه البيت الحرام مع اسماعيل وذلك بسوء نية ، وهم يهدفون إلى نفي الرابطة
الجامعة بين ابراهيم واسماعيل ، وبين محمد عليهم الصلاة والسلام ورسالة الاسلام
الجامعة الخاتمة ، التي هي رسالة الاسلام الممتدة منذ آدم عليه السلام ونوح .

لقد عمد الاستشراق إلى تزيف العلاقة بين الحنيقية الابراهيمية وبين
الاسلام ، وإثارة الشكوك حول ابراهيم واسماعيل عليهم السلام ، على النحو الذي
قال به الدكتور طه حسين في كتابه الشعر الجاهلي حين أنكر وجود ابراهيم
واسماعيل ، بالرغم من ثبوت وجودهما في التوراة والفرآن ، وإن كانت الاحداث
لم تلبث أن كشفت زيف ما دعا اليه طه حسين جرأاً وراء الصهيونية في دعواها
بعد ظهور الحفريات التي كشفت عن كثير من آثار ابراهيم واسماعيل وأبناء
اسماعيل في شمال شبه الجزيرة العربية وحول الكعبة :

ومن الأسباب التي تدعو إلى إنكار الحنيفية الإبراهيمية ، أنها يدخاها الكردى والشركسى والبربر والمسيحيون ، وهم يهدفون إلى إعلاء النصرانية للقضاء على هذه الوحدة التي هي « عربية اللسان » ولقد أكد هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :

« ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي . إلا أن العربية اللسان إلا أن العربية اللسان » رواه الحافظ ابن عساكر بسنده عن مالك .

إن الدعوة المسمومة إلى إعادة بعث الأقليات والنصرانية القديمة ، إنما تهدف إلى أذكاء البغضاء والاحتقاد بإثارة الفرقة ، بينما تقوم استمرارية الحنيفية السمحاء على وحدة الفكر والعقيدة ، وهي الوحدة الحقيقية وليست دعوى اللغة والتاريخ والأرض التي يحمل لواها العلماء يون الشعوب

« بدأت الدعوة إلى التوحيد من عهد آدم واستمرت وأخذت اسم الحنيفية في عهد إبراهيم .

وثيقة لويس التاسع عشر

ظهرت في السنوات الأخيرة وثائق كثيرة كانت خافنة على المسلمين والعرب لها أثرها الكبير في مصائرهم ومقدراتهم وإليهما يمكن تفسير أسباب هزيمتهم ونكبتهم ومنها يوجد المنطلق الى الاصلالة الحققة .

• • •

بعد مزينة لويس التاسع في المنصورة وجنوحه الى التآمل في نتيجته خطته التي جرت عليه الهزيمة والاحتقال كتب مذكرة خطيرة أشارت اليها مراجع عديدة من كتب التاريخ الفرنسى وذكروها مؤرخه (جرانفيل) يحدد بها الموقف من العالم الاسلامى بعد هذه السنوات الطويلة من الحروب الصليبية والمعروف أن لويس كان يقود الحملة الثامنة لقد أشار لويس التاسع في وثيقته الى أنه لا سبيل الى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوة ، ذلك لان في دينهم عامل حاسم هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد وبذل النفيس والدم رخيصة في سبيل حماية العرض والارض وأنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين فمن المستحيل السيطرة عليهم لانهم قادرون دوما انطلافا من عقيدتهم الى المقاومة ودحر الغزو الذى يقتحم بلادهم ، وأنه لا بد من ايجاد سبيل آخر من شأنه أن يزيغ هذا المفهوم عند المسلمين حتى يصبح مفهوما أدبيا أو وجدانيا و ايجاد ما يبرره على نحو من الانحاء بحيث تسقط خطوراته واندفاعته وأن ذلك لا يتم الا بتركيز واسع على الفكر الاسلامى وتحويله عن منطلقاته وأهدافه حتى يستسلم المسلمون أمام لقاء القوى الغربية وترويض أنفسهم على تقبلها على نحو من أنحاء الاحتواء أو الصداقة أو التعاون وحتى نحصل على نفس وثيقة لويس التاسع التى لم تتمكن من الحصول إلا على مقتطفات منها فيما أورده الاستاذ محمد على الفتيت في موسوعته التاريخية فإن الضرورة تقضى بدراسة هذا المصدر الذى كان له أثره فى ذلك المنحنى الخطير الذى تحولت إليه علاقات الغرب مع عالم الإسلام ، هذا الهدف الذى جندت له قوى التبشير والاستشراق

والتغريب والغزو الثقافي في خطوة محكمة مدبرة ما زالت مفروضة على العالم الإسلامي منذ عام ٥١٥ هجرية الموافق ١١٢١ ميلادية ، هذه الخطوة التي سيطرت عليها من بعد قوى الصهيونية العالمية مما ستفصره فيما بعد .

الهدف هو : إيقاف توسع الإسلام ومحاصرته من ناحية واحتوائه فكرياً حتى يصبح عينة طيبة في يد : الفكر العالمي الالهي تمهيداً للثوب عليه ومن الوسائل إنشاء مؤسسة لحرب المكلة واستخدام من يمكن إغرائهم من مصيحي الشرق وإنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز ومركزاً لدعوته السياسية والدينية وقد عين لويس التاسع مكان تلك القاعدة في الأراضي الممتدة على ساحل البحر المتوسط من لبنان إلى فلسطين والأردن وسوريا ولا ريب أن أولى علامات وصية لويس التاسع بعد هزيمته في المنصورة إنما توحى بنهاية خطة وبداية خطة أخرى أشد عنفاً وإن كانت أطول مركة . بما يشمر إلى نهاية الحروب الصليبية وعبرتها كانت تتمثل في بداية المخطاط الجديد للغزو الثقافي والفكري الذي يستهدف دحر الاسلام كـمركب بعد الامتزج عن دحرأته أوفى سبيل دحر هذه الامة بعد دحر فكرها لقد تبين للغرب من خلال مراجعته لويس التاسع لتجربة الحروب الصليبية : أن المركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولاً : من تزيف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والمقاومة التي تدفع بالوفهم إلى ساحات الاستشهاد في سبيل الدفاع عن الحق وعن الأرض وعن العرض ، إذن فهذه هي بداية المركة ولا بد إذن من تزيف هذه العقيدة وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان وذلك بالفرقة بين العقيدة والشريعة أو تصوير الاسلام بصورة دين عبادي كالمسيحية وفضل الدين عن الدولة حتى يفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن في أصالة عقيدتهم وجوهر دينهم وعندئذ يصبحون قطعاً من السائمة التي تنطوي وتقر ومن هنا بدأت مركة أطلق عليها :

التبشير ، الاستشراق ، التغريب ، الغزو الثقافي ، الاحتواء :

وقد رجحت هذه المركة أقلها اسلامية بالوراثة نخدمها وتقدم ما يريد لويس التاسع على نحو ما قال طه حسين وعلى عبد الرازق من دعاوى الفصل بين الاسلام والمجتمع وبين العقيدة الدينية والادب والسخرية بما أورده القرآن ودعوه الشباب

إلى نقده والنظر إلى الصحابة على أنهم من محترفي السياسة ، على النحو الذى عاش على خدمته صاحب كتاب الشعر الجاهلى وحديث الأربعة والفتنة الكبرى .

وإذا راجعنا وقائع التاريخ العربى فأننا نجد أن وصية لويس التاسع قد وضعت موضع التنفيذ بعد سنوات قليلة من هزيمته وقتله فى الحملة الصليبية التاسعة على تونس فقد بدأت حركة أوروبا المعروفة إلى ترجمة القرآن والتعرف على الإسلام وبدأت نواة التبشير والاستشراق فى المعاهدة الأوروبية : دراسة اللغة العربية والإسلام والقرآن من منطلق الرد عليه وانتقاصه وإثارة الشبهات حوله وقد ظاهرت هذه الحركة عملية خطيرة هى سرقة التراث العربى الاسلامى بواسطة الفناصل والتجار وهى سرقة بمعنى الكلمة لأن محاولة الاستيلاء على مراكز الفكر الاسلامى فى جامعات الاندلس وطرد المسلمين منها كانت أيضا سرقة كبرى ، بالرغم من أن المسلمين كانوا يؤمنون بأن العلم للبشرية كلها ، حتى العلم التجريبي الذى هو الآن من أصرار الأمم الحديثة ، والذى عجز المسلمون والعرب خلال قرن ونصف قرن إلى الآن عن الحصول على أصوله ومعادلاته أما المسلمون فكانوا يعلمونه فى جامعات الاندلس وجزيرة صقلية فى حرية تامة ولكل الناس ، أما الغرب فانه فى تنامى حقه لم يقف عند حدود مصادرة العلم الاسلامى ومعاملة مكتبته ووثائقه لحسب بل إنه أخرج منه المسلمين الذين هم من أمهل الاندلس بعد ثمانمائة عام لإخراجها حتى يكونوا عاجزين عن مواصلة تجارتهم فى أى أرض أخرى إذا هاجروا إليها .

وإذا كانت الحروب الصليبية قد توقفت عام ٦٩٠ هـ فإن أوروبا لم تتوقف عن الحروب ، فقد بدأت حركتها ككرة أخرى بعد وقت قصير حين تدافعت قواتها بعد سقوط الاندلس على الطريق الأفريقى من ناحية الغرب دون توقف : الأسبان والبرتغال ومن وراءهم الهولنديين والإنجليز والفرنسيين انتقاما من المسلمين الذين قدموا لهم نور العلم والحضارة فى الاندلس .

أما فى أفق البلاد العربية فإن عام ١٨٣٠ كان هو علامة الخطر حين بدأت فرنسا فى غزو (الجزائر) وامتدت المعركة إلى تونس فصر والسودان ، منذ ذلك اليوم بدأت نتائج الغزو الفكرى تبرز ، وأخذت طلائع التبشير تعمل ، فانه فى نفس (م ٢٢ — المد الاسلامى)

الوقت كانت قوى محمد علي تنسحب من الشام ١٨٤٠ حيث سيطرت قوى الغرب على هذه المنطقة التي اختارها لويس فأقامت فيها ما أطلق عليه حكومة خاصة داخل الدولة العثمانية وكانت معركة ١٨٦٠ التي أثارها الفرنسيون بتأييدهم للموارنة والانجليز بتأييدهم الدروز منطلقا إلى إنشاء هذا الكيان الذي تلاقت فيه قوى التبشير الكاثوليكية الفرنسية والبروتستانتية الأمريكية والذي ما زال قائما حتى الآن .

في الفترة الأولى من عام ١٨٣١م إلى ١٨٣٠ كان الاسفراق يضع السموم ومن ١٨٢٠ إلى ١٩١٨ كان التبشير يحتاج البلاد عن طريق الارساليات . معاهد وجامعات في استانبول والقاهرة ولبنان لها نفوذ داخل في نفوذ الامتيازات الاجنبية ولها مناهج دراسية قائمة على تدمير الاسلام وتاريخ الاسلام واغته وعقيدته وإذابة الاجيال الجديدة في سموم الغرب وعظمة تاريخه ، واحتقاره لأمته ودينه . ومن هذه الاحيال جاء الامراء والسادة والقادة والوزراء الذين سيطروا في ظل حكومات الاستعمار والاحتلال والذين أخذوا مناهج التعليم التي وضعتها معاهد الارساليات فجعلوها مناهج المدارس الوطنية وفي عديد من مصادر اللقاء بين الشرق والغرب نجد الاشارة منسوبة الى وصية لويس التاسع حتى لا يتغبه اليها المسلمون ، هذه الوصية التي تدعو إلى تجنيد المبشرين الغربيين في (معركة سلمية) لمحاربة تعاليم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا ، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعركة أعظم جنود الغرب .

إذا كان هذا هو تصورنا لوثيقة لويس التاسع التي ظلت خافية سنوات طويلة حتى تكشف هذه الأعرام ، فانما مثلها مثل بروتوكولات صهيون التي حجبت عن المسلمين والعرب منذ ظهورها ١٩٠٢ حتى عام ١٩٤٨ وهو عام قيام إسرائيل عندما سمح الاعلام الصهيوني للصحافة العربية بأن تشير إلى هذه البروتوكولات التي لا توجد عنها إشارة واحدة في مجلات الهلال أو المقتطف أو المنار أو غيرها قبل هذا التاريخ .

أقول إذا كان هذا تصورنا لوثيقة لويس التاسع ومدى أبعاد الخطر السام فيها فان الاستاذ نبيه أمين فارس (أحد كبار أساتذة الجامعة الامريكية في بيروت) قد كشف عن هذه الصفحة بكل جرأة وقوة في بحث له نشر عام ١٩٥٨ في مجلة الابحاث .. يقول هذا المؤرخ العربي :

« بينما كان الشرق الأدنى مطمحاً لأفكار بناء الامبراطوريات كان أيضاً مطمح أنظار جماعة أخرى من الناس تنشأ أن تنجز عن طريق «الكلمة» ما عجز أجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف . وبعبارة أخرى تنشأ احتمالاً مهد المسيحية وإخضاع العالم للمسيح ، لأن هذا الحلم المسيحي قديم قدم المسيحية ذاتها وهو يستمد وحيه الدائم من الوصية العظمى كما سجلها أول المبشرين : القديس لويس .

« ولعل سبب سيطرته هذه الوصية كرة أخرى على عقول المسيحيين يعود إلى اليقظة الدينية التي عمت انكلترا في أواخر القرن الثامن عشر ، واليقظة الدينية المقابلة لها في الولايات المتحدة التي تمثلت فيما سمي بروح إنجلترا الجديدة ، وعلى ذلك فقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر ظهور كثير من الجمعيات التبشيرية التي كرست نفسها لحمل الإنجيل إلى جميع البشر ، ويمكن أن يضاف إلى هذين العاملين : عامل آخر هو ازدياد المطامع السياسية والاقتصادية في ممتلكات رجل أوروبا المريض (يقصد الدولة العثمانية الإسلامية) ومن المحتمل أن يكون لهذا العامل الأخير علاقة باختيار الشرق الأدنى ميداناً مفضلاً للنشاط التبشيري . ومن أهم هذه الجمعيات التبشيرية التي ظهرت في هذه الفترة : الجمعية التبشيرية الكنسية التي أسست في لندن ١٧٩٩ والمجلس الأمريكي لمندوب البعثات التبشيرية وقد أرسل المجلس الأمريكي بعد تسع سنين من تأسيسه أول مبشيرة إلى الشرق الأدنى ، ولما كانت للمشكلة الأولى التي واجهت أولئك المبشرين هي اختيار مركز ملائم لهم ، وقدم سوريا عام ١٨٢٣ بحشران آخران وانتقلوا إلى بيروت ، وكان غرض البروتستانتيون أن يتمكنوا بالاشتراك مع كنائس الشرق الناهضة من كسب (الكفار) إلى دين المسيح ، غير أنهم سرعان ما وجدوا : أن الإسلام لم يكن قد فقد سيطرته على قلوب المؤمنين ، وصمم المبشرون منذ البداية على استعمال الكلمة حيث فشل استعمال (السيف) وفي سبيل هذه الغاية أسسوا المطبعة الأمريكية أولاً في مالطة ١٨٢٢ وفي بيروت ١٨٣٤ وأخذوا يفتحون مدارس للبنين والبنات بصورة منتظمة حتى بلغ عدد هذه المدارس ثلاثاً وثلاثين في أقل من هذا العدد من السنين وعكفوا على إنجاز تلك المهمة العظيمة ، مهمة أعداد ترجمة عربية صالحة مقروءة للتوراة ، وعدوا فوق ذلك حمل لواء الحرية الدينية بصورة خاصة والمطلقة بصورة عامة ، إلخ .

ولقد كان أبرز ما استهدفته وثيقة لويس التاسع : القضاء على فكرة الجهاد
ويكشف الدكتور محمد تقي الدين الهلالي هذا السر في مقال نشره عام ١٩٣١ في
(الفتح) عن سر هذا المخطط في الجزائر: إن هؤلاء الاوربيين الفاتحون المبشرين
للأحرار المخربين الديار ما زالوا يحرمون عبيدهم من كلمة (الجهاد) ويعدون
ذ كره فضلاً عن فعله من أعظم الذنوب ، وهو عندهم آية الحمجية ، والتعصب
الديني المفقوت ، وبلغ ببعضهم الأمر أن حرموا تفسير آيات الجهاد في كتب الفقه
وبعيني شاهدت صحيفة الأذن الفرنسية .التي حصل عليها شيخنا محمد بن حبيب الله
الشنقيطي رحمه الله في مدينة المشربة قسم وهران من الجزائر وفيها ما يلي :

« أن الآذن بتدريس علوم الدين مقيد بأن المدرس لا يفسر أى آية أو حديث
يدل على الجهاد ، وأن لا يدرس شيئاً من أبواب الجهاد في كتب الفقه ، ولما راجت
دعاية هؤلاء في الشرق صار المسلمون ينفرون من لفظ « الجهاد » . .

ونقول بل أن الأمر قد بلغ غايته في تنفيذ وثيقة لويس التاسع فقد أعان
الإنجليز في الهند على ظهور نخلة تدعى الاسلام وتلقى الجهاد وتذكره إنكاراً هي
نخلة « القاديانية » ، والاحمدية الذين يفسرون الجهاد تفسيراً مؤولاً ، والذين يدعون
إلى الخضوع للحاكم المستعمر ويعدون ذلك من مفهوم الاسلام في نخلتهم .

وبعد فإن في تقديري وتقدير الكثير من الباحثين اليوم أن المسلمين أنما طعنوا
من طريق التعليم الذي بدأته معاهد الإرساليات وسارت على مناهج أغلب المدارس
الوطنية والذي تنقل الدول العربية مناهج اليوم من نفس المصدر الأول الذي
أنشأه تلاميذ لويس التاسع وأتباعه ، وخاصة ما رسمه (دنلوب) وما زال سارياً
وما رسمه طه حسين في مناهج الجامعات مستمداً إياه بما وضعته الجامعات التبشيرية
في بيروت ولهذا الأمر حديث طويل في تفصيلا ولكن العبرة الآن هي : أن هذا
هو (مدخل) ، الغزو الثقافي وسيطرة التيارات الوافدة ، وهو أيضاً في نفس
الوقت (المخرج) إلى فهم تعليم إسلامي لا سبيل إلى النجاة إلا به .

تحديات في وجه التعليم والتربية والثقافة

أولاً : هذه « الفجوة » ، التي دخل منها الغزو الثقافي :

هذه الفجوة هي : « النقص » ، الذي عجزت عنه مناهج المدرسة في تربية التلاميذ المسلمين وتعليمهم « مفهوم الإسلام الصحيح » ، على النحو الذي يمكنهم من مواجهة التحدي الخطير الذي أصابهم فقد قيل لهم أن الإسلام دين عبادة وصلاة وصوم وأن مقر الدين المساجد ، فخلت الحياة الاجتماعية منه وبذلك عند ما جاءت موجات الغزو الثقافي فقد وجدت فجوة واسعة وفراغاً كبيراً في النفس المسلمة فتعلق بها الشباب فاعتنقوا مفاهيم مضللة من الفلسفات الغربية والدعوات الهدامة التي طرحت أمامهم .

لقد كانت هذه الفجوة هي مصدر التأثير بالفكر الوافد والاستسلام وتقبله لأنه لم تكن هناك وجهة نظر مبسطة بالنسبة لعشرات القضايا التي قدمها الغزو الثقافي تهدف تغريب هذه الأمة لقد كانت « الفجوة » ، هي الثغرة وكان المطمح الأساسي للسيطرة هي مناهج التعليم والمعرفة والثقافة . . . فقد قال لهم لويس التاسع أن حرب الكلمة هي المنطلق الوحيد للسيطرة وأن المسلمين لا يهزمون من موقع الحرب ولكن من موقع الفكر وأن دينهم أعطاهم منهجاً أصيلاً محكماً يمكنهم من مواجهة كل غزو والتغلب على كل محاولة لاحتوائهم ، أنه « الجهاد » : هذا الخطر المائل الذي حاولت مناهج التبشير والتغريب إسقاطه بالتأويل وخلق وتكوين الفرق الضالة التي دعت إليه كالقاديانية والبهاية .

ولقد كان تسلط النفوذ الغربي قد بدأ من هذه النقطة الخطيرة فقد كان الغربيون الغزاة للعالم الإسلامي يعلمون أن المسلمين يعمرون بمرحلة من الضعف والتخلف في مجال الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية ، فقد كانت علوم الإسلام قد تأثرت كثيراً بالتقليد وخرجت من مفهوم الأصالة والمنابع الأصلية إلى شيء غير قليل من الجمود وجبرية الصوفية وكان علماء المسلمين قد أخذوا في تحرير الإسلام من قيد التقليد والجمود (بظهور دعوة التوحيد في الجزيرة العربية وقد توسعت في

بلاد العالم الاسلامى) حين دهمتها خيول الاستعمار فحالت دون تحقيق هذا الهدف النبيل . ثم سيطر النفوذ الاجنبى على التربية والتعليم والثقافة ووجه المناهج الدراسية وجهة صوّرت الاسلام بصورة الدين العبادى القاصر على الصلاة والصوم والمحضور فى المساجد وبذلك استطاع النفوذ الاجنبى أن يحجب الشريعة الاسلامية فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع وأن يطرح مفاهيم تكون جيلا من القبراليين والاقليميين والديمقراطيين والقوميين وغيرهم الذين لا يرون الاسلام داخلا فى مناهج الحياة والمجتمع ، ومن ثم فقد وقعت أزمات كثيرة فى مجال اللغة العربية وتاريخ الاسلام وأصول التربية .

ولقد فتحت هذه الفجوة للنفوذ الاجنبى مجال السيطرة على أجيال كثيرة رأت الفكر الغربى وتاريخ العرب أمامها سامقا وصغرت النفوس الاسلامية العربية أزاء هذا وتضاءلت وامتلأت بشئ غير قليل من المهابة للغرب ومن الانتقاص لأنهم وقيمهم ، ولو دروا لوجدوا أنهم يملكون أعظم كنوز الدنيا لأنهم يملكون المنهج الربانى الاصيل الذى جاء به القرآن الكريم ديناً ونظام مجتمع ، وهو خالد شامل جامع قادر على معااصرة الأزمان ، ومؤازرة البيئات مهما تغيرت واختلفت لأن إطراره المرن الواسع الذى أنشأه الحق تبارك وتعالى ما يزال حياً نابضاً بالحياة معطيا حلولاً لكل مشكلاتها وأزماتها ، لا يمكن أن تتجاوزها الايام ولا الاحداث .

وأنه ليس كالمناهج البشرية والايديولوجيات التى صنعها العقل الانسانى العاجزة عن المطاء ، والتى لا تستطيع أن تتحرك إلا فى حدود عصر وبيئة وسرطان ما تتجاوزها المتغيرات فضلا عن أن ما يصلح منها لعصر ولا يصلح لعصر آخر ، وما يصلح لبيئة ولا يستطيع أن يصلح لبيئة أخرى ، ولقد عجزت الايديولوجيتان الغربيتان : الرأسمالية والاشتراكية عن أن تعطى النفس الانسانية فى الغرب مطامعها وأشواقها ففشلت بعد تعديلات وحذف وإضافات ، ولا تزال البشرية تتطلع إلى نظام جديد ، فى الاقتصاد والاجتماع بعد أن تحطمت الاسرة الغربية وبعد أن تعالت صيحات التضخم والانحراف والتمزق النفسى والفساد الخلقى والاجتماعى .

هذه « الفجوة » التى دخل منها النفوذ الاجنبى إلى عالم الاسلام ما زالت فى حاجة إلى جهود واسعة لسدها ، وهى لا تزال حتى الآن قائمة لان النفوذ السياسى

والمسكى الغربى حين انسحب من هذه البلاد خلف نفوذاً فكرياً ولفسياً مسيطراً على الفكر والثقافة واللغة والأدب والمسرح والفنون والتربية والتعليم .

ولا تزال الطوايع الإسلامية بعيدة عن هذه الميادين كلها ، ولا تزال هذه الميادين كلها خاضعة للنظريات الوافدة لم تتحرر بعد منها بالرغم من الضربات المتوالية التي واجهت عالم الإسلام من النكبة والهزيمة والفتنة التي كانت في مصدرها الأساسى : اصطناع أساليب الغرب وتعالجه ومناهجه في فهم الحياة وعلاقات المجتمع وفي النظر إلى الأمور من وجهة نظر خلفتها مناهج التبشير أو الاستشراق على أديم الحياة الاجتماعية على أديم الحياة الاجتماعية الإسلامية .

إننا ما زلنا في حاجة شديدة إلى تقديم المفاهيم الإسلامية الصحيحة ، في مختلف هذه الميادين وأهمها ميادين التربية والتعليم والثقافة التي يجب أن تستمد مصادرها الأصلية من القرآن الكريم ومن السنة الصحيحة والتي تستهدف تغيير الأعراف فحرر المفاهيم الربانية وليس في تبرير الواقع المعاش الخاضع للتغريب والمفاهيم الوافدة عن طريق التأويل أو دعوى الخضوع للعصر أو الأخذ بالرخص والحلول التي تتبع في عصور الضعف أو حالات الاضطراب فإن نهضات الأمم لا يمكن أن تقوم على العزائم وعلى الأصول الأصلية والمفاهيم الواضحة ، ولا يمكن أن يخرج المسلمون من الأزمة القائمة إلا بمفهوم صريح واضح : يرمى إلى إعادة بناء المجتمعات من جديد على أساس حدود الله وإحلال ما أحل وتحريم ما حرم .

إن هذه المحاولة التي نمر بها المجتمعات الإسلامية اليوم في محاولة تبرير الواقع أو التماس نصوص ضعيفة أو فتاوى واهية لدعم الواقع الاجتماعى المزلول، وخاصة في مجال القواعد نفسها ، كل هذا لن يؤدي إلى نهضة صحيحة وسيكون في تقدير التاريخ موضع محاسبة شديدة وسيظل مرحلة من مراحل التبعية لها لون براق خادع .

إننا مطالبون بإعادة الثقة إلى الثقافة الإسلامية ، والتاريخ الإسلامى ، حتى تمتلئ بها نفوس شبابنا وعقولنا ، وهذا يتطلب تقديم هذه المادة في مناهج الدراسة متناسقة مع المفاهيم الأخرى ومنسجمة معها ، بحيث لا تقف النظريات الوافدة لتصور مناهج الغرب على أنها حقائق علمية ، وعلينا أن نقول أنها (وجهات نظر

وفروض) قد تخطى. وقد تصيب وأن تقدمها في إطار عصرها وبيئتها، لا على أنها علم خاص صالح لكل الأمم والأزمان وأن يكون ذلك أمرنا بالنسبة للمترجم من الفكر الغربي، على أن يكون الفكر الإسلامى بمختلف مفاهيمه وفنونه ومعاله ومعطياته العظيمة الكبيرة بين أيدي أبنائنا، ماثلاً عليهم نفوسهم، فلا يستطيع الفكر الغربى أن يأخذ بألبابهم، ذلك أن الفكر الإسلامى هو العطاء الحقيقى الذى تسمى البشرية اليوم للبحث عنه، أما الفكر الغربى فإنه يمر الآن بمزحلة الأزمة والهزيمة والاضطراب بعد أن فقد قدرته على العطاء فى بيئاته الأصلية، وهو بالأحرى لن يكون قادراً على العطاء فى بيئات أخرى، أما من ميراثها العظيم... ما يكفينا، إن فكرة (جواز الأخذ بثمرات تحارب الغرب ونتائج اجتهاداتهم فى أمور الدنيا) لم يتوقف المسلمون عن الأخذ به ولم يدع الفكر الإسلامى إلى الاعتراض عليه فالحكمة ضالة المؤمن إن وجدها فهو أحق الناس بها، وليكن هذه الثمرات هى فى مجال العلوم وأساليب العمل وأدوات الخبرة، وليكنها لن تكون مطلقاً فى مجال أسلوب العيش أو الأخلاق أو الاجتماع، فنحن فى هذا المجال أغنياء بمنهجنا الربانى وبتجربتنا خلال أربعة عصور قرونا، وكل محاولة لدفعنا إلى اصطناع أسلوب العيش الغربى فإنما هى محاولة لتأخير مرحلة الاصابة والرشد الفكرى التى يجب أن يدخلها المسلمون فى العقد الاول من القرن الخامس عشر إن أخطر ما يحول دون ردم هذه الفجوة لثقت كانت مصدر مزائمتنا خلال مائة عام هو التغرب فى السلوك والأخلاق واصطناع طرائق الغرب فى الحياة الاجتماعية بكل ما يتصل باللهو والموسيقى والحرق وعلب الليل، هذا الانبهار بالأضواء التى تحطم القوة الذاتية للإنسان المسلم والتى حماه الإسلام منها للمحافظة على كيانه بما وضع من حدود وضوابط فى الهدف الذى يطمح النفوذ الأجنبى فى تعطيلها لأنها أقرب طريق إلى السيطرة والاحتواء للمجتمعات الإسلامية ومن هنا فقد كان حقا على المجتمع الإسلامى أن يسارع بتطبيق الشريعة الإسلامية وإعداد حياته فى إطارها على نحو كامل وأن يقف من امبراطورية الربا التامودية موقف المعارضة وإقامة المنهج الاقتصادى والاجتماعى الإسلامى كاملاً.

إن محاولة القول بأن تدريس الدين فى المدارس يمكن أسد هذه الفجوة أو لبناء شخصية المسلم هو قول لا يمثل العلاج الصحيح فإن هذا يعنى أن الدين شئ يدرس منفصلاً عن المجتمع وعن الفكر، والإسلام يرى أن الدين هو عقيدة ومنهج حياة

والتزام أخلاق ، أما كلمة الدين ، العربية فهي لا تمثل مفهوم الاسلام الحقيقي ، نحن لا نطالب بتعليم الدين وإنما نطالب بصياغة المناهج التعليمية والتربوية كلها في إطار الاسلام بمفهومه الجامع : هذا الاسلام الذي يعطى للاقتصاد والاجتماع والسياسة مفهومها الاصيل ويعطى العلم والفن والآداب مفهومه الجامع بمعنى أن هذه كلها حلقات متكاملة متراكبة في إطار واحد لا يطغى أحدها على الآخر ولا يتفرد بالوجهة دون المجموع السكامل ، إن الآداب والفن يجب أن يخضعوا لأخلاق الاسلام وكذلك فإن العلم يجب أن يتحرك في إطار مفهوم الاسلام القائم على الرحمة والآخاء البشرية ، وكذلك فإن مفاهيم الاقتصاد والسياسة والاجتماع إنما تتطابق مع الانسان الجامع للمادة والروح ، والقلب والعقل ، والدنيا والآخرة والتي تلزم حدود ما أحل الله وما حرم ، هذه المعاني يجب أن تفرسها تربية إسلامية أصيلة في نفوس الاجيال الجديدة حتى تشرق عليها إيماناً وثقة بمعظمة العطاء الاسلامي وبحاجة الغرب اليوم إلى نور جديد لن يقدمه له إلا الاسلام .

ويتصل بهذا تعلم اللغات الأجنبية والترجمة من الآداب الأجنبية وأخطر من هذا أن نرسل أبناءنا إلى أوروبا وأمريكا ليتعلموا اللغة العربية والاسلام من مسة شرقيين يهود ومسيحيين ، ليقدموا لهم مفهوم الاستشراق والتبشير للاسلام والرسول والتاريخ واللغة العربية فيحطموا في قلوب أبناءنا روح الايمان بالله وروح الثقة بمعطيات الأمة الاسلامية وليسيطر على أفئدتهم وعقولهم تحت إغراء التعليم الاجنبى فنأخذ ديننا من أفواه أعدائنا ومن ثم تنشأ في نفوسهم ظاهرة غرور عن الحق وتكبر عن أمر الله ويصبحون أداة طيعة للذين صنعهم في بلادهم فيحملون نزعات التغريب وكرهية القرآن والاسلام واللغة العربية وامتنانها وتملاء نفوسهم بالزور إزاء الغرب ومظاهر حضارته البراقة ويعارضون الطريق الاصيل الذي أوشك الآن قوى الايمان للعودة إلى مناهل الاسلام ومنابعه الاصيله ليستمد منها المسلمون حضارتهم الجديدة وأسلوب عيشهم الحقيقي بعد أن فسدت تجربة الاقتباس والتبعية والانتماء إلى الوافد الغربى بكل ما فيه من غربة وتمزق .

إن عطاء القرن الخامس عشر الهجرى في مطالعة يجب أن يتركز حول هذه الثغرة التي دخل منها كل هذا الشر إلى قلب المجتمع الاسلامى وعليه أن يحسم هذه القضية الخطيرة .

(٤)

مراجعات حول مادة إسلام

في دوائر المعارف الغربية

(ما تزال دوائر المعارف الغربية الفرنسية والانجليزية والأمريكية) تقدم مادة إسلام ، على نحو ما كانت تقدمه دوائر التيسير في القرن الماضي ولم تتحول بعد بالرغم من التغيرات الكبيرة التي دخلت على الفكر الغربي باقتراحه من مفاهيم الإسلام الحقيقية بالرغم من كتابات أساطين كتابه أمثال برنادشو ودرابر وجوستاف لوبون هذه الكتابات التي صححت كثيرا عما وقع فيه المبشرون والمستشرقون في فهم الإسلام وأمانا اليوم نصوص ما أورته دائرة المعارف البريطانية عن مادة (إسلام) وهي : نصوص أقل ما توصف به إنها محرفة ومتحيزة وبعمدة كل البعد عن منطلق الصيحة التي تعالت في الغرب بالحوار مع الإسلام والاعتراف بأنه دين سماوي .

وأول ما يلفت نظر الباحث المسلم أراء كتابات الغربيين عن الإسلام هو تقييم المصادر التي رجع إليها الكتاب في المادة التي تولى للكتابة عنها ، هذه المصادر هي التي تكشف بوضوح عن مدى رغبة الباحث في الوصول إلى الحقيقة فإذا كانت المصادر قوية ومنصفة ومؤلفوها من المشهود لهم بالبراعة والسبق والإنصاف وعدم التحيز كان معنى هذا أن الباحث يتبع نهجا علميا صحيحا وأنه جاد حقا في الوصول إلى فهم المادة موضوع البحث ، أما إذا كانت المصادر مشقة ومتأخرة وبعضها مجهول — كما أورده دائرة المعارف البريطانية في خاتمة بحثها — فإن ذلك يعطى أول علامة على ضعف منهجه بالبحث وعجز صاحبه — أو تعمله — عن الوصول إلى بعض الحقائق حول موضوعه .

والاستشراق الغربي له موقف واضح بالنسبة للمواد الخاصة بالإسلام (عقيدة وحضارة) : هذا الموقف هو محاكمة الإسلام إلى مفهوم الدين في الفكر الغربي وكلية الدين في الفكر الغربي (Religion) تعني التواحي الصادية فحسب ، فالدين في مفهوم الغرب علاقة بين الله والانسان وليس كذلك مفهوم الإسلام الجامع للملائكة بين الله والانسان وبين الانسان والانسان . وهذا مغز آخر من مغاز

هذا البحث يحول دون استيعاب جوانب الاسلام المختلفة . وكذلك فقد عرف أن كثيرا من المستشرقين وخاصة العاملين في دوائر المعارف الغربية يتعصبون لوجهة نظر مزدوجة : وجهة نظرم إلى الدين المسيحي الذين يؤمنون به فهم لا يقرون بوجود دين غيره أو بعده ، ومن ناحية المفهوم الاجتماعى والسياسى التى بحكم فلسفة الحضارة الغربية كلها ، والنفوذ الغربى فى بلاد الاسلام وكلها عوامل تمنع من الاعتراف بالاسلام أو تقديره تقديرا منصفامبرأ من أهواء السياسة أو الدين ومن هنا جاءت كتابة « مادة : اسلام » فى دائرة المعارف البريطانية (١٩٨٠) وعليها ظلال كثيرة من الشكوك والاعطاء وسوء الفهم .

ولو كان الباحث كاتب مادة (الاسلام) فى دائرة المعارف البريطانية يستهدف حقا الوصول إلى بعض الحقيقة لكان أولى له الرجوع إلى عدد من المؤلفات الغربية التى تنقسم ببعض الانصاف ولا نقول المؤلفات الغربية وكثير منها مترجم إلى لغات الغرب .

الدعوة إلى الاسلام : توماس أرنولد .

محمد : تولستوى .

المنازعة بين العلم والدين : درابر .

الابطال وعبادة الابطال — توماس كارليل .

تاريخ العرب — جوستاف لوبون .

تاريخ العرب العام — سيدىو .

مختصر التاريخ — ارنولد توينبى .

حياة محمد — أميل درمنجم .

محمد رسول الله — ايتان دينيه .

تاريخ العلم — سارطون .

حاضر العالم الاسلامى — لوثرروب ستوارد .

الاسلام خواطر وسوانح — هنرى دى كاسترى .

شمس الله تشرق على الغرب : سجيريد هونسكه .

روح الاسلام : سيد أمير علي :

فهذه المؤلفات مترجمة إلى اللغة الانجليزية وموجود أغلبها منذ وقت طويل بين أيدي الباحثين في الغرب ، وكذلك ترجمة معاني القرآن التي قدمها المستشرق مونيه والتي تتميز بأنها قريبة إلى الصحة وبمبداة عن التحريف . فلو أن الباحث كاتب مادة الاسلام في دائرة المعارف البريطانية كان يتوخى الحقيقة لرجع إلى هذه المصادر واتخذ منها مادة لبحثه ولاستطاع أن يقدم الاسلام على نحو أكثر انصافا وفهما ، ولكن مراجعته التي وردت في ختام البحث توحي بأنه اتخذ الطريق الآخر ، وهو طريق التعصب والتعامل الذي عرف عن ماملتون جب وغيره فضلا عن أنها أبحاث مستحدثة لا يقسم أصحابها بشهرة فائقة في عالم الاستشراق ولا يقدر من الانصاف في عالم البحث .

أما الاخطاء المتعددة في فهم الاسلام وفهم سيرة النبي ﷺ فهي نفس الاخطاء التي كان يرددها الاستشراق والتبشير في القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر منذ ثبتت صلاته الواضحة بصدرية الخطيرين : الكنيسة ووزارة المستعمرات في الدول المستعمرة (بريطانيا وفرنسا وهولندا) وهذه الاخطاء ردها الاستشراق الغربي والصهيوني والماركسي على درجات مختلفة وتصدى لها الكتاب المسلمون منذ وقت بعيد ، منذ كتب جمال الدين الافغاني وكتابه في الرد على الدهريين وكتب محمد عبده رده على الوزير الفرنسي هانوتو ، وما تزال هذه الاخطاء تتكرر في كتابات خصوم الاسلام منذ أوردوا الفورد كرومر ، في كتاباته عن الاسلام وهي أخطاء يراد بها انتقاص الحضارة الاسلامية والمقيدة الاسلامية حتى لا تكون قادرة على إثبات وجودها واستعادة مكانتها الحقة ، وقد تجاوز الفكر الاسلامي في مطالع القرن الخامس عشر هذه الاخطاء والذهبات وأصبحت تعاليمه ومفاهيمه واضحة في مجال الفريبيين أنفسهم ، بعد أن ترجمت كتابات علماء المسلمين إليها ورددوها بعض المنصفين من كتاب الغرب الذين شهدوا الرسول (كارييل) وللشريعة الاسلامية (لامبير) وللحضارة الاسلامية (لويون) وللعلم الاسلامي (درابر وسارطون) كذلك فقد كشف في الاخير الدكتور موريس بوكاي حقائق كثيرة عن القرآن الكريم أصبحت معروفة في الفكر الغربي كله . أما دائرة المعارف البريطانية فزالَت خاصمة للكنيسة الانجليزية المرتبطة بالنفوذ الصهيوني والمحتواة من التفسيرات اليهودية التي خضعت لها البروتستانتية في الغرب كله .

ومن أخطاء دائرة المعارف البريطانية والاستشراق الغربي عدم القدرة على التفرقة بين مفهوم التوحيد والنبوة بين الأديان والإسلام والفرق بين الألوهية والنبوة والفرق بين الرسل والصحابة وكذلك عجزهم عن فهم المعجزات وخطأهم في فكرة وحدة الأديان وكذلك عجزهم عن فهم التكامل الجامع في الإسلام ونظرية الانشطارية الغربية كذلك خطأهم في إخصاص الإسلام الجامع بين المادة والروح لمنهج التفسير المادى للتاريخ القائم على المادية وحدها .

فالإسلام دين جامع بين المادة والروح والعقل والقلب والدينا والآخرة وحيث يفرق الإسلام بين الألوهية والنبوة في مفهوم التوحيد الخالص لا تفرق المسيحية بين هذين المعنيين ، أما فكرة وحدة الأديان فصدها أنها جميعها من عند الله تبارك وتعالى ولكن الخلاف وقع في التفسيرات التي قدمها رؤساء الأديان .

كذلك يفرق الإسلام بين النبي المؤيد بالوحي وبين الصحابة الذين يصيرون ويخطئون ، كذلك فإن القرآن رسالة الله تبارك وتعالى إلى العالمين جميعاً موحي بها وليست من كتابات الصحابة أو الحواريين .

وأهم من ذلك كله أن كتاب الغرب حين يكتبون عن الإسلام إنما يبدأون من فكرة مسبقة يحاولون اقتناص النصوص التي يؤيدون وتجاوز النصوص التي تعارضها .

وبالجملة فالتطلع إلى أن يدخل الاستشراق عصرأ جديداً فيه كثير من الانصاف والبعد عن الهوى والتحريف والتعصب وبالله التوفيق .

مق يعود الأدب المعاصر إلى أصالة

يمر الأدب العربي المعاصر بمرحلة من مراحل الضعف والترق نتيجة للتبعية الخطيرة التي احتوته من جميع أقطاره وفرضت عليه المنهج الوافد : بمفاهيمه الوهمية والمادية والإباحية وهي عبارة مفاهيم النقد الأدبي الغربي ، والماركسي والصهيوني التي سيطرت سيطرة كاملة على القصة والرواية والمسرحية والشعر والأغنية والفنون جميعا فأخرجتها من مفهوم الإسلام الأصيل . ولما كانت المرحلة التي يمر بها العالم الإسلامي هي مرحلة التحدي والمواجهة للأخطار التي تسكتنفه فإن استجابة الأدب لها على هذا النحو ضئيلة وعاجزة لأن الأدب العربي قد انحرف عن مفهومه الأصيل الذي استمدته من القرآن والسنة وجرى فيه مع المذاهب الوافدة التي أخرجته من مضمونه الجامع بين المادة والروح وأسلته إلى أهواء أصحاب الأباطيل .

ولذلك فلا بد أن يتحرر الأدب العربي من هذه القيود حتى يستطيع أن يؤدي رسالته الحققة .

أولا : محاذير في تاريخ الأدب العربي الحديث

تكشفت في السنوات الأخيرة حقائق أصبح من الضروري معها إعادة النظر في تلك الحصيلة الأدبية الضخمة التي عرفت باسم الأدب العربي الحديث والتي ظهرت على مسرحيات تلك الأسماء اللامعة : طه حسين ومحمد حسين هيكل والعقاد والوهاب وزكي مبارك والمازني .

فقد تبقى عدة حقائق خطيرة أصبحت ذات أثر واضح في مجرى الدراسات الأدبية ، أبرز هذه الحقائق هي مجاعة هذا التيار كله وانفصاله تاما عن مصدره الأصيل وأصله الأول الذي تفرغ منه وهو الفكر الإسلامي وذلك في محاولة عاقبة متعردة قام بها هؤلاء جميعا لإعطاء الأدب العربي الحديث منطلقا عقليا يقوم على الانفصال عن الأدب العربي خلال أربعة عشر قرنا ونجاهل تلك الحصيلة الضخمة والخط المتصل والاثر الواضح ومحاولة دراسة صفحات ونماذج وشخصيات من هذا الأدب العربي في مراحل مختلفة دراسة مستقلة تتحكم فيها مناهج النقد الغربي سواء الفرنسي منه أو الانجليزي وسواء في نقد الشعر أو نقد النثر .

وقد كانت هذه التبعية لمناهج النقد والتقييم الغربي هي أخطر هذه التحولات وكان الاصرار على هذا الانفصال على أساس أن الأدب الحديث الذي ظهر في أوائل هذا القرن الميلادي إنما هو أدب عربي حديث ، منفصل تماما عن تاريخ الأدب العربي الحافل المتصل وكان في ذلك معنى الخضوع الواضح لعوامل النفوذ الاجنبي سواء بالتبرؤ العقيم من الاتصال بالأدب العربي ومتابعة خطه المتصل حتى بدأ الأدب العربي الحديث وكأنه لقيط غدير متصل بالنسب بأصوله وقيمته ، وكان إخضاعه لمناهج النقد الغربي الوافد (منهم من خضع للنقد الفرنسي كله حسين وهيكل وزكي مبارك ، أو النقد الانجليزي كالمازني والعقاد) .

هذا الخضوع كان محاولة أخرى لمزل الأدب العربي الحديث عن مكانه الطبيعي باعتباره وحدة من وحدات متصلة بالفكر الإسلامي يجب أن لا تنفك عنه ولا تنفصل .

ومن يتابع أسلوب النقد الادبي يجد تلك القبعية للمناهج الوافدة التي تحكم الانسان والبيئات على أساس مادي خالص وخاصة منهج تين وبروتير وغيرهما التي صدرت أساساً عن الفكر المادي العربي الذي ينظر إلى الانسان على أنه مادة خالصة : خاصاً للجنس وللقيمة العيش وهي مذاهب أدبية استمدت وجودها من نظرتين أساسيتين : نظرية التفسير المادي للتاريخ ونظرية التحليل النفسى لفرويد وكلاهما تعبر الانسان حيواناً خاصاً لشهوتى البطن والفرج ليس إلا وبذلك خرجت مذاهب النقد من المفهوم الاسلامى الجامع الاصيل الذى ينظر إلى الانسان على أنه جماع روح ومادة وعقل وقاب .

كذلك فإن معارك النقد قد ثبتت تماماً ما وصحت به من أنها قامت على الخصومات الشخصية والسياسية فضلاً عن أسلوب الافذاع والهجاء العنيف الذى اتسمت به هذه المعارك وخاصة ما كتب فى كتابى الديوان (العقاد والمازنى) والسفود (الرافعى) كذلك فقد خضعت التراجم الادبية لهذا الاتجاه وانفصلت عن الاطار العام وأوغلت فى الانحراف حين أبرزت صور بشار وابن الرومى وأبى نواس وعشرات من الشعراء الذين عرفوا بالاباحية والهجاء .

وقد صور هؤلاء على أنهم أبرز شخصيات الادب العربى بينما تجوهمت تلك الشخصيات الرفيعة العالية من الكتاب والشعراء والمفكرين البارزين بحجة أن ما يكتبونه ليس أدباً وأن الادب هو ما يتصل باهواء النفس والجنس والفزل والهجاء وإن ماعداه لايدخل فى باب الادب وذلك ممعن آخر من مفاخر فساد النظرية الادبية جملة .

ولقد بدت فى الافق فى السنوات الاخيرة حقائق أدبية جديدة جدرة بأن تكون موضع نظر الباحثين فى تاريخ الادب العربى الحديث ، أبرزها ما أطلق عليه « فساد الحياة الادبية » وتلك التقاليد التي أدخلها « الاساتذة الكبار » وما يتصل بها بفساد المناهج الجامعية واستملاق أسلوب السطو على الكتب .

وقد كشف هذه الظاهرة الدكتور محمد نجيب البهنيسى فى مقدمة كتابه (١)؛

هذه سنوات والاستاذ محمود محمد شاكر هذا العام في مقدمة كتابه
عن المتنبي .

وقد سجلت الظاهرة خطراً كبيراً وشرأ كثيراً ، وصم الحياة الادبية بأشد
الوان الاضطراب وكشف عن أن كل ما أصدرته من أحكام كان خاضعاً للاهواء
البشرية المضللة .

يقول الاستاذ شاكر : كان من عادة (الاساتذة الكبار) وهي عادة تركت
في حياتنا الادبية إلى اليوم فساداً ساحقاً : أنهم كانوا يخطئون في العلن ويتبرأون
من أخطائهم في السر وكانوا لا يصبرون على من يدلهم على الخطأ ويستنكفون كبراً
أن يؤوبوا إلى الصواب بل كانوا لا يتورعون بالايقاع بمن يدلهم على الخطأ
ويتعقبونه بالأذى من وراء حجاب . .

وهذا المعنى الذي أشار إليه الاستاذ شاكر كان واضحاً وضوحاً شديداً
في قضية الدكتور طه حسين حين كان يهمس بأراء تخالف ما أذاعه في كتبه .
ولقد أشار زكي مبارك غير مرة إلى أن طه حسين كان يتعقبه بالأذى نتيجة
اختلافه معه في الرأي أو الكشف عن خطأ من أخطائه وأنه لم يكن يرد على دهاواه
بل كان يدبر له المكائد في رزقه في الخفاء .

كذلك أشار الاستاذ شاكر إلى أن الاساتذة الكبار كانوا لا يحبون إلا الثناء
المحض المصفي الخالص من كل شائبة فإذا جاءهم غير ما يحبون تهمروا لمن أتاها به
تتمر من لا يبيت على دمنة (أى حقد) .

هذا هو المنهج الذي عرف به الاساتذة الكبار في أسلوب تعاملهم مع زملائهم
وتلاميذهم وقد أشاعوه في الحياة الادبية سنوات طوالاً ولشأ عنه ذلك النفاق
المجيب الذي أفسد كل شيء .

ويشير الاستاذ شاكر إلى مسألة السرقة والسطو التي كانت إحدى طبائع
الاساتذة الكبار فيقول : إن طه حسين أمضى عاماً كاملاً يتحدث عن نظرية
الشعر الجاهل وانتعاله وهي نظرية كتبها المستشرق مرجليوث وقرأها شاكر
قبل أن يتحدث عنها ومع ذلك فقد أصر الدكتور طه على أن النظرية من محصولة
(م ٢٣ - المذ الاسلامي)

ولم يشر من قريب أو بعيد إلى المصدر الذى أخذ منه مع أن كتاب الشعر الجاهلى بالنسبة لبحث مرجليوت لا يزيد عن أن يكون (حاشية الدكتور طه على متن مرجليوت) .

يقول : إن هناك قضية السطو على أقوال الناس وآرائهم وأعمالهم ثم ادعاء حملها كمالك عزيز مقتدر ، ثم الاستعلاء بهذا الملك المنصوب والاستطالة به على الناس وأبصح من ذلك أن ينكشف أمر هذا الغصب والسطو ويقاسم به الناس ويدل الكتاب والعلماء على الأصل المنصوب كتابة موثقة منشورة ، فلا يزال الساطى بشئ من ذلك كاله زوداد جراءة وآتيها وادعاء واستعلاء واستطالة ، كان الذى قيل عن سطوه لم يقل ، وكان ظهور سطوه فضيلة ترفع من قدره وتنوه به فى الجامع .

يقول الأستاذ شاكر : دخلت الجامعة ومعى متن مرجليوت فى مسألة الشعر الجاهلى ، مضغيا إلى أستاذنا الدكتور طه ، كنت أقرأ المتن بعينى وأسمع الحاشية على المتن بأذنى ، وأخذنى من الحيرة والدمشة ، كل يوم أقول لنفسى ، عسى ولعل وأتوقع أن يذكر الدكتور طه مرجليوت مرة ، وينسب إلى الرجل رأيه فى مسألة الشعر الجاهلى ، مجرد إشارة وذهب توقى باطلا هذرا لم أسمع منه لا « انتهى بى الحديث » وإذا كل شئ منه هو يبدأ وإليه ينتهى ، كيف يكون هذا والمتن أمامى أقرؤه بعينين مبصرين وكل شئ يقول الدكتور طه من هذا المتن وحده يبدأ وإلى المتن وحده ينتهى .

يا لخيرتى وهجى لو مرة واحدة ذكر الدكتور طه اسم « مرجليوت » ، لنجوت من هذا القول التى كانت تفرغنى وتتشبب بى ، ثم يقول : وقفت أجادل الدكتور طه فى المنهج وللشك حتى انتهت ثم استدعانى فدخلت عليه فماتبنى وأنا صامت لا أستطيع أن أورد ، لم استطع أن أكشفه بأن محاضراته التى لسمها صلوخة كلها من مقالة مرجليوت لأنها مكاشفة جارحة من صغير إلى كبير ولكنى كنت على يقين من أنه يعلم أبى أهدم ، من خلال ما أسمع من حديثه ومن صوته ومن كلماته ومن حركاته أيضا ولكنى من يومئذ أيضا لم أكف عن اذاعة هذه الحقيقة التى أكنمها فى حديثى مع الدكتور طه وهو أنه سطا سطوا كريها على

مقالة المستشرق الاعجمي فكان بلا شك يبلغه ما أذيمه بين زملائه .

واشتد الامر وتدخل بعض الاسانذة كالاستاذ نلينو والاستاذ جوبدي من المستشرقين وكنت أصارحهما بالسطو وكانا يعرفان ولكنتهما يداوران إلى أن جاء اليوم الذي عزمت فيه على أن أفارق مصر لا الجامعة وحدها .

ويدهمخ الاستاذ محمد محمود شاكر العصر الادبي كله حين يقول :

« كانت قضية السطو فيما قبل عام ١٩٢٨ تسير على استحياء وكان ما بقي من أخلاق الناس في الناس يكف من خطواتها في حياتنا الادبية ، ولكن لما تأرمت مسألة الشعر الجاهلي في الجامعة وعلم من يكن يعلم أن الذي قيل فيها إنما هو سطو مبين على مقالة مارجليوث اختلف الامر اختلافا شديدا فالجامعة وجميع أسانذتها يومئذ قد علموا علما يقينيا أن كتاب (في الشعر الجاهلي) قائم على السطو على مقالة مارجليوث بخلافيرها ومع ذلك فقد ابتلعت الجامعة وأسانذتها هذا السطو ثم تسترنا عليه ، لا بل أحاطوه بالرعاية وبالعصبية فكان ذلك لإقرارا بالصمت لهذا المبدأ فن يومئذ أخذ من كان بالامس يستحي أن يوضع بالسطو يخلع رقع الحياء عن وجهه شيئا بعد شيء واستحدث كل منهم وسيلة من الوسائل وأسلوباً من الأساليب يجعل هذا السطو يبدو ضرباً من (التجديد) في دراسة الادب وفي إنتاج الادب .

وبدأ للسطو من بعض الاسانذة الكبار تزداد أساليبه خبثاً ونكراً ودماء ومسكراً يوماً بعد يوم تحت سيطرة الإرهاب الثقافي الذي تولى كبره الاسانذة الكبار وتسهل من أمره ما كان يستهيب وبدأ الكبار يستغلون الصغار أيضاً ويدربونهم على السطو الصريح بأساليب تخفي شيئاً من معالنه ودارت العجلة ولم تزل تدور وجاء جيل بعد جيل أصاب طريقاً نافذاً فسلك واستقر الامر على ذلك في حياتنا الادبية إلى اليوم : أقول لك في البحث الادبي والعلمي بلا استثناء إلا من عصم الله وهم قليل وليت الامر وقف عند ذلك القدر من المكر والدهاء في السطو ، ليت وقف ، ولكن انحدر بعد إلى هوة السطو الحر وقرارته ، انحدر إليها بلا قناع إلا قناع الزمن الذي يسد له على أعمال الناس بالتقادم .

مثال ذلك كتاب كان صاحبه يحميه حيا ، فلما هلك ملككت معه الحماية وأسدل

الرومان عليه قناعه ، يأتى أستاذ فيعيد بشره بنصه كما كان ، ولكن عليه اسمه هو ويرتفع الأمر إلى المحكمة فتحكم بأنه سطو دون أن تلجأ إلى خبير من أهل هذا العلم ، لأن الأستاذ قد أغنى المحكمة عن إرهاق الخبير ، كان سطواً حراً . سطراً سطراً ثم مات الأمر وابتلعت حياته الأدبية ابتلاءً حراً ، بلا استنكار لا باليد ولا بالسان ولا بالقلب ، وإذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا ريب فى أن السطو الخفى المتقن الذى يلبس طيلسان الجامعة أو برد الاستاذية أو يمتثل فى ثياب موشاة من البحث العلمى ، خليف أن يعد هندنا فى حياتنا الأدبية تساييح عبادة فى محراب الفنون والآداب .

ويقول الأستاذ شاكر : أتلفت اليوم إلى ما أشفقت منه قديما من فعل (الاساتذة الكبار) .

لقد ذموا بعد أن تركوا من حيث أودوا أو لم يريدوا حياة أدبية وثقافية قد فسدت فساداً وبلا على مدى نصف قرن ، وتجددت الأساليب وتنوعت وصار السطو على أعمال الناس أمراً مألوفاً غير مستنكر ، يمتنى فى الناس طليقا عليه طيلسان البحث العلمى وإن لم يكن محسوساً إلا ترديداً لقضايا غريبة ، صاغها غرباء صياغة مطابقة لمناهجهم ومنابتهم ونظراتهم فى كل قضية واختلط الحابل بالنابل قل ذلك فى الادب والفلسفة والتاريخ والفن أو ما شئت فانه صادق صدقاً لا يتخلف قالاديب مصور بقلم غيره والفيلسوف مفكر بعقل سواء ، والمؤرخ ناقد للأحداث بنظر غريب عن تاريخه ، والفنان نابض قلبه بنفض أجنبى من تراث فنه : وارحمناه .

ثانياً : محاولة لاعادة تقييم عمل الادباء العرب في الجيل السابق .

هناك حركة غاصبة يحمل لرائها بعض المشتغلين بالصحافة العربية في هذا العصر تحاول أن تضع طابعا من القداسة الكاذبة على بعض الاسماء التي لمعت في العصر السابق من أمثال : طه حسين ، واطفي السيد ، وسلامة موسى ، وعلى عبد الرزاق ، وقاسم أمين ، وساطع الحصري ، وغيرهم .

وتصفهم بعبارة رديئة هي عبارة « القمم الغوامخ » ، كأنما لا يجوز لاهل هذا العصر من المفكرين لاعادة تقييم عمل الادباء العرب الذين سبقوا على الطريق . وكأنما كان هؤلاء الادباء مبرهون من كل خطأ أو كأن نقد أعمال هؤلاء الكتاب ووضعها في ميزان صحيح من النقد والتقدير عمل محرم .

والحقيقة أنه لا يوجد أدب ولا أديب من لمعت أسمائهم لمعانا خاطفا هو فوق النقد وإذا كنا نراجع أعمال النوابغ الذين لا يقاس عليهم أمثال الغزالي وابن تيمية وابن حزم وابن القيم . وغيرهم من أصدق الناس إيمانا بمسئوليتهم وأمانتهم للفكر الإسلامي فكيف لا يجوز لاعادة تقييم أمثال هؤلاء الكتاب الذين ليس لهم مثل هذه الأمانة . والذين عاشوا في مرحلة من أشد مراحل التجدي والتنفوذ الأجنبي .

وقد استخدم كثير منهم في تنفيذ مخططات التغريب والغزو الثقافي ، بل ووصف كثير منهم بأنهم كانوا قناطر للفكر الغربي ومن الحق أن يقال أن هذه المراجعة والتقييم لأعمال هؤلاء لا تقوم على رأى مسبق باتهامهم أو العمل على انتقاصهم ، فنههم كثيرون كانوا بمثابة قناطر بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي عن نية حسنة أو منطلق صحيح أو محاولة أو اجتهاد يقوم على الاعتقاد بأن هذا هو الطريق النافع للأمم .

ونعتقد أنه لا يمكن الحكم على هؤلاء جميعا بحكم واحد ، ومنهم كثيرون اجتهدوا فأخطأوا فنههم أجر المجتهد ، ولكن منهم من كان يقصد حقيقة إلى أن يقوم بدور في خدمة النفوذ العربي وكان يحمل في صدره أحقاد — كشفتها كتاباته من بعد — في مواجهة الاسلام والأزهر والمروية — بعضهم كان يهدف

حقيقة إلى تسميم جميع الآبار وتقل كل ركام الفكر البشري القائم على الاتحاد والاباحية والمادية لخلق جو من الضباب الشامل أمام رؤيا الفكر الاسلامي الصافية النقية القائمة على التوحيد الخالص .

ولا ريب أن أمثال محمد عبده والمقاد ومحمد حسين هيكل ، ورفاعة الطهطاوي والسكاكبي كانوا يقصدون خدمة أمتهم ولم يكونوا عملاء . ولكن مجرى فكرهم اختلط بمفاهيم وافدة تأثروا بها فأخطأوا في بعض الفروع .

وعلينا أن نمكش هذه الجوانب وليس في ذلك ما ينتقص من مكانتهم وعدهم الحقيقي ولكن يجب التنبيه على تلك الأخطاء ولكن هناك مجموعة أخرى كانت ضالمة مع التغريب والغزو الثقافي تحمل في أعماقها ذلك الحقد الدفين والرغبة الراجبة إلى التدمير .

وما اعتقد أن هذه المراجعة ، وإعادة النظر في هذا النتاج الادبي الذي صدر في أبان مرحلة من أخطر مراحل أمتنا ، وكان عاملاً في دعم وتركيز قواعد التغريب التي ترى إلى صهر أمتنا في بوتقة الفكر الغربي والقضاء على معالم الاصاله الاسلاميه البارزه في أدبها وفكرها وما يمكن أن توصف هذه المراجعات بأنها محاولة لانتقاص الادب العربي ولا كشف وجهه هو لاء الادباء أو أنه ينتقص قدر العمل الادبي والفكري الذي سار فيه عدد ضخم من الأبرار الذين حملوا لواء الاصاله ولم يذكروهم أحد لان تلك الاسماء التي أبرزتها السياسة الحزبية وحركة التغريب قد حظيت بأكبر قدر من الشهرة والتبريز بحيث حجبت تلك الاسماء السكريمه التي كانت تعمل خالصه لوجه الحق وحده .

فعل الذين ينزعجون من كشف زيف أمثال : طه حسين ، وإطفي السيد وغيرهم أن يخففوا من غلوائهم وأن يؤمنوا بأن ذلك لن ينتقص النهضة ولن يورع مكانه الامه ، ولن يمتزح من كرامة التاريخ الادبي ، وإنما على العكس من ذلك فإنه سينقيه ويضعه في ميزان الحق .

وإنه ليس من مصلحة أى أمة أن تنفخ ببطلولات زائفة ، أو تحتضن أسماء لا ممة ، لم يكن لمعانها في الحقيقة قائماً على مجد أصيل ، وإنما كان من عمل خصوم

هذه الامة لإعطاء وإعطاء مكانة غير صحيحة وقيمة كاذبة في نفوس الناس فتخدعهم عما يقدمون من سموم .

ولا ريب أن اليقظة الإسلامية التي كشفت عن زيف هذا الاتجاه المعارض للأصالة منذ وقت طويل لابد أن تدحض هذه الشبهات وأنه تبين وجه الحق . فان هدف التغريب ورجاله عن استغلالوا بمظلة الأدب العربي في العصر السابق ، هو هدم كل مقومات الأصالة الإسلامية والقيم الأساسية لهذه الامة ، واحتواء هذا الفكر وصهره في بوتقة الامة العالمية .

ولذلك فان عمل هذه المؤسسات التبشيرية والاستشرافية التي تمثلت كتابات هؤلاء الغربيين هي بمثابة خطر حقيق وحاجز قائم يحول بين المسلمين وبين معرفة جوهر فكرهم بما يثير هؤلاء من شبهات في مجال النقد الأدبي، والفلسفة، والثقافة والتاريخ والنزات . هذه القيم الشوامخ التي يمكن أن تسقط وهي في ظن البعض أنها هي التي صنعت نهضة مصر أو نهضة الشرق وخاصة في مجال الاتصال الوطني أو التحرر من النفوذ الاجنبي .

وهذا لا ريب وهم كبير خدعتنا به الاسماء الالامعة .

فان هذه الاسماء الالامعة لم تصنع تلك النهضة التي يظن أنهم صنعوها وإنما صنعها غيرهم من ذوى الاسماء المجهلة التي لم تحرز مثل هذه الشهرة العالمية المدوية، أولئك المخلصون الصادقون فان أحداً لم يذكركم اليوم .

أما هذه الاسماء الالامعة فانها لم تصنع شيئاً ومصدر شهرتها إنها عملت في مجال السياسة والحزبية والصحافة يوماً بعد يوم . في ذلك الركام المضطرب العاصف من الصراع الحزبي والجدل السياسي والهجاء المرير ، فأعطاهم هذا كل هذه الشهرة .

أما جهدهم الحقيقي في مجال بناء النهضة فهو قليل وأمثال هؤلاء اللامعين لم تكن كتاباتهم في الادب والفكر تساوى واحداً من مائة من كتاباتهم السياسية والحزبية والجدل والهجاء ولم تكن تساوى واحداً من ألف من كتابات ذوى الأصالة والثقافة والتناج الجيد .

ولكن السياسة والحزبية هي التي أعطتهم لمعان الاسم . إن أسماء كثيرة هي

التي أعطت النهضة الاسلامية دفعتها القوية من علماء وكتاب الاصابة الحقبة، وايس هؤلاء هم الذين قاموا بهذا الدور ولا تنكر أنهم شاركوا فيه بجهد ضئيل لا يتفق مع شهرتهم المندوية ولكن كانت لهم أخطاء وانحرافات فقد استمدوا دورهم ولشاطهم من مناهج الغرب وعجزوا عن فهم مناهج الاسلام فأخطأوا فيها ونقلوا عن الاستشراق كثيراً .

ولكن الاصابة الحقيقية كانت ممثلة في مجموعة ضخمة لها دور حقيقي من أمثال مصطفى صادق الرافعي ورشيد رضا وشكيب أرسلان وعبد الدين الخطيب وحسب البنا وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم . وأحمد زكي باشا ، وطاهر الجزائري ، وأحمد تيمور ونديم والمويلحي ، والسكواكبي ، وعلال الفاسي ، وأحمد فنيق ، والبكري ، والمويلحي والمنفلوطي والبشري ، والويات والشمالي وعزام ، وباديس ، والمازني وحسن عبد الوهاب ، وفريد وجدي والغلاييني وطنطاوي جوهري وخلاف .

فكيف يمكن إنكار هؤلاء جميعاً وتجاهلهم وإدامة الحديث عن ثلاثه أو أربعة هم : طه حسين ، والمقاد ، وهيكمل ، وسلامة موسى إلا إذا كان هناك هدف مبيت لاعتلاء هذه الاسماء وحدها وتجاهل هذه المجموعة الضخمة التي صنعت فعلاً يقظة الفكر الاسلامي واستمدت جهودها من مفهوم أصيل للتراث الاسلامي وفق انطلاقة حقيقية بعيدة عن أخطاء الاستشراق وانحرافات الفكر الوافد .

أما هؤلاء السذج الذين يحاولون اليوم أن يستعملوا بأحساب باطلة موهمة بأن يدعوا أنهم تلاميذ لهؤلاء العالة للكذبة فانهم لا يستطيعون رد هذا التيار الاصيل الذي يحطم أصنامهم ، وأن هؤلاء الصغار إنما يدافعون عن وجود موهوم سرعان ما تزيجهم أضواء الحق : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) .

لقد قام عمل هؤلاء الرواد ، على الكذب والتضليل فحانوا أمانة القلم وأمانة أمتهم التي وكلتها ووثقت بهم .

ولا ريب أن تقييم أعمال الرواد تحت لواء الاسلام إنما هي ضرورة طبيعية لكشف حقائق الامور أمام الاجيال الجديدة التي خدعتها الاسماء الزائفة ذات

الشهرة المدوية ، هذه الشهرة التي كانت شكلتها ظروف وقوى وأوضاع لم تكن النبوغ الحقيقي أو الإيمان بالقلم أو الأمانة في حماية مقدرات المجتمع ، بل كانت التبعية للأغواء والتفريب .

ولذلك فإن ما يسمونه ظاهرة إنبهار جيل العمالة ليست أكثر من خدعه وهم يحاول به النفوذ الاجنبى أن يثبت وجوده ويؤكد الحصة التي حققها بغش هذه الأمة والتلبس عليها ، ولذلك يزعمه أشد الأزعاج أن ينكشف ما وراء هذه الاسماء التي لمعت في غفلة من الزمن ، والتي لم تكن ذات أصالة ، وإنما كانت هذه القوى هي التي فرضتها وخلقت لها هذه الشهرة المدوية كذباً وتضليلاً وبغير حق .

ثالثاً : شواهد النهضة الادبية :

إن نشوء النهضة الادبية من قلب قضية الحزبية السياسية بعد أن سقطت الدعوة الوطنية المنطلقة من الإيمان بالمفهوم الاسلامي (بعد أن انتهى جيل الحزب الوطني وظهور جيل حزب الأمة ثم سعد زغلول) وتحول مفهوم الحزبية السياسية وقيام مفهوم الاقليمية على منطلق الديمقراطية العربية للتقليدية :

كل ذلك قد خلق للأدب وأهل الادب تقاليد باطلة وزائفة استحدثت وجودها من ذلك الحرق الذي خرقه سعد زغلول حين فصل السياسة الحزبية عن الوطنية المرتبطة بالاسلام ، وحين دعا طه حسين إلى فصل الادب عن الفكر الاسلامي من ناحية ، وحين دعا جماعة المجددين — الثغريين — في هذا العصر وكانت يدهم مقاليد الثقافة والصحافة إلى فصل الادب العربي المعاصر عن الادب العربي الاسلامي وإعطائه قالياً إقليمياً حتى سمي بالادب المصري أو الفكر العربي وهما كلمتان ضالتان تهدفان إلى القضاء على استمرار حلقات الادب العربي المتصلة منذ فجر الاسلام وقطع سلسلة الفكر الاسلامي منذ نشأته ، وإقامة فكر عربي مرتبط بالغرب وبالمفاهيم العلمانية والمادية الوافدة وهذه الادب الجديدة التي تصور الانسان بمفهوم الحيوان .

وقد تشكل في هذه المرحلة تيار منفصل عن الفكر الاسلامي وفيه تبعية للمفاهيم الغربية التي تختلف عن مفاهيمنا في مجالات كثيرة ، تختلف في مفاهيم الاقليمية

والمصرية والفرعونية والقومية والديمقراطية الغربية وفي مفاهيم الوعامة الادبية وعلاقة الفردية بالإسلام وعلاقة المصريين بالعرب والعرب والمصريين بالإسلام والمسلمين ومفهوم الدولة العثمانية .

وقد بنى هذا الأدب مفاهيم وافدة في مختلف مجالاته ، وكان بعضها مسموما حتى حين حاول الشعر أن يخرج عن نطاقه ك مفهوم أصيل هو ديوان العرب والمعبر عن أزماتهم وأحداثهم وقضاياهم والتحديات التي تواجههم لقد كانت الدعوة التفريرية ترمى إلى إلسحاب الشعر من كل هذه المجالات وإتهامه بأنها أدب المناسبة إلى التقوقع والقصور حول الذات الانسانية ومشاعرها وكانت هذا مرحلة أولى في تلك المحاوله الخطيرة التي انتهت بظهور الشعر الحر وانطواء صفحة الشعر الاصيل إلى حين .

وكان أخطر مقاتل الحركة الادبية التي نشأت في مجال السياسة هو أنها حملت مفهوم الخلاف مع الانجليز في نفس الوقت الذي تينت واحتضنت فيه مفاهيم الادب الانجليزى وفصله في مختلف مجالاته عن الادب الفرنسى مع الاعجاب الخالص بالحضارة الغربية .

كان هذا هو مفهوم الحركة الوطنية التي قادها سعد زغلول وثوروت وعدلى وكانت تحمل ظاهريا طابع الخلاف - لا الخصومة مع الانجليز - مع الاعجاب بروح الحضارة الغربية واحتضانها في مختلف مجالاتها .

والدفاع الخالص عن القانون الوضعى ونظام الرأى والاقتصاد والرأسمالية الغربية والديمقراطية الليبرالية . والمفهوم القومى الاقليمى .

كانت بمفهوم معارضة النفوذ الاجنبى السياسى وتقبل النفوذ الاجنبى الفكرى والادبى والاجتماعى .

وهذه الممارك التي كانت تصور على أنها خلافات بين السياسة والاستثمار كانت تدور داخل فائرة الولاء النفوذ الاجنبى والايمان به والتفاهم معه ، وبمفهوم المراحل الذى تقبل من المحتل ما يمكن إعطائه وليس بمفهوم الوطنية الحقيقية المعارضة للنفوذ الاجنبى والتي تؤمن بأنها تعارض في نفس الوقت فكره الاجتماعى والعمل على التحرر من نفوذه إلى منهج منابر أكثر أصالة وأقرب

إلى روح الأمة نفسها والذي يمكن أن يستمد من الفكر الإسلامى فى الحكم والاقتصاد والسياسة والاجتماع .

لقد كانت الحركة الأدبية تابعة للفكر الغربى تبعية حقيقية ليس فى مجال الأدب بل فى مجال الفكر والاجتماع ، ولذلك فلا يمكن القول أنه كانت هناك خصوصية حقيقية بين كتاب الوفد مثلاً وبين الانجليز .

لقد كان هناك اختلاف وجهات نظر مرحلية ومحدودة ليس فى نطاق الاعتراف بالوجود البريطانى فحسب ، بل فى نطاق تقبيل الروح الغربية فى السياسة والاجتماع والحزبية وتقديرها وتقليدها والدفاع عنها بل إن مهاجمة النازية أو الشيوعية إنما كانت فى نفس خط الإعجاب والتقدير للفكر السياسى الغربى الديمقراطى .

كذلك كان كل العناية إلى الوطنية — بمفهومها السياسى الحزبى فى ذلك الوقت أولياء لفكر الغربى وللثقافة والحضارة الغربية .

(العقاد وهيكىل وطه حسين جميعاً) بالرغم من أنهم كتبوا عن الإسلام فيما بعد ، وربما كانت بعض الكتابات فى نفس الخط الذى يهدف إلى تأييد ديمقراطية الغرب أو الهجوم على الماركسية تحت لواء الاسلام .

وبذلك يمكن القول أن النهضة الأدبية كانت مشوبة بروح الاحتواء الغربى ولم يكن مؤمنة بالأصالة الإسلامية العربية المستمدة من المنابع الصحيحة .

لقد كان الأدب العربى يعيش فى إطار أقليمى وطنى سياسى حزبى فى كل كتابات الأدباء الذين كانوا فى نفس الوقت هم أقلام الاحزاب المنتقضة كالصواعق بالمهجم على خصومهم وهو الهجم الذى استعمل كل أساليب المسم وكلمات السباب ولكن حركة اليقظة الاسلامية سرعان ما استطاعت أن تمتلك زمام الأمور وتطرح الفكرة الاسلامية كنهج حياة ونظام مجتمع فيكون لذلك أثره العميق والواضح فى مجالات السياسة والصحافة والثقافة والأدب جميعاً .

وقد وصف الدكتور محمد محمد حسين هذه الظاهرة فقال : إن طه حسين والعقاد لا ينتميان أصلاً إلى المدرسة الإسلامية من الناحية الفكرية ولا حكمهما يقتضيان منذ نشأتها الأولى إلى المدرسة الليبرالية المحررة التي تعتبر لطف السيد أستاذها الأول في جيلهما والمدرسة الليبرالية بحكم العقل المجرد والمنححر من كل الموارث الفكرية والسلوكية في كل شيء . . ولا تبالي أن تلتقي مع الدين في كل وجهات النظر أو في بعضها أو تتعارض معه وتحالفه ولكن طه حسين كان أكثر عنفاً وأكثر جرأة في معارضة الدين وفي المجاهرة بما يثير الناس ليلفه إليه الانظار .

لقد هاجم طه حسين أبيه فيما كان يتلوه من أرواد في أحقاب الصلاة وفي الليل في كتاب الأيام .

ولكن طه حسين والعقاد قد اكتسحتهما الموجة الإسلامية العارمة فتأيمت كتاباتهم بعد أن أصبح ذلك هو البدع الشائع الذي يعم الأسواق .

ولم يعد التمسك بالفكر ونظراته المستوردة سمة من سمات المفكرين تستوى الأغرار من الشباب كما كان في العشرينات ، ويرجع هذا الانقلاب الفكري إلى عدة عوامل هدلت بالناس وبكثير من المفكرين عن طريق احتذاء الحضارة الغربية والفكر الغربي ودفعتهم إلى طريق الإسلام — موجة التبهر — مجرة اليهود إلى فلسطين — سقوط الخلافة على يد الكياليين ، ظهور جمعية إسلامية عظيمة يقودها الأخوان والشبان .

نعم : لقد تحول هذا الإطار الإقليمي الوطني والسيامي على يد حركة اليقظة الإسلامية إلى شيء آخر ، لقد أعادوا المفهوم الاصيل للفكر الإسلامي كأساس ومنطلق وإطار لكل هذه العناصر التي تتحرك داخل إطار بعد أن عمد التثريبيون وفي مقدمتهم طه حسين إلى أسلوب المقوق وعزلهم الأدب من مساره الطبيعي خلال أربعة عشر قرناً في نطاق القرآن وفصله عن النظرية الإسلامية الجامعة :

وهكذا يمكن القول بأن مفهوم التثريب الذي سار عليه الأدب العربي خلال

هذه الفترة — فترة التبعية السياسية — كان يعتمد على عناصر أساسية هي :

أولاً : تحكيم الأدب العربي في الفكر الإسلامي بإعطائه نفوذاً ذاتاً بسيطاً على تاريخ الإسلام وفكره وقيمه وشريعته ويحكم فيها حكماً باطلاً .

ثانياً : تحكيم مناهج الأدب العربي (سواء الفرنسي أو الانجليزي) في صياغة ونقد الشعر والنثر :

ثالثاً : فصل الأدب العربي المعاصر عن الأدب العربي في هراء المتمد وإطلاق اسم الأدب المصري أحياناً .

رابعاً : فصل التراجم الأدبية عن الأطار العام وإعلاء الشخصيات الموصومة أمثال بشار وأبي نواس .

خامساً : تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً غريباً وتابعة لتفسيرات للمستشرقين المسيحيين ، ذوى الخلفيات المعادية للإسلام :

سادساً : إقذاع النقد الأدبي وإبلاغه أقصى درجات الهجوم واستعمال الأسلوب الحزبي النازل .

سابعاً : صدور جميع معارك النقد من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستعلاء الذاتي ، وخدمة الثقافات الفرنسية والانجليزية والدفاع عن إحداها في مواجهة الأخرى .

ثامناً : لم يكن هؤلاء الأدباء يحملون صورة المثل الأعلى الأخلاق السليم وكانوا يتطلعون إلى صور البوهيمية التي عرفت في حياة أمثال بيرون وشيل .

يقول الدكتور محمد بن محمد حسين : إن هناك قاعدة أساسية ينبغي أن توضع في الحساب حين يوزن الأدباء والمفكرون من وجهة النظر الإسلامية هي أن الإسلام نظرية في السلوك يمثل ما أنه نظرية في المعرفة ، ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامي أو أدب إسلامي من مفكر أو أديب لا يمارس الإسلام ولا يلتزم به ومعروف أن طه حسين والعقاد لم يكونا ممارسين للإسلام في أصوله الأصيلة .

واقعد كان من وراء وسائل الإعلام جبهات مختلفة ذات نفوذ وساطان تجدها

عداوة الاسلام والكيد له وهي تعمل بأيدي ضعاف المسلمين الذين يفرهم
بريق المال والحياة .

هذا ويجب أن يوضع في تقدير الباحثين دائما عند مراجعة أتباع الادب العربي
الحديث أن : منصور فهمي وطه حسين وزكي مبارك ومحمود عزمي ، عندما
سافروا الى أوروبا تسلمتهم أيدي أساتذة يهود دفعوا منصور فهمي الى التهجم على
النبي وزوجاته ودفعوا طه حسين الى التهجم على ابن خلدون ودفعوا زكي مبارك
الى القول ببشرية القرآن .

وقد تبين لكل منهم من بعد خطاه ، وتأمر اليهود عليه . فحاول بعضهم العودة
وتراجع منصور فهمي وكشف ذلك ميكل صراحة ودعا زكي مبارك الى الاصاله
عن طريق حماية اللغة العربية من العاميات والحروف اللاتينية ، وهكذا حاولوا
تصحيح موقفهم الا طه حسين الذي ظل مصراً على موقفه حتى النهاية .

رابعا : التحديات التي تواجه الادب العربي الحديث :

عندما نرى الانحراف الشديد الذي يواجه الادب المكتوب باللغة العربية في
السنوات الاخيرة تعود الى تحديات الصهيونية . تقول بروتوكولات صهيون في
مادة (أدب) : « وفي خلال القرون التي تنعمت بقرون النور والتقدم وضعنا في
أيدي الناس هروبا من مادة الآداب المنشورة بالطباعة . هي غاية في التفاهة
والقذارة والثناثة : وبعد أن نقيم مملكتنا هذه الانماط من مادة الادب سنظل
على حالها سارية مسراها نروجها ونحث عليها .

(البروتوكول ١٣)

ولقد تناولت البروتوكولات روس مرضوعات هامة وخاصة فيما يتعلق
بالحرية والصحافة والتعليم والشباب وغيرها من القيم والمؤسسات التي يندفع في العمل
بها بعض من يظنون أنهم يخدمون أمتهم وأوطانهم . وهم في الحقيقة يخدمون
الاهداف الصهيونية بغير ثمن ، وهم ما أطلقوا عليهم تعبير « العميان » .

ولقد جرى في السنوات الاخيرة تساؤل عريض هو : لماذا لا يمثل الادب
المكتوب روح هذه الامة ؟ ولماذا تخلف وسقط وانحرف وضفت قدرته على التعبير
وحذف نقاده عن الاداء الصحيح ؟

والمسألة أبسط من البساطة : ذلك أن هذا الأدب الذي نراه سواء في مجال الشعر أو القصة أو المسرحية ، لا يستمد روحه من قلب هذه الأمة ، ولكنه يستمد مادته من الفكر الوافد ، وأغلب الذين يكتبونه لا يمثلون هذه الأمة ، وهم منحرفون في أساليب الأداء الوافدة ، فضلا عن أنهم رافضون لقيم هذا الأمة ومقدراتها .

إن أغلب هذه الكتابات هي حصاد الحفيم ، وهي ركام الشعوبية الحاقدة الضروس .

وهناك القليل والقليل جداً الذي حاول أصحابه أن يعبروا بإخلاص ولكنهم ضاعوا في غمار التيار الأسود الذي حجب ضوء الشمس سنوات طويلة .

ونحن نرى اليوم أن معظم ما يكتب تحت اسم أدب وشعر وقصة هو شيء مليء بالفتاة والتفاهة والقدارة حقاً . ونرى تلك الأسماء اللامعة التي ما زال يسوقها الإستشراق شرقة وغرباً من مؤتمر روما إلى مؤتمر إنجلترا إلى مؤتمر هذه العاصمة أو تلك من بلاد الغرب يحملون معهم أحقادهم وخصومتهم وكرهيتهم للغة العربية وللعرب وللإسلام ولعامود الشعر والخيال بن أحمد وللتبني والبارودي في العصر الحديث .

لا ندهش عندما نجد واحداً منهم يقول : وادعو إلى قتل الفصاحة وإلى تجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كثير ، وما يقوله هذا العقد السابع من القرن لا يختلف عما قال جبران وزملاؤه المهجريون في العقد الثالث : ولي لغتي وليكم لغتكم .

ولقد كان لتلك الفترة التي سيطرت فيها الشعوبية على الفكر الإسلامي والأدب العربي قبل النكسة وبعبارة أخرى ما تزال آثاره باقية وقائمة ولها أثر بعيد في تلك الضربات التي وجهت إلى الأدب العربي وإلى اللغة العربية .

وظهور هذه الصيحات المريضة التي حملت لواء كتابات أطلق عليها قصيدة النثر أو الشعر الحديث ، أو غيره من أسماء سرعان ما وجدنا من يدرس هذه الحثالات ويصنفها ويؤرخ لها ويعطيها طابع الظاهرة ، وكمن ظواهر كاذبة ظهرت في أفق الأدب العربي ، ثم انهارت وسحققت لانها لم تكن تملك حقيقة النسب

الصحيح وهو الاصاله ، ولم يكن هناك بد من أن يتصدى مستشرق مثل (جاك بيرك) إلى هذه المحاولات ويهمل لها ويكبر في كتابه في الادب العربى المعاصر الذى أصدره عام ١٩٦٦ .

وقد ظن وظنت معه مؤسسة الاستشراق أن ما كانوا يطعمون فيه من فضاء على البلاغة والاصالة فى الادب العربى قد تحقق على يد هذه المجموعة من الشعراء والقصاصين وظنوا أنه إذا فتحت الصحف والمجلات ذات الالوان الزاهية أبوابها لمثل ذلك فإنما دخل هذا كله إلى التاريخ، وأصبح حصادا موجودا وتيارا واضعا ، وكذبوا ، فقد كان ذلك كله من خداع النظر ووهم الخاطر .

ذلك أن هذه الامة قد عودتنا دائما أنها فى خلال الازمات الضخمة لا يستجيب الادب لها ولا يستطيع أن يعبر عنها وانما الذى يعبر عنها حقيقة وهو الفكر ، وآية ذلك ما وصل إليه الباحثون فيما يتصل بأحداث عمالة كالحروب الصليبية، ومقاومة التتار والفرنجية وغيرها .

إن هذه اللوحات التى تقدم سواء فى القصة أو الشعر هى فى تقدير الكثيرين غثاء ، لأنها لا تمثل حقيقة هذه الامة . ولأن أغلب الذين كتبوها لم يكونوا إلا أتباعا لهذا المذهب أو ذاك : ماركسية أو وجودية أو ليبرالية ، وكلها مذاهب غريبة عن وجودنا العربى غير قادرة على تصور أعماق أمتنا وجوهرها الحقيقى . فضلا عن أن الذين تصدوا لتقويم هذا النتاج كله ، والنظر فيه ونقده ، إنعام من هواش هذه الامة لأنهم لم يطعمهم فكريها ولا نراثتها ولا قيمها . وهم فى الأغلب شعوبيون يحملون فى أحماقهم الحق والخصومة ، ويتطلعون الى أن تسيطر على هذه الامة : الماركسية أو الصهيونية أو غيرها ، فتقضى على ذاتية هذه الامة وكيانها .

وقد كان هذا أملمهم قبل البسكة وبعدها ، ولكن أسقط فى أيديهم عند ما وحدوا هذه الامة قد عرفت طريقها الصحيح وبذلك انهار كل الذى قدروه ودرسوه وقتنوه ، مما يسمى (الشعر الحديث الى أين) أو الآدب الوافى ، أو مذاهب كذا وكذا طرحت فى آفاق الادب العربى لتعايش أدبا غريبا عنه وهو فى مجموعه لا يمثل مشاعر هذه الامة :

وغير ما يمكن أن يصون هذه المرحلة تلك العبارات الواضحة الدلالة لواحد من القادرين على فهم نفسية هذه الأمة : نحن العرب لنا قيم وتقاليد. واقد تصور البعض أن مظاهر التقدم أن تهدم هذه القيم والتقاليد تحت ستار التقدمية ، وأن في الإمكان أن يسقط تراثنا ، ولا يلتفت إليه . وأصبح العهد والوفاء والإخلاص نوعاً من الغيبيات لا يصلح في عصر العلم والتكنولوجيا وكان طبيعياً أن ينقسم العالم العربي إلى فريق يرفض وينقض بقيمه وتقاليد وتراثه . . وفريق يحاول أن يركب الموجة الجديدة ، منفصلاً تماماً عن ماضيه وتاريخه وقيمه الموروثة .

في هذه الفترة وفي هذا الخضم من التيارات المتنافسة كدنا نفقد شخصيتنا ومقوماتنا إذ أصبحت التقدمية هي تجاهل أو طمس كل القيم وكل التاريخ وكل التراث ، واستحداث لون جديد من العلاقات الاجتماعية لم تألفه ولا نرضى به ، لأنه يتجاهل كل شيء لشأننا عليه ، وأصبح كل منا يرفض الاندفاع مع التيار الجديد . إما رجعياً أو عميلاً متحالفاً مع الاستعمار ، والأغلبية الساحقة من أمتنا ليست متحالفة مع الاستعمار ، وليس لها أية انتماءات . لقد رفضت هذه الأغلبية الدعوة الجديدة لأنها بعيدة عن تقاليدنا وقيمنا .

واقد بدأت هذه الدعوى توجه ضرباتها في ظل مفاهيم مثارة عن العروبة تلمس مذاهب الغرب في القومية، وهي مذاهب ليست صالحة لتطبيق على العلاقات الجذرية القائمة بين العروبة والإسلامية في ظل هذه النظريات الوافدة كان دعاة الأدب يدعون إلى الاقليمية أو إلى التجزئة أو إلى القوميات الضيقة ويفسرون أدب هذه الأمة على ما ليس من طبيعتها الأصلية التي لا تعرف إلا التراب والتمسك بالقديم الأسلامى الواسع الجامع بين العرب والترك والفرس والمسلمين جميعاً تحت إطار (لا إله إلا الله) :

ولقد سقطت دعوة الاقليمية والقوميات الفينيقية والوافدة لأنها اعتمدت مذاهب لم تجد تقبلاً من ذاتية هذه الأمة .

ولا ريب أن الأدب الذى كتب في ظل هذه المحاولات القسرية الباطلة هو أدب مضلل فاشل . وكذلك الحال عند ما طرحت في إطار بلاد الإسلام الدعوات الماركسية والوجودية ، وحاول أصحابها أن يستقطبوا مجموعة من الكتاب (م ٢٤ - المد الاسلامى)

والأدباء والفقهاء والمشرحين وغيرهم ليصنعوا منها «تراثاً» ، لهذا التباين الذي عجز أن يجد قبولاً في النفس العربية ، والذي كان مفروضاً بالقصر دون أن يجد استجابة حقيقية .

ومن هنا فإن هذا النتاج الأدبي كله لا يمثل حقيقة هذه الأمة ولا جوهر نفسياتها أو مشاعرها أو يستمد من روحها ووجودها .

إن من أكبر ما حاوله بعض النقاد وأساتذة الأدب في الجامعات هو محاكمة الأدب العربي الذي صدر عن النفس المؤمنة بالله ، والتي تعرف حقيقة الإنسان وجوهره الجامع روحاً ومادة ، ومسئوليته الفردية والتي تؤمن بالجزاء والحساب ، من الخطر أن يحاكم مثل هذا الأدب وفق النظريات المادية الماركسية والوجودية والفرويدية التي تعتبر الإنسان حيواناً ، باحثاً عن الطعام وباحثاً عن الجنس أو أنه جزء من المجتمع ، وليس له ذاتيته الخاصة :

ومن أسوأ آثار النظريات الوافدة في نقد الأدب العربي ومحاكمته : تلك الدعوة المسمومة التي حاولت أن تفصل الأدب العربي الحديث عن مسار الأدب العربي كله منذ فجر الإسلام إلى اليوم ، فشكل الدراسات تحاول القول بأن عصر الحملة الفرنسية هو أول العصر الحديث للبلاد العربية ، وأن ما سبق ذلك إنما يمثل عصر الانحطاط .

ونجد أماناً اليوم خطراً ما تلاه ذلك الأسلوب الذي يكتب به بعض الأدباء العرب ، ويخضعون فيه للأسلوب العربي المزروح الذي يكتب به دعاة التغريب والذي يصيغ الجملة العربية صياغة غير أصيلة . ومن يجب أن يمسح بعض المجلات الأدبية والإسلامية تنشر لأمثال هؤلاء . ومع الأسف بعضهم من خريجي الأزهر .

وقد يظن هؤلاء أن هذا تقدماً ، ولكنه من المحاذير الخطيرة التي يساق إليها كتابا دون أن يدروا ذلك أنهم إنما يباعون بين الأسلوب العربي وبيان القرآن .

ومن ثم تحدث تلك الفجوة التي يتطلع إليها دعاة التغريب مقدمة لعزل هذه الأمة وأسلوبها العربي عن نطاق البلاد العربية الصحيحة ، ومن ثم تبدأ مرحلة محول اللهجات العربية إلى لغات . وهنا يكمن الخطر الذي يهدد كل عربي ومسلم مستولاً عنه إن وقع .

خامسا : محاولة تزيف أصالة الادب العربي :

جرت المحاولات لضرب أصالة الادب العربي في ميادين مختلفة :

أولا : محاولة سلخ الادب عن القيم اللغوية ودراساتها ، ولما كانت الصلة بين الادب واللغة من أهم مقومات وجوده ، فقد جرت المحاولات لاختراجه الكتابات الجديدة من إطار اللغة ، واحتكار الاصول النحوية والبنيانية وكسر عامود الشعر . وضرب مفهوم الادب الاصيل هو جزء من خطة تتصل بالهجوم على اللغة العربية من حيث هي لغة القرآن ومناطق البيان العربي والبلاغة التي حملت لواء دعوة الاسلام وقدمتها للبشرية في أعلى صور الكمال .

والهدف هو انتزاع الادب من مكانه الحقيقي بوصفه عنصراً من مركب كبير هو الفكر الاسلامي .

ويتصل بهذا إعلاء الكتابات الشعبية والعامية والفلكلور المكتوبة باللهجات المحلية الدارجة والتي تتميز بتفاهة مضامينها .

وإعلاء شأن الشعر الحر بمفهومه المناهض للبلاغة العربية والحاقد عليها والمحتقر لها والمهادف إلى نفس الغاية التي تقدمها الأزجال والامثلة العامة من حيث صدورها من نفسيات ساذجة وعقليات تحمل طفولة البشرية . وكذلك إحياء الاساطير والخرافات وإعلاء الافليميات والقواميس الضيقة ، والادعاء كذاباً بأن الكتابات الشعبية والعاميات تمثل مشاعر شعبية ، ومن ذلك محاولة حصر الادب في كل ما كتب تحت اسم النشر الفني ، لاختراجه عصابات الادب الحقيقية من كتابات الغزالي وابن تيمية وابن حزم وابن القيم من دائرة الادب .

والغاية هي كسر البلاغة العربية وكسر عامود الشعر .

ثانياً : الحملة على الادب العربي الاصيل والتفكير من الادب البليغ الموروث ، والجامع لفنون الحكمة والتجربة العربية الإسلامية الموحدة بين الاجيال والشعوب وتحقير هذا الادب ووصفه بالرجعية والتخلف والحللفية ، وهم في سبيل هذا الهدف المسموم يرفضون الشكل وال قالب القديم ويدعون إلى خلق قوالب وأشكال جديدة لها مضامين كفسية وتوراتية وأسطورية قديمة (أمثال زيوس وباخوس وجالامش

وغیرها) وهی کتابات تحمل الصلابة والمناجل والمطارق ومحتوما قلق وتمزق وضیاع ووجودية سارتر ، وإباحية سيمون دى بوفوار وعصارة كل مذاهب الهجوم والتحریر من أمثال مصطلحات الخطیئة والقداء والعلب والخلص وتعبيرات الائمة والصراع الطبقي وخليط من الوجودية والماركسية ومفاهيم دوركايم ومدرسة العلوم الاجتماعية .

وهم دائماً يرددون تلك الصیحة المسمومة الكاذبة المتكررة وهی أن الادب العربی لم يعد له عطاء حقیقی ، والحقیقة أن ركود الادب هو ظاهرة مستمرة خلال هذه السنوات لأن الموارد التي یجری فیها الادب لیست من منابه الاصلية إنها تصورات وافدة ، نعم إن هذا الادب لا یمثل روح هذه الامة ولا یعبر عن ضمیرها لأن الذين یكتبونه غرباء بالروح وإن كانوا یحملون قلباً عربياً ، إنهم یصدرون عن تلك المشارب الغربية والاسالیب الوافدة ، إنهم یتلون نباتاً شیطانياً لیست له جذور فی التریبة العربیة الإسلامية ، فهم لم یصدروا عن مصادر البلاغة فیها هی : القرآن والحديث ولیست بضاعتهم إلا بعض قصص شاذة تافهة مترجمة ولم یبلغوا فی الاداء العربی والبیان العربی مبلغاً ، وما تزال نفسیاتهم تمثل طفولة البشریة وسذاجة البسطاء الذين لم تمتلئ أرواحهم بإیمان صحیح عمیق بأعتهم وفكرها والتحديات التي تواجهها . ولذلك فإنهم لن یستطیعوا أن یقدموا شیئاً وكل ما قدموه هی حماد المشیم وقبض الريح .

نعم إن الادب لم یعد قادراً علی العطاء ،لأنه مجموعة من القصص والروایات والمسرحیات وتلك الكتابات التي یسمونها القصة الحرة ، وكلها لا تمثل جوهر هذه الامة ولکنها تمثل تلك الحیاة الاجتماعية المضطربة التي یعيشها قوم لیست لهم من العقيدة الإسلامية إلا اسمها الورائی ، انها تستمد مصادرها من القصص الغربی الذي لا یمثل هذه الامة أو من واقع اجتماعی ضال صنعته المسرحیات الهذالة والمسلسلات الهابطة ، ان هذه الكتابات فی الشعر والرواية والمسرح والقصة القصيرة كلها کتابات تافهة وتحت الصفر ولا تمثل الا تافهة الجمیل نفسه ذلك لأن هذه الفنون فی حقیقتها لا تمثل أصالة الادب العربی ولیست هی أسلوب التعبیر الصحیح فیہ .

انها مفهوم دخیل . سیظل غریباً مهما استمر ، عاجزاً مهما امتد ، غیر متقبل فی النفس العربیة الإسلامية مهما تجمعوا حوله .

إن الأدب العربي يمثل الأصالة في فنون أخرى غير القصة والمسرحية : إنه يمثلها في أدب الرحلات والذكريات واليوميات والرسائل والتجربة التاريخية والنصوص الموثقة . أما هذا الضلال الخادع الذي تصنعه نفوس لها أهواء وفيها شهوات ولها أهداف تريد بها أن تفسد الأديم الصحيح ، وتلقى إلى النفوس السوم ، فلن تكون أبداً مصدراً صحيحاً للأدب العربي وسوف يسقط سقوطاً شنيعاً وسيصبح كتابه بعد قليل في عداد الضالين المضلين .

ثالثاً : إن أخطر ما بمحاولة خصوم الأدب العربي هو خلق جو من الأدب الانحلالي المقتسم (سارتر - مورافيا - كفكا - كان) وهو هدف أساسي من أهداف الغزو الفكري الصهيوني الاستعماري الماركسي حتى لا تستقيم إرادة الحياة في العالم الإسلامي ، وأنه على الرغم من وجود ظواهر طبيعية في كل المجتمعات من الانحراف والمروق في بعض الفترات إلا أنه لم يصبح يوماً من الأيام ظاهرة طبيعية ، ولم يصبح الانحلال الخلقي فلسفة عامة على الإطلاق وإنما كان بعد حين يقع خروجاً فاسداً على قانون المجتمع الأخلاقي يرفضه المجتمع كله ويعلو الصوت في تعذيره ، وسرعان ما كان المارقون يخشون في وجه الحياة الاجتماعية ويدخلون في مرحلة الظل من أمثال أبي نواس وبشار والضحاك) حتى يجيء زنديق جديد ليبيح سمومهم ويعيد عرضها على الناس لإفسادهم من جديد تحت اسم (الأدب الحر) أو حرية الأدب . إن النظرية الأخلاقية ، والإباحية ، والفن للفن ، وغيرها من نتاج الآداب الغربية تحمل نظرة تشاؤمية ، وتقوم على مفهوم الخطيئة التي عرفتها المذاهب المسيحية الغربية ، وهي ممتدة في الفكر الوجودي حيث تحمل محاور من نار تقذع بها المجتمع الغربي تحت اسم التحلل والتمزق والفتيان والضياع وهذه الأفكار لا تنمو أبداً في المجتمع الإسلامي الاصيل ، لأنه لا توجد جذور لها إلا في بعض البيئات المنحرفة المنحلة التي خرجت بعض كتاب القصة والمسرح ومخرجه ومثلية في العصر الحديث .

وهذا هو ما يطلق عليه في الغرب اسم (الأدب الاسود) ويعنون به الأدب المكشوف في مسائل الجنس أو الذي يهتم بنواحي الانحلال في الإنسان ويرز الجوانب المظلمة .

هذا الأدب الاسود هو الذي يصور الفرائز الجنسية ، وقد تصاعدت موجاته

في الغرب مع الانحلال في المجتمع ومن تدافع الناس الى الهضوات بعد أن كشف لهم (فرويد) هذه الجوانب وجلاها والمعروف أن المجتمع الغربي مر بموجتين متناقضتين : موجة الرهبانية التي طاملت فيها العلاقات بين الرجل والمرأة معاملة غير طبيعية فاحتقرها وازدراها وأعلن أنها هي الشر والشیطان الآثم وتنسك لها تماماً ثم جاءت بعد ذلك موجة الاباحية التي وصلت اليوم ما يسمى بالثورة الجنسية حين بلغت مداها الذي بلغته من قبل الحضارة الرومانية وكان علامة على انهيارها وسقوطها وقد وصف الناقدون المنصفون هذا الادب الاسود بأنه أدب الانهزام واليأس وأنه وليد الحضارة المنهارة ، وأن ظاهرة السيل الجارف تحمل طابع التمزق واليأس . ولكن الخطر الحقيقي هو في طرح هذه السموم في أفق أدبنا الغربي بالترجمة وطرح هذه المفاهيم في مجتمعاتنا العربي الاسلامي حتى راح كتاب القصة في تقليدها وترجمتها والتفوق عليها .

ونحن يجب أن نكون لنا موقف من هذه السموم . إن هذا لون من أدب الانهزام أو اليأس الصادر من بيئة الغرب ، لنفهمه على أصوله الصحيحة ، ونزن هذه الاعمال بمنزلة أدبنا وفننا وقيمنا ونوجه شبابنا الى معرفة محاذير وأخطارها حتى لا يفتن بها على أنها من طبيعة الحياة :

وعليتنا أن نوجه شبابنا الى معرفة الاصول الحقيقية للنظر الى هذا الادب الوافد فلا نكون غاضمين له ، ولنعرف أنه يمثل مجتمعا غير مجتمعا - إن هذا الادب الغربي المقشاش هو وليد الحضارة المتدهورة المشرفة على الانهيار (سواء أكانت رأسمالية أم اشتراكية) وهو تعبير عن الانحراف الذي أصاب المجتمعات الغربية بالانهلال :

إن أخطر ما يواجه الادب العربي اليوم هذه الدعوة المبتوثة الى أدب المتعة والفحش والفن الخليع . ووعائنا الرواية والمسرحية والسينما ومسلسلات الإذاعة والتلفزيون وهي في مجموعها تقدم مترجمات من أدب الفحش والجفاس الغربي بمفاهيمه الفاسدة للمرأة والحب والحياة والتي لا تتفق مع مفاهيم الفكر الاسلامي والمجتمع الاسلامي الاصيل .

رابعا : هناك محاولة خطيرة يحاولها الشيوعيون وهي كتابة أسلوب عربي مغاير

للاسلوب العربى الاصيل وهى محاولة لهدم التراث ، والتقدم مرحلة أخرى بعد دعوة أصحاب النظريات (مثل عمل طه حسين فى كتابه : السيرة وتاريخ الاسلام) (الفتنة الكبرى) هذه اللغة الجديدة لا أساس فيها للبيان العربى الاصيل وهى عامية ومختلطة وبها عبارات مضطربة ، وهناك من يغلب أسلوب العامية اللبنانية ومصطلحات أسطورية مستقاة من الكلمات النورانية والقديمة ، يروج لهذه اللغة (أدونيس) مجلة مواقف ويوسف الخال وغادة السمان وجماعة الحزب القومى الاجتماعى السورى ، وهناك دعوى اللغة الوسطى (توفيق الحكيم) وقد سبقت هذه المحاولة محاولة الادب المهجرى (جبران ونعيمه وإيليا أبو ماضي) التى وتحدث فى المهذ وسقطت سقوطا شديدا بالرغم من تجديد المحاولة الآن فى إعادة طبع جبران خليل جبران من جديد) .

وكانت هناك الكاتبة (مى) تصطبغ أسلوب التوراة ، وبقايا منها ومن بشر فارس وحسين عفيفى وعبد الرحمن بدوى ، ومحاولات لريس عويضة فى ديوانه بلوتوند ، فى محاولة خلق ما يسمونه الشعر المنشور أو تصيدة النثر ، وجاءت ثروت عكاشة فى الاخير لاحياء هذه المدرسة بترجماته العديدة لأعمال جبران .

ولا شك أن محاولات توفيق صايغ وأنسى الحاج وسميد عقل هى خيوط لهذه المؤامرة الضخمة ، الحاقدة على اللغة العربية : لغة القرآن ومحاولة إدخالها المتحف وإعلاء شأن العاميات .

وفد حاول هؤلاء الادعاء بأن هذه التورائيات تبعث من أدب السهروردى والمعرى والحلاج — وكتاباتهم ليست إسلامية على التحقيق — والواقع أن خفقات هذه المؤامرة تتمثل فى تشيد الإنشاد والتوراة وسجع السكبان من الأدب الجاهلى .

إن المرحلة التى تردى إليها الادب العربى المعاصر لم تعد سرا خافيا أو إثماتا محتملا ولكنها هى الحقيقة الواقعة التى شهد بها الادباء المعاصرون الذين عركوا تيارات الادب الغربى منذ منبعه ، ومطالعه ، والمراحل التى مر بها وعرفوا ذلك

الخطر الذي يتردى فيه اليوم منذ حاول دعاة تفريغون مضللون أن يعزلوه عن منابعه ويمجرون به شوطاً آخر في التيه حتى يفقد معالمه الأصيلة. يقول الدكتور شكرى هياذ :

إن الأدب العربى المعاصر يكاد اليوم يقطع الوشائج التى تربطه بترائه ليهبث من أشكال جديدة للتعبير ، ومع أن الصورة القلقة الهالعة لهذا الأدب لا تتفق مع الجو النفسى الذى يعيش فيه العالم العربى ، فإن تجارب الأدب العربى لها على الأقل هذه القيمة بالنسبة لنا : إنها تحطم قداسة الشكل ونحن اليوم تستعبد للأدب الغربى أشد الاستعباد حين نقلد أشكاله الجديدة التى دفعه إليها مجرعه بالأشكال القديمة ، وإن كنا نستفيد من هذا الأدب أعظم الفائدة حين ندرس من خلال الأشكال الجديدة والندىمة معاً علاقة الشكل بالمضمون ثم نبتكر الأشكال المناسبة للمضمون التى نحاول التعبير عنها مستفيدين من امكانيات لغتنا وراث شعبيتنا نفسه. ومن النظريات السياسية التى تصب رويته الحياة فى قالب محدد .

ويقول الدكتور حسين مؤنس : تحت عنوان صارخ :

والأدب الرخيص يحتاج الحركة الأدبية .

إن أكبر علامة على تدهور الفكر من موجة الأدب الرخيص التى نتجحت الحركة الأدبية ؛ وهذه الكتب الرخيصة التى تغطى الارصفة ، وأفصد ذلك الأدب السبلى الذى لا يتكاف صاحبه فى كتابته جهداً ولا دراسة ولا اطلاعاً ومن هنا فإن القارىء لا يحصل منه على شيء .

تلك شهادتان من وجهة نظر أدبية صرفة ، وهى تقر ما تقره من موقف من وجهة نظر الإسلام ، فالأدب الذى تسكتبه الاجيال الجديدة تافه رخيص ولا يمثل الأدب العربى لا فى جوهره ولا أصالته لان الذين يكتبونه منقطعوا الصلة بمجذوره وقيمه ومفاهيمه وغاية ما حصلوا عليه أنهم قرأوا بعض روايات مترجمة فعملوا على تقليدها أو قرأوا شعراً مترجماً مما هو غارق فى أهواء النفس والجففس والهشوات .

ان هذه الكتابات التى انحصرت الآن فى مجال واحد هو القصة والقصص الحر

لا يمكن أن تمثل الادب العربي حقيقة ، لأنها لا تصدر عن ثقافة عميقة ولا عقيدة صحيحة ولا عن وجهة صحيحة وهو أدب لقيط وأنه لا يمكن أن يمثل هذه الامة القرآنية العربية صاحبة اللسان البليغ والبيان الرفيع وليس كل من استطاع أن يحمل قلماً أو يكتب قصة ، أو شعراً حراً ، أو أى خواطر سائبة ساذجة ، تافهة أمكن أن يسمى نتاجاً وإن لا عجب لاولئك النقاد القدامى الذين هرفوا أصول الادب كيف يبيعون لانفسهم أن يمرضوا هذا الهراء أو ينقدوه ، والعيب الا كبر على الصحف التى تفتح صفحاتها لهذا الهراء وتشجعه جرياً على هدفها من دعم الثقافة والاساليب النازلة .

وانا لنجد كتابنا المعلقة كما يسمونهم وقد اضيت مواردهم ولم يعد لهم انتاج جديد ، سوى ما نقلوا من الفكر العربى أو ترجموا من القصص الاوربية . ولم يعد هناك انتاج أدبى حقيقى فى المجالات التى كانت زاهرة فى الماضى ، مما سوى تفاهات المسرح والقصة والشعر الحر . وهذه كلها فنون دخيلة على الادب العربى وإن كان البعض يطلق عليها مفهوم والإبداع ، فإنها لا تتمثل حقيقة النفس العربية ولا المجتمع العربى فى شىء .

ولقد خضع الادب العربى الذى يكتب فى مرحلة ما بعد النكسة الى المذاهب الإجتماعية الغربية وقام على قواعد من الفلسفات المادية فهو لا يمثل جوهر العاطفة أو الشعور الاصيل فى النفس المسلبة والعربية .

ذلك لأن الذين يكتبونه يخضعون لفكر وافد مضلل ، والمعروف أن الادب الغربى يقوم على جملة مفاهيم :

أولاً : نظرية دارون وما جاء به من أن الإنسان حيوان .

ثانياً : نظرية ماركس وهو الذى يخضع الإنسان للقوة العيش .

ثالثاً : نظرية فرويد : وهو الذى يخضع الإنسان للجنس فى كل تصرفاته وأعماله .

رابعاً : نظرية فريزر : صاحب الافكار المسمومة عن السحر البدائى والاسطورة وعنه أخذ فرويد وماركس والاساطير لجعلها مصدراً أساسياً للتفسير الاجتماعى للتاريخ .

خامساً : الذى يقرر أن اللسان خاضع لمبدأ البرجمانية أى أنه لا يصدر من أى معنى من معانى الاشارة أو العاطفة أو الايمان. هذه المفاهيم المادية الخالصة التى يقوم عليها الأدب الغربى هى التى يحاول أدعياء الأدب والغربى هى التى يحاول أدعياء الأدب والغربيون نقلها الى أفق الأدب العربى والفكر الإسلامى وقد تهاوت فنون الأدب العربى الأصيلة وأفلس كتاب القصة بأن أصبحوا يكتبون اليوميات التافهة التى لا تحمل شيئاً وهذا التحول من القصة الى اليوميات معناه الافلاس لأنه لا يمثل أدب المقالة بمفهومه الحقيقى وإنما يمثل مجموعة من الحواطر السائبة . وقال يوسف السباعى عن نفسه وعن هؤلاء : لقد أصبح الأدب موظفاً فى الجريدة التى يعمل بها .

أما الذين يتصدرون المجلات الأدبية فقد أخذوا يتصورون أنفسهم وكأنهم قضاة فى الفسك والثقافة جميعاً وأخذوا يفرضون مفاهيم استبدادية الأدب تجعل منه شبه عقيدة قائمة وأخذوا يلقبون من شاءوا من الكتابات والشاعرات بألقاب وهمية مستمدة من أهواء النفس ، زغبة لواحدة أو كراهية لآخرى ، وكأنما الأدب هو عالم قائم بنفسه مصطلحات ومفاهيم وقيم ، وكلها مفاهيم وافدة يحاولون اخضاع الأدب العربى لها ، وما بين أيديهم من هذا الأدب ركام لا قيمة له .

فاذا أراد الأدب العربى أن يعود الى أصالته فليخلف ميدان التقليد والتبعية والترجمة مع تغيير البلاد والاسماء وهى القصة الغربية والشعر الحر وليقتحم الأدباء ميادين العمل الحقيقى فى الذكريات والرحلات والتراجم الشخصية والفكرية وليخرجوا من مفهوم الانانية الذاتية بمحاولة تصوير الأهواء الى مجال تأديب التاريخ والكشف على جواهره والترجمة للأبطال والاعمال ودراسة القضايا الفكرية والروحية والاجتماعية بروح الأدب المزمّن كما فعل ذلك كبار أعلام العربية .

(سادساً) المزاورة على القصة :

هناك دهوى هريرة يحمل لوائها التغريبيون اليوم تحت اسم الابداع الفنى يدعون أن هذا الابداع لا يوجد فى الأدب الا عن طريق القصة والرواية المسرحية والمسلسلات واعتبارها وحدهما هى الانتاج الادبى دونما سواهما مع أنها فى الحقيقة

هى العنصر الدخيل فى الادب الحديث بعد أن ظلت الكتابة على الفنون الاصيله كالترجمة الذاتية والرحلة والخطرة .

والواقع أن التركيز على القصة والرواية هى محاولة تغريبية فما كانت هذه من الفنون الاصيله فى الادب العربى وقد أثبتت الايام والتجارب فسادها وفشلها فى أداء دور أصيل وهى ولا شك فى طريقها الى الانهيار والتلاشى وآية ذلك فى فشل كتاب القصة أخيراً والتجاؤهم الى كتابة اليوميات فى الصحف وهى كلمات لا تحمل معها أى خبرة أو دراسة وانما تحمل وحى المشاعر السائبة التى تتعلق بالأمور التافهة والتى لا تصل الى أعماق المشاعر النفسية الحقيقية .

ولذلك فإن القصة فى طريقها الى الانهيار بعد أن عجزت خلال هذه المرحلة عن أن تخلق لها مكاناً حقيقياً لمخافتها للفطرة العربية الاصيله وبعدها عن طبيعة النفس العربية التى قد تعجب بالالاعيب والأكاذيب البهلوانية المصنوعة وليكنها لا تؤمن بها ولا تراها أهلها للبقاء .

وقد وجد العرب منذ وقت بعيد طريقهم الى الإفشاء والتصور والبيان عن طريق أسلوب آخر ارتصوه غير هذا الأسلوب المصنوع المتكلف الذى عرفته الآداب الأوروبية لأنها وجدت فيه أسلوباً معقداً متكلفاً يوازى فطرتها المعقدة المتكلفة ولأنه كان يطرح لها تساؤلاتها المعقدة فى أسلوب من الافتعال .

أما فى الأدب العربى فإنه لا توجد تساؤلات ولا قضايا معقدة تحتاج الى أسلوب الافتعال ، والمعانى تناسب فى صراحة وبساطة وبسرعة تحتاج الى عقدة وحل ومفاجئة ونهاية مأساوية وليس فيها صراع بين الآلهة والناس وانما هناك إذهاع من الناس الى خالق الخلق تبارك وتعالى وإسليم وإقرار له بالعبودية تعين كامل بإرادته وقدره وتصرفه لا تطرف له عين ولا يلقى له خاطر .

وهذا هو الفارق العميق بين النفس الإسلامية والنفس الغربية ولكل منها أسلوبه فى التعبير عن مشاعره وكذلك فليس ضرورياً أن يصطنع الادب العربى نفس أسلوب الغرب القائم على الحميلة والصناعة والتكلف والبعيد فى مضمونه عن حقيقة النفس الإنسانية والذى ليس فى حقيقته الا محاولات من ذوى الإهواء والإلهام الناس هى واقفهم بتلك القصص المتكلفة التى تجرى مع غايات السادة فى المجتمع

الراسخ على أو المجتهد مع الشبوع واسوف تنهز الفنون التي بجانب الفطرة ولا يلقى الا الفنون الاصيلية القادرة على المعطاء .

اذا تبين أن الادب العربي غير قادر على المعطاء اليوم فإنما يرجع ذلك إلى أنه قد انحرف إلى منحدر خالف فيه فطرته ولأنه في أوقات الازمات الكبرى التي تصيب الامم فإن الادب يكون عاجزاً عن الإستجابة لأن صورة المجتمع التي أمامه لا تعطى الأمل ، أو المثل ، أو المصلحة الإسمى للامم للخروج من محنتها وأزمته وإنما الذي يستطيع ذلك هو الفكر الإسلامى بمفهوم الناس منهج الله والعودة إليه فهو القادر على إخراج الامة من أزمته .

إن الادب لا يعطى في أوقات الازمات ، لانه ليس إلا عنصراً من الفكر الجامع ، وهو يعجز عن الاجابة عن التساؤل لانه يخطئ . مرتين : يخطئ حين يظن أنه مستقل بنفسه مع أنه جزء من الفكر لا ينفك عنه ويخطئ حين تستعمل القصة التي هي جزئية من الادب الذي هو عنصر من الفكر يجب أن يسير في فلكه الأخلاقى وتحمل المسئولية وتخضع للنهج الجامع الموجه لنفس المسلمة والمثل المسلم جميعاً .

إن من أبرز عوامل الانحراف الذى تشاهده في التطور الادبى في هذا العصر هو سيطرة القصة والمسرحية كوسيلتان للتعبير ، ذلك حين يتخذ النفوذ الغربى من إدخال مفاهيم الفن والادب الغربيين وسيلة إلى إفساد الفطرة العربية الاسلامية وإفساد الذوق العربى الاسلامى فى الأغنية والقصة .

وقد سجلت تقارير ودراسات قامت بها بيئات التغريب والغزو الثقافى فى البلاد العربية إلى أنهم لا يلقون الاغنية العربية ليحلون محلها الاغنية الاجنبية ، وإنما يعملون على التدنى بالاعنية وكلماتها والمسرح ولغته والموسيقى وأنغامها إلى مستوى الرواثة والاباحه حتى إذا ما شبع الأجيال الجديدة سحبتها أذواقها وانصرفت عنها إلى الاغنية التي تنقى بكلماتها وإلى المسرح الاجنبى وفى بعض البلاد العربية كالجيزة مثلاً نهجوا فى خلق المدرسة الفنية الرديئة التي انحسرت عن نجاح للفنون الفرنسية وفى البلاد العربية يجرى إبتعاث الأساطير القديمة وتشجيع العاهيات والتركيز على العبارة الاباحية فى الاغنية والنغمة المثيرة للشهوات ولا شك أن قوى التغريب

قد بحث الآن (١٩٨٠) في أن تحمل القصة والمسرحية تسيطران كوسيلة للتعبير مع تنحية المقال الأدبي والذكريات والرحلة وترجمة الحياة ، وقد كانت جميعها تقدم فكراً عميقاً وتعتمد على ثقافة واسعة ومراجعات عرفها كل من قراء أدب المقالة في الثلاثينات وما بعدها (العقاد وهيكمل والملازني والرويات والرافعي وزكي مبارك وشكيب أرسلان) وعشرات .

أما الآن فتجربى المحاولة لاحتلال القصة والمسرحية كقالب أساسي للتعبير الأدبي مع ضحالة الخلفية الثقافية لهؤلاء الذين يكتبونها والذين لا تتميز كتاباتهم بأى أصالة في دراسة البيئة . أو أى إيمان بقيم هذه الأمة فالحساره مزدوجة ، لأنها تخرج بنا عن الأصالة ولأن الحصيللة تافهة وقد خسرننا مع ذلك سلامة الفن لأن كتاب القصة المسرحية لا يهتمون بالفصحى ولكنهم يحتمقونها .

والطابع الواضح الآن أن القصة التى يكتبها من نسميهم قصاصى الصحافة أصحاب الحوادث والفضائح والفراميات والسنوات الأولى في الحب والجنس لا تعب عن شئ ما ، وهى عبارة عن مؤامرة لقتل وقت الناس والقضاء على الثقافة الأصلية ، ذلك الوقت الذى يقضيه القارىء في قراءة قصة خيالية قدمها كاتب ما وجرى بها وراء الخيال وصنع منها فى أربعمائة صفحة حكاية طويلة ، لا تخرج منها بشئ ما .

هذا الوقت لو أنفقه القارىء في قراءة كتاب من كتب المقالات الأدبية لخرج بأكثر من خمسين فكرة في مجالات مختلفة عن المجتمع والفن والرحلة والأراجيم والحكمة تضيف اليه خبرة واسعة وتفتح له آفاق فهم الحياة فهما صحيحاً .

وقد أخضع كتاب القصة أنفسهم لتيارات ثلاث خطيرة :

أحدهما تيار ماركس ، والآخر تيار فرويد ، والثالث تيار سارتر .

فالأول : تفسير اقتصادى يسيطر على أمثال نجيب محفوظ الذى تقول قصصه كذباً ان سبب انحراف المرأه هو حشوها للظروف المادية . والثانى تفسير جنسى يسيطر على احسان عبد القدوس ويوسف ادريس وغيرهما وهما يدفعا الفتاة الى حماة الاباحية تحت اسم الحرية .

ولقد سيطر كلا المذهبين على كتاب القصة في الغرب وعنما نقل قصاصونا .

وقد سيطر مفهوم الوجـودية على الروايات والكتب التي كتبها سارتر الى كهوف باريس الضيقة ، ومغائيبها الفاجرة . كما سيطر مفهوم الجنس الفرويدى على القصص والدمر .

وقد تمثلت في المذهبين صور للضياع واليأس والعدم والتمزق والغثيان الدائم ومنه أخذ كتاب القصة العرب ولا ريب أن ماركس اليهودى وفرويد اليهودى وسارتر نصف اليهودى علامه على سيطرة الصهيونية على الادب الحديث .

وفي ميدان المسرح ؛ يجب أن معظم الفنانين البارزين كانوا في المحافل الماسونية وهؤلاء الذين حملوا المسرحية والقصة والرواية الى الناس وحققوا رسالة الماسونية في الاداء بعد أن حققها الاولون في كتابه النص .

ان كتاب مختصه يدعون أنهم يمثلون واقعيه الادب ونحن نسأل ماذا يفيد المجتمع من اعادة تصوير دالامح فساده على نحو أكثر فنية ، وصناعه ابرازاً تحت أضواء المسرح ؟ . وماذا يفيد المجتمع من تصوير الواقع المرير أو السوء أو القبيح ولماذا تعاد صياغته بصورة فنية براقه اذا كان كريها ؟ . ان كل دهاة الادب الحر يتحدثون عن تصوير الواقع .

يقول مورافيا نحن بعد الحرب تمزقنا وتهدمنا كان لابد الادب أن يصور ما أصاب الارض والعلاقات الاجتماعيه .

واليوم يدافع كتاب القصة عن انهم وعن تكبيرهم للجريمة وبراعتهم في وضعها في اطار براق يخطف الابصار ليزداد المفرورون بها اعجابا .

وكان أولى بهم أن يقدموا علاجاً على نحو لا يفرض قارىء القصة بصور الفساد والواقع أن مفهوم الفن كما رسم اليهود لهم يحول دون أن تكون القصة هي الحقيقة ، فالفن قائم على الكذب والخداع والتزويه وادخال أهواء النفس في عمل المكاتب حتى يصور شيئاً آخر غير الحقيقة .

ومع هذه الدعوى الباطلة عن حرية كاتب القصة في مخالفة الواقع ومخالفة

حقائق التاريخ فان كتاب القصة ليسوا على قدر وافر من الخبرة الثقافية الاصيلية وسذاجتهم واضحة في ما يقدمونه من مفاهيم لتجارب الأمم وفلسفة الحياة .

ومن هنا فان هذه القصة مضادة للفطرة والعلم ، والصدق ولواقع الحياة ولذلك فهي لا بد أن تسقط لأنها تقوم على الحقيقة الخالصة وستحيا فنون أخرى مثل المذكرات والرسائل والرحلات .

وقد سجل الباحثون أن جيل الستينات شهد وباء اسمه القصة القصيرة حتى وصل عدد كتابها إلى المئات وقال أحدهم : (لقد وصل الأمر أنى كنت أخاف أن أزيح حجراً من الطريق خشية أن أجد تحته من يصرخ فى وجهى بأنه قصاص ، ولكن هذه المحافل سرعان ما تناقصت إما لضعف الموهبة أو بفعل اليأس) .

وقد تبين الآن بما لا يدع مجالاً للشك أن القصة بدأت تسقط .

وأن المذكرات الخاصة واليوميات قد اكتسحتها لأنها من الواقع بينما القصة من الصناعة الخيالية ، التى مهما قيل فى أنها تستمد من المجتمع فانها لا تستطيع إلا أن تكون هوى فرديا لصاحبها وإفرازا لرغبات مكبوتة وأهداف طامحة إلى الظهور ومع ذلك فهي تعجز عن أن تقدم صورة الحياة الحقيقية لأنها محصورة فى حيز ضيق من مجتمع وعصر .

وماتزال القصة عملاً موقوتاً وليس أصيلاً أو ثابتاً لأنها ترتبط بأهواء الناشرين والاذاعات والمسارح ولأنها لا تمثل مفهوماً أصيلاً ولا عميقاً للمجتمع أو يستهدف حل مشكلة من مشاكل الناس .

ويقال أن هناك ٣٠ ألف قصاص تستهلكهم الأجهزة الحديثة هم تجار الكلمة بكل معناها والتابعين لأهواء المنتجين الذين يدفعون والمخرجين الذين يصنعون ما يريد السوق أو ما تحتويه أهداف أبعد .

ولست الرواية أكثر من وسيلة وإزجاء فراع قد استخدمت إستخداماً سيئاً فى تدمير القيم الاخلاقية والدينية والاجتماعية بما حملت من صور الجنس والاباحه والكشف .

وإذا كان الشعر - في عهود أصالته قد استطاع أن يؤرخ الاحداث فان
القصة لن تستطيع لانها ليست لها الاصاله القادرة على ذلك ولانها من صنع الاحلام
التي تستمد مادتها من أهواء الحياة ومطامعها وليست من الواقع الاصيل .

سابعاً : المؤامرة على الشعر :

لما كان الشعر هو ديوان العرب ولما كان عامود الشعر هو ركيزة أساسية في
بناء القصيدة فقد بدأت المؤامرة أولاً على مضمون الشعر ثم ثنت على
أسلوب الاداء .

بدأت يوم أخرج من رسالته الحقة لتصوير المشاعر الخاصة ووصف الشعر
الاجتماعي والعمياني كلاً ، بأنه شعر مناسبات وعلمت الصيحة بأن مجال الشعر هو
التعبير عن الذات .

كان هذا هو أخطر تحول حدث بالنسبة للشعر ذلك هو القضاء على دوره التاريخي
الخطير الذي سجل به أحداث الامة ومواقفها إزاء الاحداث الجلى واستجابته إزاء
الازمات وأخطرها موقفه من الفرزتين الصليبية والتتارية ومن الاستعمار الحديث .

وذلك الدور الضخم الذي قام خلال العصر الحديث في الدفاع عن الوطن
واللغة العربية والعقيدة ونقد المجتمع وحماية الخلافة والوادي عن البلاد من أخطار
الغزو الغربي ودفاعه عن الوحدة الاسلاميه وذلك التنادى الواضح العميق الذي
كان يهز القلوب من بغداد إلى مراكش إذا ما أملت بها الحادثات هنا أو هناك
كما هو عن ذلك شوقي وحافظ في عديد من قصائدهم .

ولقد كان هذا أخطر ما واجه النفوذ الاجنبي الذي استطاع عن طريق ذلك
الجميل من أتباعه المغربين ومن القناطر التي كانت تخاضم الاستعمار سياسياً وتستجيب
لفنونه وآدابه وأساليبه في التعبير والاداء وتأخذ مذاقه في نقد الادب ، هذه
القوى القوي التي لم تلبث أن حملت على هذا الشعر السياسي والاجتماعي جملة
شعراء في دعوة عربية مضادة إلى الشعر الذاتي والتعبير النفسي الخاصر .

وبذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوى الاداء الذي آزر الحركات الوطنية
والاسلاميه وواجه الاستعمار والنفوذ الغربي والصهيوني .

هذه هي الضربة الأولى التي وجهت إلى ديوان الشعر : ثم جاءت مرحلة الشعر المنشور أو قصيدة النشر ، تلك الدعوة المسمومة التي حمل لواءها الماركسيون والشعوبيون لإخراج الأدب العربي من طامود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التي أثر بها محيط الإسلام ومجتمع المسلمين .

وقد وصف شاعر عربي أصيل معاصر هو عمر أبو ريشة هذه الظاهرة بأنها موجة منحسرة وظاهرة مرضية وإنها صناعة واعتقد أن الصهيونية حتما وراء هذا الشعر . فالصهيونية هي مبتكرة البدع والمخرطات في هذا المصهار وأذاك المله الفراع عند الشباب وانهم من العودة إلى التراث والاصالة .

وإذا كان كل الناس قرأوا التوراة والانجيل والقرآن فإنني أشك في أن الكثيرين قرأوا التلود ، إقرأ التلود وستجد فيه تفسيراً لهذه الرخاوة . وتجد اليهود وراء هذا النوع من الأدب .

ويقول الدكتور عبد المنعم خفاجي : عندما تنظر إلى شعرنا العربي تجد أنه كان عمودياً طيلة حياته التي تمتد أكثر من ألفي عام وأن كل التجديدات التي دخلت عليه في جميع العصور كانت تلتزم بهذه العمودية أو تسير في إطارها وإن هذا الشعر العربي قد أصبح صورة فكر وتراث وحضارة وأمة :

وقد جاءنا اليوم من يدعون إلى التخلي عن هذه العمودية كلياً للسير على نظام التفعيلة وحدها ولتبعد بالشعر عن أصوله العمودية وعن موسيقاه الشعرية — كذلك هناك من يدعون إلى تحطيم هذه العمودية ونبتذ جميع شعرائها في القديم والحديث والنظر لإيهم على أنهم متخلفون لا يصح أن يسير على منوالهم وليس وجود شعراء يكتبون شعرهم على التفعيلة الواحدة معناه إلغاء الشعر العمودي كله قديمه وحديثه ونبتذ هذا الشعر وتسفيه شعرائه ورميهم بالقصور والتخلف .

أما الدكتور محمد محمد حسين فإنه يتصل القول في هذه الظاهرة الخطيرة يقول : إن الشعر الحر في أصل نشأته شعبة من إتجاه عام يدعو إلى تقليد الغرب في فكره وحضارته بإطلاق الشعر من القافية التي ظل يلزمها طوال هذه القرون منذ عرفها الشعر العربي دعوة تستمد حججها ومبرراتها من الشعر الغربي الذي لم يعرف القافية إلا في حدود ضيقة من آثار إحتكاكه وتأثره بالأدب العربي في الأندلس .

ولماذا الحرص على تسمية هذا النوع من الادب شعراً لأنه أدب نثرى ولم يقل أحد أن الادب النثرى يخلو من التصوير ومن التأثير والتأثير العاطفى بل أنه حين يخلو منهما لا يصح أن نعتبره أدبا على الاطلاق .

إن هذا الحرص على تسميته شعراً لم يجر إلا من إعتباره شعراً عند التريبيين . وهو على كل حال آخذ في التراجع والتناقص وقد بدأت موجته فى الانحسار بعد أن بلغت ذروتها فى المقتدين السابقين من هذا القرن .

وكان كل ما تركته من أثر هو ضعف هذا الجبل وعجز أكثره عن تذوق الشعر العربى الأصيل فى تراثه الطويل . وكان مما فتن أصحابه أنهم تصوروا أنفسهم أنهم أصبحوا شعراء عالميين بعد أن ترجم بعض شعورهم للغات أوروبية كأنهم يكتبون للغرب ولا يكتبون لقومهم من العرب وكان شرطاً من شروط الادب الجديد أن يكون مقبولا عن غير أهله .

وامل هذه التراجعات كانت وجهاً من وجوه المخطط الذى يغرى بترويج هذا الاتجاه الذى ينتهى إذا نجح إلى قطع ما بين حاصرنا الادبى وبين تراثنا من صلات .

واقدر كان أصحاب هذا الاتجاه يدافعون عن مذهبهم بحجج أبرزها إثنان : إن القافية قيد يلتزم به الشاعر على حساب عناصر الشعر الأخرى من فكر وصور وعاطفة وإن إغلاق باب التجديد وتقييد حرية الفنان فى ابتكار ما يناسبه من قوالب وأساليب يشل لإطلاقة وينتهى إلى حال من الركود والجمود يخاف منها الشعر وتراجع .

والرد على الحجتين سهل يسير . أما الحجة الاولى فى تهمة الضمائم التى يعجزون عن النهوض بأعباء الشعر من كل جوانبه وعناصره وقد نهض بها النحول من المتقدمين فما رأينا فى شعورهم جوراً على الفكر والتصور بسبب إلزام القافية . وفن الشعر القادرين عليه وفى النثر ملسع لفن القادرين ، والبعد عن ميدان الادب جملة أولى بالمعاجزين .

أما عن دهمى التجديد وحرية الفنان فقد توافر دائماً على مدار القرون وفى مختلف العصور والبيئات ، فجدد شعراء العرب وابتكروا وأضافوا ما أضافوا فى حدود طبيعة الشعر العربى ومع إلزام مقوماته الأصلية فاختلقت ألوانه باختلاف العصور والبيئات .

ومع ذلك فقد كان هذا الابتكار في أشكال الفكر وقوابله وقوافيه قصير العمر، ولم يلبث الشعر أن عاد إلى التبغ الاصيل .

ولاشك أن دعوى الحرية بلا قيود في أي جانب من جوانب الحياة هي دعوى تقوم على سذاجة الداعي إليه أو سوء قصده فليس هناك حرية مطلقة للإنسان ولا شيء من خلق الله وليست الحرية المطلقة إلا للهوى .

ومن سنن الله الكبرى أن يكون الناس قبائل وأما وأن يكون لكل أمة لسانها الخاص ومزاجها وتقاليدها وفنونها على اختلافها انتهاء قوى وشرطها الاساسي أن تجعل عند قومها أولا وقبل كل شيء ، وليس مهما بعد ذلك أن تجعل أو تحسن عند غيرهم .

والكلام عن الانسانية في هذا المجال وعن العالمية ضار جداً وهادم لاسباب النهضة عند الامم الضعيفة بنوع خاص لانها لا تقوم لها نهضة الا على مفارستها وأصولها الاولى والنهضة على غير هذا الاساس فناء لذات العنصر الاضعف في العنصر الاقوى .

هذا وقد حمل الشعر الحديث جميع سموم الفكر الغربي من تشكيك ولا أدبية وانحلال ومعاني مرتجلة ساذجة وحاول ابتعاث تراث قديم من الاساطير الذي جاء الاسلام للقضاء عليها وعلان انها من مخلقات عصر طفولة البشرية وحالة كل ميكروبائات الوثنية والمادية والتعدد والاباحية وهذه هي ما يسمونه الحاجات المستحدثة وحاجيات الحياة المعاصرة .

ولقد نشأ هذا التيار ونما قليلا في مرحلة الضعف والهزيمة والنكسة وجيل الضياع الذي صنعته مفاهيم الماركسية والوجودية والفكر المادي وكان القادة الذين قلدوا العرب هم كافكا وبودلير ونييتشه وكلهم من نتاج النظرية الفرويدية الجنسية واليهودية الماركسية الكارهة للعالم المحقرة للإنسان، الرامية لإياه بصفات الحيوان والمادة والرافضة لكل قيم الانسانية والاخلاق والرحمة والجمال .

ويقول الأستاذ نزيه ضاحي : ان الدعوى التي يحملها أهل هذا الشعر انما ترى في صميمها الى مضم قواعد الادب العربي والبلاغة العربية وذلك عن طريق عدم محادها للقوى وما استعمال شعارات التقدمية والاوربية والطليعية الا مجرد

ستار لاشكال شاذة ومضامين منحرفة وان الشعر الجديد حافل بالصور الملحة والتفاهات والتقاليع التي تتركب كل موجة يدفع بها العرب الى شاطئ العرب وان رواه الذين يرفعون في مسيرتهم الشعرية هذه بنود التحرر انما يقومون من تحتها بمهاجمة الاسلام وقد اتخذ الشعويون والمنحرفون عن الحط الاسلامي العربي مطية لتحقيق أغراضهم المشبوهة .

ولا ريب أنه حرباً صليبية تعتمد على الاستعمار الجديد الذي يشجع الاباحية والفوضى والانفلات من كل القيود والقيم والمثل الاخلاقية والقومية .

وهو في الاساس دعوة مدامه خطيرة ترمى الى افساد البناء الشعري الشعر العربي كقدمه للقطاء على مقومات الفنه العربيه باسم الثورة والتجديد والانطلاق وان الدين يكتبون هذا النوع من الشعر لا يكتبونه عن اقتناع حقيقى بمقدارة وتفوقه على الشعر العمودى القديم ، وانما لعجزهم عن امتلاك القدرة على النظم بالشكل التقليدى .

والشعر الجديد ليس شعراً جيداً أو رديئاً وانما لا يعد من الشعر على الإطلاق وذلك لخروجه التام على الصورة التقليدية للقصيد العربيه .

والغموض صفة أساسيه فيه ، وهى غايه فى حد ذاتها ومعظم أفكاره مبهم لا معنى محدداً لها ولا تتجاوز كونها ترهات لا فائدة منها . وطلسيات لا يعرف أحداً لها حلاً .

وأن الشكل الجديد لهذا الشعر يهدم الموسيقى الشعرية للقصيد العربيه ويبعث فساداً فى أصول الفنه من اشتقاق واعراب ويحول الشعر الى نثر حقيقى عن طريق إعتاده على الإيقاع الموسيقى فقط لا الوزن العروضى كما هو مفروض . ولا شك أن الأذن العربيه تنفر من الإلقاء العام القافيه ، وترفض الخلط فى البحور فى القصيده الواحدة فضلاً عن الاتهام الوارد بالتصنع والميوعة والاسفاف وقد عادت نازك الملائكة لعملى على الشعر الحر حمله شديده وقالت إنه مشحون بالأخطاء الوزنيه والعروضيه وهو يفقد بإلقائه لقافيه الواحدة من الأبيات رنينه وموسيقاه وتدفعه الشعري الرقيق ويضع فى طريق التدفق الجنادى والصخور التى تعكر صفوه وكفائته ،

وقد قامت محاولات مضللة قادها طه حسين والنويهى ولويس عوض وظالى شكرى لتأييد هذا الاتجاه وتبين فساد ما ذمبوا إليه من دعوى عريضة بأن الشعر الجديد ينقذ الشعر العربى من العقم والاجداد ويتيح أمامه ميادين واسعة من النمو والتطور .

وها نحن اليوم نستطيع أن نكشف عصابة المحاولة التى كانت مصدراً حقيقياً للاجداد والعقم وأن هذه العناصر الاجنبية لم تقدم شيئاً ذا بال فى الشكل أو المضمون .

ولم يبق إلا أن يحكم عليهم النقد العربى الاصيل بأن هؤلاء الشعراء يهلون للصباغة الفنية للشعر العربى ويميلون فى تقليد الشعراء الغربيين ويهجرون الأساليب العربية الاصيلية .

وقد أثبتت الدراسة التى أصدرتها جامعة مارفارد فى الأدب المقارن أن شعراء التفعيلة ومنهم صلاح عبد الصبور وغيره متأثرون بالتيارات الاوربية فى شعرهم أو مسرحهم وأبرزه الاغراق فى النعوض والجرى وراء مقاميم الفلسفات الباطنية وإذا راجعنا الشعر الحر اليوم بعد ثلاثين عاما وجدنا شيئاً لا قيمة له فى مقاييس تاريخ الأدب إلا أنه آخر النهضة الحقيقية للشعر المعردى الاصيل .

ثالثاً : متى يعود الأدب العربى إلى الاصل :

وما زال الأدب هو الميدان الذى يتنافس كل قوى التغريب والغزو الثقافى على إفتحامه والسيطرة عليه ، لأنه هو المدخل الحقيقى إلى النفس الانسانية وقد ركز عليه دعاة التغريب والغزو الثقافى على مدى الاجيال .

واليوم نجد عدداً من المعسكرات تحاول أن تتخذ من الأدب مدخلاً إلى نحلتهما وبث فكرها وإذاعة سمومها .

فدعاة الفكر الوجودى ينفثون سمومهم عن طريق مجلة الآداب ، ومجائى وحوار ومواقف .

ودعاة العامية والحوار العامى والمونولوج الدخلى والشعر الحر يقدمون دراسات

لا تتوقف عن بدر السياب و خليل حاوي والبياتي ونزار قباني وأدونيس ومحمود درويش وصلاح عبد الصبور وغيرهم من أفرام هذا التيار .

وهناك أصحاب فلسفة الفن وعلم الجمال (في العصر والرواية والمسرح) .

وهناك تيار القوميين الاجتماعيين الذين يتركزون في جريدة النهار (يوسف الحلال ، وأدونيس وغادة السمان ويتبهم رجاء النقاش وغالي شكري ولويس عوض وهناك دعاة المان كسية (أحمد عباس صالح وعبد الرحمن الشرقاوي وأحمد عبد المعطي حجازي) وهم يحاولون فرض مفهوم التفسير المادى للتاريخ على السيرة وتاريخ الاسلام .

وهناك التيار المادى (زكي نجيب محمود) .

كل هذه التيارات تحاول أن تفتح ميدان الادب عن طريق القصة لادخال مفاهيم الوثنية الاغريقية والباطنية والمجوسية والفكر الشرق الغنوصي وإحياء تراث جلجامش . ولهم إيمان مكين بالعمل على كسر قداسة النص .

وقد فتح لهم الدكتور طه حسين وسلامه موسى الطريق إلى ذلك فهم يحاولون إحياء أساطير جلجامش وثورة الزنج وسيرة الحلاج ودعوة القرامطة والدعوة الفينيقية وتصوير التراث الاسلامى بصورة زائفة كما فعل طه حسين في هامش السيرة والشرقاوى في رسول الحرية .

وهدف هذا كله هو قتل روح الاصاله في الادب العربى الحديث وهزيمته واحتوائه في داخل مفاهيم الامية والعالمية والمادية والفلسفية والحقيقية التى لا شبهة فيها أن هذه الفنون كلها دخيلة على الادب العربى وهو لا يستجيب لها إستجابة حقيقية .

وقد تبين ذلك بوضوح اليوم بعد مرور سنوات طويلة أن الادب العربى لا يتقبل القصة المفتعلة ولا الاسطورية والتى لا تقوم على مفهوم الصراع ، لان الاسلام لا يقر الصراع ، ولكنه يؤمن بالتعاون ، والالتقاء بين العناصر والاجيال وأن القصة التى يعرفها الادب العربى هى القصة الواقعية التى هى بمثابة الحوادث الحقيقية الذى لا يتدخل فيه الا فتعال ولا محاولة خلق المفاجئة أو النهاية المأساوية .

وقد وضع الاسلام هذه القاعدة : نحن نقص عليك نبأهم بالحق .

وما يزال المقال الاجتماعي والوصفي والانشائي والتحليلي والنقدي هو دعامة النشر العربي الذي تحرر كثيراً من خلفات عضور الضعف كالسجع والجناس والمحسنات اللفظية ، ويرجع إلى طبيعته التي كان عليها من قبل ، وكذلك الامر في الشعر الذي أخرج من طبيعته وأصالته وأصبح يمثل تلك الجماعات الطفلية النزقة التي يكتبها المراهقون والتي تصطنع الاسطورة أو الخيال الكاذب ، أو الخرافة المسمومة ، أو الصورة الغامضة المضنية .

ولقد أكد كثير من الباحثين أن ظهور هذه الألوان الشعبية العامة ، التي تمثل السذاجة والتعبير عن الالهواء والطفولية ، بمثابة ردة خطيرة للأدب العربي ، الذي كان مثابة للبلاغة التي تحمل حملي للعقول وتحرية الاجيال وخبرة العقل الذكي .

وفي مجال الترجمة كانت محاولات التغريب واضحة . هو عنها الدكتور حسين نصار حين قال : إن حركة الترجمة عندنا كانت تتبع هوى المستشرقين .

ويقال هذا القول فيما ترجم إلى العربية وفيما ترجم منها إلى اللغات الاخرى .

فهم في مجال الترجمة إلى العربية لا يهدفون إلا إلى طرح السموم التي تحملها الافكار الوثنية الاغريقية والمادية الغربية المعاصرة ، وأن يجعلوا من تعدد الترجمات للذاهب المختلفة المتضاربة (سواء في عصور مختلفة أو بيئات مختلفة) وسيلة لاثارة روح الاضطراب والفساد العقلي والروحي في الامم التي تترجم لها هذه الافكار ، ومن المعجب أن نجد مترجمات الرأسماليين والاشتراكيين والاباحيين والوجوديين والماديين والبرجمائين والقوضويين جميعاً ، مطروحة في أفق الادب العربي بما فيها من سموم دون أن تقدم هذه الاعمال بمقدمات تكشف أمام القارئ العربي المسلم : ظروف هذه الاعمال والاختطار التي بها ووجهة نظر للفكر الاسلامي إليها ، وكأنما هي مسلمات أو حقائق أو علم ، بينما هي في الحقيقة أهواء الامم والشعوب وركام الفكر البشري الذي طارده الفكر الرباني على مدى الاجيال . والذي نفتن التلويديون في بعثه وإحيائه من جديد لقلعنا عن علم الاصنام اليوناني . وعن أساطير باخوس ومن مجوسية للفرس ، وعن خرافات الهند وغيرها لافساد الفوق والمزاج والنفس والعقل العربي الاسلامي .

وهناك محاولات لإحياء العاميات وإعلاء شأنها ، ووصفها بالعبقرية على النحو

الذى تقوم به بعض المجاميع اللغوية ويقبناه عدد من خصوم الاسلام من دعاة التغريب ، وما تزال هذه الحركة تفرز دعاة العامية بين حين وحين ، من آخرهم الدكتور حسين فوزى الذى يقول : إن اللغة العربية لغة أجنبية بالنسبة للبصرى وأهل المغرب ، وأن العامية تخلق أدباً محلياً ، وأن اصطلاحها يؤدى إلى الاحساس بالصدق .

وهناك محاولات لانكار أصالة الفكر الإسلامى على النحو الذى يذمه الدكتور زكى نجيب محمود ، وبقوله : بأن الامة العربية ليس لها فلسفة خاصة بها وأنها تستعير الثقافة والفكر الاوروبى والامريكى فى كل شىء .

وهناك محاولات استنفاص العرب وتاريخهم ودورهم على النحو الذى يردده منذ خمسين سنة : توفيق الحكيم ولا يزال مصراً عليه .

وهناك الدعوة إلى الادب الشعبى والفلكلور : هذه الدعوة العريضة التى تحتضنها قوى ومنظمات بهدف إرراز أرجال وكلمات وأساطير قديمة بدعوى أنها تراث الامم البائدة ، وهى دعوة مضلة تهدف إلى انتقاص التراث الإسلامى .

كل هذه الدعوات تستهدف القضاء على الاصالة التى عرفها الادب العربى ببلاغته القرآنية وبيانه المشرق الذى عرفت به الانسانية نبأ خالصاً ناجماً لادوائها ، يرفع قدرها فوق طفولة البشرية وفوق أساطير الامم وخرافاتها وأهوائها المضللة .

ولسوف يستطيع الادب العربى الاصيل أن يتجاوز هذه الاخطار والمحاذير عندما يؤمن بأنه عنصر من عناصر الفكر الإسلامى ، يتحمل مسئوليته الاخلاقية والتزامه لامتة فى دفعها إلى النور وإلى الامام ، متحرراً من المذاهب الضالة والتبعية المفرقة ، والاساليب المدخولة التى تريد أن تخرجه عن أصالته ومضمونه وهدفه ورسالاته الحققة .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ٩

ما قدمه العلم الإسلامى

فى مجال الحضارة من منجزات وحقائق ثابتة

حاول دعاة التغريب والشموعية والغزو الثقافى إنكار فضل الاسلام على الحضارة الانسانية ، والتهوين من شأن الدور الذى قام به المسلمون ، فأنكر الدكتور طه حسين أن للإسلام فكرا سياسيا ، كما أنكر غيره ما للإسلام من فكر اقتصادى وفكر اجتماعى وفكر تربوى ، وكان التغريبيون أشد قسوة على أمتهم وأهلهم فى ظلم هذا الميراث الإسلامى الكبير ، بلغ حد المنعوية بأمثال (كارليل) مؤلف كتاب الإبطال وعبادة الإبطال ، وجوستاف لوبون مؤلف كتاب حضارة العرب ، وغيرهما ، لأنهم اعترفوا للمسلمين بأثر واضح لا ينكر فى بناء الحضارة ، وذلك فى إطار تلك الحملة الضخمة التى كانت تحاول أن تملا نفوس الأجيال بالانتقاص لحضارتهم وأمتهم وعقيدتهم ، غير أن الحقائق مالبثت أن تكشف وخاب فالهم .

أمثلة باهرة :

فى مجال العلم والحضارة قدم المسلمون إضافات حقيقية ، فابن سينا أوقف القرعة الدورية ورقولنج الكبدى والكلوى والتهاب الرئة والجنب والتهاب الدماغ ، وبخت فى سبماتة وستين فرعا من العقاقير والأدوية . وابن الخطيب جزم فى بحثه بوجود العدوى قبل أن تكشف الجراثيم : قال الدكتور روبنسون أنها - أى بحوث ابن الخطيب - تحتوى على ما يزيد على مليون كلمة وظلت مباحثه أساسا للطب فى جامعات فرنسا وإيطاليا ستة قرون . أما أبو القاسم الهمراوى فقد عرف أكثر من مائتى آلة ومبضع ، وكان أول من كتب إحصائية صحيحة لأمراض الزيف الدموى وكان من أشهر الجراحين ، ووصف عملية سحق الحصاة فى المثانة وأخرجها .

وعلى بن عيسى دأب أكبر مؤلف فى طب العيون ، : تناول فيه طبيعة العين وكيفية تشريحها وأمراض العيون ، ودوس مائة وثلاثة من أمراض العيون ، وقدم لها مائة وثلاثة وأربعين دواء كان يستعملها فى علاج هذه الأمراض . قال

صه هالمو : إن كتب أبا القاسم كانت المصدر الهام الذى استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر .

واكتشف ابن النفيس الدمشقى المصرى الدورة الدموية الصغرى ، وكتب على ابن العباس كتابه الملكى الذى اشتمل على الطب النظرى والطب العملى وذكر عدة أخطاء لبقرات ورجالينوس

وأورد ابن أبى أصيبعة صاحب عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، من أسماء الاطباء المسلمين ما نيف على الثلاثائة .

وأورد ابن سينا وابن داود وابن البيطار عددا كبيرا من النباتات الطبية ، منها الكافور والوعفران والخزام والمر والمن والمسك والأترياق والتمر هندي .

وفى مجال العلوم يبدو جابر بن حيان عملاقا ، فقد استحضر حامض الكبريتيك بعد تقطيره من الشبه ، وسماه (زيت الزواج) واستحضر أيضا حامض النتريك ، وهو أول من كشف الصودا الكاوية وأول من استحضر ماء الذهب ، وعرف خواص بعض الأرواح والمركبات الكيماوية ، كالحامض النتري وماء الذهب واليوتاس وروح النشادر .

والى الرازى يرجع استكشاف آثار زيت الزواج ، وكتابه الجاوى ظل مرجعا إلى منتصف القرن الرابع عشر فى أوربا ، وقال عنه الدكتور ويقسون أنه كان يعالج الأمراض التناسلية كما نعالجها نحن فى أيامنا هذه ، وإليه ينسب اختراع الفتيلة فى الجراحة .

وابن الهيثم : لولاه لما كان علم البصريات ، فعنه أخذ كيلر معلوماته عن الضوء ، ولا سيما فيما يتعلق بانكساره فى الجو ، وقد أقام بحثه على الاستقراء والقياس والتجربة ، وهو أول من قرر أن الرؤية تتم ليس بواسطة شعاع نطلقه العين فى اتجاه الجسم المنظور ، بل بواسطة أشعة تنعكس من الاجسام المضيئة إلى العين التى تراها بواسطة جسمها الشفاف .

والفرعاني أول من سبق إلى اكتشاف أن الشمس والسيارات ترسم مدارات فى الاتجاه المعاكس للحركة النهارية .

والكاثي : هو واضع أسس الكسر العشري .

والسكندى نسب إليه ما لا يقل عن ٢٦٥ كتابا مؤلفا في البصريات وأصول الموسيقى والتنجيم ودراسة النجوم ، والكيمياء ، وقد سجلت مؤلفاته أن المسلمين عرفوا الاوزان الغنائية والقياسات الموسيقية قبل أوروبا بقرون ، وثابت بن قرة : حسب ارتفاع الشمس الظاهر ، وطول السنة الشمسية ، وابن يونس أول من عرف الرقاص قبل جاليليو بسبعة قرون باعتراف سارجوان وتابلر ويكر .

وحد بن جابر البتاني أطلق عليه « بطليموس العرب » ووضع بين العشرين فلكيا المشهورين في العالم كله ، وله عدة مكتشفات فلكية ورياضية ، وتحدث أبو النشاء الأصفهاني عن فكرة كشف الأرض الجديدة قبل رحلة كولومبس بنحو قرن ونصف .

والقزويني تناول النفط في كتابة عجائب المخلوقات وقال أنه يطفو على الماء ومنه أسود ومنه أبيض وقد يصاعدا أسود بالقرع والاندبيق ، فيصير أبيض ينفع في أوجاع المفاصل والفالج وبياض العين والماء النازل منها .

ومحمد بن موسى الخوارزمي : وضع علم الجبر في أواسط القرن التاسع الميلادي وعنه أخذت أوروبا وترجمت مقالته إلى اللاتينية واتخذت أساسا لتدريس الجبر في عصر النهضة وله جداوله الفلكية .

وأبو الفداء الذي قال أن الأرض كرة تطفو من مركز الوجود ، وقال أن رجلين لو ابتدأ السير واتجه أحدهما شرقا والآخر غربا فإنهما يتقابلان ، ولكن الرجل الذي اتجه شرقا يصل مكان اللقاء قبل الآخر بيوم واحد . وهذا ما يعرف بخط التاريخ الدولي الآن حيث ينقص من يعبره شرقا يوما من التاريخ .

والبيروني : الذي صاغ نظرية دوران الأرض حول محورها وحول الشمس وقال عنه العلامة (سخاوي) أنه أعظم عقلية عرفها التاريخ ودان له الغربيون بمعلوماتهم عن الهند ومآثرها في العلوم ؛ وقد أدرك البيروني أن أعلى قمم العالم هي (التبت) في آسيا والبيرنية والالب في أوروبا وهذا ما عليه الجغرافيون الآن .

والعلماء المسلمون هم أول من عرف قياس خط نصف النهار ، وقدروا مقدار
الدرجة الأرضية وأول من استعمل الأبرة المغناطيسية للملاحة في البحار ،
ووضعوا الأطوال ، والعروض بالدرجة والدقائق والثواني .

وأول من ضبط طول السنة وحققوا مدار الشمس وانحرافها ، والحركة
الاعتدالية وصوروا نجوم السماء ورسموا أبروجها وأفلاكها الرسوم الدقيقة
ووضعوا الآلات لدرس الفلك فيها .

ووضعوا على الجبر والهندسة ، ووضعوا على التفاصيل والتكامل وحساب
المثلعات وعرفوا الآن السميت (ارتفاع النجم) والمزاويل (الساعات القمرية)
والاسطرلابات (آلة قياس الوايا الفلكية) .

وكان الأطباء المسلمون يصنعون خيط الجراحة من أمعاء القطط ، حتى إذا
خيطن به الجراح التأمّت وضم الجسم الخيط ، دون حاجة إلى نزعه ، وقال
أبو بكر الرازي : ينبغي للطبيب أن يؤم المريض أبداً الصحة ويرجيه فيها .
ولما سأل الخليفة العلامة الرازي عن الموضوع الذي يبتى فيه مستشفى بغداد ، أمر
أن يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ، ثم اعتبر الناحية التي لم يتغير
ولم ينتن فيها اللحم بسرعة . فأشار بأن يبنى المستشفى فيها لاعتدال هوائه .
وعرف المسلمون (الكاغد - الورق -) واحلوه محل الرق - صحاف الكتابة
من الجلد - وقد سجل المؤرخون أن ورق محفوظات برشاونه ، المكتوبة عليه
معاهدة السلم بين ملك ارغونه وملك قشتالة عام ١١٧٨ م مصنوع في مصنع
شاطبة الإسلامي الشهير ، الذي ذكره العلامة الجغرافي الإدريسي في النصف
الأول من القرن الثاني عشر للميلاد . . وقد أدخلت صناعة الورق من شراشق
الحرير إلى سمرقند ، والأبرة المغناطيسية اكتشفها المسلمون ، وانتقلت إلى أوروبا
في القرن الثاني عشر ، وعرف المسلمون البوصلة في الملاحة ولم يستخدمها
الأوروبيون قبل القرن الثالث عشر من الميلاد . وإلى (ابن ماجد) يعزى الفضل
في تفوق الملاحة البرتغالية ، وعن طريقه وصلت المعلومات التي أخذها البرتغال ،
وله كتب رائدة في الملاحة صاج بعضها شعرا وقد حققها بعض علماء الروس
في العقد الأخير من قرننا هذا . وإلى المسلمين يعزى فضل استغلال مناجم الكبريت
والنحاس والوئبق والحديد والذهب وقد أتقنوا فن تسقية الفولاذ ، واخترعوا

البارود ، وعرفوا تركيب النار اليرنانية فأصبحت أداة من أدوات هجومهم وهم أول من استخرجوا قوة البارود المدافعة، واستعملوا الآلات القاصفة . والمسلمون أول من نقل القمح الأسمر إلى أوروبا وهو الآن أهم محاصيل فرنسا ، وحلوا فساتيل النخيل من أسبانيا وأفريقيا إلى شواطئ الريفيرا ، ومن آزارم في الصناعة استخراج القطران الذي يدل به قاع السفن ويحميها من العطن ، وعرف فضلم في تحسين لسل الخيول ، وأن الخيول الأصيلية في مقاطعة لاندوكا ماراج ، في جنوب فرنسا إنما هي من سلالة الخيول العربية التي أحضرها الفرسان المسلمون إلى تلك الأنحاء . وكشف المسلمون بحيرة فيكتوريا نيازا كما ذكر على مبارك وعرفوا مساحتها بالجمجمة والدة أفا والقيراط في كتاب بخط اليد - مخطوط - وسبقوا بذلك المكتشفين : سيك وجرانث الذين اكتشفوا البحيرة عام ١٨٦٢ وسميها باسم المملكة الإنجليزية . وقد وصل المسلمون في البر إلى التركستان الروسية والصينية وبلاد المغول والصين ، وفي البحر إلى شواطئ آسيا الشرقية ، واكتشفوا جزائر الخالدات (كناريا) عرب شمال أفريقيا وغزوا عباب المحيط الأطلسي إلى مسافات بعيدة ، وتجهلوا بقوافلهم في السودان والصحراء الكبرى حتى بلاد غانة وقال المؤرخ كوندى : أن الأسطول الإسلامي أبحر في الحيل العاشر من ميناء لشبونة مكتشفا جزر اسورس والأزور ، وبعض جزر الأنثيل فكان أول من فرق الحجب عن المناطق المجهولة في الأقيانوس ، الأطلسي ، ووصل بعض المغامرين المسلمين إلى سويسرا بعد أن اخترقوا جبال دوفينه وجبال سنيس ٨٩٠ - ٩٠٦ م) حتى بحيرة كستالس الواقعة بين سويسرا وألمانيا ،

وأعان في المؤتمر ١٧١ للجمعية الشرقية : الدكتور هوى لين الصيني ، نظرية في المؤتمر : أن المسلمين هم الذين اكتشفوا أمريكا قبل كولومبس بثلاثة قرون . وقد أنفق الدكتور لين ثمانية أعوام في تحقيق هذا الرأي وقال : أن ذلك يدحض ما يتعلمه كل طفل من أن كولومبس هو الذي اكتشف أمريكا سنة ١٤٩٢ ويقول الدكتور لين أن البحارة العرب قاموا قبل عام ١١٠٠ من الطرف الغربي للعالم الإسلامي من ميناء الفار البيضاء على التحديد وسواء بسفنهم في عدة مواضع على طول الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية .

فإذا ذهبنا ننظر نظرة سريعة شاملة وجدنا من الحقائق ما لا بد أن يوضع
من أيدي شبابنا في العالم الاسلامي كله ، ليدحض نظرية التمس وعقدة الاجنبي
فقد وضع المسلمون أسس الكيمياء ومارسوا أعمال التقطير والترشيح والتصعيد
والبلمرة ، والتدوير والالغام ، والتشكيل ، وهم الذين استحضروا الكحول
والقلى والبورق والورنيخ والبوتاس والايثير (الكحول) وزيت الزاج (حامض
الكبريتيك) والزاج الأخضر ، وماء الفضة (حامض النتريك) وحجر خمن
نترات الفضة (وملح البارود (نترات البوتاس) والصليمانى ، والراسب
الاحمر (أكسيد الزئبق) وروح النشادر وملح النشادر وملح الطرطير ، وماء
والذهب والبارود ، وأطباء العرب فتتوا الحصى في المثانة ، وسدوا الشرايين النازفة ،
واستعملوا المرقد (الخدر) في العمليات الجراحية ، وكشفوا النقاب عن الدورة
الدموية ودودة الانكلستوما وصححوا آراء بقراط وجالينوس في التشريح
ووظائف الاعضاء . وما تزال القلويات كلها — في الكيمياء — معروفة بأسمائها
العربية ، وسجل ابن البيطار ١٤٠٠ عقار لم يعرف لليونان منها غير ٤٠٠ عقار ،
والآلاف اكتشفها المسلمون وحددوا منافعها ومضارها . وأساليب استعمالها
ولسبها . وأول من اخترع رقاص الساعة هو الحسن العباس المشهور بابن يونس
وعرف المسلمون (الصفر) ولم يعرف الغرب إلا في القرن الثاني عشر عن طريق
المر ، وقال العلامة (اير) أن فكرة الصفر تعتبر من أعظم الهدايا التي قدمها
المسلمون ، وفي القرن الثامن الميلادي استعمل المسلمون الصفر في الحساب
ورسموه على هيئة حلقة ثم شرح الخوارزمي طريقة استعماله وترجم بحثه . وعلل
العلماء الصوت وحصوله وعللوا حدوث الصدى في الاوتار واعتزازها ، وعرفوا
ما بين طول الوتر وغلظه ، وتوتره في علاقة ، كما عرفوا خاصية الجذب في المغناطيس
وعللوا ملوحة البحر وعذوبة المطر ، واستعماله الحطب في الاحتراق واستحالة
الحطب في الاحتراق واستعماله الزيت في المصباح ، وصمود الهواء وانحدار الماء
كل هذا يدحض رأى كتاب الغرب الذين قالوا أن المسلمين كانوا نقلة ولم يكونوا
مبدعين أو لم يكن لهم فضل على الحضارة الإنسانية .

أما سبق علماء المسلمين في مجال الكشف العلمي فذلك يؤكد شهادات كثيرة
من علماء الغرب .

١ — ابن خلدون سبق سميث وهيجل : تؤكد كتابات الباحثين الغربيين أن ابن خلدون سبق فلاسفة الغرب في وضع أسس علمي الاجتماع والاقتصاد السياسي : سبق آدم سميث وأوجست كونت ، وبين ابن خلدون وآدم سميث أربعة قرون كاملة . سجلت شهادات استفانو كلوزيو وروبرت فيليب وفارد وتوينبي وغيرهم . قال مبلوفنج أنه — ابن خلدون — اكتشف نظرية الأجيال الخاصة بظهور الأسر ونموها قبل أن يعرفها أوتو كارلونييس في أواخر القرن التاسع عشر ، وكذلك عرف قانون (النسبة بالوسط) قبل أن يعرفه العالم الطبيعي دارون بحمسة قرون . كما أن ابن خلدون اكتشف مبدأ وجود المادة قبل أن يكتشفه العالم البيولوجي ارلست هيكل بأكثر من خمسة قرون .

٢ — المعري سبق دانتى : أما دانتى فقد تأثر بالثقافة الإسلامية في كتابه السكوميديا الإلهية وتأثر برسالة الغفران للمعري وأن سورة الاعراف من القرآن الكريم أمدته في تفاصيلها بفكرة جهنم والصراط والمحشر ، وحوار أهل الجنة مع أهل الاعراف والنار وهي كلها مفتاح السكوميديا الحقيقي .

٣ — الطرطوشى سبق ميكافيلى : كما تحقق أن أبا بكر محمد بن محمد الطرطوشى ، سبق الكاتب الوزير الفلورنسى (تيقولا ميكافيلى) في التأليف في سياسة الملوك وأخلاق الأمراء . وأن كتاب الطرطوشى (سراج الملوك) . مصدر لكتاب الأمير ، الذى ألفه ميكافيلى وسابق عليه بأكثر من خمسة قرون . وقد اتضح للباحثين أن معظم مواد كتاب الطرطوشى قد نسقت في كتاب الأمير وأن أبوابا كاملة قد ترجمت حرفيا .

٤ — كتابة المكفوفين وقد سبق الفسكرك الإسلامى في أولية كتابة المكفوفين وهى التى عرفت بالحروف البارزة وأطلق عليها (طريقة بريل) وعرف عدد من المخترعين لهذه الطريقة في مقدمتهم على بن أحمد بن على بن يوسف بن الحضرمي المشهور بزين الدين الأمدى وقد سجل صلاح الدين خليل بن آبيك الصفدى في كتابه (نكت الحميان في نكت الحميان) هذه الطريقة .

٥ — دراسات الاقتصاد : سبق التأليف في هذا المجال ما كتب في الغرب بألف عام ، حيث ظهر التخصص العلمى العلمى الصحيح في المؤلفات الاقتصادية الإسلامية واضحا منذ القرن الثامن الميلادى ، فهناك كتاب (الخراج) ليعقوب بن آدم القرشى

ظهر عام ٣٠٢ هجرية (٧٨٤ م) وكتاب الاكتساب في الرزق المستطاب للإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ظهر عام ١٣٤ هـ (٨١٥ م) ثم كتاب الخراج للإمام أبي يوسف - صاحب أبي حنيفة - ثم تلى ذلك مقدمة ابن خلدون التي ظهرت بين القرن الثالث عشر الميلادي والرابع عشر والذي يعتبر صورة ماثلة لكتاب (ثروة الأمم) أو إنجيل الاقتصاد الحديث الذي كتبه أبو الاقتصاديين آدم ميمث عام ١٧٧٦ م . ورغم أن ابن خلدون قد سبق آدم ميمث بخمسة قرون من الزمان فقد بحث في مقدمة الحضارة ولبوثها وإنتاج الثروة وصور النشاط الاقتصادي ونظريات القيمة والتوزيع والسكان ، ثم يلي ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي (المقربي) وكان أكثر تخصصاً من زميله ابن خلدون فأخرج الناس كتاباً في النقود وكتاباً في دورات الأعمال الاقتصادية سماه (إغالة الأمة بكشف الغمة) : ومثل هذه الدراسات لم تظهر في الاقتصاد الحديث إلا في القرن التاسع عشر ، وظهر في ذلك الوقت كتاب (الفلاكة والمغلوكن) أي الفقر والفقراء لأحمد ابن علي الدجلجي وهو نوع جديد من الدراسة الاقتصادية لم تظهر دراسته وأبحاثه إلا في أوائل القرن العشرين .

٦ - دراسات الفكر السياسي : سبقت دراسات الفكر السياسي الإسلامي مثيلاتها في الغرب بأكثر من خمسة قرون ، وهي تدحضر أكاذيب الدكتور طه حسين والتفريبيين ، وقد كشف ذلك الدكتور ضياء الدين الريس والدكتور فواد عبد المنعم والدكتور مصطفى حلى ، منها غياث الأمم لإمام الحرمين ، والأحكام السلطانية للماوردي والأحكام السلطانية للقاضي الجليلي ، وكتاب السياسة الشرعية لأصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ، وكتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ، وكتاب أكليل الكرامة لصديق حسن خان ، ورسالة السياسة الشرعية لأبراهيم بن يحيى زادة ، ونحرير الأحكام في تدبير الملوك لأبي الفضل محمد بن الأعرج وكتاب المنهاج للعليمي ، والهدية الفراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء لمحمود ابن اسماعيل ، والجواهر المضيئة في الأحكام السلطانية لعبد الرؤوف المنادي : وهذا الإحصاء خير دليل يدحض فرية التفريبيين والمتسرعين إذ ظنوا أن علماء الإسلام كانوا مجرد نقلة لمؤلفات الفرس واليونان ، وهو ما يدحض ماذهب إليه (شاخت) في كتاب تراث الإسلام ، وماذهب إليه (علي عبدالرازق) في كتابه الإسلام وأصول الحكم ، الذي افترى فيه على علماء المسلمين .

هذا الكتاب

المد الإسلامي

في مطالع القرن الخامس عشر الهجري

لم تعد ظاهرة « المد الإسلامي » موضع شك من خصوم الاسلام او المرافقين على السواء ، هذه الظاهرة التي يهددها القرن الرابع عشر الهجري الى القرن الخامس عشر امانة غالية تنتطلع اليها تقوى المؤمنين وتخصها مشاعر الحب والتقدير فهي بمثابة الفرس الجديد الذي تتعلق به الآمال في اقامة المجتمع الرباني في ارض الاسلام من خلال جميع قطاعات الفكر الاسلامى ومنافذه يستعرض المؤلف القضايا عرضا شاملا ليجيب على هذه الأسئلة ما هى القضايا التي تحوط بظاهرة المد الاسلامى . وما هى التحديات والأخطار . وما هى وجوه العمل الصادق الكريم لدفع هذه الظاهرة الى غايتها وحياطتها بكل وسائل الأمن والأمان . وما هو دور كل مسلم من الألف مليون مسلم المسئولون اليوم عن حماية البيضة . ذلك ما نرجو أن نقدمه في هذه الدراسة بـعون الله ...

دار الاعتصام

رقم الايداع بدار الكتب ٤٣٩٨ / ١٩٨٢
الترقيم الدولى ٩ - ١١ - ١٤٢ - ٩٧٧

٣٠٠ قرش